



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir



الكامل في
البيانات
البيانات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكامل فى التاريخ

كاتب:

ابن اثير جزرى

نشرت فى الطباعة:

دارصادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

- ٥ الفهرس
- ٢٧ الكامل فى التاريخ المجلد ١٠
- ٢٧ اشارة
- ٢٧ (٤٥١) ثم دخلت سنة إحدى و خمسين و أربعمائه
- ٢٧ ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنه و ملك أخيه إبراهيم
- ٢٧ ذكر الصلح بين الملك إبراهيم و جغرى بك داود
- ٢٧ ذكر وفاة داود و ملك ابنه ألب أرسلان
- ٢٨ ذكر حريق بغداد
- ٢٨ ذكر انحدار السلطان إلى واسط و ما فعل العسكر و إصلاح ديبس
- ٢٩ ذكر عدة حوادث
- ٢٩ ٤٥٢ ثم دخلت سنة اثنتين و خمسين و أربعمائه
- ٢٩ ذكر عود ولّى العهد إلى بغداد مع أبى الغنائم بن المحلبان
- ٣٠ ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب
- ٣٠ ذكر عدة حوادث
- ٣١ ٤٥٣ ثم دخلت سنة ثلاث و خمسين و أربعمائه
- ٣١ ذكر وزارة ابن دارست للخليفة
- ٣١ ذكر موت المعزّ بن باديس و ولاية ابنه تميم
- ٣٢ ذكر وفاة قريش صاحب الموصل و إمارة ابنه شرف الدولة
- ٣٣ ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان
- ٣٣ ذكر عدة حوادث
- ٣٤ ٤٥٤ ثم دخلت سنة أربع و خمسين و أربعمائه
- ٣٤ ذكر نكاح السلطان طغرليک «١» ابنة الخليفة
- ٣٤ ذكر عزل ابن دارست و وزارة ابن جهير

- ٣٦ ذكر عدّة حوادث «١»
- ٣٦ ٤٥٥ ثم دخلت سنة خمس و خمسين و أربعمائه
- ٣٦ ذكر ورود السلطان بغداد و دخوله بابنة الخليفة
- ٣٧ ذكر وفاة السلطان طغرليک
- ٣٨ ذكر شيء من سيرته
- ٣٨ ذكر ملك السلطان ألب أرسلان
- ٣٩ ذكر خروج حتمو عن طاعة تميم بن المعزّ بإفريقية
- ٣٩ ذكر عدّة حوادث
- ٣٩ ٤٥٦ ثم دخلت سنة ست و خمسين و أربعمائه
- ٣٩ ذكر القبض على عميد الملك و قتله
- ٤١ ذكر ملك ألب أرسلان ختلان و هراة و صغانيان
- ٤٢ ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد و الخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد «١»
- ٤٢ ذكر الحرب بين ألب أرسلان و قتلمش
- ٤٣ ذكر فتح ألب أرسلان مدينة أنى و غيرها من بلاد النصرانية
- ٤٥ ذكر عدّة حوادث
- ٤٦ ٤٥٧ ثم دخلت سنة سبع و خمسين و أربعمائه
- ٤٦ ذكر الحرب بين بنى حقاد و العرب
- ٤٨ ذكر بناء مدينة بجاية
- ٤٩ ذكر ملك ألب أرسلان جند و صيران
- ٤٩ ذكر عدّة حوادث
- ٥٠ ٤٥٨ ثم دخلت سنة ثمان و خمسين و أربعمائه
- ٥٠ ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملك شاه
- ٥٠ ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس
- ٥٠ ذكر ملك شرف الدولة الأتبار و هيت و غيرهما

- ٥١ ذكر عدّة حوادث
- ٥١ ٤٥٩ ثم دخلت سنة تسع و خمسين و أربعمئة
- ٥١ ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان و عوده إلى طاعته
- ٥٢ ذكر عدّة حوادث
- ٥٣ ٤٦٠ ثم دخلت سنة ستين و أربعمئة
- ٥٣ ذكر عدّة حوادث
- ٥٤ ٤٦١ ثم دخلت سنة إحدى و ستين و أربعمئة
- ٥٤ ذكر عدّة حوادث
- ٥٤ ٤٦٢ ثم دخلت سنة اثنتين و ستين و أربعمئة
- ٥٥ ذكر عدّة حوادث
- ٥٦ ٤٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث و ستين و أربعمئة
- ٥٦ ذكر الخطبة للقائم بأمر الله و السلطان بحلب
- ٥٧ ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب
- ٥٧ ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط و أسره
- ٥٩ ذكر ملك أتسز «١» الرملة و بيت المقدس
- ٥٩ ذكر عدّة حوادث
- ٦٠ ٤٦٤ ثم دخلت سنة أربع و ستين و أربعمئة
- ٦٠ ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد
- ٦٠ ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان
- ٦٠ ذكر ولاية أبي الحسن بن عمّار طرابلس
- ٦٠ ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس
- ٦١ ذكر عدّة حوادث
- ٦١ ٤٦٥ ثم دخلت سنة خمس و ستين و أربعمئة
- ٦١ ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

- ٦٢ ذكر نسب ألب أرسلان و بعض سيرته
- ٦٣ ذكر ملك السلطان ملك شاه
- ٦٣ ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ
- ٦٤ ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند
- ٦٤ ذكر الحرب بين السلطان ملك شاه و عمه قاورت بك
- ٦٥ ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك
- ٦٥ ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان
- ٦٩ ذكر عدّة حوادث
- ٧٠ ٤٦٦ ثم دخلت سنة ست و ستين و أربعمائه
- ٧٠ ذكر تقليد السلطان ملك شاه السلطنة و الخلع عليه
- ٧١ ذكر غرق بغداد
- ٧١ ذكر ملك السلطان ملك شاه ترمذ و الهدنة بينه و بين صاحب سمرقند
- ٧٢ ذكر عدّة حوادث
- ٧٢ ٤٦٧ ثم دخلت سنة سبع و ستين و أربعمائه «١»
- ٧٢ ذكر وفاة القائم بأمر الله و ذكر بعض سيرته
- ٧٣ ذكر خلافة المقتدى بأمر الله
- ٧٤ ذكر عدّة حوادث
- ٧٥ ٤٦٨ ثم دخلت سنة ثمان و ستين و أربعمائه
- ٧٥ ذكر ملك أقيس دمشق
- ٧٦ ذكر عدّة حوادث
- ٧٧ ٤٦٩ ثم دخلت سنة تسع و ستين و أربعمائه
- ٧٧ ذكر حصر أقيس مصر و عوده عنها
- ٧٨ ذكر عدّة حوادث
- ٧٩ ٤٧٠ ثم دخلت سنة سبعين و أربعمائه

- ٧٩ ذكر عدّة حوادث
- ٨٠ ٤٧١ ثم دخلت سنة إحدى و سبعين و أربعمائه
- ٨٠ ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة
- ٨١ ذكر استيلاء تتش على دمشق
- ٨١ ذكر عدّة حوادث
- ٨٢ ٤٧٢ ثم دخلت سنة اثنتين و سبعين و أربعمائه
- ٨٢ ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند
- ٨٣ ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب
- ٨٣ ذكر مسير ملك شاه إلى كرمان
- ٨٤ ذكر عدّة حوادث
- ٨٤ ٤٧٣ ثم دخلت سنة ثلاث و سبعين و أربعمائه
- ٨٥ ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان و أخذها منه
- ٨٥ ذكر عدّة حوادث
- ٨٦ ٤٧٤ ثم دخلت سنة أربع و سبعين و أربعمائه
- ٨٦ ذكر خطبة الخليفة ابنه السلطان ملك شاه
- ٨٦ ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد و إمارة ولده منصور
- ٨٦ ذكر محاصرة تميم بن المعزّ مدينة قابس
- ٨٦ ذكر عدّة حوادث
- ٨٧ ٤٧٥ ثم دخلت سنة خمس و سبعين و أربعمائه
- ٨٧ ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك
- ٨٨ ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية و الحنابلة
- ٨٨ ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة
- ٨٩ ذكر حصر شرف الدولة دمشق و عوده عنها «٢»
- ٩٠ ذكر عدّة حوادث

- ٩٠ ٤٧٦ ثم دخلت سنة ست و سبعين و أربعمائه
- ٩٠ ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة و مسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر
- ٩١ ذكر عصيان أهل حرّان على شرف الدولة و فتحها
- ٩١ ذكر وزارة أبي شجاع محمّد بن الحسين للخليفة
- ٩١ ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا
- ٩٢ ذكر استيلاء مالك بن علويّ على القيروان و أخذها منه
- ٩٢ ذكر عدّة حوادث
- ٩٣ ٤٧٧ ثم دخلت سنة سبع و سبعين و أربعمائه
- ٩٣ ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير و ابن مروان و شرف الدولة
- ٩٤ ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل
- ٩٤ ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملك شاه
- ٩٥ ذكر فتح سليمان بن قتلمش أنطاكية
- ٩٦ ذكر قتل شرف الدولة و ملك أخيه إبراهيم
- ٩٦ ذكر عدّة حوادث
- ٩٧ ٤٧٨ ثم دخلت سنة ثمان و سبعين و أربعمائه
- ٩٧ ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة
- ٩٧ ذكر استيلاء ابن جهير على آمد
- ٩٨ ذكر ملكه أيضا مّيفارقين
- ٩٨ ذكر ملك جزيرة ابن عمر
- ٩٩ ذكر عدّة حوادث
- ١٠٠ ٤٧٩ ثم دخلت سنة تسع و سبعين و أربعمائه
- ١٠٠ ذكر قتل سليمان بن قتلمش
- ١٠٠ ذكر ملك السلطان حلب و غيرها
- ١٠١ ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد و ولاية ابنه صدقة

- ١٠٢ ذكر وقعة الزلقة بالأندلس و هزيمة الفرنج
- ١٠٤ ذكر دخول السلطان إلى بغداد
- ١٠٥ ذكر عدة حوادث
- ١٠٧ ٤٨٠ ثم دخلت سنة ثمانين و أربعمائه
- ١٠٧ ذكر زفاف ابنه السلطان إلى الخليفة
- ١٠٧ ذكر عدة حوادث
- ١٠٩ ٤٨١ ثم دخلت سنة إحدى و ثمانين و أربعمائه
- ١٠٩ ذكر الفتنة ببغداد
- ١٠٩ ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة
- ١١٠ ذكر ملك الروم مدينة زويلة و عودهم عنها
- ١١٠ ذكر وفاة الناصر بن علناس و ولاية ولده المنصور
- ١١٠ ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة و ملك ابنه مسعود
- ١١١ ذكر عدة حوادث
- ١١٢ ٤٨٢ ثم دخلت سنة اثنتين و ثمانين و أربعمائه
- ١١٢ ذكر الفتنة ببغداد بين العامة
- ١١٢ ذكر ملك السلطان ملك شاه ما وراء النهر
- ١١٤ ذكر عصيان سمرقند
- ١١٤ ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني
- ١١٥ ذكر عود ابنه السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها
- ١١٥ ذكر فتح عسكر مصر عكا و غيرها من الشام
- ١١٦ ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية
- ١١٦ ذكر حيلة [١] لأمير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا
- ١١٧ ذكر ملك العرب مدينة سوسة و أخذها منهم
- ١١٧ ذكر عدة حوادث

- ١١٨ ٤٨٣ ثم دخلت سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائه
- ١١٨ ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير
- ١١٩ ذكر نهب العرب البصرة
- ١٢٠ ذكر عدّة حوادث
- ١٢٠ ٤٨٤ ثم دخلت سنة أربع و ثمانين و أربعمائه
- ١٢٠ ذكر عزل الوزير أبي شجاع و وزارة عميد الدولة بن جهير
- ١٢١ ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين
- ١٢٤ ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية
- ١٢٨ ذكر وصول السلطان إلى بغداد
- ١٢٨ ذكر عدّة حوادث
- ١٢٩ ٤٨٥ ثم دخلت سنة خمس و ثمانين و أربعمائه
- ١٢٩ ذكر الحرب بين المسلمين و الفرنج بجيان
- ١٢٩ ذكر استيلاء تتش على حمص و غيرها من ساحل الشام
- ١٣٠ ذكر ملك السلطان اليمن
- ١٣٠ ذكر مقتل نظام الملك
- ١٣٢ ذكر ابتداء حاله «١» و شيء من أخباره
- ١٣٤ ذكر وفاة السلطان و ذكر بعض سيرته
- ١٣٦ ذكر ملك ابنه الملك محمود و ما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك
- ١٣٧ ذكر قتل تاج الملك
- ١٣٧ ذكر ما فعله العرب بالحجاج و الكوفة
- ١٣٨ ذكر عدّة حوادث
- ١٣٨ ٤٨٦ ثم دخلت سنة ست و ثمانين و أربعمائه
- ١٣٨ ذكر وزارة عزّ الملك بن نظام الملك لبركيارق
- ١٣٩ ذكر حال تتش بن ألب أرسلان

- ١٣٩ ذكر وقعة المضيق و أخذ الموصل من العرب
- ١٤٠ ذكر ملك تتش ديار بكر و أذربيجان و عوده إلى الشام
- ١٤٠ ذكر حصر عسكر مصر صور و ملكهم لها
- ١٤١ ذكر قتل إسماعيل [١] بن ياقوتى خال بركيارق
- ١٤٢ ذكر أخذ الحجاج
- ١٤٢ ذكر عدّة حوادث
- ١٤٣ ٤٨٧ ثم دخلت سنة سبع و ثمانين و أربعمائه
- ١٤٣ ذكر الخطبة للسلطان بركيارق
- ١٤٣ ذكر وفاة المقتدى بأمر الله
- ١٤٤ ذكر خلافة المستظهر بالله
- ١٤٥ ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر و ملك تتش حلب و الجزيرة و ديار بكر و أذربيجان و همذان و الخطبة له ببغداد
- ١٤٦ ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش و ملكه أصبهان بعد ذلك
- ١٤٧ ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر
- ١٤٨ ذكر وفاة المستنصر و ولاية ابنه المستعلى
- ١٤٨ ذكر عدّة حوادث
- ١٥٠ ٤٨٨ ثم دخلت سنة ثمان و ثمانين و أربعمائه
- ١٥٠ ذكر دخول جمع من الترك إفريقية و ما كان منهم
- ١٥١ ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند «١»
- ١٥٢ ذكر ما فعله يوسف بن أبق ببغداد
- ١٥٢ ذكر الحرب بين بركيارق و تتش و قتل تتش
- ١٥٣ ذكر حال الملك رضوان و أخيه دقاق بعد قتل أبيهما
- ١٥٤ ذكر وفاة المعتمد بن عباد
- ١٥٥ ذكر وفاة الوزير أبي شجاع
- ١٥٥ ذكر الفتنة بنيسابور

- ١٥٦ ذكر عدّة حوادث
- ١٥٧ ٤٨٩ ثم دخلت سنة تسع وثمانين و أربعمائة
- ١٥٧ ذكر قتل يوسف بن أبق و المجنّ الحلبيّ
- ١٥٨ ذكر وفاة منصور بن مروان
- ١٥٨ ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا
- ١٥٩ ذكر ملك كربوقا الموصل
- ١٦٠ ذكر عدّة حوادث
- ١٦١ ٤٩٠ ثم دخلت سنة تسعين و أربعمائة
- ١٦١ ذكر قتل أرسلان أرغون
- ١٦٢ ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور
- ١٦٣ ذكر ملك بركيارق خراسان و تسليمها إلى أخيه سنجر
- ١٦٣ ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفا
- ١٦٣ ذكر عصيان الأمير قودن و يارقطاش على السلطان و استعمال حبشى على خراسان
- ١٦٤ ذكر ابتداء دولة محمّد بن خوارزم شاه
- ١٦٥ ذكر الحرب بين رضوان و أخيه دقاق
- ١٦٥ ذكر الخطبة للعلويّ المصريّ بولاية رضوان
- ١٦٥ ذكر عدّة حوادث
- ١٦٦ ٤٩١ ثم دخلت سنة إحدى و تسعين و أربعمائة
- ١٦٦ ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية
- ١٦٩ ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج و ما كان منهم
- ١٧٠ ذكر ملك الفرنج معزّة التّعمان
- ١٧٠ ذكر الحرب بين الملك سنجر و دولتشاه
- ١٧٠ ذكر عدّة حوادث
- ١٧١ ٤٩٢ ثم دخلت سنة اثنتين و تسعين و أربعمائة

- ١٧١ ذكر عصيان الأمير أنر «١» و قتله
- ١٧٢ ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدس
- ١٧٤ ذكر الحرب بين المصريين و الفرنج
- ١٧٥ ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملك شاه
- ١٧٦ ذكر الخطبة ببغداد للملك محمّد
- ١٧٦ ذكر قتل مجد الملك البلاسائي
- ١٧٧ ذكر عدّة حوادث
- ١٧٧ ٤٩٣ ثم دخلت سنة ثلاث و تسعين و أربعمائه
- ١٧٨ ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد
- ١٧٨ ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق و محمّد و إعادة خطبة محمّد ببغداد
- ١٧٩ ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين
- ١٧٩ ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة و انهزامه من أخيه سنجر أيضا و قتل أمير داد حبشي
- ١٨٠ ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقس
- ١٨٠ ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة و وفاته
- ١٨١ ذكر ظفر المسلمين بالفرنج
- ١٨٢ ذكر عدّة حوادث
- ١٨٢ ٤٩٤ ثم دخلت سنة أربع و تسعين و أربعمائه
- ١٨٢ ذكر الحرب بين السلطانين بركيارق و محمّد و قتل مؤيد الملك
- ١٨٤ ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة و اجتماعه بأخيه الملك سنجر
- ١٨٤ ذكر ما فعله السلطان بركيارق و دخوله بغداد
- ١٨٥ ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق
- ١٨٦ ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداد و رحيل السلطان بركيارق عنها
- ١٨٦ ذكر حال قاضي جبلة
- ١٨٨ ذكر قتل الباطنية

- ١٨٩ ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان
- ١٨٩ ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم
- ١٩٢ ذكر ما فعله جاولى سقاوا بالباطنية
- ١٩٢ ذكر قتل صاحب كرمان الباطني و ملك غيره «٢»
- ١٩٣ ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية
- ١٩٤ ذكر حصر الأمير بزغش «١» قهستان و طبس
- ١٩٤ ذكر ما ملك الفرنج من الشام
- ١٩٥ ذكر عدة حوادث
- ١٩٥ ٤٩٥ ثم دخلت سنة خمس و تسعين و أربعمئة
- ١٩٦ ذكر وفاة المستعلي بالله و ولاية الأمر بأحكام الله
- ١٩٦ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق و السلطان محمد و الصلح بينهما
- ١٩٨ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق و محمد و انفساخ الصلح بينهما
- ١٩٩ ذكر حصار السلطان محمد بأصبهان
- ٢٠٠ ذكر قتل الوزير الأعز و وزارة الخطير أبي منصور
- ٢٠١ حادثة يعتبر بها
- ٢٠١ ذكر الفتنة بين إيلغازي و عامة بغداد
- ٢٠٢ ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط و عوده عنها
- ٢٠٣ ذكر وفاة كربوقا و ملك موسى التركماني الموصل و جكرمش بعده و ملك سقمان الحصن
- ٢٠٤ ذكر حال صنعيل الفرنجي و ما كان منه في حصار طرابلس
- ٢٠٥ ذكر ما فعله الفرنج
- ٢٠٦ ذكر عود قلعة خفتيدكان «٣» إلى سرخاب بن بدر
- ٢٠٦ ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند
- ٢٠٨ ذكر ملك محمد خان سمرقند
- ٢٠٨ ذكر عدة حوادث

- ٢١٠ ٤٩٦ ثم دخلت سنة ست و تسعين و أربعمائه
- ٢١٠ ذكر استيلاء يتال على الرّي و أخذها منه و وصوله إلى بغداد
- ٢١٠ ذكر ما فعله يتال بالعراق
- ٢١١ ذكر وصول كمشتكين القيصرّي شحنه إلى بغداد و الفتنة بينه و بين إيلغازي و سقمان و صدقة
- ٢١٢ ذكر استيلاء صدقة على هيت
- ٢١٣ ذكر الحرب بين بركيارق و محمد
- ٢١٤ ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة و نظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة
- ٢١٥ ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرّحبة
- ٢١٥ ذكر أخبار الفرنج بالشام
- ٢١٦ ذكر عدّة حوادث
- ٢١٧ ٤٩٧ ثم دخلت سنة سبع و تسعين و أربعمائه
- ٢١٧ ذكر ملك بلق بن بهرام بن أرتق مدينة عانة
- ٢١٨ ذكر غارة الفرنج على الرّقة و قلعة جعبر
- ٢١٨ ذكر الصلح بين السلطان بركيارق و محمد
- ٢٢٠ ذكر ملك الفرنج جيبيل و عكا من الشام
- ٢٢٠ ذكر غزو سقمان و جكرمش الفرنج
- ٢٢١ ذكر وفاة دقاق و ملك ولده
- ٢٢٢ ذكر استيلاء صدقة على واسط
- ٢٢٣ ذكر عدّة حوادث
- ٢٢٤ ٤٩٨ ثم دخلت سنة ثمان و تسعين و أربعمائه
- ٢٢٤ ذكر وفاة السلطان بركيارق
- ٢٢٤ ذكر عمره و شيء من سيرته
- ٢٢٥ ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق
- ٢٢٥ ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل

- ٢٢٦ ذكر وصول السلطان إلى بغداد و صلحه مع ابن أخيه و الأمير أياز
- ٢٢٨ ذكر قتل الأمير أياز
- ٢٢٩ ذكر وفاة سقمان بن أرتق
- ٢٣١ ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان
- ٢٣١ ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام
- ٢٣١ ذكر حرب الفرنج و المصريين
- ٢٣٢ ذكر عدة حوادث
- ٢٣٣ ٤٩٩ ثم دخلت سنة تسع و تسعين و أربعمائه
- ٢٣٣ ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد
- ٢٣٤ ذكر الحرب بين طغتكين و الفرنج
- ٢٣٥ ذكر الحرب بين عبادة و خفاجة
- ٢٣٦ ذكر ملك صدقة البصرة
- ٢٣٧ ذكر حصر رضوان نصيبين و عوده عنها
- ٢٣٨ ذكر ملك طغتكين بصرى
- ٢٣٩ ذكر ملك الفرنج حصن أفامية
- ٢٤١ ذكر نهب العرب البصرة
- ٢٤١ ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج
- ٢٤٢ ذكر عدة حوادث
- ٢٤٣ ٥٠٠ ثم دخلت سنة خمسماية
- ٢٤٤ ذكر وفاة يوسف بن تاشفين و ملك ابنه على
- ٢٤٤ ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك
- ٢٤٥ ذكر ملك صدقة بن مزيد تكرت
- ٢٤٦ ذكر الحرب بين عبادة و خفاجة
- ٢٤٦ ذكر مسير جاولى سقاوو إلى الموصل و أسر صاحبها جكرمش

- ٢٤٧ ذكر حصر جاولى سقاوو الموصل و موت جكرمش
- ٢٤٨ ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية و الفرنج
- ٢٤٩ ذكر ملك قلعج أرسلان الموصل
- ٢٥٠ ذكر قتل قلعج أرسلان و ملك جاولى الموصل
- ٢٥١ ذكر أحوال الباطنية بأصبهان و قتل ابن عطّاش «٤»
- ٢٥٤ ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة و مهذب الدولة صاحب البطيحة
- ٢٥٥ ذكر قتل وزير السلطان و وزارة أحمد بن نظام الملك
- ٢٥٥ ذكر عدّة حوادث
- ٢٥٦ ٥٠١ ثم دخلت سنة إحدى و خمسمائة
- ٢٥٦ ذكر قتل صدقة بن مزيد
- ٢٦٢ ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقيه و ولاية ابنه يحيى
- ٢٦٣ ذكر ملك يحيى قلعة قليبية
- ٢٦٣ ذكر قدوم ابن عمّار بغداد مستنفرًا
- ٢٦٤ ذكر عدّة حوادث
- ٢٦٦ ٥٠٢ ثم دخلت سنة اثنتين و خمسمائة
- ٢٦٦ ذكر استيلاء مودود و عسكر السلطان على الموصل و ولاية مودود «١»
- ٢٦٧ ذكر حال جاولى مدّة الحصار
- ٢٦٧ ذكر إطلاق جاولى للقمص الفرنجى
- ٢٦٨ ذكر ما جرى بين هذا القمص و بين صاحب أنطاكية
- ٢٦٩ ذكر حال جاولى بعد إطلاق القمص
- ٢٧٠ ذكر الحرب بين جاولى و الفرنج
- ٢٧١ ذكر عود جاولى إلى السلطان
- ٢٧١ ذكر الحرب بين طغتكين و الفرنج و الهدنة بعدها
- ٢٧١ ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

- ٢٧٢ ذكر صلح السنّة و الشيعة ببغداد
- ٢٧٣ ذكر عدّة حوادث
- ٢٧٤ ٥٠٣ ثم دخلت سنه ثلاث و خمسمائة
- ٢٧٤ ذكر ملك الفرنج طرابلس و بيروت من الشام
- ٢٧٤ ذكر ملك الفرنج جبيل و بانياس «٢»
- ٢٧٧ ذكر الحرب بين محمّد خان و ساغريك «٣»
- ٢٧٧ ذكر عدّة حوادث
- ٢٧٨ ٥٠٤ ثم دخلت سنه أربع و خمسمائة
- ٢٧٨ ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا
- ٢٧٩ ذكر استيلاء المصريين على عسقلان
- ٢٧٩ ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب و غيره
- ٢٨٠ ذكر عدّة حوادث
- ٢٨١ ٥٠٥ ثم دخلت سنه خمس و خمسمائة
- ٢٨١ ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج
- ٢٨٣ ذكر حصر الفرنج مدينة صور
- ٢٨٤ ذكر انهزام الفرنج بالأندلس
- ٢٨٤ ٥٠٦ ثم دخلت سنه ست و خمسمائة
- ٢٨٤ ٥٠٧ ثم دخلت سنه سبع و خمسمائة
- ٢٨٤ ذكر قتال الفرنج و انهزامهم و قتل مودود
- ٢٨٧ ذكر الخلف بين السلطان سنجر و محمّد خان و الصلح بينهما
- ٢٨٨ ذكر عدّة حوادث
- ٢٨٩ ٥٠٨ ثم دخلت سنه ثمان و خمسمائة
- ٢٨٩ ذكر مسير آقسنقر البرسقى إلى الشام لحرب الفرنج
- ٢٨٩ ذكر طاعة صاحب مرعش و غيرها البرسقى

- ٢٩٠ ذكر الحرب بين البرسقى و إيلغازى و أسر إيلغازى
- ٢٩١ ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين و ملك ابنه و ما كان منه مع السلطان سنجر
- ٢٩٣ ذكر عدّة حوادث
- ٢٩٣ ٥٠٩ ثم دخلت سنة تسع و خمسمائة
- ٢٩٣ ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج
- ٢٩٤ ذكر ملك الفرنج رفته و أخذها منهم
- ٢٩٥ ذكر وفاة يحيى بن تميم و ولاية ابنه على
- ٢٩٦ ذكر عدّة حوادث
- ٢٩٦ ٥١٠ ثم دخلت سنة عشر و خمسمائة
- ٢٩٦ ذكر قتل أحمديل بن وهسودان
- ٢٩٧ ذكر وفاة جاولى سقاوو و حال بلاد فارس معه
- ٢٩٩ ذكر فتح جبل وسلات و تونس
- ٣٠٠ ذكر الفتنة بطوس
- ٣٠٠ ذكر عدّة حوادث
- ٣٠١ ٥١١ ثم دخلت سنة إحدى عشرة و خمسمائة
- ٣٠١ ذكر وفاة السلطان محمد و ملك ابنه محمود
- ٣٠١ ذكر بعض سيرته
- ٣٠٢ ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد
- ٣٠٣ ذكر حصار قابس و المهديّة
- ٣٠٤ ذكر الوحشة بين رجار و الأمير على
- ٣٠٤ ذكر قتل صاحب حلب و استيلاء إيلغازى عليها
- ٣٠٥ ذكر عدّة حوادث
- ٣٠٥ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة و خمسمائة
- ٣٠٥ ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق و ولاية البرسقى شحنكية بغداد

- ٣٠٦ ذكر وفاة المستظهر بالله
- ٣٠٦ ذكر بعض أخلاقه [٢] و سيرته
- ٣٠٧ ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله
- ٣٠٧ ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخى المسترشد و عوده
- ٣٠٨ ذكر مسير الملك مسعود و جيوش بك إلى العراق و ما كان بينهما و بين البرسقى و دبيس
- ٣١٠ ذكر وفاة ملك الفرنج و ما كان بين الفرنج و بين المسلمين
- ٣١١ ذكر عدة حوادث
- ٣١٢ ٥١٣ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة و خمسمائة
- ٣١٢ ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود
- ٣١٣ ذكر الحرب بين سنجر و السلطان محمود
- ٣١٥ ذكر غزاة إيلغازى بلاد الفرنج
- ٣١٦ ذكر وقعة أخرى مع الفرنج
- ٣١٧ ذكر قتل منكوبرس
- ٣١٧ ذكر قتل الأمير على بن عمر
- ٣١٨ ذكر الفتنة بين المرابطين و أهل قرطبة
- ٣١٨ ذكر ملك على بن سكرمان البصرة
- ٣١٩ ذكر عدة حوادث
- ٣١٩ ٥١٤ ثم دخلت سنة أربع عشرة و خمسمائة
- ٣١٩ ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود و الحرب بينهما
- ٣٢١ ذكر حال دبيس و ما كان منه
- ٣٢٢ ذكر خروج الكرج إلى بلاد الإسلام و ملك تفليس
- ٣٢٢ ذكر غزوات إيلغازى هذه السنة
- ٣٢٣ ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت و عبد المؤمن و ملكهما
- ٣٢٧ ذكر وفاة المهدي و ولاية عبد المؤمن

- ٣٣٠ ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش
- ٣٣١ ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة
- ٣٣٢ ذكر حصر مدينة كتندة
- ٣٣٢ ذكر عدّة حوادث
- ٣٣٣ ٥١٥ ثم دخلت سنة خمس عشرة و خمسمائة
- ٣٣٣ ذكر إقطاع البرسقى الموصل
- ٣٣٣ ذكر وفاة الأمير على و ولاية ابنه الحسن إفريقية
- ٣٣٣ ذكر قتل أمير الجيوش
- ٣٣٤ ذكر عصيان سليمان بن إيلغازى على أبيه
- ٣٣٥ ذكر إقطاع متافارقين إيلغازى
- ٣٣٥ ذكر حصر بلک بن بهرام الزها و أسر صاحبها
- ٣٣٥ ذكر عدّة حوادث
- ٣٣٧ ٥١٦ ثم دخلت سنة ست عشرة و خمسمائة
- ٣٣٧ ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود
- ٣٣٧ ذكر حال ديبس بن صدقة و ما كان منه
- ٣٣٩ ذكر قتل السميرمى
- ٣٤٠ ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة و نيابة على بن طراد
- ٣٤٠ ذكر قتل جيوش بك
- ٣٤١ ذكر وفاة إيلغازى و أحوال حلب بعده
- ٣٤١ ذكر عدّة حوادث
- ٣٤٢ ٥١٧ ثم دخلت سنة سبع عشرة و خمسمائة
- ٣٤٢ ذكر مسير المسترشد بالله لحرب ديبس
- ٣٤٣ ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب
- ٣٤٣ ذكر ملك بلک حزان و حلب

- ٣٤٤ ذكر الحرب بين الفرنج و المسلمين بإفريقية
- ٣٤٥ ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت و أخذها منهم
- ٣٤٥ ذكر قتل وزير السلطان و عود ابن صدقة إلى وزارة الخليفة
- ٣٤٥ ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج
- ٣٤٦ ذكر الحرب بين المغاربة و عسكر مصر
- ٣٤٦ ذكر عدّة حوادث
- ٣٤٧ ٥١٨ ثم دخلت سنة ثمانى عشرة و خمسمائة
- ٣٤٧ ذكر قتل بلق بن بهرام بن أرتق و ملك تمرتاش [١] حلب
- ٣٤٧ ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام
- ٣٤٩ ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق و ولاية یرنقش الزكوى
- ٣٤٩ ذكر ملك البرسقى مدينة حلب
- ٣٥٠ ذكر عدّة حوادث
- ٣٥٠ ٥١٩ ثم دخلت سنة تسع عشرة و خمسمائة
- ٣٥٠ ذكر وصول الملك طغرل و دبیس ابن صدقة إلى العراق و عودهما عنه
- ٣٥١ ذكر فتح البرسقى كفر طاب و انهزامه من الفرنج
- ٣٥٢ ذكر قتل المأمون بن البطانحى
- ٣٥٢ ذكر عدّة حوادث
- ٣٥٢ ٥٢٠ ثم دخلت سنة عشرين و خمسمائة
- ٣٥٢ ذكر حرب الفرنج و المسلمين بالأندلس
- ٣٥٣ ذكر قصد بلاد الإسماعيلية بخراسان
- ٣٥٣ ذكر ملك الإسماعيلية قلعة بانياس
- ٣٥٤ ذكر قتل البرسقى و ملك ابنه عزّ الدين مسعود
- ٣٥٥ ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله و السلطان محمود
- ٣٥٦ ذكر مصافّ بين طغتكين أتابك و الفرنج بالشام

- ٣٥٧ ذكر عدّة حوادث
- ٣٥٧ ٥٢١ ثم دخلت سنة إحدى و عشرين و خمسمائة
- ٣٥٧ ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكي شحنكية العراق
- ٣٥٨ ذكر عود السلطان عن بغداد و وزارة أنوشروان بن خالد
- ٣٥٨ ذكر وفاة عزّ الدين بن البرسقيّ و ولاية عماد الدين زنكي الموصل و أعمالها
- ٣٦٠ ذكر عدّة حوادث
- ٣٦١ ٥٢٢ ثم دخلت سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة
- ٣٦١ ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب
- ٣٦٢ ذكر قدوم السلطان سنجر إلى الرّي
- ٣٦٢ ذكر عدّة حوادث
- ٣٦٣ ٥٢٣ ثم دخلت سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة
- ٣٦٣ ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداد
- ٣٦٣ ذكر ما فعله دبيس بالعراق و عود السلطان إلى بغداد
- ٣٦٤ ذكر قتل الإسماعيلية بدمشق
- ٣٦٤ ذكر حصر الفرنج دمشق و انهزامهم
- ٣٦٥ ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة
- ٣٦٥ ذكر عدّة حوادث
- ٣٦٦ ٥٢٤ ثم دخلت سنة أربع و عشرين و خمسمائة
- ٣٦٦ ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمّد خان و ملك محمود بن محمّد خان المذكور
- ٣٦٧ ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأتارب و هزيمة الفرنج
- ٣٦٧ ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي و دارا
- ٣٦٨ ذكر وفاة الأمر و خلافة الحافظ العلويّ
- ٣٦٨ ذكر عدّة حوادث
- ٣٦٩ ٥٢٥ ثم دخلت سنة خمس و عشرين و خمسمائة

- ٣٤٩ ذكر أسر ديبس بن صدقة و تسليمه إلى عماد الدين زنكى
- ٣٧٠ ذكر وفاة السلطان محمود و ملك ابنه داود
- ٣٧٠ ذكر عدّة حوادث
- ٣٧١ ٥٢٦ ثم دخلت سنة ست و عشرين و خمسمائة
- ٣٧١ ذكر قتل أبى على وزير الحافظ و وزارة يانس و موته
- ٣٧٢ ذكر حال السلطان مسعود و الملكين سلجوق شاه و داود و استقرار السلطنة بالعراق لمسعود
- ٣٧٤ ذكر الحرب بين السلطان مسعود و عمه السلطان سنجر
- ٣٧٥ ذكر مسير عماد الدين زنكى إلى بغداد و انهزامه
- ٣٧٥ ذكر حال ديبس بعد الهزيمة
- ٣٧٥ ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق
- ٣٧٦ ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة و حصن راس و حصره بعلبك
- ٣٧٦ ذكر الحرب بين السلطان طغرل و الملك داود
- ٣٧٧ ذكر عدّة حوادث
- ٣٧٧ ٥٢٧ ثم دخلت سنة سبع و عشرين و خمسمائة
- ٣٧٧ ذكر ملك شمس الملوك بانياس
- ٣٧٨ ذكر حرب بين المسلمين و الفرنج
- ٣٧٨ ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة و انهزام الملك طغرل
- ٣٧٩ تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

الكامل في التاريخ المجلد ١٠

إشارة

نام كتاب: الكامل في التاريخ

نويسنده: ابن اثير جزرى

تاريخ وفات مؤلف: ٦٣٠ ق

موضوع: تاريخ عمومى

زبان: عربى

تعداد جلد: ١٣

ناشر: دار الصادر

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ١٣٨٥ ق / ١٩٦٥ م

٤٥١) ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائه

ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم

فى هذه السنة، فى صفر، توفى الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة، و كان قد ثار به مماليكه سنة خمسين و اتفقوا على قتله، فقصده و هو فى الحمة، و كان معه سيف، فأخذه و قاتلهم، و منعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه و خلصوه، و قتلوا أولئك الغلمان.

و صار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت و يحقر الدنيا و يزدرىها، و بقى كذلك إلى هذه السنة، فأصابه قولنج فمات منه، و ملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود بن محمود، فأحسن السيرة، فاستعد لجهد الهند، ففتح حصونا امتنعت على أبيه و جدّه، و كان يصوم رجبا و شعبان و رمضان.

ذكر الصلح بين الملك إبراهيم و جفرى بك داود

فى هذه السنة استقرّ الصلح بين الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين و بين داود بن ميكائيل بن سلجوق، صاحب خراسان، على أن يكون كلّ

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦

واحد منهما على ما بيده، و يترك منازعة الآخر فى ملكه.

و كان سبب ذلك أن العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا أن كلّ واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر، و ليس يحصل غير إنفاق الأموال، و إتعاب العساكر، و نهب البلاد، و قتل النفوس، فسعوا فى الصلح، فوقع الاتفاق و اليمين، و كتبت النسخ بذلك، فاستبشر الناس، و سرّهم لما أشرفوا عليه من العافية.

ذكر وفاة داود و ملك ابنه ألب أرسلان

في هذه السنة، في رجب، توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، أخو السلطان طغرلبك، وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين، و عمره نحو سبعين سنة، و كان صاحب خراسان، و هو مقابل آل سبكتكين و مقاتلهم، و مانعهم عن خراسان، فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب أرسلان،* و خلف داود عدة أولاد ذكور منهم: السلطان ألب أرسلان «١»، و ياقوتى، و سليمان، و قاورت بك، فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك، بعد أخيه داود، و وصى له بالملك بعده، و كان من أمره ما نذكره. و كان خيرا، عادلا، حسن السيرة، معترفا بنعمة الله تعالى عليه، شاكرا عليها، فمن ذلك أنه أرسل إلى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد، قاضى سرخس، يقول له: بلغنى إخراجك البلاد التى فتحتها و ملكتها، و جلا أهلها عنها، و هذا ما لا خفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده و بلاده، و أنت تعلم ما فيه من سوء السمعة و إباحاش الرعية.

(١). A.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧

و قد علمت أننا لقينا [١] أعداءنا و نحن فى ثلاثين رجلا، و هم فى ثلاثمائة، فغلبناهم، و كنا فى ثلاثمائة، و هم فى ثلاثة آلاف، فغلبناهم، و كنا فى ثلاثة آلاف، و هم فى ثلاثين ألفا، فدفعناهم، و قاتلنا بالأمس شاه ملك، و هو فى أعداد كثيرة متوافرة، فقهرناه، و أخذنا مملكته بخوارزم، و هرب من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه، فظفرنا به و أسرناه و قتلناه، و استولينا على ممالك خراسان و طبرستان و سجستان، و صرنا ملوكا متبوعين، بعد أن كنا أصاغر تابعين، و ما تقتضى [٢] نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة.

فقال طغرلبك: قل له فى الجواب: يا أخى أنت ملكت خراسان و هى بلاد عامرة، فخرّبتها، و وجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها، و أنا وردت بلادا خربها من تقدمنى، و اجتاحتها من كان قبلى، فما أتمكن من عمارتها و الأعداء محيطه بها، و الضرورة تقود إلى طرقها بالعساكر، و لا يمكن دفع مضرّتها عنها و له مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل.

ذكر حريق بغداد

فى هذه السنة احترقت بغداد: الكرخ و غيره، و بين السورين، و احترقت فيه خزانه الكتب التى وقفها أردشير الوزير، و نهبت بعض كتبها، و جاء عميد الملك الكندرى، فاختار من الكتب خيرا، و كان بها عشرة آلاف مجلد و أربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها: مائة مصحف بخطوط بنى مقله،

[١] ألقينا.

[٢] نفتضى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨

و كان العامة «١» قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق، فأزالهم عميد الملك، و قعد يختارها، فنسب ذلك إلى سوء سيرته، و فساد اختياره، و شتان بين فعله و فعل نظام الملك الذى عمّر المدارس، و دوّن العلم فى بلاد الإسلام جميعها، و وقف الكتب و غيرها.

ذكر انحدار السلطان إلى واسط و ما فعل العسكر و إصلاح ديبس

فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداد، فرآها قد نهبت، و حضر عنده هزارسب بن بنكير، و أصلح معه حال ديبس ابن مزيد، و أحضره معه إلى خدمة السلطان، و أصعد فى صحبته إلى بغداد، و كذلك صدقه بن منصور بن الحسين،

و ضمن واسطا أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار، و ضمن البصرة الأغرّ أبو سعد سابور بن المظفر، و عبر السلطان إلى الجانب الشرقي من دجلة، و سار إلى قرب البطائح، فنهب العسكر ما بين واسط و البصرة و الأهواز. و أصدع السلطان إلى بغداد في صفر سنة اثنتين و خمسين [و أربعمائه] و معه أبو الفتح بن ورام، و هزارسب بن بنكير بن عياض، و ديس بن مزيد، و أبو علي ابن الملك أبي كاليجار، و صدقه بن منصور بن الحسين و غيرهم، و اجتمع السلطان بالخليفة، و أمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان و الأمراء و أصحابهم، و عمل السلطان أيضا سماطا أحضر فيه الجماعة، و خلع عليهم، و سار إلى بلاد الجبل في شهر ربيع الأول سنة اثنتين و خمسين، و جعل ببغداد

A.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٩

شحنة الأمير برسق، و ضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربع مائة ألف دينار.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهدي من الخطابة بجامع المنصور لأنه خطب للعلوي ببغداد في الفتنة، و أقيم مقامه بهاء الشرف «١» أبو علي الحسن بن عبد الودود بن المهدي بالله. و فيها توفي علي بن محمود* بن إبراهيم «٢» الزوزني أبو الحسن، صحب أبا الحسن الحصري، و روى عن أبي عبد الرحمن السلمى. و هو الذي نسب إليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور. و فيها، في جمادى الأولى، توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب العشاري، و مولده في المحرم سنة ست و ستين و ثلاثمائه، و سمع الدار الدارقطني و غيره.

(١). الدولة. A.

(٢). mO. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠

٤٥٢ ثم دخلت سنة اثنتين و خمسين و أربعمائه

ذكر عود ولي العهد إلى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان

في جمادى الآخرة ورد عدّة الدين أبو القاسم المقتدى بأمر الله، ولي العهد، و معه جدته أمّ الخليفة، و خرج الناس لاستقباله، و جلس في الزيزب على رأسه أبو الغنائم بن المحلبان، و قدّم له بباب الغربية فرس، فحملة ابن المحلبان على كتفه* و أركبه و سلّمه إلى مجلس الخليفة، فشكره، و خرج ابن المحلبان فركب «١» في الزيزب، و انحدر إلى دار أفردت له بباب المراتب، و دخل إلى الخليفة و اجتمع به.

و كان سبب مصير ولي العهد مع ابن المحلبان أنه دخل داره، فوجد زوجته رئيس الرؤساء و أولاده بها، و هم مطلوبون من البساسيري، فعزّفوه أن رئيس الرؤساء أمرهم بقصده، فأدخلهم إلى أهله، و أقام لهم من حملهم إلى ميثافارقين، فساروا مع قرواش لئلا أصدع من بغداد، و لم يعلم بهم.

ثم لقيه أبو الفضل محمّد بن عامر الوكيل، وعرفه ما عليه وليّ العهد و من معه من إيثار الخروج من بغداد، و ما هم عليه من تناقص الحال، فبعث ابن المحلبان زوجته، فأتته بهم سرّاً، فتركهم عنده ثمانية أشهر، و كان يحضر ابن

(١).mO.A

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١
 البساسيريّ و أصحابه، و يعمل لهم الدعوات، و وليّ العهد و من معه مستترون عنده، يسمعون ما يقول أولئك فيهم.
 ثم اكرى لهم، و سار هو في صحبتهم إلى قريب سنجار، ثم حملوا إلى حرّان، و سار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثّاب التّميريّ، حين قصد الرحبة، و فتح قرقيسيا، و عقد لعدّة الدين علي بنت منيع، و انحدروا إلى بغداد.

ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب

في هذه السنة،* في جمادى الآخرة «١»، حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابيّ مدينة حلب، و ضيق عليها، و اجتمع مع جمع كثير من العرب، فأقام عليها، فلم يتسهّل له فتحها، فرحل عنها، ثم عاودها فحصرها، فملك المدينة عنوة «٢»* في جمادى الآخرة، بعد أن حصرها «٣»، و امتنعت القلعة عليه.
 و أرسل من بها إلى المستنصر بالله، صاحب مصر و دمشق، يستنجدونه [١]، فأمر ناصر الدولة أبا محمّد الحسين بن الحسن بن حمدان، الأمير بدمشق، أن يسير بمن عنده من العساكر إلى حلب يمنعها من محمود، فسار إلى حلب، فلما سمع محمود بقربة «٤» منه خرج من حلب، و دخلها عسكر ناصر الدولة فنهوها.

[١] يستنجدوه.

(١).mo.a

(٢).a

(٣-٤) بقربهم.a

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢

ثم إنّ الحرب وقعت بين محمود و ناصر الدولة بظاهر حلب، و اشتدّ القتال بينهم، فانهزم ناصر الدولة و عاد مقهوراً إلى مصر، و ملك محمود حلب، و قتل عمّه معزّ الدولة، و استقام أمره بها، و هذه الوقعة تعرف بوقعة الفينديق، و هي مشهورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الأخرم الخفاجيّ، و ردّت إليه إمارة بني خفاجة، و ولاية الكوفة، و سقى «١» الفرات، و ضمن خواصّ السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كلّ سنة، و صرف عنها رجب بن منيع.
 و فيها توفّي أبو محمّد التّسويّ «٢»، صاحب الشرطة ببغداد، و قد جاوز ثمانين سنة.
 و فيها سدّ بنو ورام بثق النّهروانات، و شرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق «٣» الكرخ.
 و فيها، في ذى القعدة، توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان، فوجد عليها وجدا شديدا، و حمل تابوتها إلى الرّيّ فدفنت بها.
 و فيها، ثالث جمادى الآخرة، انقضّ كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق، فطال لبثه.

وفىها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا و حصر الرحبة، و ضيق على أهلها، فملكها فى صفر من هذه السنة.

(١). و شقى. a.

(٢) الفسوى. a.

(٣) سوق. C. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣

وفىها توفيت والدته الخليفة القائم بأمر الله، و اسمها قطر الندى، و قيل بدر الدجى، و قيل علم، و هى جارية أرميتة. و فىها توفى محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو على المعروف بالجازرى النهروانى، و كان مكثرا من الرواية،* الجازرى بالجيم و بعد الألف زى ثم راء. و فىها توفى باى أبو منصور الفقيه الجيلى، بالبلاء الموحدة و بعد الألف ياء تحتها نقطتان، و محمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبى الفضل، الفقيه المالكي «١».

(١). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤

٤٥٣ ثم دخلت سنة ثلاث و خمسين و أربعائة

ذكر وزارة ابن دارست للخليفة

لما عاد الخليفة إلى بغداد استخدم أبا تراب الأثيرى فى الإنهاء، و حضور المواكب، و لقبه حاجب الحجاب، و كان قد خدمه بالحديث، و قرب منه، فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف فى وزارة أبى الفتح منصور بن أحمد بن دارست، و قال إنه يخدم بغير إقطاع، و يحمل مالا فأجيب إلى ذلك، فأحضر من الأهواز إلى بغداد، و خلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر، و جلس فى منصبه، و مدحه الشعراء، فممن مدحه و هنأه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها:
أمن الملك بالأمين أبى الفتح و صدت «١» عن صفوه الأقداء
دولة أصبحت، و أنت ولى الراى فيها، لدولة عزاء و هى طويلة. و كان ابن دارست فى أول أمره تاجرا للملك أبى كالىجار.

(١). وسدت. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥

ذكر موت المعز بن باديس و ولاية ابنه تميم

فى هذه السنة توفى المعز بن باديس، صاحب إفريقية، من مرض أصابه، و هو ضعف الكبد، و كانت مدة ملكه سبعا [١] و أربعين سنة، و كان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة، و قيل ثمانى سنين و ستة أشهر. و كان رقيق القلب، خاشعا، متجنبا لسفك الدماء إلا فى حد، حلما، يتجاوز عن الذنوب العظام،* حسن الصلابة مع عبيده و أصحابه، مكرما لأهل العلم، كثير العطاء لهم «١»، كريما، و هب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتى و كان عنده و قد جاءه هذا المال،

فاستكثره، فأمر به فأفرغ بين يديه، ثم وهبه له، فقيل له: لم أمرت بإخراجه من أوعيته؟ قال: لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به، و كان له شعر حسنٌ.

و لما مات رثاه الشعراء، فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال:
لكلِّ حَيٍّ و إن طال المدى هلك لا عزّ مملكةً يبقى، و لا ملك
و لى المعزّ على أعقابه فرمى «٢»، أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا، و أبقى فى خزائنه هام الملوك، و ما أدراك ما ملكوا
ما كان إلّا حساما سلّه قدرعلى الذين بغوا فى الأرض و انهمكوا
كأنه لم يخض للموت بحر و غى، خضر البحار، إذا قيست به، برك

[١] سبع.

a.mo.(١)

a.mo.(٢) p.cni. فرعى. فدعى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦ و لم يجد بقناطير مقنطرة قد أرخت «١» [١] باسمه إبريزها السكك «٢»
روح المعزّ و روح الشمس قد قبضا، فانظر بأى ضياء يصعد الفلك «٣» و لما توفى ملك بعده ابنه تميم، و كان مولد تميم بالمنصورية
التي هى مقرّه «٤»، منتصف رجب سنة اثنتين و عشرين و أربعمائه، و ولّاه المهديّة فى صفر سنة خمس و أربعين [و أربعمائه]، فأقام بها
إلى أن وافاه أبوه المعزّ، لما انترح عن القيروان من العرب، و قام بخدمة أبيه، و أظهر من طاعته و بزه ما بان [به] كذب ما كان ينسب
إليه.

و لما استبدّ بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة، و محبّة أهل العلم، إلّا أنّه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب، و
زالت الهيبة و الطاعة عنهم فى أيام المعزّ، فلمّا مات ازداد طمعهم، و أظهر كثير منهم الخلاف، فممن أظهر الخلاف القائد حمّو بن
مليك، صاحب سفاقس، و استعان بالعرب، و قصد المهديّة ليحاصرها، فخرج إليه تميم و صاقه، فاقتتلوا، فانهزم حمّو و أصحابه، و كثر
القتل فيهم، و مضى حمّو و نجا بنفسه، و تفرقت خيله و رجاله، و كان ذلك سنة خمس و خمسين [و أربعمائه].
و سار تميم «٥» إلى سوسة، و كان أهلها قد خالفوا أباه المعزّ و عصوا عليه، فملكها و عفا عن أهلها.

[١] أرعت.

(١). ارتجتetrofأرحت.p.c.

a.mo.(٢)

(٣). الملك.a.

(٤) صبره.a.

(٥).a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧

ذكر وفاة قريش صاحب الموصل و إمارة ابنه شرف الدولة

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل و نصيبين، أصابه خروج الدم من فيه و أنفه و عينيه و أذنيه، فحمله ابنه شرف الدولة إلى نصيبين، حتى حفظ خزانته بها، و توفي هناك.

و سمع «١» فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله، فسار من دارا إلى نصيبين، و جمع بنى عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم، و كان القائم بأمره جابر بن ناشب، فوجه فخر الدولة بأخت مسلم، و زوج مسلما بابنة نصر بن منصور.

ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، و لقبه القادر بالله نصر الدولة، و كان عمره ثيفا و ثمانين سنة، و إمارته اثنتين و خمسين سنة، و استولى على الأمور ببلاده استيلاء تاما، و عمر الثغور و ضبطها، و تنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه.

و ملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهنّ بخمسة آلاف دينار، و أكثر من ذلك، و ملك خمسمائة سرية سوى توابعهن، و خمسمائة خادم.

و كان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار، و تزوج من بنات الملوك جملة، و أرسل طبّاحين إلى الديار المصرية، و غرم على إرسالهم

(١). و كان P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨

جملة وافر حتى تعلموا الطبخ من هناك.

و أرسل إلى السلطان طغرلبيك هدايا عظيمة، من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه، اشتراه من الملك العزيز «١» أبي منصور بن جلال الدولة، و أرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك.

و وزر له أبو القاسم بن المغربي، و فخر الدولة بن جهير، و رخصت الأسعار في أيامه، و تظاهر الناس بالأموال، و وفد إليه الشعراء، و أقام عنده العلماء و الزهاد.

و بلغه أنّ الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد، فأمر أن يطرح لها الحب من الأهرام التي له، فكانت في ضيافته طول عمره.

و لما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير و ابنه نصر، فرتب نصر في الملك بعد أبيه، و جرى بينه و بين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر، فاستقر في الإمارة بميتافارقين و غيرها، و ملك أخوه سعيد آمد.

ذكر عدة حوادث

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي، و قلّد نقابة النقباء، و لقب الكامل ذا [١] الشرفين.

و فيها توفي شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن عليّ [تولي] نقابة العلويين ببغداد، و لقب المرتضى.

(١). P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩
 * وفيها، فى جمادى الأولى، انكسفت [١] الشمس جميعها، فظهرت الكواكب، و أظلمت الدنيا، و سقطت الطيور الطائرة «١».
 و فيها، فى شهر رمضان، توفى شكر العلوى الحسينى «٢»، أمير مكّة، و له شعر حسن، فمنه:
 قوّض خيامك «٣» عن أرض تضام بها، و جانب الدّل، إن الدّل مجتنب
 و أرحل إذا كان فى الأوطان منقصةً فالمندل الرّطب فى أوطانه حطب و فيها توفى أبو القاسم على بن * محمّد بن يحيى «٤» الشمشاطى
 «٥» بدمشق، و كان عالما بالهندسة و الرياضيات من علوم الفلاسفة، * و إليه ينسب الرباط الذى عند جامع دمشق «٦»

[١]- انكشف.

P.c.mo.(٦-٤-١)

(٢) الحسنى.P.C.

(٣) ركابك.a

(٥). السميشاطى.A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠

٤٥٤ ثم دخلت سنة أربع و خمسين و أربعمائه

ذكر نكاح السلطان طغرل بك «١» ابنة الخليفة

فى هذه السنة عقد للسلطان طغرل بك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله، و كانت الخطبة تقدّمت سنة ثلاث و خمسين [و أربعمائه] مع أبى سعد قاضى الرّى، فانزعج الخليفة من ذلك، و أرسل فى الجواب أبا محمّد التميمى، و أمره أن يستعفى، فإن أعفى، و إلّا تمّم الأمر على أن يحمل السلطان ثلاثمائه ألف دينار، و يسلم واسطا و أعمالها.
 فلما وصل إلى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء، فقال: لا يحسن أن يردّ السلطان، و قد سأل و تضرّع، و لا يجوز مقابلته أيضا بطلب الأموال و البلاد، فهو يفعل أضعاف ما طلب منه.
 فقال التميمى: الأمر لك، و مهما فعلته فهو [١] الصواب، فبنى الوزير الأمر على الإجابة، و طالع به السلطان، فسرّ به، و جمع الناس و عرفهم أن همته سمت به إلى الاتصال بهذه الجهة النبوية، و بلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك. و تقدّم إلى عميد الملك الوزير أن يسير و معه أرسلان خاتون، زوجة

[١]- هو.

(١). A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١

الخليفة، و أن يصحبها مائة ألف «١» دينار برسم الحمل، و ما شاكلها من الجواهر و غيرها، و وجه معه فرامرز بن كاكويه، و غيره من وجوه الأمراء و أعيان الرّبيّ.

فلما وصل إلى الإمام القائم بأمر الله، و أوصل خاتون زوجة الخليفة إلى دارها، و أنهى حضوره و حضور من معه، ذكر حال الوصلة، فامتنع الخليفة من الإجابة إليها و قال: إن أعفينا، و إلّا خرجنا من بغداد.

فقال عميد الملك: كان الواجب الامتناع من غير اقتراح، و عند الإجابة إلى ما طلب، فالامتناع سعى على دمي، و أخرج خيامه إلى النهروان، فاستوقفه قاضي القضاة، و الشيخ أبو منصور بن يوسف، و أنهايا إلى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه،* و صنع له «٢» ابن دارست وزير الخليفة* دعوة، فحضر عنده «٣»، فرأى على مسجد مكتوبا: معاوية خال عليّ، فأمر بحكّه.

و كتب من الديوان إلى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمّن الشكوى من عميد الملك، فورد الجواب عليه بالرفق، و كتب الخليفة إلى عميد الملك: نحن نردّ الأمر إلى رأيك، و نعول على أمانتك و دينك.

فحضر يوما عند الخليفة، و معه جماعة من الأمراء، و الحجاب، و القضاة و الشهود، فأخذ المجلس لنفسه، و لم يتكلم سواه، و قال للخليفة: أسأل مولانا أمير المؤمنين التّطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه، ركن الدين، فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة. فغالطه، و قال: قد سطر في المعنى ما فيه كفاية. فانصرف عميد الملك مغيفا «٤»، و رحل في السادس و العشرين «٥» من جمادى الآخرة، و أخذ المال

(١) ألف. dda. a

(٢) و حضر دعوة. a. c. p

(٣) p. c. mo.

(٤) مغبضا. a.

(٥) عشر. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢

معه إلى همذان، و عزّف السلطان أنّ السبب في اتّفاق الحال من خمارتكين الطغرائي. فتغيّر السلطان عليه، فهرب في سته غلمان. و كتب السلطان إلى قاضي القضاة و الشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب و يقول: هذا جزء من الخليفة الذي قتلت أخى في خدمته، و أنفقت أموالى في نصرته، و أهلكت خواصى في محبته. و أطال العتاب، و عاد الجواب إليه بالاعتذار.

و أما الطغرائي فإنّه أدرك بيروجرّد فقال أولاد إبراهيم ينال للسلطان:

إنّ هذا قتل أبانا، و نسأل أن نمكّن من قتله، و أعانهم عميد الملك، فأذن لهم في قتله، فساروا إلى طريقه و قتلوه، و جعل مكانه ساوتكين، و بسط «١» الكندرئى لسانه. و طلب طغرلبك ابنه أخيه، زوجة الخليفة، لتعاد إليه، و جرى ما كاد [١] يفضى إلى الفساد الكلّي.

فلما رأى الخليفة شدة الأمر أذن في ذلك، و كتب الوكالة باسم عميد الملك، و سيّرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحلبان، و كان العقد في شعبان سنة أربع و خمسين [و أربعمائه] بظاهر تبريز، و هذا ما لم يجر للخلفاء مثله، فإنّ بنى بويه مع تحكّمهم و مخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا و لا ساموهم فعله.

و حمل السلطان أموالا كثيرة، و جواهر نفيسة للخليفة، و لولّى العهد، و للجهة المطلوبة، و لوالدتها، و غيرهم، و جعل بعقوبا و ما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفّيت للسيدة ابنة الخليفة.

[١] كان.

(١). لعله و بسط. gramni .Ata، و سبط. P .Cte .A .ldoB .ddoC.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣

ذكر عزل ابن دارست و وزارة ابن جهير

في هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة. و سببه أنه وصل معه إنسان يهودي يقال له ابن علان، فضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كثر غلته، و مائة ألف دينار، فصح منها ألفا كثر، و ثلاثون ألف دينار، و انكسر الباقي، فظهر عجز ابن دارست و وهنه، فعزل، و عاد إلى الأهواز، فتوفى بها سنة سبع و ستين [و أربعمئة].

و كان فخر الدولة أبو نصر بن جهير، وزير نصر الدولة بن مروان، قد أرسل يخطب الوزارة، و بذل فيها بدولا كثيرة، فأجيب إليها، و أرسل كامل طراد الزينبي إلى ميافارقين كأنه رسول، فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له، فتم السير معه.

و خرج ابن مروان في أثره، فلم يدركه، فلما وصل إلى بغداد خرج الناس إلى استقباله، و خلع عليه خلع الوزارة يوم عرفه، و لقب فخر الدولة، و استقر في الوزارة، و مدحه و هنأه ابن الفضل و غيره من الشعراء.

ذكر عده حوادث «١»

في هذه السنة عم الرخص جميع الأصقاع، فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط. و فيها توفى القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي بمصر.

(١). tidicxe .AnicihmuiloF.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤

و فيها سار السلطان طغرلبك إلى قلعة الطرم من بلاد الديلم، و قرّر على مسافر ملكها مائة ألف دينار و ألف ثوب. و فيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب، و قام أخوه عطية مقامه.

و توفى الحسن بن علي بن محمد أبو محمد الجوهري، و مولده سنة ثلاث و ستين و ثلاثمئة، و كان من الأئمة المكثرين من سماع الحديث و روايته، و هو آخر من حدّث عن أبي بكر القطيعي، و الأبهري، و ابن شاذان، و غيرهم.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥

٤٥٥ ثم دخلت سنة خمس و خمسين و أربعمئة**ذكر ورود السلطان بغداد و دخوله بابنة الخليفة**

في هذه السنة، في المحرم، توجه السلطان طغرلبك من أرمينية إلى بغداد، و أراد الخليفة أن يستقبله، فاستعفاه من ذلك، و خرج الوزير ابن جهير فاستقبله.

و كان مع السلطان من الأمراء: أبو علي ابن الملك أبي كاليجار، و سرخاب ابن بدر، و هزارسب، و أبو منصور فرامر بن كاكويه،

فتزل عسكره في الجانب الغربي، فزاد بهم أذى.

و وصل عميد الملك إلى الخليفة، و طالب بالجهة، و بات بالدار، فقبل له:

خطك موجود بالشرط، و إن المقصود بهذه الوصلة الشرف لا- الاجتماع، و إنّه إن كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة، فقال السلطان: نعمل هذا، و لكن نفرد له من الدور و المساكن ما يكفيه، و معه خواصه، و حجابها، و مماليكها، فإنّه لا يمكنه مفارقتهم. فحينئذ نقلت إلى دار المملكة في منتصف صفر، فجلست على سرير ملبّس بالذهب، و دخل السلطان إليها، و قبل الأرض و خدمها، و لم تكشف الخمار عن وجهها، و لا قامت هي له، و حمل لها شيئاً كثيراً من الجواهر و غيرها، و بقي كذلك يحضر كل يوم يخدم و ينصرف.

و خلع على عميد الملك و عمل السيماط عدّة أيام، و خلع على جميع الأمراء، و ظهر عليه سرور عظيم، و عقد ضمان بغدادا على أبي سعيد القائن بمائة و خمسين

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦

ألف دينار، فأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقيين من الموارث و المكوس، و قبض على الأعرابي سعد، ضامن البصرة، و عقد ضمان واسط على أبي جعفر ابن صقال بمائتي ألف دينار.

ذكر وفاة السلطان طغرلبيك

في هذه السنة سار السلطان من بغدادا، في ربيع الأوّل، إلى بلد الجبل، فوصل إلى الرّي و استصحب معه أرسلان خاتون ابنة أخيه، زوجة الخليفة، لأنّها شكت أطراح الخليفة لها، فأخذها معه، فمرض، و توفّي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان، و كان عمره سبعين سنة تقريباً، و كان عقيماً لم يلد ولداً.

و كان وزيره الكندريّ على سبعين فرسخاً، فأتاه الخبر، فسار، و وصل إليه في يومين و هو بعد لم يدفن فدفنه. و جلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغدادا للغزاة.

حكى عنه الكندريّ أنّه قال: رأيت، و أنا بخراسان، في المنام كأنني رفعت إلى السماء، و أنا في ضباب لا أبصر معه شيئاً، غير أنّي أشم رائحة طيبة، و أنّي أنادي: إنك قريب من الباري، جلّت قدرته، فأسأل حاجتك لتقضى، فقلت [١] في نفسي: أسأل طول العمر، فقبل: لك سبعون سنة، فقلت:

يا ربّ ما يكفيني، فقبل: لك سبعون سنة، فقلت: يا ربّ لا يكفيني، فقبل:

لك سبعون سنة. فلما مات حسب عميد الملك عمره، على التقريب، فكان سبعين سنة. و كانت مملكته، بحضرة الخلافة، سبع سنين و أحد عشر شهراً و اثني عشر يوماً.

[١]- فعلت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧

و أمّا الأحوال بالعراق، بعد وفاته، فإنّه كتب من ديوان الخلافة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش، صاحب الموصل، و إلى نور الدولة دبّيس بن مزيد، و إلى هزارسب، و إلى بني ورام، و إلى بدر بن المهلهل، بالاستدعاء إلى بغدادا، و أرسل لشرف الدولة تشریف، و عمل أبو سعد القائن، ضامن بغدادا، سورا على قصر عيسى، و جمع الغلات. فانحدر إبراهيم بن شرف الدولة إلى أوانا، و تسلّم أصحابه الأنبار، و انتشرت البادية في البلاد، و قطعوا الطرقات.

و قدم إلى بغدادا دبّيس بن مزيد، و خرج الوزير ابن جهير لاستقباله، و قدم أيضاً ورام، و توفّي ببغدادا أبو الفتح بن ورام، مقدّم الأكراد

الجوائية، فحمل إلى جرجرايا، و فارق شرف الدولة مسلم بغداد، و نهب النواحي، فسار نور الدولة، و الأكراد، و بنو خفاجة إلى قتاله. ثم أرسل إليه من ديوان الخلافة [١] رسول معه خلعة له، و كوتب بالرضاء عنه، و انحدر إليه نور الدولة ديبس، فعمل له شرف الدولة سماط كثيرا، و كان في الجماعة الأشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف، كان قصد شرف الدولة مستجديا، فمضع لقمه، فمات من ساعته.

و حكى عنه بعض من صحبه أنه سمعه ذلك اليوم يقول: اللهم اقبضني، فقد ضجرت من الإضاعة! فلما توفي و رفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره، فقال: يا معشر العرب لا برح منكم أحد، و نهض و جلس مكان ابن فخر الملك المتوفى، و جعل يأكل من الطعام الذي بين يديه، فاستحسن الجماعة فعله، و عادوا عنه و خلع على ديبس و ولده منصور و عاد إلى حلتته.

و لما رأى الناس ببغداد انتشار الأعراب في البلاد و نهبها، حملوا السلاح لقتالهم، و كان ذلك سببا لكثرة العيارين و انتشار المفسدين.

[١] الخلعة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨

ذكر شيء من سيرته

كان عاقلا- حليما من أشد الناس احتمالا- و أكثرهم كتماننا لسره، ظفر بمطلفات كتبها بعض خواصه إلى الملك أبي كاليجار، فلم يطلعه على ذلك، و لا تغير عليه، حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره.

و حكى عنه أفضى القضاة الماوردي قال: لما أرسلني القائم بأمر الله إليه سنة ثلاث و ثلاثين [و أربعمائه] كتبت كتابا إلى بغداد أذكر فيه سيرته و خراب بلاده، و أظن عليه بكل وجه، فوقع الكتاب من غلامي، فحمل إليه، فوقف عليه و كتبه، و لم يحدثني فيه بشيء، و لا تغير عما كان عليه من إكرامى.

و كان، رحمه الله، يحافظ على الصلوات، و يصوم الاثنين، و الخميس، و كان لبسه الثياب البيضاء، و كان ظلوما، غشوما، قاسيا، و كان عسكره يغضبون الناس أموالهم، و أيديهم مطلقة في ذلك نهارا و ليلا.

و كان كريما، فمن كرمه أن أخاه إبراهيم ينال أسر من الروم، لما غزاهم، بعض ملوكهم فبذل في نفسه أربعمائه ألف دينار، فلم يقبل إبراهيم منه و حمله إلى طغرلبك، فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك في فكاكه، فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومي إلى ابن مروان بغير فداء، و سير معه رجلا علويا، فأنفذ ملك الروم إلى طغرلبك ما لم يحمل في الزمان المتقدم، و هو ألف ثوب ديباج، و خمسمائة ثوب أصناف، و خمسمائة رأس من الكراع إلى غير ذلك، و أنفذ مائتي ألف دينار، و مائة لينة فضة، و ثلاثمائة شهرى، و ثلاثمائة حمار مصريه، و ألف عنز بيض الشعور، سود العيون و القرون، و أنفذ إلى ابن مروان عشرة أمراء مسكا، و عمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية، و عمر منارته، و علق فيه القناديل، و جعل في محرابه قوسا و نشابة، و أشاع المهادة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندري في السلطنة سليمان ابن داود جغرى بك، أخى السلطان طغرلبك، و كان طغرلبك قد عهد إليه بالملك، و كانت والده سليمان عند طغرلبك، فلما خطب له بالسلطنة اختلف الأمراء، فمضى باغى سيان و أردم

إلى قزوين، و خطبا لعضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جفري بك، و هو حينئذ صاحب خراسان، و معه نظام الملك وزيره، و الناس مائلون إليه. فلمّا رأى عميد الملك الكندريّ انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرّبيّ للسلطان ألب أرسلان، و بعده لأخيه سليمان.

ذكر خروج حمّو عن طاعة تميم بن المعزّ بإفريقية

في هذه السنة خالف حمّو بن مليك، صاحب مدينة سفاقس بإفريقية، على الأمير تميم بن المعزّ بن باديس، فجمع أصحابه، و استعان بالعرب، و سار إلى المهدية، فسمع تميم الخبر، فسار إليه بعساكر و معه «١» أيضا طائفة من العرب من زغبة، و رياح، و وصل حمّو إلى سلقطة «٢»، و التقى الفريقان بها، و كانت بينهما حرب شديدة فانهزم حمّو و من معه، و أخذتهم [١] السيوف، فقتل أكثر حماته و أصحابه، و نجا بنفسه، و تفرقت رجاله، و عاد تميم مظفرا منصورا.

[١] و أخذ بهم.

AnieanucalsiniF.(١)

(٢). سرقسطة. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠

ثم قصد، بعد هذه الحادثة، مدينة سوسة، و كان أهلها قد خالفوا عليه، فملكها، و عفا عنهم و حقن دماءهم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة،* في المحرم «١»، قبض بمصر على الوزير أبي الفرج بن المغربي. و فيها دخل الصليحيّ، صاحب اليمن، إلى مكة مالكا لها، فأحسن السيرة فيها، و جلب إليها الأقوات، و رفع جور من تقدّم، و ظهرت منه أفعال جميلة.

و فيها، في ربيع الآخر، انقضّ كوكب عظيم، و كان له ضوء كثير.

و فيها، في شعبان، كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد، و انهدم سور طرابلس.

و فيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر، صاحب مصر، فوصل إليها في الثالث و العشرين من ربيع الآخر، و أقام بها، و اختلف هو و الجند، فثاروا به، و وافقهم العامّة، فضعف عنهم، ففارقها في رجب سنة ستّ و خمسين [و أربعمئة].

و فيها توفّي سعيد بن نصر الدولة بن مروان، صاحب آمد، من ديار بكر، و زهير بن الحسين بن عليّ أبو نصر الجذاميّ، الفقيه الشافعيّ، تفقّه على أبي حامد الأسفرايينيّ، و سمع الحديث الكثير و رواه، و كان موته بسرّخس.

A.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١

٤٥٦ ثم دخلت سنة ست و خمسين و أربعمئة

ذكر القبض على عميد الملك و قتله

فى هذه السنة قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر* منصور بن محمّد «١» الكندرى وزير طغرلبك. و سبب ذلك أن عميد الملك قصد خدمة نظام الملك، وزير ألب أرسلان، وقدم بين يديه خمسمائة دينار، واعتذر، وانصرف من عنده، فسار أكثر الناس معه، فخوف السلطان من غائله ذلك، فقبض عليه و أنفذه إلى مروالزود، و أتت عليه سنة فى الاعتقال، ثم نفذ إليه غلامين فدخلا عليه و هو محموم، فقالا- له: تب ممّا أنت عليه، ففعل «٢»، و دخل فودّع أهله، و خرج إلى مسجد هناك فصلّى ركعتين، و أراد الغلامان خنقه، فقال:

لست بلصّ! و خرّق خرقة من طرف كتمه و عصب عينيه، فضربوه بالسيف، و كان قتله فى ذى الحجة، و لفّ فى قميص ديقى من ملابس الخليفة، و خرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها، و حملت جثته إلى كندر، فدفن عند أبيه، و كان عمره يوم قتل نيفا و أربعين سنة.

و كان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك أن السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له، و يكون فصيحاً بالعريية، فدلّ عليه الموفق، والد أبى

(١). P.C.mO.

(٢). فافعل.A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢

سهل، و أعطته السعادة، و كان فصيحاً، فاضلا، و انتشر من شعره ما قاله فى غلام تركى صغير السنّ كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبه، فقال عميد الملك فيه:

أنا مشغول بحبه، و هو مشغول بلبه

لو أراد الله خيرا، و صلاحا لمحبه

نقلت رقه خديه- إلى قسوة قلبه

صانه الله فما أكثر- إعجابى بعجبه و من شعره:

إن كان بالناس ضيق عن مناقشتى «١»، فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت، و الشامت المغبون يتبعنى، كلّ لكأس المنيا شارب حاسى و قال أبو الحسن الباخرزى يخاطب ألب أرسلان عند قتل الكندرى:

و عمك أدناه، و أعلى محلّه، و بؤاه من ملكه كنفارحبا

قضى كلّ مولى منكما حقّ عبده [١] فخوّله الدنيا، و خوّله العقبى و كان عميد الملك خصيا، قد خصاه طغرلبك لأنه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها، فتزوجها هو، و عصى عليه، فظفر به و خصاه، و أقره على خدمته.

و قيل بل أعداؤه أشاعوا عنه أنه تزوجها، فخصى نفسه ليخلص من سياسه

[١] عنده.

(١). منافسى.A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣

السلطنة، فقال فيه على بن الحسن الباخرزى:

قالوا: محا السلطان عنه بعزة «١» [١] سمة الفحول، و كان قرما صائلا

قلت: اسكتوا، فالآن زاد فحولة لما اعتدى «٢» عن أنثيه عاطلا

فالفحل يأنف أن يسمي بعضه أنثى، لذلك جدّه مستأصلا يعنى بالأنثى واحدة الأنثيين.

و كان شديد التعصّب على الشافعية، كثير الوقعة في الشافعي، رضى الله عنه، بلغ من تعصّبه «٣» أنّه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، فأذن في ذلك، فأمر بلعنهم، و أضاف إليهم الأشعرية، فأنف من ذلك أئمة خراسان، منهم: الإمام أبو القاسم القشيري، و الإمام أبو المعالي الجويني، و غيرهما، ففارقوا خراسان، و أقام إمام الحرمين بمكة أربع سنين إلى أن انقضت دولته، يدرس، و يفتي، فهذا لقب إمام الحرمين، فلما جاءت الدولة النظامية «٤» أحضر من انترح منهم و أكرمهم، و أحسن إليهم، و قيل إنّه تاب من الوقعة في الشافعي، فإن صحّ فقد أفلح، و إلّا فعلى نفسها براقش تجنى.

و من العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصى، و دمه مسفوح بمرو، و جسده مدفون بكندر، و رأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور، و نقل قحفه إلى كرمان لأنّ نظام الملك كان هناك، فاعتبروا يا أولى الأبصار. و لما قرّب للقتل قال للقاصد إليه: قل لنظام الملك: بنس ما عودت الأتراك

[١]- تعزّه.

(١). بغرته. P.C.

(٢). اعتدى. P.C.

(٣). بغضه. A.

(٤). سقى الله عهدا صوب الرضوان: A. dda

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤

قتل الوزراء، و أصحاب الديوان، و من حفر قلبيا وقع فيه. و لم يخلف عميد الملك غير بنت.

ذكر ملك أربل أرسلان ختلان و هراة و صغانيان

لما توفي طغرلبيك و ملك أربل أرسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته، و منع الخراج، فقصدته السلطان، فرأى الحصن منيعا على شاهق، فأقام عليه و قاتله، فلم يصل منه إلى مراده.

ففي بعض الأيام باشر أربل أرسلان القتال بنفسه، و ترحل، و صعد في الجبل، فتبعه الخلق، و تقدّموا عليه في الموقف، و ألخوا في الزحف و القتال، و كان صاحب القلعة على شرفه من سورها يحرض الناس على القتال، فأتته نشابة من العسكر فقتلته، و تسلّم أربل أرسلان القلعة و صارت في جملة ممالكه.

و كان عمّه فخر الملك بيغو بن ميكائيل في هراة، فعصى أيضا عليه، و طمع في الملك لنفسه، فسار إليه أربل أرسلان في العساكر العظيمة، فحصره و ضيق عليه، و أدام القتال ليلا و نهارا، فتسلّم المدينة، و خرج عمّه إليه، فأبقى عليه و أكرمه و أحسن صحبته.

و سار من هناك إلى صغانيان، و أميرها اسمه موسى، و كان قد عصى عليه، فلما قاربه أربل أرسلان صعد موسى إلى قلعة على رأس جبل شاهق، و معه من الرجال الكماء جماعة كثيرة، فوصل السلطان إليه، و باشر الحرب لوقته، فلم ينتصف النهار حتّى صعد العسكر الجبل، و ملكوا القلعة قهرا، و أخذ موسى أسيرا، فأمر بقتله، فبذل في نفسه أموالا كثيرة، فقال السلطان: ليس هذا أوان تجارة، و استولى على تلك الولاية بأسرها، و عاد إلى مرو، ثم منها إلى نيسابور.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥

ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد و الخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد «١»

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود إلى بغداد، وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك إلا لما أعتده من نقلها من بغداد إلى الرّي بغير رضا الخليفة، وأمر الأمير ايتكين السليماني بالمشير في خدمتها إلى بغداد، والمقام بها شحنة، وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله، المعروف بابن الموفق، للمشير في الصحبة، وأمره بالمخاطبة في إقامة الخطبة له، فمات في الطريق مجردا.

وهذا «٢» أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي نيسابور، وكان يحضر طعامه في رمضان، كل ليلة، أربع مائة متفقه، ويصلهم ليلة العيد بكسوة و دنانير تعمّمهم، فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا في الطريق، فألزم السلطان رئيس العراقيين بالمشير، فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر، و خرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم، واقترح السلطان أن يخاطب بالولد المؤيد، فأجيب إلى ذلك، ولقب ضياء الدين عضد الدولة.

وجلس الخليفة جلوسا عامّا سابع جمادى الأولى، و شافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة، و سلّمت الخلع بمشهد من الخلق، و أرسل إليه من الديوان لأخذ البيعة النقيب طرادا الزينبي، فوصلوا إليه و هو بنقجوان من أذربيجان، فلبس الخلع، و بايع للخليفة.

A.(١)

(٢). و كان A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦

ذكر الحرب بين ألب أرسلان و قتلتمش

سمع ألب أرسلان أن شهاب الدولة قتلتمش، و هو من السيلجوقيّة أيضا، و هو جدّ الملوك أصحاب قونية، و قيصريّة «١»، و أقصرا، و ملطية، يومنا هذا. قد عصى عليه، و جمع جموعا كثيرة، و قصد الرّي ليستولى عليها، فجهّز ألب أرسلان جيشا عظيما و سيرهم على المفازة إلى الرّي، فسبقوا قتلتمش إليها.

و سار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة، فلما وصل إلى دامغان أرسل إلى قتلتمش ينكر عليه فعله، و ينهاه عن ارتكاب هذه الحال، و يأمره بتركها، فإنه يرعى «٢» له القرابة و الرحم، فأجاب قتلتمش جواب مغترّ بمن معه من الجموع، و نهب قرى الرّي، و أجرى الماء على وادي الملح، و هي سبخة، فتعدّر «٣» سلوكها، فقال نظام الملك: قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك و لا يخذلونك، و يرمون دونك بسهام لا تخطيء، و هم العلماء و الزهاد، فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك. و قرب السلطان من قتلتمش، فلبس نظام الملك السلاح، و عبأ الكتائب، و اصطفّ العسكران.

و كان قتلتمش يعلم «٤» علم النجوم، فوقف «٥» و نظر، فرأى أن طالعة في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا، فقصد المحاذرة، و جعل السبخة بينه و بين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء. فسلّك ألب أرسلان طريقا في الماء، و خاض غمرته، و تبعه العسكر، فطلع منه سالما هو و عسكره، فصاروا مع

P.C.(١)

(٢). يدعى A.

(٣). متعذر. A.

(٤). يعرف. A.

(٥). P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧

قتلمش و اقتتلوا، فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان، و انهزموا لساعتهم، و مضى منهزما إلى قلعة كردكوه، و هي من جملة حصونه و معاقلة، و استولى القتل و الأسر على عسكره، فأراد السلطان قتل الأسرى، فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم و أطلقهم. و لمّا سكن الغبار، و نزل العسكر، وجد قتلمش ميتا ملقى على الأرض لا يدرى كيف كان موته، قيل: إنّه مات من الخوف، و الله أعلم، فبكى السلطان لموته، و قعد لعزائه، و عظم عليه فقده، فسلاه نظام الملك، و دخل ألب أرسلان إلى مدينة الرّى آخر المحرم من السنة.

و من العجب أن قتلمش هذا كان يعلم علم النجوم، قد أتقنه، مع أنّه تركى، و يعلم غيره من علوم القوم، ثم إن أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأوتية، و يقربون أهلها، فنالهم بهذا غضاضة في دينهم، و سيرد من أخبارهم ما يعلم* منه ذلك «١» و غيره من أحوالهم.

ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آنى و غيرها من بلاد النصرانية

ثم سار السلطان من الرّى أول ربيع الأوّل، و سار إلى أذربيجان، فوصل إلى مرند عازما على قتال «٢» الروم و غزوهم، فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء التركمان، كان يكثر غزو الروم، اسمه طغدكين، و معه من عشيرته خلق كثير، قد ألفوا الجهاد، و عرفوا تلك البلاد، و حتّاه على قصد بلادهم، و ضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها، فسار معه، فسلك بالعساكر فى مضايق

(١). به. A.

(٢). جهاد. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨

تلك الأرض و مخارمها، فوصل إلى نقجوان، فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس، فقبل له إن سگان خوى، و سلماس، من أذربيجان، لم يقوموا بواجب الطاعة، و إنهم قد امتنعوا ببلادهم، فسير إليهم عميد خراسان، و دعاهم «١» إلى الطاعة، و تهددهم «٢» إن امتنعوا، فأطاعوا، و صاروا من جملة حزبه و جنده، و اجتمع عليه هناك من الملوك و العساكر ما لا يحصى.

فلما فرغ من جمع العساكر و السفن سار إلى بلاد الكرج، و جعل مكانه فى عسكره ولده ملك شاه، و نظام الملك وزيره، فسار ملك شاه و نظام الملك إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم، فنزل أهلها منها، و تخطفوا «٣» من العسكر، و قتلوا منهم فئه كثيرة، فنزل نظام الملك و ملك شاه، و قاتلوا من بالقلعة، و زحفوا إليهم، فقتل أمير القلعة و ملكها المسلمون، و ساروا منها إلى قلعة سرمارى «٤»، و هي قلعة فيها المياه الجارية و البساتين، فقاتلوا و ملكوها، و أنزلوا منها أهلها، و كان بالقرب منها قلعة أخرى، ففتحها ملك شاه، و أراد تخريبها، فنهاه نظام الملك عن ذلك، و قال: هي ثغر للمسلمين، و شحنها بالرجال و الذخائر و الأموال و السلاح، و سلم هذه «٥» القلاع إلى أمير نقجوان.

و سار ملك شاه و نظام الملك إلى مدينة مريم نشين «٦»، و فيها كثير من الرهبان و القسيسين و ملوك النصرى و عامتهم يتقربون إلى أهل هذه البلدة، و هي مدينة حصينة، سورها من الأحجار الكبار الصلبة، المشدودة بالرصاص و الحديد، و عندها نهر كبير، فأعد نظام الملك لقتالها* ما يحتاج إليه من السفن و غيرها، و قاتلها، و واصل [١] قتالها «٧» ليلا و نهارا، و جعل العساكر عليها يقاتلون

[١] و وصل.

(١). يدعوهم. A.

(٢). و يتهددهم. A.

(٣). و تحفظوا. P.C.

(٤). سمارى. A.

(٥). عدة. A.

(٦). ويس. IdoB، و بسن. A، و لسر. P.C.

(٧). A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩

بالتوبة، فضجر الكفار، و أخذهم الإعياء و الكلال، فوصل المسلمون إلى سورها، و نصبوا عليه السلايم، و صعدوا إلى أعلاه، لأنّ المعاول كلت عن نقه لِقوّة حجره.

فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك فى أعضادهم، و سقط فى أيديهم، و دخل ملك شاه البلد، و نظام الملك، و أحرقوا البيع، و خرّبوها، و قتلوا كثيرا من أهلها، و أسلم كثير فنجوا من القتل.

و استدعى ألب أرسلان إليه ابنه، و نظام الملك، و فرح بما يسّره الله من الفتح على يد ولده، و فتح ملك شاه فى طريقه عدّة من القلاع و الحصون، و أسر من النصارى ما لا يحصون كثرة. و ساروا إلى سييدشهر، فجرى بين أهلها و بين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين، ثم إن الله تعالى يسّر فتحها فملكها ألب أرسلان.

و سار منها إلى مدينة أعال لآل «١»، و هى حصينة، عالية الأسوار، شاهقة البنيان، و هى من جهة الشرق و الغرب على جبل عال، و على الجبل عدّة من الحصون، و من الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض، فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها و الاستيلاء عليها، و كان ملكها من الكرج، و هكذا ما تقدّم من البلاد التى ذكرنا فتحها، و عقد السلطان جسرا على النهر عريضا، و اشتد القتال، و عظم الخطب «٢»، فخرج من المدينة رجالان يستغيثان، و يطلبان الأمان، و التمسوا [١] من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر، فسير جمعا صالحا، فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة و قاتلوهم فأكثروا القتل فيهم، و لم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك.

[١] و التمسوا.

(١). لال. A.

(٢). الحرب. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠

و خرج الكرج من البلد و قصدوا العسكر، و اشتد القتال، و كان السلطان، ذلك الوقت، يصلّى، فأتاه الصّريخ، فلم يبرح حتّى فرغ من صلاته، و ركب، و تقدّم إلى الكفار، فقاتلهم، و كبر المسلمون عليهم، فولّوا منهزمين، فدخلوا البلد و المسلمون معهم، و دخلها السلطان و ملكها، و اعتصم جماعة من أهلها فى برج من أبراج المدينة، فقاتلهم المسلمون،* فأمر السلطان «١» بإلقاء الحطب حول

البرج و إحراقه، ففعل ذلك، و أحرق البرج و من فيه، و عاد السلطان إلى خيامه، و غنم المسلمون من المدينة ما لا يحَد و لا يحصى. و لما جنَّ الليل عصفت ریح شديدة، و كان قد بقي من تلك النار التى أحرق بها البرج بقية كثيرة، فأطارتها الریح، فاحترقت المدينة بأسرها، و ذلك فى رجب سنة ستّ و خمسين [و أربعمائه]، و ملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة،* و أخذها «٢»، و سار منها إلى ناحية قرس، و مدينة آنى و بالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل ورده، و نورة، فخرج أهلها مذعنين بالإسلام، و خزّبوا البيع، و بنوا المساجد.

و سار منها إلى مدينة آنى فوصل إليها فرآها مدينة حصينة، شديدة الامتناع، لا ترام، ثلاثة أرباعها على نهر أرس، و الربع الآخر نهر عميق شديد الجرية، لو طرحت فيه [١] الحجارة الكبار لدحاها و حملها، و الطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصّم، و هى بلدة كبيرة، عامرة، كثيرة الأهل، فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة، فحصرها و ضيق عليها، إلّا أنّ المسلمين قد أسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها، فعمل السلطان برجا من خشب، و شحنه بالمقاتلة، و نصب عليه المنجنيق، و رماء النَّشاب، فكشفوا الروم عن السور،

[١]- فيها.

(١). P.C.mO.

(٢). و أخذ ما فيها. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١

و تقدّم المسلمون إليه لينقبوه، فأتاهم من لطف الله ما لم يكن فى حسابهم، فانهدم قطعته كبيرة من السور بغير سبب، فدخلوا المدينة و قتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث أنّ كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى، و أسروا نحو ما قتلوا. و سارت البشرى بهذه الفتوح فى البلاد، فسّر المسلمون، و قرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافة، فبرز خطّ الخليفة بالثناء على ألب أرسلان و الدعاء له.

و رتب [السلطان] فيها أميرا فى عسكر جزّار، و عاد عنها، و قد راسله ملك الكرج فى الهدنة، فصالحه على أداء الجزية كلّ سنة، فقبل ذلك.

و لما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان، ثم سار منها إلى كرمان، فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود، ثم سار منها إلى مرو، فزوج ابنه ملك شاه بابنة خاقان، ملك ما وراء النهر، و زفّت إليه فى هذا الوقت، و زوج ابنه أرسلان شاه بابنة صاحب غزنة، و اتحد [١] البيتان: البيت السلجوقى، و البيت المحمودى، و اتفقت الكلمة.

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، ظهر «١» بالعراق و خوزستان و كثير من البلاد جماعة من الأكراد، خرجوا يتصيدون، فأروا فى البرية خيما سودا،

[١] و اتحدا.

(١). ببغداد و. A.ddA.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢

و سمعوا منها لظما شديدا، و عويلا كثيرا، و قائلا يقول: قد مات سيدوك ملك الجن، و أى بلد لم يلطم أهله عليه و يعملوا [١] له العزاء «١» قلع أصله، و أهلك أهله، فخرج كثير من النساء فى «٢» البلاد إلى المقابر يلطن، و ينحن، و ينشرون شعورهن، و خرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك، و كان ذلك ضحكة عظيمة.

و لقد جرى فى أيامنا نحن فى الموصل، و ما والاها من البلاد إلى العراق، و غيرها، نحو هذا، و ذلك أن الناس * سنة ستمائة «٣» أصابهم وجع كثير «٤» فى حلوقهم، و مات منه كثير من الناس، فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود، مات ابنها عنقود، و كل من لا يعمل له ماتما أصابه هذا المرض، فكثر فعل ذلك، و كانوا يقولون: يا أم عنقود اعذرينا. قد مات عنقود ما درينا، و كان النساء يلطن، و كذلك الأوباش [٢].

و فيها ولى أبو الغنائم المعمر بن محمّد بن عبيد الله العلوى نقابة العلويين ببغداد، و إمارة الموسم، و لقب بالطاهر «٥» ذى المناقب، و كان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة، و صاهر بنى خفاجة، و انتقل معهم إلى البرية، و توفى أسامة بمشهد أمير المؤمنين على، عليه السلام، فى رجب سنة اثنتين و سبعين [و أربعمئة].
و فيها * فى جمادى الآخرة «٦» توفى أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى النحوى المتكلم، و كان له اختيار فى الفقه، و كان عالما بالنسب،

[١] و يعملون.

[٢] أوباش.

(١). المأتم. A.

(٢). mO. A.

(٣). P. C. mO.

(٤). A.

(٥). بالظاهر. A.

(٦). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣

و يمشى فى الأسواق مكشوف الرأس، و لم يقبل من أحد شيئا، و كان موته فى جمادى الآخرة، و قد جاوز ثمانين سنة، * و كان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، و يعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار «١». و فيها انقضّ كوكب عظيم، و كثر نوره فصار أكثر من نور القمر، و سمع له دوى عظيم، ثم غاب.

(١). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤

٤٥٧ ثم دخلت سنة سبع و خمسين و أربعمئة

ذكر الحرب بين بنى حنّاد و العرب

فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حمّاد و من معه من رجال المغاربة من صنهاجة و من زناته و من العرب: عدى و الأثيج «١»، و بين رياح، و زغبة «٢»، و سليم، و مع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى، على مدينة سبتة. و كان سببها أن حمّاد بن بلكين جدّ الناصر كان بينه و بين باديس بن المنصور من الخلف، و موت باديس محاصرا قلعة حمّاد، ما هو المذكور، و لو لا تلك القلعة لأخذ سريعا، و إنّما امتنع هو و أولاده بها بعده، و هى من أمنع الحصون، و كذلك ما استمرّ بين حمّاد و المعز بن باديس، و دخول حمّاد فى طاعته ما تقدّم ذكره، و كذلك أيضا ما كان بين القائد بن حمّاد و بين المعز، و كان القائد يضمّر الغدر و خلع طاعة المعز، و العجز يمنعه من ذلك، فلما رأى القائد قوّة العرب، و ما نال المعز منهم، خلع الطاعة، و استبدّ بالبلاد، و بعده ولده محسن، و بعده ابن عمّه بلكين بن حمّاد، و بعده ابن عمّه الناصر بن علناس بن حمّاد بن حمّاد، و كلّ منهم متحصن بالقلعة، و قد جعلوها دار ملكهم. فلما رحل المعز من القيروان و صبرة إلى المهديّة تمكّنت العرب،

(١). و الالبج. P. C. A. sitcnpenis.

(٢). sitcnpenis. A. و رعبه. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥

و نهبت الناس، و خرّبت البلاد، فانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بنى حمّاد لكونها جبالا و عرة يمكن الامتناع بها من العرب، فعمرت بلادهم، و كثرت أموالهم، و فى نفوسهم الضغائن و الحقد من باديس، و من بعدهم من أولادهم، يرثه صغير عن كبير. و ولى تميم بن المعز بعد أبيه، فاستبدّ كلّ من هو ببلد و قلعة بمكانه و تميم صابر يدارى و يتجلّد. و اتّصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه و يذمه، و أنّه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهديّة، و أنّه قد حالف بعض صنهاجة، و زناته، و بنى هلال ليعينوه على حصار المهديّة. فلما صحّ ذلك عنده أرسل إلى أمراء بنى رياح، فأحضرهم إليه و قال: أنتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع، أكثره فى البحر، لا يقاتل منه فى البرّ غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا، و إنّما جمع الناصر هذه العساكر إليكم. فقالوا له: الذى تقوله حقّ، و نحبّ منك المعونة، فأعطاهم المال، و السلاح من الرماح و السيوف و الدروع و الدرق، فجمعوا قومهم، و تحالفوا، و اتّفقوا على لقاء «١» الناصر. و أرسلوا إلى من مع الناصر من بنى هلال يقبّحون عندهم مساعدتهم للناصر، و يخوّفونهم منه إن قوى، و أنّه يهلكهم بمن معه من زناته. صنهاجة، و أنّهم إنّما يستمرّ لهم المقام، و الاستيلاء على البلاد، إذا تمّ الخلف و ضعف السلطان. فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة، و قالوا: اجعلوا أوّل حملة تحملونها علينا، فنحن ننهزم بالناس، و نعود عليهم، و يكون لنا ثلث الغنيمة. فأجابوهم [١] إلى ذلك، و استقرّ الأمر.

[١] فأجابهم.

(١). P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦

و أرسل المعز بن زيرى الزناتى إلى من مع الناصر من زناته بنحو ذلك، فوعده أيضا أن ينهزموا، فحينئذ رحلت رياح و زناته جميعها، و سار إليهم الناصر بصنهاجة، و زناته، و بنى هلال، فالتقت العساكر بمدينة سبتة، فحملت رياح على بنى هلال، و حمل المعز على زناته، فانهزمت الطائفتان، و تبعهم عساكر الناصر منهزمين، و وقع فيهم القتل، فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس، أخو الناصر، و

كان مبلغ من قتل من صنهجة و زناثة أربعة [١] و عشرين ألفا، و سلم الناصر فى نفر يسير، و غنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال و سلاح و دواب* و غير ذلك، فاقسموها على ما استقرّ بينهم، و بهذه الوقعة تمّ للعرب ملك البلاد، فإنهم قدموها فى ضيق و فقر و قلّة دوابّ فاستغنوا، و كثرت دوابّهم و سلاحهم، و قلّ المحامى عن البلاد، و أرسلوا الألوية و الطبول و خيم الناصر بدوابّها إلى تميم، فردّها و قال: يقبح بى أن آخذ سلب ابن عمّى! فأرضى العرب بذلك «١».

ذكر بناء مدينة بجاية

لمّا كانت هذه الوقعة بين بنى حمّاد و العرب،* و قويت العرب «٢»، اهتمّ تميم بن المعزّ لذلك، و أصابه حزن شديد، فبلغ ذلك الناصر، و كان له وزير اسمه أبو بكر بن أبى الفتوح، و كان رجلا جيّدا يحبّ الاتّفاق بينهم، و يهوى دولة تميم، فقال للناصر: ألم أشر عليك أن لا تقصد ابن عمّك، و أن تتّفقا [٢]

[١] أربع.

[٢] تتّفقا.

(١). علناس بفتح العين المهملة و اللام و النون و بعده سين مهملة. A. dda

(٢). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧

على العرب، فإنكما لو اتّفقتما لأخرجتما العرب.

فقال الناصر: لقد صدقت، و لكن لا مردّ لما قدر، فأصلح ذات بيننا.

فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر، و يرغب فى الإصلاح، فقبل تميم قوله، و أراد أن يرسل رسولا إلى الناصر، فاستشار أصحابه، فاجتمع رأيهم على محمّد بن البعيج، و قالوا له: هذا رجل غريب، و قد أحسنت إليه، و حصل له منك الأموال و الأملاك. فأحضره، و أعطاه مالا و دوابّ و عبيدا و أرسله، فسار مع الرسول حتّى وصل إلى بجاية، و كانت حينئذ منزلا فيه رعيّة من البربر، فنظر إليها محمّد بن البعيج، و قال فى نفسه: إنّ هذا المكان يصلح أن يكون به مرسى «١» و مدينة، و سار حتّى وصل إلى الناصر، فلمّا أوصل الكتاب و أدّى الرسالة قال للناصر: معى وصيّة إليك، و أحبّ أن تخلّى المجلس، فقال الناصر: أنا لا أخفى عن وزيرى شيئا. فقال: بهذا أمرنى الأمير تميم، فقام الوزير أبو بكر و انصرف، فلمّا خرج قال الرسول:

يا مولاي إنّ الوزير مخامرّ عليك، هواه مع الأمير تميم، لا يخفى عنه من أمورك شيئا، و تميم مشغول مع عبيده قد استبدّ بهم، و أطرح صنهجة و غير هؤلاء، و لو وصلت بعسكرك ما بتّ إلّا فيها لبغض [١] الجند و الرعيّة لتميم، و أنا أشير عليك بما تملك به المهديّة و غيرها. و ذكر له عمارة بجاية، و أشار عليه أن يتّخذها دار ملك، و يقرب «٢» من بلاد إفريقية، و قال له: أنا أنتقل إليك بأهلى، و أدبّر دولتك، فأجابه الناصر إلى ذلك، و ارتاب بوزيره، و سار مع الرسول إلى بجاية، و ترك الوزير بالقلعة.

فلمّا وصل الناصر و الرسول إلى بجاية أراه موضع الميناء و البلد و الدار

[١] لبغض.

(١). P. C.

(٢). و تقرب. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨

السلطانية، و غير ذلك، فأمر الناصر من ساعته بالبناء و العمل، و سرّ بذلك، و شكره، و عاهده على وزارته إذا عاد إليه، و رجعا إلى القلعة، فقال الناصر لوزيره: إن هذا الرسول محبّ لنا، و قد أشار ببناء بجاية، و يريد الانتقال إلينا، فكتب له جواب كتبه، ففعل. و سار الرسول، و قد ارتاب به تميم، حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره إليهم، و حضوره مع الناصر فيها، و كان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقافته ليشاهد الأخبار و يعود بها، فأرسل معه رسولا «١» يثق به، فكتب معه: إننى لَمّا اجتمعت بتميم لم يسألنى* عن شىء «٢» قبل سؤاله عن بناء بجاية، و قد عظم أمرها عليه، و أتهمنى، فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا، فإننى سائر إليهم مسرعا، و قد أخذت عهد زويلة و غيرها «٣» على طاعتك. و سير الكتاب، فلما قرأه الناصر سلمه إلى الوزير، فاستحسن الوزير ذلك، و شكره و أثنى عليه، و قال: لقد نصح و بالغ فى الخدمة، فلا تؤخر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم. و مضى الوزير إلى داره، و كتب نسخة الكتاب، و أرسل الكتاب الذى بخط الرسول إلى تميم، و كتابا منه يذكر له الحال من أوله إلى آخره. فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك، و بقى يتوقع له سببا يأخذه به، إلّا أنه جعل عليه من يحرسه فى الليل و النهار من حيث لا يشعر، فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم، و أخبره أن الرسول صنع طعاما، و أحضر عنده الشريف الفهرى «٤»، و كان هذا الشريف من رجال تميم و خواصه، فأحضره تميم، فقال: كنت و أصلا إليك، و حدثه أن ابن البعيع الرسول دعانى، فلما حضرت عنده قال:

أنا فى ذمامك، أحبّ أن تعرّفنى مع من أخرج من المهدية، فمنعته من ذلك و هو خائف، فأوقفه تميم على الكتاب الذى بخطه، و أمره بإحضاره،* فأحضره الشريف «٥».

(١). رجلا. A.

(٢-٥). P.C.mO.

(٣). P.C.

(٤). العميرى. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩

فلما وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيّره الناصر، و معهم كتاب الناصر إليه «١» يأمر بالحضور عنده، فأخذ الكتاب و خرج الأمير تميم، فلما رآه ابن البعيع سقطت الكتب منه، فإذا عنوان أحدها: من الناصر بن علناس الى فلان، فقال له تميم: من أين هذه الكتب؟ فسكت، فأخذها و قرأها، فقال الرسول ابن البعيع: العفو يا مولانا! فقال: لا عفا الله عنك! و أمر به فقتل و غرقت جثته.

ذكر ملك ألب أرسلان جند و صيران

فى هذه السنة عبر ألب أرسلان جيحون، و سار إلى جند و صيران، و هما عند بخارى، و قبر جدّه سلجوق بجند، فلما عبر النهر استقبله ملك جند و أطاعه، و أهدى له هدايا جليله، فلم يغيّر ألب أرسلان عليه شيئا، و أقرّه على ما بيده، و عاد عنه بعد أن أحسن إليه و أكرمه، و وصل إلى كركانج خوارزم، و سار منها إلى مرو.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد.
وفىها انقض كوكب عظيم، و صار له شعاع كثير أكثر من شعاع «٢» القمر، و سمع له صوت مفرع.
وفىها توفي محمد بن أحمد أبو الحسين بن الأبنوسى، روى عن الدار الدارقطنى وغيره «٣».

A.(٢-١)

P.C.mO.(٣)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠

٤٥٨ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملك شاه

فى هذه السنة سار ألب أرسلان من مرو إلى راىكان، فنزل بظاهرها، و معه جماعة أمراء دولته، فأخذ عليهم العهود و الموائيق لولده ملك شاه بأنّه السلطان بعده، و أركبه، و مشى بين يديه يحمل الغاشية.
و خلع السلطان على جميع الأمراء، و أمرهم بالخطبة له فى جميع البلاد التى يحكم عليها، ففعل ذلك، و أقطع البلاد، فأقطع ما زاندران للأمير إينانج بيغو، و بلخ لأخيه سليمان بن داود جغرى بك، و خوارزم لأخيه أرسلان أرغو، و مرو لابنه الآخر أرسلان شاه، و صغانيان و طخارستان لأخيه إلياس، و ولاية بغشور و نواحيها لمسعود بن أرتاش، و هو من أقارب السلطان، و ولاية أسفرار لمودود بن أرتاش.

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

فى هذه السنة سير تميم، صاحب إفريقية، عسكريا كثيفا إلى مدينة تونس، و بها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف.
و سبب ذلك أن المعز بن باديس، أبا تميم، لما فارق القيروان و المنصورية
الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١

و رحل إلى المهديّة، على ما ذكرناه، استخلف على القيروان و على قابس قائد بن ميمون الصنهاجى، و أقام بها ثلاث سنين، ثم غلبته هوارة عليها، فسلمها إليهم و خرج إلى المهديّة، فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد أبيه رده إليها، و أقام عليها إلى الآن، ثم أظهر الخلاف على تميم و التجأ إلى طاعة الناصر بن علناس ابن حماد، فسير إليه تميم الآن عسكريا كثيرا، فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم أنه لا طاقة له بهم، فترك القيروان و سار إلى الناصر، فدخل عسكريا تميم القيروان، و خربوا دور القائد، و سار العسكري إلى قابس، و بها ابن خراسان، فحصره بها سنة و شهرين، ثم أطاع ابن خراسان تميما و صالحه.
و أما قائد فإنه أقام عند الناصر، ثم أرسل إلى أمراء العرب، فاشترى منهم إمارة القيروان، فأجابوه إلى ذلك، فعاد إليها فبنى سورها و حصنها.

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار و هيت و غيرها

فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران، صاحب الموصل، إلى السلطان ألب أرسلان، فأقطعه الأنبار، و هيت، و حربى، و السن، و البوازيج، و وصل إلى بغداد، فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب، فلقيه، و نزل شرف الدولة بالحريم

الطاهري، و خلع عليه الخليفة.

ذكر عدة حوادث

فى * العشر الأول من «١» جمادى الأولى ظهر كوكب كبير، له ذؤابةً طويلةً، بناحية المشرق، عرضها نحو ثلاث أذرع، و هى ممتدة إلى وسط السماء،

(١). أول. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢

و بقى إلى السابع و العشرين من الشهر و غاب، ثم ظهر أيضا آخر الشهر المذكور، عند غروب الشمس، كوكب «١» قد استدار نوره عليه كالقمر، فارتاع الناس و انزعجوا، و لما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب، و بقى عشرة أيام ثم اضمحل. و فيها، فى جمادى الآخرة، كانت بخراسان و الجبال زلزلة عظيمة، بقيت تتردد أياما، تصدعت منها الجبال، و أهلكت خلقا كثيرا، و انخسف منها عدة قرى، و خرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك.

* و فيها، فى جمادى الأولى، وقع حريق بنهر معلى، فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبين «٢».

و فيها ولدت «٣» صبيةً بباب الأزج* ولدا برأسين «٤»، و رقتين، و وجهين، و أربع أيد على بدن واحد.

و فى جمادى الآخرة توفى الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى، و مولده سنة سبع و ثمانين و ثلاثمائة، و كان إماما فى الحديث و الفقه على مذهب الشافعى، و له فيه مصنفات أحدها السنن الكبير، عشرة مجلدات، و غيره من التصانيف الحسنه، و كان عفيفا، زاهدا، و مات بنيسابور.

و فى شهر رمضان منها توفى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى، و مولده سنة ثمانين و ثلاثمائة، و عنه انتشر مذهب أحمد، رضى الله عنه، و كان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة، و هو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة، و ترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض، تعالى الله عن ذلك، و كان ابن تميمى الحنبلى يقول: لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء.

(١). P.C.

(٢). P.C. mO.

(٣). ولدت. A.

(٤). cte. رأسان. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣

٤٥٩ ثم دخلت سنة تسع و خمسين و أربعمئة

ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان و عوده إلى طاعته

فى هذه السنة عصى ملك كرمان، و هو قرا أرسلان، على السلطان ألب أرسلان. و سبب ذلك أنه كان له وزير جاهل سؤلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان، و أن صاحبه، إذا عصى، احتاج إلى التمسك به،

فحسن لصاحبه الخلف على السلطان، فأجاب إلى ذلك، و خلع الطاعة، و قطع الخطبة.

فسمع ألب أرسلان، فسار إلى كرمان، فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا أرسلان، فانهزمت طليعة قرا أرسلان بعد قتال، فلما سمع قرا أرسلان و عسكره بانهزام طليعتهم، خافوا و تحيروا، فانهزموا لا يلوى أحد على آخر، فدخل قرا أرسلان إلى جيرفت و امتنع بها، و أرسل إلى السلطان ألب أرسلان يظهر الطاعة و يسأل العفو عن زلته، فعفا عنه، و حضر عند السلطان فأكرمه، و بكى و أبكى من عنده، فأعادته إلى مملكته، و لم يغير عليه شيئا من حاله، فقال للسلطان: إن لى بنات تجهيزهن إليك، و أمورهن إليك، فأجابه إلى ذلك، و أعطى كل واحدة منهن مائة ألف دينار سوى الثياب و الإقطاعات [١].

[١] و الاقطاعات.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤

ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى إصطخر، و فتح قلعتها، و استنزل و إليها، فحمل إليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار، من جملتها قرح فيروزج، فيه منوان من المسك، مكتوب عليه اسم جمشيد الملك، و أطاعه جميع حصون فارس، و بقى قلعة يقال لها بهنراد «١»، فسار نظام الملك إليها، و حصرها تحت جبلها، و أعطى كل من رمى [١] بسهم و أصاب قبضة من الدنانير، و من رمى [١] حجرا ثوبا نفيسا، ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله، و وصل السلطان إليه بعد الفتح، فعضم محل نظام الملك عنده، فأعلى منزلته، و زاد فى تحكيمه

ذكر عدة حوادث

فى المحرم منها توفى الأغر أبو سعد، ضامن البصرة، على باب السلطان بالرّى، و عقدت البصرة و واسط على هزارسب بثلاثمائة ألف دينار.

و فى صفر منها وصل إلى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفى، و بنى على مشهد أبى حنيفه، رضى الله عنه، مدرسه لأصحابه، و كتب الشريف أبو جعفر بن البياضى على القبة التى أحدثها:
ألم تر أنّ العلم كان مشتتا، فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة، فأنشرها فضل العميد أبى سعد

[١] رما.

(١). بهزاد. idoB، بهزاد. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥

و فيها، فى جمادى الأولى، وصلت أرسلان خاتون، أخت السلطان ألب أرسلان، و هى زوجة الخليفة، إلى بغداد، و استقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ.

و فيها، فى ذى القعدة، احترقت تربة معروف الكرخى، رحمه الله عليه، و سبب حريقها أن قيمها كان مريضا، فطبخ لنفسه ماء الشعير، فاتصلت النار بخشب و بوارى كانت هناك، فأحرقته و اتصل الحريق، فأمر الخليفة أبى سعد الصوفى، شيخ الشيوخ، بعمارتها.
و فيها، فى ذى القعدة، فرغت عمارة المدرسه النظامية، و تقرّر التدريس بها للشيخ أبى إسحاق الشيرازى، فلما اجتمع الناس لحضور الدرس، و انتظروا مجيئه، تأخر، فطلب، فلم يوجد.

و كان سبب تأخره أنه لقيه صبيّ، فقال له: كيف تدّرس في مكان مغصوب؟ فتغيّرت نيّته عن التدريس بها، فلمّا ارتفع النهار، و أيس الناس من حضوره، أشار الشيخ أبو منصور بن يوسف بأبي نصر بن الصّبّاغ، صاحب كتاب الشامل، و قال: لا يجوز أن ينفصل هذا الجمع إلّا عن مدرّس، و لم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير، فجلس أبو نصر للدرس، و ظهر الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك، و لمّا بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبي سعد، و لم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتّى درّس بالمدرسة، و كانت مدّة تدريس ابن الصّبّاغ عشرين يوما.

و فيها، في ذى القعدة، قتل الصّليحيّ، أمير اليمن، بمدينة المهجم، قتله أحد أمرائها و أقيمت الدعوة العبّاسيّة هناك، و كان قد ملك مكرّة، على ما ذكرناه سنة خمس و خمسين [و أربعمئة]، و أمن الحجاج في أيامه، فأثنوا عليه خيرا، و كسا البيت بالحريير الأبيض الصينيّ، و ردّ حلى البيت إليه،

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦

و كان بنو حسن قد أخذوه و حملوه إلى اليمن، فابتاعه الصّليحيّ منهم.

* و فيها توفي عمر بن إسماعيل بن محمّد أبو عليّ الطوسي، قاضيها، و كان يلقب العراقيّ لطول مقامه ببغداد، و تفقّه على أبي طاهر الأسفرايينيّ الشافعيّ، و أبي محمّد الشاشيّ و غيرهما «١».

(١). P.C.mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧

٤٦٠ ثم دخلت سنة ستين و أربعمئة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش و بين بني كلاب بالرحبة، و هم في طاعة العلويّ «١» المصريّ، فكسروهم شرف الدولة، و أخذ أسلابهم، و أرسل أعلاما كانت معهم، عليها سمات المصريّ، إلى بغداد، و كسرت، و طيف بها في البلد، و أرسلت الخلع إلى شرف الدولة.

و فيها، في جمادى الأولى، كانت بفلسطين و مصر زلزلة شديدة خربت الرّملة، و طلع الماء من رءوس الآبار، و هلك من أهلها خمسة و عشرون [١] * ألف نسمة «٢»، و انشقت الصخرة بالبيت المقدّس، و عادت بإذن الله تعالى، و عاد «٣» البحر من الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا.

و فيها، في رجب، ورد أبو العبّاس الخوافيّ ببغداد عميدا من جهة السلطان.

و فيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة، فخرج من بغداد إلى نور الدولة ديبس بن مزيد بالفلوجة، و أرسل الخليفة إلى أبي يعلى والد

[١] خمس و عشرين.

(١). المستنصر. A.

(٢). ألفا. A.

(٣). و غاب. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨
 الوزير أبى شجاع يستحضره ليوليه الوزارة، و كان يكتب لهزارسب بن بنكير، فسار، فأدركه أجله فى الطريق فمات، ثم شفع نور الدولة فى فخر الدولة بن جهير، فأعيد إلى الوزارة سنة إحدى و ستين [و أربعمئة] فى صفر. و فيها كان بمصر غلاء شديد، و انقضت سنة إحدى و ستين و أربعمئة. و فيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربس «١» بإفريقية ففتحها و أمّن أهلها. و فيها، فى المحرم، توفى الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف، و رثاه ابن الفضل و غيره من الشعراء، و عمّ مصابه المسلمين، و كان من أعيان الزمان، فمن أفعاله أنه تسلّم المارستان العضدى «٢»، و كان قد دثر و استولى عليه الخراب، فجدد فى عمارته، و جعل فيه ثمانية و عشرين طيبيا، و ثلاثة من الخزان، إلى غير ذلك، و اشترى له الأملاك النفيسة «٣»، بعد أن كان ليس به طيب و لا دواء، و كان كثير المعروف و الصلات و الخير، و لم يكن يلقب فى زمانه أحد بالشيخ «٤» الأجلّ سواه. و فى المحرم أيضا توفى أبو جعفر الطوسى، فقيه الإمامية، بمشهد أمير المؤمنين* على بن أبى طالب «٥»، عليه السلام

(١). الارنيس. A.

(٢). القصوى. A.

(٣). لنفسه. P.C.

(٤). الشيخ. P.C.

(٥). P.C.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩

٤٦١ ثم دخلت سنة إحدى و ستين و أربعمئة

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى صفر، أعيد فخر الدولة بن جهير إلى وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال: قد رجع الحق إلى نصابه، و أنت من كلّ الورى أولى به ما كنت إلّا السيف سلته يد، ثم أعادته إلى قرابه و هى طويلة. و فى شعبان احترق جامع دمشق. و كان سبب احتراقه أنه وقع «١» بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين و المشارقة، فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار، فاحترقت، و اتصلت بالجامع،* و كانت العامة تعين المغاربة، فتركوا القتال و اشتغلوا بإطفاء النار من الجامع «٢»، فعظم الخطب و اشتد الأمر، و أتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، و زال ما كان فيه من الأعمال النفيسة.

(١). للجامع. dda. A.

(٢). P.C.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠

٤٦٢ ثم دخلت سنة اثنتين و ستين و أربعمئة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف إلى الشام، ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها، وهزم محمود بن صالح بن مرداس، وبنى كلاب، وابن حسان الطائي، ومن معهما من جموع العرب، ثم إن ملك الروم ارتحل و عاد إلى بلاده، ولم يمكنه المقام لشدة الجوع.

وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها، وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل، فلما حصره أرسل القاضي إلى الأمير قتلوا «١»، مقدم الأتراك المقيمين بالشام، يستنجده، فسار في اثني [عشر] ألف فارس، فحصر مدينة صيدا، وهي لأمير الجيوش بدر، فرحل حينئذ بدر، فعاد الأتراك، فعاود بدر حصر صور بزا وبحرا سنة، و ضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار، ولم يبلغ غرضه فرحل عنها. وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة، و سبب ذلك

(١). قتلوا. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١

أن البهرج كثر في أيدي الناس على السكك «١» السلطانية، و ضرب اسم ولي العهد على الدينار «٢»، و سمي الأمير، و منع من التعامل بسواه.

وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم، و معه ولده، إلى السلطان ألب أرسلان، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله و للسلطان بمكة، و إسقاط خطبة العلوي، صاحب مصر، و ترك الأذان حتى على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار، و خلعا نفيسة، و أجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار. و قال: إذا فعل أمير* المدينة مهتأ «٣» كذلك، أعطناه عشرين ألف دينار، و كل سنة خمسة آلاف دينار.

وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير ببنه نظام الملك بالزوي و عاد إلى بغداد.

وفيها، في شهر رمضان، توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض بأصبهان و هو عائد من عند السلطان إلى خوزستان، و كان قد علا أمره، و تزوج بأخت السلطان، و بغى [١] على نور الدولة ديبس بن مزيد، و أغرى السلطان به ليأخذ بلاده، فلما مات سار ديبس إلى السلطان، و معه شرف الدولة مسلم، صاحب الموصل، فخرج نظام الملك فلقيهما، و تزوج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب، و عادا إلى بلادهما من همدان.

وفيها كان بمصر غلاء شديد، و مجاعة عظيمة «٤»، حتى أكل الناس بعضهم بعضا، و فارقوا الديار المصرية، فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع، و ورد التجار، و معهم ثياب صاحب مصر و آلاته، نهب من الجوع، و كان فيها أشياء كثيرة نهب من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى و ثمانين و ثلاثمائة* و مما نهب «٥» أيضا في فتنة البساسيري و خرج من خزائنهم

[١] و بغا.

(١). السكة. A.

(٢). الدنانير. A.

(٣). بها. A.

(٤). شديدة. P.C.

(٥). و فيها نهبت. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢

ثمانون ألف قطعة بلور كبار، و خمسة و سبعون ألف قطعة من الديداج القديم، و أحد عشر ألف كزاغند، و عشرون ألف سيف محلى، و قال ابن الفضل يمدح القائم بأمر الله، و يذكر الحال بقصيدة فيها:

قد علم المصرى أن جنوده سنو يوسف منها، و طاعون عمواس

أقامت به حتى استراب بنفسه، و أوجس منه خيفة أى إيجاس فى أبيات.

و فيها توفى أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى، كان أديبا، شاعرا، حسن القول، فمن قوله:

وا حسرتى من قولها: خان عهودى و لها

و حق من صيرنى وقفا عليها و لها

ما خطرت بخاطرى، إلا كستنى و لها و توفى محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطى الأديب، و انتهت الرحلة إليه فى الأدب، و له شعر، فمنه فى الزهد:

يا شائدا للقصور كهلا أقصر، فقصر الفتى الممات

لم يجتمع شمل أهل قصر، إلا قصاراهم الشتات

و إنما العيش مثل ظل، منتقل ما له ثبات و فيها توفى القاضى أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن حزم، قاضى دمشق، و أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى العجائز «١»، الخطيب بدمشق.

(١). P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣

٤٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث و ستين و أربعمائئة

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله و السلطان بحلب

فى هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمر المؤمنين القائم بأمر الله، و للسلطان ألب أرسلان. و سبب ذلك أنه رأى إقبال دولة السلطان، و قوتها، و انتشار دعوتها، فجمع أهل حلب و قال: هذه دولة جديدة، و مملكة شديدة، و نحن تحت الخوف منهم، و هم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم، و رأى أن نقيم الخطبة قبل أن يأتى «١» وقت لا ينفعنا فيه قول و لا بذل. فأجاب المشايخ «٢» [إلى] ذلك، و لبس المؤذنون السواد، و خطبوا للقائم بأمر الله و السلطان، فأخذت العامية حصر الجامع، و قالوا: هذه حصر على بن أبى طالب، فليات أبو بكر بحصر يصل على بالناس.

و أرسل الخليفة إلى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى، فلبسها، و مدحه ابن سنان الخفاجى، و أبو الفتيان بن حيوس، و قال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله، و يذكر الخطبة بحلب و مكة و المدينة:

كم طائع لك لم تجلب عليه، و لم تعرف لطاعته غير التقى سببا

هذا البشير ياذعان الحجاز، و ذاداعى دمشق و ذا المبعوث «٣» من حلبا

(١). يأتينا. A.

(٢). مشايخ. ddoC.

(٣). المنعوت. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب، وجعل طريقه على ديار بكر، فخرج إليه صاحبها، نصر بن مروان، وخدمه بمائة ألف دينار، وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنه قسّطها على البلاد، فأمر بردّها ووصل «١» إلى آمد فرآها ثغرا منيعا، فتبرّك به، وجعل يمرّ يده على السور ويمسح بها صدره.

وسار إلى الرّها فحصرها فلم يظفر منها بطائل، فسار إلى حلب وقد.

وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية، والخلع، فقال له محمود، صاحب حلب: أسألك الخروج إلى السلطان، والاستعفاء [١] لى من الحضور عنده، فخرج نقيب النقباء، وأخبر السلطان أنّه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال: أى شىء تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل؟ ولا بدّ من الحضور، ودوس بساطى، فامتنع محمود من ذلك.

فاشدّ الحصار على البلد، وغلّت الأسعار، وعظم القتال، وزحف السلطان يوما وقرب من البلد، فوقع [٢] حجر منجنيق فى فرسه، فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلا، ومعه والدته منيعة بنت وثّاب التّميرى، فدخل على السلطان وقالت له: هذا ولدى، فافعل به ما تحبّ. فتلقاهما بالجميل، وخلع على محمود وأعادته إلى بلده، فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلا «٢».

[١] واستعفاء.

[٢]- فوقعت.

(١). فنزل. A. الكامل في التاريخ ج ١٠ ٦٤ ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب ص: ٦٤

(٢). A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥

ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسرّه

في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم فى* مائتى ألف [١] من الروم، والفرنج، والغرب، والروس، والبجناك «١»، والكرج، وغيرهم، من طوائف تلك البلاد، فجاءوا فى تجمل كثير، وزىّ عظيم، وقصد بلاد الإسلام، فوصل إلى ملاز كرد من أعمال خلاط.

فبلغ السلطان ألب أرسلان الخبر، وهو بمدينة خوى «٢» من أذربيجان، قد عاد من حلب، وسمع ما هو ملك الروم فيه من كثرة الجموع، فلم يتمكّن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو، فسير الأثقال مع زوجته ونظام الملك إلى همذان، وسار هو فيمن عنده من العساكر، وهم خمسة عشر ألف فارس، وجدّ فى السير، وقال لهم: إننى أقاتل محتسبا صابرا، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى، وإن كانت الشهادة فإنّ ابنى ملك شاه وليّ عهدى، وساروا.

فلما قارب العدو جعل له مقدّمة، فصادفت مقدّمته، عند خلاط، مقدّم الروسيّة فى نحو عشرة آلاف من الروم، فاقتتلوا، فانهمزمت الروسيّة، وأسر مقدّمهم، وحمل إلى السلطان، فجدع أنفه، وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك، وأمره أن يرسله إلى بغداد، فلما تقارب

العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة، فقال: لا هدنة إلّا بالرّى، فانزعج السلطان لذلك، فقال له إمامه و فقيهه أبو نصر محمّد بن عبد الملك البخارى، الحنفى: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره و إظهاره على سائر الأديان، و أرجو أن يكون

[١] مائتين ألوف.

(١). و البحماك. P.C.A.mO.

(٢). خونج. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦

الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة، بعد الزوال، فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، و الدعاء مقرون بالإجابة.

فلما كانت تلك الساعة صلى بهم، و بكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، و دعا و دعوا معه «١»، و قال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما هاهنا سلطان يأمر و ينهى، و ألقى القوس و النّشاب، و أخذ السيف و الدّبوس، و عقد ذنب فرسه بيده، و فعل عسكره مثله، و لبس البياض، و تحنط، و قال: إن قتلت فهذا كفى.

و زحف إلى الروم، و زحفوا إليه، فلما قاربهم ترحّل و عفر وجهه على التراب، و بكى، و أكثر الدعاء، ثم ركب و حمل، و حملت العساكر معه، فحصل المسلمون فى وسطهم و حجز الغبار بينهم، فقتل المسلمون فيهم كيف شاءوا، و أنزل الله نصره عليهم، فانهمزم الروم، و قتل منهم ما لا يحصى، حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى، و أسر ملك الروم، أسره بعض غلمان كوهرائين، أراد قتله و لم يعرفه، فقال له خادم «٢» مع الملك: لا تقتله، فإنه الملك.

و كان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك، فردّه استحقاقاً له، فأثنى عليه كوهرائين، فقال نظام الملك: عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً، فكان كذلك.

فلما أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين، فقصد السلطان و أخبره بأسر الملك، فأمر بإحضاره، فلما أحضر ضربه السلطان ألب أرسلان ثلاث مقارع بيده و قال له: ألم أرسل إليك فى الهدنة فأبيت؟ فقال: دعنى من

(١). له. A.

(٢). خدمة. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧

التوبيخ، و افعل ما تريد! فقال السلطان: ما عزمت أن تفعل بى إن أسرتنى؟

فقال: أفعل القبيح. قال له: فما تظنّ أتنى أفعل بك؟ قال: إمّا أن تقتلنى، و إمّا أن تشهرنى فى بلاد الإسلام، و الأخرى بعيدة، و هى العفو، و قبول الأموال، و اصطناعى نائباً عنك. قال: ما عزمت على غير هذا.

ففداه بألف ألف دينار و خمس مائة ألف دينار، و أن يرسل «١» إليه عساكر الروم أى وقت طلبها، و أن يطلق كلّ أسير فى بلاد الروم، و استقرّ الأمر على ذلك، و أنزله فى خيمته، و أرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهّز بها، فأطلق له جماعة من البطارقة، و خلع عليه* من الغد «٢»، فقال ملك الروم: أين جهة الخليفة؟ فدّل عليها، فقام و كشف رأسه و أوما إلى الأرض بالخدمة، و هادنه السلطان خمسين سنه، و سيّره إلى بلاده، و سيّر معه عسكراً أوصلوه إلى مأمته، و شيّعه السلطان فرسخاً.

و أمّا الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد، فلما وصل أرمانيوس الملك إلى قلعة دوقية بلغه الخبر،

فلبس الصوف و أظهر الزهد، و أرسل إلى ميخائيل يعرّفه ما تقرّر مع السلطان، و قال: إن شئت أن تفعل ما استقرّ، و إن شئت أمسكت، فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقرّ، و طلب وساطته، و سؤال السلطان فى ذلك.

و جمع أرمانوس ما عنده من المال «٣» فكان مائتى ألف دينار،* فأرسله إلى السلطان، و طبق ذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار «٤»، و حلف له أنّه لا يقدر على غير ذلك، ثمّ إنّ أرمانوس استولى على أعمال الأرمن و بلادهم. و مدح الشعراء السلطان، و ذكروا هذا الفتح، فأكثرُوا.

(١). ينفذ. A.

(٢). A. mO.

(٣). الأموال. A.

(٤). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨

ذكر ملك أتسز «١» الرملة و بيت المقدس

فى هذه السنة قصد أتسز بن أوق «٢» الخوارزمي، و هو من أمراء السلطان ملك شاه، بلد الشام، فجمع الأتراك و سار إلى فلسطين، ففتح مدينة الرملة، و سار منها إلى البيت المقدس و حصره، و فيه عساكر المصريين، ففتحه، و ملك ما يجاورهما من البلاد، ما عدا عسقلان، و قصد دمشق فحصرها، و تابع النهب لأعمالها حتى خرّبها، و قطع الميرة عنها، فضاق الأمر بالناس، فصبروا، و لم يمكّنوه من ملك البلد، فعاد عنه، و أدام «٣» قصد أعماله و تخريبها حتى قلت الأوقات عندهم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن أحمد بن فوران الفوراني، الفقيه الشافعي، مصنّف كتاب الإبانة و غيره.

و فى هذه السنة، فى ذى الحجّة، توفّى الخطيب أبو بكر أحمد بن عليّ ابن ثابت البغدادى، صاحب التاريخ «٤» و المصنفات الكثيرة ببغداد، و كان إمام الدنيا فى زمانه، و ممّن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازى.

و توفّى أيضا فيها، فى شهر رمضان، أبو يعلى محمّد بن الحسين «٥» بن

(١). tsemutpircs أتسيس nemonv٦٤.abus

(٢). A. ابق.

(٣). P. C. أقام.

(٤). c ,tseateledxovcih .P .CnI aret tilodomamirpsuju ,tatseribilihim .ldoBnI .tserepus.

(٥). P. C. الحسن.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٩

حمزة الجعفرى، فقيه الإمامية، و حسان بن سعيد «١» بن حسان بن محمّد بن عبد الله المنيعى المخزومى من أهل مروالزود، كان كثير الصدقة و المعروف، و العبادة، و القنوع بالقليل من القوت، و الإعراض عن زينة الدنيا و بهجتها، و كان السلاطين «٢» يزورونه و يتبرّكون به، و أكثر من بناء المساجد و الخانقاهات و القناطر، و غير ذلك من مصالح المسلمين.

و توفيت أيضا، كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي، وهى التى تروى صحيح البخارى، توفيت بمكة، و إليها انتهى علو الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت.

(١). سعد. A.

(٢) يقصدونه و. A. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٠

٤٦٤ ثم دخلت سنة أربع و ستين و أربعمائى

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنيى بغداد

فى ربيع الأول من هذه السنة ورد أيتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان* إلى بغداد، فقصده دار الخلافة، و سأل العفو عنه، و أقام أياما، فلم يجب إلى ذلك.

و كان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره إلى السلطان، و جعله شحنة ببغداد، فقتل أحد المماليك الداريى، فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان، و وقع الخطاب فى عزله.

و كان نظام الملك يعنى بالسليمانى، فأضاف إلى إقطاعه تكريت، فكوتب و اليها، من ديوان الخلافة، بالتوقف عن تسليمها. فلما رأى نظام الملك و السلطان إصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنيى بغداد، سىر سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد شحنة، و عزل السليمانى عنها، أتباعا لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله، و لما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه، و جلس له الخليفة.

ذكر تزويج ولّى العهد بابنة السلطان

فى هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير، و معه الخلع للسلطان و لولده ملك شاه، و كان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذن

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧١

فى أن يجعل ولده ملك شاه ولّى عهده، فأذن، و سىرت له الخلع مع عميد الدولة، و أمر عميد الدولة أن يخطب ابنه السلطان ألب أرسلان من سفرى خاتون لولّى العهد المقتدى بأمر الله، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته، فأجيب إلى ذلك.

و عقد النكاح بظاهر نيسابور، و كان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح، و نظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد، و كان النثار جواهر، و عاد عميد الدولة من عند السلطان إلى «١» ملك شاه، و كان ببلاد فارس، فلقبه بأصبهان، فأفاض عليه الخلع، فلبسها و سار إلى والده، و عاد عميد الدولة إلى بغداد، فدخلها فى ذى الحجة.

ذكر ولاية أبى الحسن بن عمّار طرابلس

فى هذه السنة، فى رجب، توفى القاضى أبو طالب بن عمّار، قاضى طرابلس، و كان قد استولى عليها، و استبد بالأمر فيها، فلما توفى قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمّار. فضبط البلد أحسن ضبط، و لم يظهر لفقد عمّه أثر لكفايته.

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

فى هذه السنة سىّر السلطان ألب أرسلان وزيره نظام الملك فى عسكر إلى بلاد فارس، و كان بها حصن من أمنع الحصون و المعازل، و فيه صاحبه فضلون،

(١). السلطان. A. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٢

و هو لا يعطى الطاعة، فنازله و حصره، و دعاه إلى طاعة السلطان فامتنع، فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلو الحصن و ارتفاعه، فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلموا الحصن إليه، فعجب الناس من ذلك. و كان السبب فيه أن جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم، فلما طلبوا الأمان آمنهم نظام الملك، و تسلّم الحصن، و التجأ فضلون إلى قلعة القلعة، و هى أعلى موضع فيها، و فيه بناء مرتفع، فاحتفى فيها، فسىّر نظام الملك طائفة من العسكر إلى الموضع الذى فيه أهل فضلون و أقاربه ليحملوهم إليه و ينهبوا مالهم، فسمع فضلون الخبر، ففارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجند، و سار ليمنع عن أهله، فاستقبلته طلائع نظام الملك، فخافهم، ففترق من معه، و اختفى فى نبات الأرض، فوقع فيه بعض العسكر، فأخذه أسيراً، و حمله إلى نظام الملك، فأخذه «١» و سار به إلى السلطان فأمنه و أطلقه.

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدى بالله الخطيب بجامع المنصور، و كان قد أضر، و مولده سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، و كان إليه قضاء واسط، و خليفته عليها أبو محمد بن السمال.

(١). A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٣

٤٦٥ ثم دخلت سنة خمس و ستين و أربعمائة

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

فى أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان، و اسمه محمد، و إنما غلب عليه ألب أرسلان ما وراء النهر، و صاحبه شمس الملك تكين، فعقد على جيحون جسراً و عبر عليه فى نيف و عشرين يوماً، و عسكره يزيد على مائتى ألف فارس، فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمى، فى سادس شهر ربيع الأول، و حمل إلى قرب سريره مع غلامين، فتقدّم أن تضرب له أربعة أوتاد و تشد أطرافه إليها، فقال له يوسف: يا محنت! مثلى يقتل هذه القتلة؟ فغضب السلطان ألب أرسلان، و أخذ القوس و الشّاب، و قال للغلامين: خلتاه! و رماه السلطان بسهم فأخطأه، و لم يكن يخطئ سهمه، فوثب يوسف يريد، و السلطان على سده، فلما رأى يوسف يقصده قام عن السّدة و نزل عنها، فعرث، فوقع على وجهه، فبرك عليه يوسف و ضربه بسكين كانت معه فى خاصرته، و كان سعد الدولة واقفاً، فجرحه يوسف أيضاً بجراحات، و نهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى، و ضرب بعض الفرّاشين يوسف بمرزبة على رأسه، فقتله و قطع الأتراك.

و كان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر، و ما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيّما بخارى، اجتمعوا، و ختموا ختمات «١»، و سألوا الله أن يكفيهم

(١). ختماتان P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٤

أمره، فاستجاب لهم.

ولما جرح السلطان قال: ما من وجه قصدته، وعدو أردته، إلا استعنت بالله عليه، ولما كان أمس صعدت على تلّ، فارتجت الأرض تحتى من عظم الجيش و كثرة العسكر، فقلت فى نفسى: أنا ملك الدنيا، و ما يقدر أحد علىّ، فعجزنى [١] الله تعالى بأضعف خلقه، و أنا أستغفر الله تعالى، و أستقبله من ذلك الخاطر. فتوفى عاشر ربيع الأول من السنة، فحمل إلى مرو و دفن عند أبيه. و مولده سنة أربع و عشرين و أربعمائه، و بلغ من العمر أربعين سنة و شهوراً، و قيل كان مولده سنة عشرين و أربعمائه، و كانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة إلى أن قتل تسع سنين و ستة أشهر و أياماً، و لما وصل خبر موته إلى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به فى صحن السلام.

ذكر نسب أربسلان و بعض سيرته

هو أربسلان محمّد بن داود جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق، و كان كريماً، عادلاً، عاقلاً، لا يسمع السعيات، و اتسع ملكه جدّاً «١»، و دان له العالم، و بحق قيل له سلطان العالم. و كان رحيم القلب رفيقاً بالفقراء، كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه. اجتاز يوماً بمرو على فقراء الخرائين «٢»، فبكى، و سأل الله تعالى أن يغنيه من فضله.

[١]- فعجز بى.

(١) جيداً. a.

(٢) الخرايين. Idob. الحدائن. p.c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٥

و كان يكثر الصدقة، فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر ألف دينار، و كان فى ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء فى جميع ممالكه، عليهم الإدرات و الصلات، و لم يكن فى جميع بلاده جناية و لا مصادرة، قد قنع من الرعايا بالخراج الأصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم.

و كتب إليه بعض السعاة فى نظام الملك وزيره، و ذكر ما له فى ممالكه من الرسوم و الأموال، و تركت على مصلاه، فأخذها فقراها، ثم سلمها إلى نظام الملك و قال له: خذ هذا الكتاب، فإن صدقوا فى الذى كتبوه فهذب أخلاقك، و أصلح أحوالك، و إن كذبوا فاغفر لهم زلتهم و اشغلهم «١» بمهم يشغلون به عن السعاة بالناس.

و هذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوک أحسن منها.

و كان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوک و آدابهم، و أحكام الشريعة، و لما اشتهر بين الملوک حسن سيرته، و محافظته على عهده، أذعنوا له بالطاعة و الموافقة بعد الامتناع، و حضروا عنده من أقاصى ما وراء النهر إلى أقصى الشام.

و كان شديد العناية بكفّ الجند عن أموال الرعية، بلغه أن بعض خواص ممالكه سلب من بعض الرستاقية إزاراً، فأخذ الملوک و صلبه، فارتدع الناس عن التعرض إلى مال غيرهم.

و مناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها. و خُلف ألب أرسلان من الأولاد: ملك شاه، و هو صار السلطان بعده، و أياز، و تكش، و بورى برش «٢»، و تتش «٣»، و أرسلان أرغو، و ساره، و عائشة، و بنتا أخرى.

a.(١)

(٢) برس. p.cte.ldob.

a.(٣)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٦

ذكر ملك السلطان ملك شاه

لمّا جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملك شاه، و كان معه، و أمر أن يحلف له العسكر، فحلفوا جميعهم، و كان المتولّى للأمر فى ذلك نظام الملك، و أرسل ملك شاه إلى بغداد يطلب الخطبة له، فخطب له على منبرها، و أوصى ألب أرسلان ابنه ملك شاه أيضا أن يعطى أخاه قاورت بك بن داود أعمال فارس و كرمان، و شيئا عيّنه من المال، و أن يزوّج «١» [١] بزوجته، و كان قاورت بك بكرمان، و أوصى أن يعطى ابنه أياز «٢» بن ألب أرسلان ما كان لأبيه داود، و هو خمسمائة ألف دينار، و قال: كلّ من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه، و استعينوا بما جعلته له على حربته.

و عاد ملك شاه من بلاد ما وراء النهر، فعبّر العسكر الذى قطع النهر فى تيف و عشرين يوما فى ثلاثة أيام، و قام بوزارة ملك شاه نظام الملك، و زاد الأجناد فى معاشهم سبع مائة ألف «٣» دينار، و عادوا إلى خراسان، و قصدوا نيسابور، و راسل ملك شاه جماعة الملوكة أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له و الانقياد إليه، و أقام أياز أرسلان ببلخ و سار السلطان ملك شاه فى عساكره من نيسابور إلى الرى.

[١]- زوّج.

(١) يتزوج. a.

(٢) اباس. a.

a.(٣)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٧

ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ. و سبب ذلك أنه لمّا بلغه وفاة ألب أرسلان، و عود ابنه ملك شاه عن خراسان، طمع فى البلاد المجاورة له، فقصد ترمذ أول ربيع الآخر، و فتحها، و نقل ما فيها من ذخائر و غيرها إلى سمرقند و كان أياز «١» بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجوزجان «٢»، فخاف أهل بلخ، فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان، فأمنهم، فخطبوا له فيها، و ورد إليها، فنهب عسكره شيئا من أموال الناس، و عاد إلى ترمذ، فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوه، فعاد إليهم و أمر بإحراق المدينة، فخرج إليه أعيان أهلها و سأله الصفح، و اعتذروا، فعفا عنهم، لكنّه أخذ أموال التجار فغنم شيئا عظيما.

فلما وصل الخبر إلى أياز «٣» عاد من الجوزجان «٤» إلى بلخ، فوصل غزّة «٥» جمادى الأولى، فأطاعه أهلها، و سار عنها إلى ترمذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، فلقبهم عسكر التكين، فانهزم أياز «٦»، فغرق من عسكره في جيحون أكثرهم، و قتل كثير «٧» منهم، و لم ينج إلّا القليل.

(١) إلياس. a. idobte. إلياس. gramnitautxetni. أياز. c. p.

(٢-٤). الخوزجان. a.

(٣-٦) إلياس. ddoc.

(٥) إلى غزنة. a.

(٧). a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٨

ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند

و في هذه السنة أيضا، في جمادى الأولى، وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سكلكند، و بها عثمان عمّ السلطان ملك شاه، و يلقب بأمر الأُمراء، فأخذه أسيرا، و عادوا به إلى غزنة مع خزائنه و حشمه، فسمع الأمير كمشكين بلكابك، و هو من أكابر الأُمراء، فتبع آثارهم، و كان معه أنوشتكين جدّ ملوك خوارزم في زماننا، فنهبوا مدينة سكلكند.

ذكر الحرب بين السلطان ملك شاه و عمّه قاورت بك

لما بلغ قاورت بك، و هو بكرمان، وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للزّي يريد الاستيلاء على الممالك، فسبقه إليها السلطان ملك شاه و نظام الملك، و سارا* منها إليه «١»، فالتقوا بالقرب من همذان في «٢» شعبان، و كان العسكر يميلون إلى قاورت بك، فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملك شاه، فهزموها، و حمل شرف الدولة مسلم بن قريش، و بهاء الدولة منصور بن ديبس بن مزيد، و هما مع ملك شاه، و من معهما من العرب و الأكراد، على ميمنة قاورت بك فهزموها، و تمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك، و مضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملك شاه إلى حلال شرف الدولة، و بهاء الدولة، فنهبوا غيظا منهم، حيث هزموا عسكر قاورت بك، و نهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمّد الزينبيّ رسول الخليفة.

(١). فيها. c. p.

(٢). رابع. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٧٩

و جاء رجل سوادّي إلى السلطان ملك شاه، فأخبره أنّ عمّه قاورت بك في بعض القرى، فأرسل من أخذه و أحضره، فأمر سعد الدولة كوهرايين فخنقه، و أقرّ كرمان بيد أولاده، و سيّر إليهم الخلع، و أقطع العرب و الأكراد إقطاعات [١] كثيرة لما فعلوه في الواقعة. و كان السبب في حضور شرف الدولة، و بهاء الدولة، عند ملك شاه، أنّ السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة، فأرسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمّد الزينبيّ إلى شرف الدولة بالموصل، فأخذه و سار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة، فلما بلغ الزاب وقف على ملطّفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب، فأخذه شرف الدولة فغرقه، و سار مع طراد، فبلغهما الخبر بوفاء ألب أرسلان، و مسير ابنه ملك شاه، فتمّما إليه.

و أما بهاء الدولة فإنه كان قد سار بمال أرسله به أبوه إلى السلطان، فحضر الحرب «١» بهذا السبب.

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إنَّ عسكر ملك شاه بسطوا «٢» و مدّوا أيديهم فى أموال الرعيّة، و قالوا: ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلّا نظام الملك، فنال الرعيّة أذى شديدًا، فذكر ذلك نظام الملك للسلطان، فبين له ما فى هذا الفعل من الوهن، و خراب البلاد، و ذهاب السياسة، فقال له: افعل فى هذا ما تراه مصلحة! فقال له

[١]- إقطعات.

a.(١)

a.(٢) تبسطوا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٠

نظام الملك: ما يمكنى أن أفعل إلّا بأمرك.

فقال السلطان: قد رددت الأمور كلّها كبيرها و صغيرها إليك، فأنت الوالد، و حلف له، و أقطعه إقطاعا زائدا على ما كان، من جملته طوس مدينة نظام الملك، و خلع عليه، و لقبه ألقابا من جملتها: أتابك، و معناه الأمير الوالد، فظهر من كفايته، و شجاعته، و حسن سيرته ما هو مشهور، فمن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت به، فوقف يكلمها و تكلمه، فدفعه بعض حجّابه، فأنكر ذلك عليه و قال: إنّما استخدمتك لأمثال هذه، فإنّ الأمراء و الأعيان لا حاجة بهم إليك، ثم صرفه عن حجّابته [١].

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

فى هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو على الحسن «١» بن حمدان، و هو من أولاد «٢» ناصر الدولة بن حمدان، بمصر، و كان قد تقدّم فيها تقدّمًا عظيمًا.

و نذكر هاهنا الأسباب الموجبة لقتله، فإنّها تتبع بعضها بعضا، و فى حروب و تجارب، و كان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة، و فساد أحوال المستنصر بالله العلوى، صاحبها، و سببه أن والدته كانت غالبه على أمره، و قد اصطنعت أبا سعيد إبراهيم التستري «٣»، اليهودى، و صار وزيرًا لها، فأشار عليها بوزارة أبى نصر الفلاحى، فولّته الوزارة، و اتّفقا مدّة، ثم صار الفلاحى ينفرد بالتدبير، فوقع بينهما وحشة، فخافه الفلاحى أن يفسد أمره مع أمّ المستنصر،

[١] حجّيته.

a.(١). الحسين.

a.(٢) أحفاد.

p.c.(٣). المشتري.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨١

فاصطنع الغلمان الأتراك، و استمالهم، و زاد فى أرزاقهم، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهودى، فقتلوه، فعظم الأمر على أمّ

المستنصر، و أغرت به ولدها، فقبض عليه، و أرسلت من قتله تلك الليلة، و كان بينهما فى القتل تسعة أشهر. و وزر بعده أبو البركات حسن بن محمّد، فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد أحوالهم، و شرع يشتري العبيد للمستنصر، و استكثر منهم، فوضعت أمّ المستنصر ليغرى العبيد المجردين «١» بالأتراك، فخاف عاقبة ذلك، و علم أنّه يورث شرًا و فسادا، فلم يفعل، فتكررت له، و عزلته عن الوزارة.

و ولى بعده الوزارة أبو محمّد اليازورى من قرية من قرى الرملة اسمها يازور، فأمرته أيضا بذلك، فلم يفعل، و أصلح الأمور إلى أن قتل.

و وزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابلي، فأمرته بما أمرت به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك، ففعل، فتغيّرت نياتهم. ثم إنّ المستنصر ركب ليشيع الحجّاج، فأجرى بعض الأتراك فرسه، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين، و كانوا يحيطون بالمستنصر، فضربه أحدهم فجرحه، فعظم ذلك على الأتراك و نشبت بينهم الحرب، ثم اصطلحوا على تسليم الجراح «٢» إليهم، و استحكمت العداوة، فقال الوزير للعبيد: خذوا حذركم، فاجتمعوا فى محلّتهم.

و عرف الأتراك ذلك، فاجتمعوا إلى مقدّميهم، و قصدوا ناصر الدولة ابن حمدان، و هو أكبر قائد بمصر، و شكوا إليه، و استمالوا المصامدة، و كتامة، و تعاهدوا، و تعاقدوا، فقوى الأتراك، و ضعف العبيد المحدثون، فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك، فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس و راجل، فخاف الأتراك و شكوا إلى المستنصر، فأعاد

a.(١)

a.(٢) الخارج.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٢

الجواب أنّه لا علم له بما فعل العبيد، و أنّه لا حقيقة له، فظنّوا قوله حيلة عليهم.

ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم، فأجفل الأتراك، و كتامة، و المصامدة «١»، و كانت عدّتهم ستّة آلاف، فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش، و اقتتلوا، فانهزم الأتراك و من معهم إلى القاهرة، و كان بعضهم قد كمن فى خمسمائة فارس، فلما انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقفة العبيد و من معهم، و حملوا عليهم حملة منكرة، و ضربت البوقات، فارتاع العبيد، و ظلّوها مكيدة من المستنصر، و أنّه قد ركب فى باقى العسكر، فانهزموا، و عاد عليهم الأتراك و حكّموا فيهم السيوف، فقتل منهم و غرق «٢» نحو أربعين ألفا و كان يوما مشهودا.

و قويت نفوس الأتراك، و عرفوا حسن رأى المستنصر فيهم، و تجمّعوا، و حشدوا، فتضاعفت عدّتهم، و زادت واجباتهم للإنفاق فيهم، فخلت الخزانة، و اضطربت الأمور، و تجمّع باقى العسكر من الشام و غيره إلى الصعيد، فاجتمعوا مع العبيد، فصاروا خمسة عشر ألف فارس و راجل، و ساروا إلى الجيزة، فخرج عليهم الأتراك و من معهم، و اقتتلوا فى الماء عدّة أيام، ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان، فاقتتلوا، فانهزم العبيد إلى الصعيد، و عاد ناصر الدولة و الأتراك منصورين.

ثم إنّ العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر ألف فارس و راجل، فقلق الأتراك لذلك، فحضر مقدّموهم دار المستنصر لشكوى حالهم، فأمرت أمّ المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم «٣» على المقدّمين و الفتك بهم، ففعلوا ذلك، و سمع ناصر الدولة «٤» الخبر، فهرب إلى ظاهر البلد، و اجتمع الأتراك إليه،

a.(١)

(٢). و عرض.C.P

(٣). بالحرم. P.C.

(٤) tipicni anirognolcih

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٣

و وقعت الحرب بينهم و بين العبيد، و من تبعهم من مصر، و القاهرة، و حلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه و لا يذوق طعاما، حتى ينفصل الحال بينهم، فبقيت الحرب ثلاثة أيام، ثم ظفر بهم ناصر الدولة، و أكثر القتل فيهم، و من سلم هرب، و زالت دولتهم من القاهرة.

و كان بالإسكندرية جماعة كثيرة من العبيد، فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان، فأمنوا [١] و أخذت منهم الإسكندرية، و بقى العبيد الذين بالصعيد.

فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا فى المستنصر، و قلّ ناموسه عندهم، و طلبوا الأموال، فخلت الخزائن، فلم يبق فيها شيء البتة، و اختل ارتفاع الأعمال، و هم يطالبون، و اعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، فطلب ناصر الدولة العروض، فأخرجت إليهم، و قومت بالثمن البخس، و صرفت إلى الجند، قيل إن واجب الأتراك كان فى الشهر عشرين ألف دينار، فصار الآن فى الشهر أربعمائة ألف دينار. و أما العبيد بالصعيد فإنهم أفسدوا، و قطعوا الطريق، و أخافوا السبيل، فصار إليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير، فمضى العبيد من بين يديه إلى الصعيد الأعلى، فأدر كههم، فقاتلهم، و قاتلوه، فانهزم ناصر الدولة منهم و عاد إلى الجيزة «١» بمصر، و اجتمع إليه من سلم من أصحابه، و شغبوا على المستنصر، و اتهموه بتقوية العبيد و الميل إليهم. ثم جهّزوا جيشا و سيّروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد، و قاتلوه، فقتلت تلك الطائفة من العبيد، فوهن الباقون، و زالت دولتهم.

[١] فأؤمنوا.

(١). الحيرة. doc

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٤

و عظم أمر ناصر الدولة، و قويت شوكته، و تفرّد بالأمر دون الأتراك، فامتنعوا من ذلك، و عظم عليهم، و فسدت نيّاتهم له، فشكوا ذلك إلى الوزير، و قالوا: كلّمنا خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له و لحاشيته، و لا يصل إلينا منه إلّا القليل. فقال الوزير: إنّما وصل إلى هذا و غيره بكم، فلو فارقتموه لم يتم له أمر. فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة، و إخراجه من مصر، فاجتمعوا، و شكوا إلى المستنصر، و سأله أن يخرج عنهم ناصر الدولة، فأرسل إليه يأمره بالخروج، و يتهدّده إن لم يفعل، فخرج من القاهرة إلى الجيزة، و نهبت داره و دور حواشيه و أصحابه.

فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا إلى القائد المعروف بتاج الملوك شاذى، فقَبِلَ رجله، و قال: اصطنعنى! فقال: أفعل، فحالفه على قتل مقدّم من الأتراك اسمه الدكر، و الوزير الخطير، و قال ناصر الدولة لشاذى: تتركب فى أصحابك، و تسير بين القصرين، فإذا أمكنتك الفرصة فيهما [١] فاقتلها.

و عاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة. و فعل شاذى ما أمره، فركب الدكر إلى القصر، فرأى شاذى فى جمعه، فأنكره، و أسرع فدخل القصر، ففاته، ثم أقبل الوزير فى موكبه، فقتله شاذى، و أرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب، فركب إلى باب القاهرة، فقال الدكر للمستنصر: إن لم تتركب، و إلّا هلكت أنت و نحن. فركب، و لبس سلاحه، و تبعه خلق عظيم من العامية و الجند، و اصطفوا للقتال، فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم، و قتل من أصحابه خلق كثير، و مضى منهزما على وجهه لا يلقى على شيء، و تبعه فلّ أصحابه، فوصل إلى بنى سنبس، فأقام عندهم و صاهرهم فقوى بهم.

و تجهزت العساكر إليه ليعدوه، فساروا حتى قربوا منه، و كانوا ثلاث

[١] فيها.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٥

طوائف، فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه، فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة، و حمل عليه فقاتله، فظفر به ناصر الدولة، فأخذه أسيرا، و أكثر القتل فى أصحابه، و عبر العسكر الثانى، و لم يشعروا بما جرى على أصحابهم، فحمل ناصر الدولة عليهم، و رفع رءوس القتلى على الرماح، فوقع الرعب فى قلوبهم، فانهمزوا و قتل أكثرهم، و قويت نفس ناصر الدولة. و عبر العسكر الثالث، فهزمه و أكثر القتل فيهم، و أسر مقدمهم، و عظم أمره، و نهب الريف فأقطعه، و قطع الميرة عن مصر بزا و بحرا، فغلت الأسعار بها، و كثر الموت بالجوع، و امتدت أيدى الجند بالقاهرة إلى النهب و القتل، و عظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم فى ليلة واحدة.

و اشتد الغلاء، حتى حكى أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار، فاستبعد ذلك، فقيل: إنها باعت عروضها قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار، و اشترت بها حنطة، و حملها الحمال على ظهره، فنهبت الحنطة فى الطريق، فنهبت هى مع الناس، فكان الئذى حصل «١» لها ما عملته رغيفا واحدا.

و قطع ناصر الدولة الطريق بزا و بحرا، فهلك العالم، و مات أكثر أصحاب المستنصر، و تفرق كثير منهم، فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة فى الصلح، فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شاذى نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة، يحمل المال إليه، و لا يبقى «٢» معه لأحد حكم.

فلما دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغير عن القاعدة، و استبد بالأموال دون ناصر الدولة، و لم يرسل إليه منها شيئا، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة، و استدعى إليه شاذى و غيره من مقدمى الأتراك، فخرجوا إليه إلّا أقلهم، فقبض عليهم

(١). فصل. IdoB.

(٢). Idda. ما euqibi ,tinised .AnianucalciH

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٦

كلهم، و نهب ناحيتى مصر، و أحرق كثيرا منهما [١]، فسير إليه المستنصر عسكرا فكبسوه، فانهمز منهم و مضى هاربا، فجمع جمعا، و عاد إليهم فقاتلهم فهزمهم، و قطع خطبة المستنصر بالإسكندرية و دمياط، و كانا معه، و كذلك جمع الريف، و أرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر.

و اضمحل أمر المستنصر، و بطل ذكره، و تفرق الناس من القاهرة، و أرسل ناصر الدولة إليه أيضا يطلب المال، فرآه الرسول جالسا على حصير، و ليس حوله غير ثلاثة خدم، و لم ير الرسول شيئا من آثار المملكة، فلما أدى الرسالة قال: أما يكفى ناصر الدولة أن أجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير؟

فبكى الرسول، و عاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر، فأجرى له كل يوم مائة دينار، و عاد إلى القاهرة، و حكم فيها، و أذل السلطان و أصحابه «١».

و كان الئذى حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله، و يعيب المستنصر، و كان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد، و قبض على أم المستنصر، و صادرها بخمسين ألف دينار، و تفرق عن المستنصر أولاده و كثير من أهله إلى الغرب، و غيره [٢] من البلاد، فمات كثير منهم جوعا.

و انقضت سنة أربع و ستين [و أربعمائه] و ما قبلها بالفتن. و انحطّ السعر سنة خمس و ستين، و رخصت الأسعار، و بالغ ناصر الدولة فى إهانة المستنصر، و فرق عنه عامّة أصحابه، و كان يقول لأحدهم: إننى أريد أن أوليك عمل كذا، فيسير إليه، فلا يمكنه من العمل و يمنعه من العود، و كان غرضه بذلك

[١] كثير منها.

[٢] و غيرها.

(١). و أهانه. A

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٧

* أن يخطب [١] للخليفة القائم بأمر الله، و لا يمكنه مع وجودهم، ففطن لفعلة قائد كبير من الأتراك اسمه الدكر، و علم أنه متى ما تم ما أراد تمكّن منه و من أصحابه، فأطلع على ذلك غيره من قواد الأتراك، فاتفقوا على قتل ناصر الدولة،* و كان قد أمن لقوته، و عدم عدوّه «١» [٢]، فتواعدوا ليلة على ذلك، فلمّا كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاءوا إلى باب داره، و هى* التى تعرف بمنازل العزّ، و هى «٢» على النيل، فدخلوا، من غير استئذان، إلى صحن داره، فخرج إليهم ناصر الدولة فى رداء لأنه كان آمنًا منهم، فلمّا دنا منهم ضربوه بالسيوف، فسبّهم، و هرب منهم يريد الحرم، فلحقوه فضربوه حتّى قتلوه، و أخذوا رأسه.

و مضى رجل منهم، يعرف بكوكب الدولة، إلى فخر العرب، أخى ناصر الدولة، و كان فخر العرب كثير الإحسان إليه، فقال للحاجب: استأذن لى على فخر العرب، و قل صنيعتك فلان على الباب، فاستأذن له، فأذن له و قال:

لعلّه قد دهمه أمر. فلمّا دخل عليه أسرع نحوه كأنه يريد السلام عليه، و ضربه بالسيوف على كتفه، فسقط إلى الأرض، فقطع رأسه، و أخذ سيفه، و كان ذا قيمة و افرة، و أخذ جارية له أردفها خلفه، و توجه إلى القاهرة، و قتل أخوهما تاج المعالى، و انقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكليّة.

فلمّا كان سنة ست «٣» و ستين و أربعمائه ولى الأمر بمصر بدر الجمالى، أمير الجيوش، و قتل الدكر و الوزير ابن كدينه، و جماعة من المسلحة، و تمكّن من الدولة إلى أن مات، و ولى بعده ابنه الأفضل، و سيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى.

[١] ليخطب.

[٢] عدوّ.

P.c.mo.(٢-١)

(٣). سبع. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٨

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس.

و فيها توفى الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان، و الشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمّد بن المأمون ببغداد، و كان موته فى شوال، و مولده سنة أربع و سبعين و ثلاثمائه، و كان على الإسناد فى الحديث.

وفيهما، فى ذى الحجة، توفى الشريف أبو الحسين محمد بن على بن * عبد الله بن «١» عبد الصمد بن المهتدى بالله، المعروف بابن الغريق، و كان يسمى راهب بنى العباس، و هو آخر من حدث عن الدار الدارقطنى و ابن شاهين و غيرهما «٢»، و كان موته ببغداد. و فيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين «٣» بن حمدان بمصر، قتله الدكر التركى، و قد تقدم شرحه مستوفى. و فيها توفى الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى، النيسابورى، مصنف الرسالة و غيرها، و كان إماما، فقيها، أصوليا، مفسرا، كاتبا، ذا فضائل جمّة، و كان له فرس قد أهدى إليه، فركبه نحو عشرين سنة، فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فعاش أسبوعا و مات.

و فيها أيضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل أبو منصور، الكاتب المعروف بابن صرّ بعر، و كان نظام الملك قال له أنت ابن صرّ درّ، لا صرّ بعر، فبقى ذلك عليه، و هو من الشعراء المجيدى، و هجاه ابن البياضى فقال:

لئن نبز الناس قدما أباك، فسمّوه من شعره صرّ بعر

(١). P.c.mo.

(٢). a.

(٣). p.c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٨٩ فإنك تنظم ما صرّه عقوقا له، و تسميه شعرا و هذا ظلم من ابن البياضى، فإنه كان شاعرا محسنا، و من شعر ابن صرّ درّ قوله:

تزاورن عن أذرعات يمينا، نواشز ليس يطقن «١» البرينا

كلفن بنجد، كأنّ الرّياض أخذن لنجد عليها يمينا

و أقسمن يحملن إلّا نحيلاً إليه، و يبلغن إلّا حزينا

فلما استمعن زفير المشوق، و نوح الحمام، تركن الحنينا

إذا جئتما بانة الوادين، فأرخوا التّسوع، و حلّوا الوضينا

فثمّ علائق من أجلهنّ، ملاء الدّجى و الضّحى قد طوينا

و قد أنبأتهم مياه الجفون بأنّ بقلبك داء دفينا

(١). P.C. يطعن.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٠

٤٦٦ ثم دخلت سنة ست و ستين و أربعمائه

ذكر تقليد السلطان ملك شاه السلطنة و الخلع عليه

فى هذه السنة، فى صفر، ورد كوهرائين إلى بغداد من عسكر السلطان، و جلس له الخليفة القائم بأمر الله، و وقف على رأسه ولى العهد المقتدى بأمر الله، و سلّم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملك شاه بالسلطنة، و قرأ الوزير أوله، و سلّم إليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده، و لم يمنع يومئذ أحد من الدخول إلى دار الخلافة، فامتلا صحن السلام بالعامّة، حتّى كان الإنسان تهّمه نفسه ليتخلص، و هنا الناس بعضهم بعضا بالسلامة.

ذكر غرق بغداد

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي و بعض الغربي من بغداد.

و سببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة، و انفتح القورج عند المسناة المعزّية، و جاء في الليل سيل عظيم، و طفح الماء من البرية مع ريح شديدة، و جاء الماء إلى المنازل من فوق، و نبع من البلايع و الآبار بالجانب الشرقي، و هلك خلق كثير تحت الهدم، و شدّت الزواريق تحت التاج خوف الغرق.

و قام الخليفة يتضرّع و يصلّي، و عليه البردة، و بيده القضيب، و أتى ايتكين السلیماني من عكبرا، فقال للوزير: إن الملاحين يؤذون الناس في

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٩١

المعابر فأحضرهم، و تهددهم بالقتل، و أمر بأخذ ما جرت به العادة.

و جمع «١» الناس، و أقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين، و غرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد، و مشهد باب التبن، و تهدم سوره، فأطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف في عمارته، و دخل الماء من شبايك اليمارستان «٢» العضدي.

و من عجيب ما يحكى في هذا الغرق أن الناس، في العام الماضي، كانوا قد أنكروا كثرة المغنّيات و الخمور، فقطع بعضهم أوتار عود مغنّية كانت عند جندي، فثار به الجندي الذي كانت عنده، فضربه، فاجتمعت العامة و معهم كثير من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازي، و استغاثوا بالخليفة [١]، و طلبوا هدم المواخير و الحانات «٣» و تبطيلها، فوعدهم أن يكاتب السلطان في ذلك، فسكنوا و تفرّقا.

و لازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه، فاتفق أن غرقت بغداد، و نال الخليفة و الجند من ذلك أمر عظيم، و عمّت «٤» مصيبتة الناس كافة [٢]، فرأى الشريف أبو جعفر بن أبي موسى بعض الحجاب الذين يقولون: نحن نكاتب السلطان، و نسعى «٥» في تفريق الناس، و يقول: اسكنوا إلى أن يرد الجواب. فقال له أبو جعفر: قد كتبنا، و كتبتم، فجاء جوابنا قبل جوابكم، يعني أنهم شكوا ما حلّ بهم إلى الله تعالى، و قد أجابهم بالغرق، قبل ورود جواب السلطان.

[١] إلى الخليفة.

[٢] كافة الناس.

(١). و حمى. a

(٢). المارستان. a

(٣) و الخانات. c. p

(٤) و عظمت. a

(٥) و يسعى. a

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٢

ذكر ملك السلطان ملك شاه ترمذ و الهدنة بينه و بين صاحب سمرقند

قد ذكرنا أن خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان، فلما استقامت الأمور للسلطان ملك شاه سار إلى ترمذ و حصرها، و طمّ العسكر خندقها، و رماها بالمجانيق «١»، فخاف من بها، فطلبوا الأمان فأمنهم، و خرجوا منها و سلّموها.

و كان بها أخ لخاقان التكين، فأكرمه السلطان، و خلع عليه* و أحسن إليه «٢»، و أطلقه، و سلم قلعة ترمذ إلى الأمير ساوتكين، و أمره بعمارته و تحصينها و عمارة سورها بالحجر المحكم، و حفر خندقها و تعميقه، ففعل ذلك. و سار السلطان ملك شاه يريد سمرقند، ففارقها صاحبها، و أنفذ يطلب المصالحة، و يضرع إلى نظام الملك فى إجابته إلى ذلك، و يعتذر من تعرّضه إلى ترمذ، فأجيب إلى ذلك، و اصطلحوا، و عاد ملك شاه عنه إلى خراسان، ثم منها إلى الرى، و أقطع بلخ و طخارستان لأخيه شهاب الدين تكش.

ذكر عدّة حوادث

فيها توفى زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة، و له سبعون سنة، و قد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية. و فيها توفى أياز «٣» أخو السلطان ملك شاه، و كفى شرّه كما كفى شرّ عمّه

(١). بالمنجنيق. a.

(٢). mo. a

(٣). إلياس. ldob. أياز. p. c. إلياس. gramnita. إلياس.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٣

قاورت بك.

و فيها، فى ربيع الأوّل، توفى القاضى أبو الحسين أبى جعفر السّمنانىّ حمو قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانىّ، و ولى ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق و الموصل، و كان مولده سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة بسمنان، و كان هو و أبوه من المغالين «١» فى مذهب الأشعرىّ، و لأبيه فيه تصانيف كثيرة، و هذا ممّا يستطرف أن يكون حنفىّ أشعريّا. و فيها، فى جمادى الآخرة، توفى عبد العزيز أحمد بن محمّد بن علىّ أبو محمد الكتبانىّ، الدمشقىّ، الحافظ، و كان مكشرا فى الحديث، ثقة، و ممّن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادىّ.

(١). المضاهين. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٤

٤٦٧ ثم دخلت سنة سبع و ستين و أربعمائة «١»

ذكر وفاة القائم بأمر الله و ذكر بعض سيرته

فى هذه السنة، ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، توفى القائم بأمر الله أمير المؤمنين، رضى الله عنه، و اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد. و كان سبب موته أنه كان قد أصابه شرى، فافتصد، و نام منفردا «٢»، فانفجر فصاده، و خرج منه دم كثير و لم يشعر، فاستيقظ و قد ضعف و سقطت قوّته، فأيقن بالموت، فأحضر ولّى العهد، و وصّاه بوصايا، و أحضر النقيبين و قاضى القضاة و غيرهم مع الوزير ابن جهير، و أشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمّد بن القائم بأمر الله ولّى عهده. و لما توفى غسله الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمىّ، و صلّى عليه المقتدى بأمر الله.

و كان عمره ستًا [١] و سبعين سنه و ثلاثه أشهر و خمسه أيام، و خلافته أربعاً

[١] ستّ.

(١). tatsxe٤٣٤onnanimajta. ذكر خروج سكين بمصر ts, tsecih P.Cn idouqtupacmumirP .P.eed

A.(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٥

و أربعين سنه و ثمانيه أشهر و أياما «١» [١]، و قيل «٢» كان مولده ثامن «٣» عشر ذى الحجه «٤» سنه إحدى و تسعين و ثلاثمائة،* و على هذا يكون عمره ستًا و سبعين سنه و تسعه أشهر و خمسه و عشرين يوما «٥».

و أمه أمّ ولد تسمى قطر التدى، أرمته، و قيل رومته، أدركت خلافته، و قيل اسمها علم، و ماتت فى رجب سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه.

و كان القائم «٦» جميلا، مليح الوجه، أبيض، مشربا حمرة، حسن الجسم، زرعاً، ديناً، زاهداً، عالماً، قوى اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، و كان للقائم عناية بالأدب، و معرفةً حسنةً بالكتابة، و لم يكن يرتضى أكثر ما يكتب من الديوان، فكان يصلح فيه أشياء، و كان مؤثراً للعدل و الإنصاف «٧» يريد قضاء حوائج الناس، لا يرى المنع من شيء يطلب منه.

قال محمّد بن على بن عامر الوكيل: دخلت يوماً إلى المخزن، فلم يبق أحدٌ إلّا أعطانى قصّة، فامتألت أكمامى منها، فقلت فى نفسى: لو كان الخليفة أخى لأعرض عن هذه كلّها، فألقيتها فى بركه، و القائم ينظر و لا أشعر، فلمّا دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركه، فأخرجت، و وقف عليها، و وقع فيها بأغراض أصحابها، ثم قال لى: يا عامى! ما حملك على هذا؟ فقلت: خوف الضجر منها، فقال: لا تعد إلى مثلها! فإنّنا ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً، إنّما نحن وكلاء.

و وزير للقائم أبو طالب محمّد بن أيوب، و أبو الفتح بن دارست، و رئيس الرؤساء، و أبو نصر بن جهير، و كان قاضيه ابن ماكولا، و أبو عبد الله الدامغانى.

[١] و أيام.

(١) و خمسه و عشرين يوماً. a

a.(٢)

(٣) ثالث. c.p

(٤) القعدة. a

(٥) mo. c.p

a.(٦)

(٧) و الإحسان. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٦

ذكر خلافة المقتدى بأمر الله

لَمَّا تَوَفَّى القَائِم بِأَمْرِ اللَّهِ بُويعَ المَقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ القَائِمِ بالخِلافةِ، وَحَضَرَ مَوْيِدَ المَلِكِ بْنِ نِظَامِ المَلِكِ، وَالوَزِيرَ فِخْرَ الدَوْلَةِ بْنِ جَهِيرٍ وَابْنَهُ عَمِيدَ الدَوْلَةِ، وَالشَّيْخَ أَبُو إِسْحَاقَ، وَأَبُو نَصْرَ بْنَ الصَّبَّاحِ، وَنَقِيبَ النِّقْبَاءِ طَرَادَ، وَالنَّقِيبَ الطَّاهِرَ المَعْمَرِ بْنِ مُحَمَّدَ، وَقَاضِيَ القَضَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَامِغَانِيَّ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الأَعْيَانِ وَالأَمَاطِ، فَبَايَعُوهُ.

وَقِيلَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الشَّرِيفَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ أَبِي مُوسَى الهَاشِمِيِّ، فَإِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ غَسْلِ القَائِمِ بَايَعَهُ، وَأَنشَدَهُ:

إِذَا سَيِّدٌ مَنَّا مَضَى قَامَ سَيِّدٌ

ثُمَّ ارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ المَقْتَدِي:

قَوْلُ بِمَا قَالَ الكِرَامُ فَعُولٌ

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ البَيْعَةِ صَلَّى بِهِمُ العَصْرَ.

وَلَمْ يَكُنْ لِلقَائِمِ مِنْ أَعْقَابِهِ ذِكْرٌ سِوَاهُ، فَإِنَّ الذَّخِيرَةَ أَبَا العَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ القَائِمِ تَوَفَّى أَيَّامَ أَبِيهِ، وَلمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ، فَأَيَّقَنَ النَّاسَ بِانْقِرَاضِ نَسْلِهِ، وَانْتِقَالَ الخِلافةِ مِنَ البَيْتِ القَادِرِيِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَلمْ يَشْكُرُوا فِي اخْتِلَالِ الأَحْوَالِ بَعْدَ القَائِمِ، لِأَنَّ مِنْ عَدَا البَيْتِ القَادِرِيِّ كَانُوا يَخَالِطُونَ العَامَّةَ فِي البَلَدِ، وَيَجْرُونَ مَجْرَى السُّوقِ، فَلَوْ اضْطُرَّ النَّاسُ إِلَى خِلافةِ أَحَدِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ القَبُولُ، وَلا تِلْكَ الهَيْبَةُ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الذَّخِيرَةَ أَبَا العَبَّاسِ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا أَرْجَوَانُ، وَكَانَ يَلْمُ بِهَا، فَلَمَّا تَوَفَّى وَرَأَتْ مَا نَالَ القَائِمَ مِنَ المَصِيبَةِ وَاسْتَعْظَمَهُ مِنْ انْقِرَاضِ عَقْبِهِ، ذَكَرَتْ أَنَّهَا حَامِلٌ، فَتَعَلَّقَتْ النَّفُوسَ بِذَلِكَ، فَوَلَدَتْ بَعْدَ

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٧

موت سيدها بسنة أشهر المقتدى، فاشتد فرح القائم، وعظم سروره، وبلغ [في] الإشفاق عليه والمحبة له.

فَلَمَّا كَانَتْ حَادِثَةُ البِساسِيرِيِّ كَانَتْ لِلْمَقْتَدِيِّ قَرِيبٌ أَرْبَعُ سِنِينَ، فَأَخْفَاهُ أَهْلُهُ، وَحَمَلَهُ أَبُو الغَنَائِمِ بْنِ المَحْلَبَانِ إِلَى حَرَّانَ، كَمَا ذَكَرْنَا، وَلَمَّا عَادَ القَائِمَ إِلَى بَغْدَادَ أُعِيدَ المَقْتَدِي إِلَيْهِ. فَلَمَّا «١» بَلَغَ الحِلْمَ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدٍ، وَلَمَّا وَلِيَ الخِلافةَ أَقْرَبَ فِخْرَ الدَوْلَةَ بْنِ جَهِيرَ عَلَى وَزَارَتِهِ بِوَصِيَّةٍ مِنَ القَائِمِ بِذَلِكَ، وَسَيَّرَ عَمِيدَ الدَوْلَةَ بْنَ فِخْرَ الدَوْلَةَ بْنِ جَهِيرَ إِلَى السُّلْطَانَ مَلِكِ شَاهٍ لِأَخْذِ البَيْعَةِ، وَكَانَ مَسِيرُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُرْسِلَ مَعَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الهَدَايَا مَا يَجَلُّ عَنْ [١] الوَصْفِ.

ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فِي شَوَّالٍ، وَقَعَتْ نَارُ بَغْدَادَ «٢» فِي دَكَّانِ خَبَّازِ بِنَهْرِ المَعْلِيِّ، فَاحْتَرَقَتْ مِنَ السُّوقِ مِائَةٌ «٣» وَثَمَانُونَ [٢] دَكَّانًا سِوَى الدَّوْرِ، ثُمَّ وَقَعَتْ نَارٌ فِي المَأْمُونِيَّةِ، ثُمَّ فِي الظَّفَرِيَّةِ، ثُمَّ فِي دَرْبِ المَطْبَخِ، ثُمَّ فِي دَارِ الخَلِيفَةِ، ثُمَّ فِي حَمَّامِ السَّمْرَقَنْدِيِّ، ثُمَّ فِي بَابِ الأَزْجِ وَدَرْبِ خِرَاسَانَ «٤»، ثُمَّ فِي الجَنْبِ الغَرْبِيِّ فِي نَهْرِ طَابِقٍ، وَنَهْرِ القَلَائِنِ، وَالقَطِيعَةِ، وَبَابِ البَصْرَةِ، وَاحْتَرَقَ «٥» مَا لَا يَحْصَى. وَفِيهَا أُرْسِلَ المَسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ العُلُوِّيُّ، صَاحِبُ مِصْرَ، إِلَى صَاحِبِ مَكَّةَ ابْنِ أَبِي

[١] من.

[٢] وثمانين.

(١). سمع أنه. dda. a.

a.(٢)

p.c.(٣)

a.(٤) فراسيا.

(٥). و أرسل. p.c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٨

هاشم رسالته و هديه جليله، و طلب منه أن يعيد له الخطبه بمكة، حرسها الله تعالى، و قال: إن أيمانك و عهدك كانت للقائم، و للسلطان ألب أرسلان، و قد ماتا، فخطب له بمكة و قطع خطبه المقتدى، و كانت مدته الخطبه العباسيه بمكة أربع سنين و خمس أشهر، ثم أعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان و ستين [و أربعمائه].

و فيها كانت حرب شديدة بين بنى رباح و زغبة ببلاد إفريقيه، فقويت بنو رباح على زغبة فهزموهم و أخرجوهم عن البلاد. و فيها جمع نظام الملك، و السلطان ملك شاه، جماعة من أعيان المنجمين، و جعلوا التيروز «١» أول نقطه من الحمل، و كان التيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت. و صار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم.

و فيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملك شاه، و اجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم: عمر بن إبراهيم الخيامي، و أبو المظفر الإسفزاری، و ميمون ابن النجيب الواسطي، و غيرهم، و خرج عليه من الأموال شىء عظيم، و بقى الرصد دائرا إلى أن مات السلطان سنة خمس و ثمانين و أربعمائه، فبطل * بعد موته «٢».

(١) النوروز. p.c.

(٢) p.c.mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٩٩

٤٦٨ ثم دخلت سنة ثمان و ستين و أربعمائه

ذكر ملك أقيس دمشق

قد ذكرنا سنة ثلاث «١» و ستين [و أربعمائه] ملك أقيس الرمله، و البيت المقدس، و حصره مدينه دمشق، فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند إدراك الغلات فيأخذها، فيقوى هو و عسكره، و يضعف أهل دمشق و جندها، فلما كان رمضان سنة سبع و ستين سار إلى دمشق فحصرها، و أميرها المعلّى بن حيدر من قبل الخليفة المستنصر، فلم يقدر عليها، فانصرف عنها فى شوال، فهرب أميرها المعلّى فى ذى الحجة.

و كان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند و الرعيه و ظلمهم، فكثر الدعاء عليه، و ثار به العسكر، و أعانهم العامة، فهرب منها إلى بانياس، ثم منها إلى صور، ثم أخذ إلى مصر فحبس بها، فمات محبوبا.

فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامده، و ولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي، المعروف برزين الدوله، و غلت الأسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا.

و وقع الخلف بين المصامده و أحداث البلد، و عرف أقيس «٢» ذلك، فعاد إلى دمشق، فنزل عليها فى شعبان من هذه السنه، فحصرها، فعدمت «٣» الأقوات،

(١). إحدى. p.c.

(٢) h.اتسز. a.

(٣) فغلت. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٠

فبيعت الغرارة، إذا وجدت، بأكثر من عشرين ديناراً، فسلموها إليه بأمان،* و عوّض انتصار عنها بقلعة بانياس، و مدينة يافا من الساحل «١»، و دخلها هو و عسكره فى ذى القعدة، و خطب بها يوم الجمعة لخمسة [١] بقين من ذى القعدة، للمقتدى بأمر الله الخليفة العباسى، و كان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين، و تغلب على أكثر الشام، و منع الأذان بحى على خير العمل، ففرح أهلها فرحاً عظيماً، و ظلم أهلها، و أساء السيرة فيهم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج و أخذها من الروم. و فيها قدم سعد الدولة «٢» كوهرائين شحنه إلى بغداد من عسكر السلطان، و معه العميد أبو نصر ناظراً فى أعمال بغداد. و فيها وثب الجند بالطيحة على أميرها أبى نصر بن الهيثم، و خالفوا عليه، فهرب منهم، و خرج من ملكه و الذخائر و الأموال التى جمعها فى المدّة الطويلة، و لم يصحبه من ذلك جميعه شىء، و صار نزيلاً على كوهرائين شحنه العراق. و فيها انفجر البثوق بالفلوجة، و انقطع الماء من النيل و غيره من تلك الأعمال من بلاد ديبس بن مزيد، فجلا أهل البلاد، و وقع الوباء فيهم، و لم

[١] بخمس.

P. c. mo. (١)

(٢) الدين. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠١

يزل كذلك إلى أن سدّه عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين و سبعين [و أربعمائه].

و فى هذه السنة توفى أبو على الحسن «١» بن القاسم بن محمد المقرئ، المعروف بغلام الهزاس الواسطى، بها، و كان محدثاً علماً فى كثير من العلوم.

و فى شعبان توفى القاضى أبو الحسين «٢» محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى، و كان يدرّس الفقه بدرج السلولى بالكرك، و هو زوج ابنة القاضى أبى الطيب الطبرى، و عبد الرحمن* بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد ابن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداودى، راوى صحيح البخارى، ولد سنة أربع و سبعين و ثلاثمائه، و سمع الحديث و تفقه للشافعى على أبى بكر القفال، و أبى حامد الأسفراينى، و صحب أبى على الدقاق، و أبى عبد الرحمن السلمى، و كان عابداً خيراً، قصده نظام الملك، فجلس بين يديه، فوعظه، و كان فى قوله: إن الله تعالى سلطك على عباده، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم، فبكى. و كان موته ببوشنج.

* و فيها توفى أبو الحسن على بن أحمد* بن محمّد بن متويه «٤» الواحدى المفتى،* مصنف الوسيط، و البسيط، و الوجيز، فى التفسير، و هو نيسابورى، إمام «٥» مشهور، و أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست، وزير القائم، توفى بالأهواز، و محمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصيّف النيسابورى، الفقيه الشافعى، تفقه على أبى محمّد الجوينى، و سمع من الحاكم أبى عبد الله و أبى عبد الرحمن السلمى و غيرهما.

و فيها توفى مسعود بن المحسن «٦» بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى

(١). الحسين. a

(٢). الحسن. a

(٣). mo. a

(٤). mo. p.c

(٥). mo. p.c

(٦). الحسن. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٢

الشاعر، له شعر مطبوع، فمنه قوله:

يا من لبست لبعده ثوب الضنى، حتى خفيت به عن العواد
 و أنست بالسهر الطويل، فأنسيت أجفان عيني كيف كان رقادي
 إن كان يوسف بالجمال مقطّع الأيدي، فأنت مفتت الأكباد
 الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٣

٤٦٩ ثم دخلت سنة تسع و ستين و أربعمائه

ذكر حصر أقيس مصر و عوده عنها

فى هذه السنة سار أقيس من دمشق إلى مصر، و حصرها، و ضيق على أهلها، و لم يبق غير أن يملكها، فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ فى الجامع، و بكوا و تضرعوا و دعوا، فقبل الله دعاءهم، فانهزم أقيس من غير قتال، و عاد على أقبح صورة بغير سبب، فوصل إلى دمشق و قد تفرق أصحابه، فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه و أمواله «١»، فشكرهم، و رفع عنهم الخراج تلك السنة. و أتى البيت المقدس، فرأى أهله قد قبّحوا على أصحابه و مخلفيه، و حصرهم [١] فى محراب داود، عليه السلام، فلمّا قارب البلد تحصن أهله منه و سبّوه، فقاتلهم، ففتح البلد عنوة و نهبه، و قتل من أهله فأكثر حتى قتل من التجأ إلى المسجد الأقصى، و كفّ عمّن كان عند الصخرة وحدها.

هكذا يذكر الشاميون* هذا الاسم «٢» أقيس، و الصحيح أنه «٣» أئسز، و هو اسم تركي، و قد ذكر بعض مؤرخى الشام أن أئسز لما وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدر العساكر، و استمدّ العرب و غيرهم من أهل البلاد، فاجتمع

[١] و حصرهم.

(١). a

(٢). a

(٣). a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٤

معه خلق كثير، و اقتتلوا، فانهزم أئسز، و قتل أكثر أصحابه، و قتل أخ له، و قطعت يد أخ آخر، و عاد منهزما إلى الشام فى نفر قليل من عسكره، فوصل إلى الرملة، ثم سار منها إلى دمشق.

و حكى لى من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر: أن أتسر لَمَا وصل إلى مصر و نزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة فى الناس، و ظلموهم، و أخذوا أموالهم، و فعلوا الأفاعيل القبيحة، فأرسل رؤساء القرى و مقدّموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون إليه ما نزل بهم، فأعاد الجواب بأنّه عاجز عن دفع هذا العدو، فقالوا له: نحن نرسل إليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك، و من ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا، و عسكر هذا العدو قد أمنوا، و تفرّقوا فى البلاد، فتثور بهم فى ليلة واحدة و نقتلهم، و تخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال، فلا يكون له بك قوّة. فأجابهم إلى ذلك.

و أرسلوا إليه الرجال، و ثاروا كلّهم فى ليلة واحدة بمن عندهم، فأوقعوا بهم، و قتلوهم عن آخرهم، و لم يسلم منهم إلّا من كان عنده فى عسكره، و خرج إليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة، فلم يقدر على الثبات لهم، فولّى منهزما، و عاد إلى الشام، و كفى أهل مصر شرّه و ظلمه.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الأستاذ أبى القاسم القشيري حاجًا، و جلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس، و فى رباط شيخ الشيوخ، و جرى له مع الحنابلة فتن لأنّه تكلم على مذهب الأشعرى، و نصره، و كثر أتباعه و المتعصّيون له، و قصد خصومه من الحنابلة، و من تبعهم، سوق المدرسة النظامية. و قتلوا جماعة.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٥

و كان من المتعصّيين للقشيري الشيخ أبو إسحاق، و شيخ الشيوخ، و غيرهما من الأعيان «١»، و جرت بين الطائفتين أمور عظيمة. و فيها تزوّج الأمير على بن أبى منصور بن فرامر بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه أرسلان خاتون بنت داود عمّة السلطان ملك شاه التى كانت زوجة القائم بأمر الله.

و فيها كان بالجزيرة، و العراق، و الشام و بلاء عظيم، و موت كثير، حتّى بقى كثير [من] الغلّات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس.

و فيها مات محمود بن مرداس، صاحب حلب، و ملك بعده ابنه نصر، فمدحه ابن حَيّوس بقصيدة يقول فيها:

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها، فلا افترت ما ذبّ «٢» عن ناظر شعر

ضميرك و التّوى و جودك و الغنى و لفظك و المعنى و عزمك و النّصر

و كان لمحمود بن نصر سجيئه و غالب ظنّى أن سيخلفها «٣» نصر فقال: و الله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له. و أمر له بما كان يعطيه أبوه، و هو ألف دينار، فى طبق فضة.

و كان على بابة جماعة من الشعراء، فقال بعضهم:

على بابك المعمور منّا عصابة مفاليس فانظر فى أمور المفاليس

و قد قنعت منك العصابة كلّها بعشر الذى أعطيته لابن حَيّوس

و ما بيننا هذا التقارب «٤» كلّه، و لكن سعيد لا يقاس بمنحوس

(١). الأئمة. a.

(٢). فر. a.

(٣). سيخلف. I. flubaatI. lanna. III. p. ٢٤٢. ddoc.

(٤). التفاوت. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٦
 فقال لو قال: بمثل الذي أعطيته، لأعطيتهم ذلك، و أمر لهم بمثل نصفه.
 و فيها توفي اسبه دوست بن محمّد بن الحسن أبو منصور الديلمي الشاعر، و كان قد لقي ابن الحجّاج، و ابن نباتة، و غيرهما، و كان يتشيع، و تركه، و قال في ذلك:
 و إذا سئلت عن اعتقادي قلت: ما كانت عليه مذاهب الأبرار
 و أقول: خير الناس بعد محمّد صدّيقه و أنيسه في الغار و فيها توفيّ رئيس العراقيين أبو أحمد النهاونديّ الّذي كان عميد بغداد، و الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميّ الحنبلّي، و رزق الله بن محمّد بن أحمد ابن عليّ أبو سعد «١» الأنباريّ الخطيب، الفقيه، الحنفيّ، سمع الحديث الكثير، و كان ثقة حافظا، و طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحويّ، المصريّ «٢»، توفيّ في رجب، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته، و عبد الله ابن محمّد بن عبد الله بن عمر بن أحمد المعروف بابن هزارمرد، الصّيريفينيّ، راوية أحاديث عليّ بن الجعد، و هو آخر من رواها، و كان ثقة، صالحا، و من طريقه سمعناها.

(١). سعيد. a.

(٢). المصري. p.c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٧

٤٧٠ ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائه

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنّة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من العسكر.
 و فيها اصطلح تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مع الناصر بن علناس، و هو من بني حمّاد، عمّ جدّه، و زوجته تميم ابنته بلارة، و سيّرها إليه من المهديّة في عسكر، و أصحابها من الحلّيّ و الجهاز ما لا يحُدّ، و حمل الناصر ثلاثين ألف دينار، فأخذ منها تميم دينارا واحدا و ردّ الباقي.
 و فيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب.
 و كان ببغداد، في هذه السنّة، فتنة بين أهل سوق المدرسة و سوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد، فنهب بعضهم بعضا، و كان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة، فأرسل إلى العميد و الشحنة فحضررا و معهما الجند، فضربوا الناس، فقتل بينهم جماعة و انفصلوا «١».

و في هذه السنّة، في ربيع الأوّل، توفيّ القاضي أبو عبد الله محمّد بن محمّد* ابن محمّد «٢» بن البيضاويّ، الفقيه الشافعيّ، و كان القاضي أبو الطيّب الطبريّ جدّه لأمه.
 و فيها توفيّ أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو

(١). tatsxe .Ani ,assimooitini ,siti pacoitpircsniciH.

(٢). A.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٨
 الحسين البرزازى فى رجب، و كان مكثرا من الحديث، ثقة فى الرواية، و أحمد ابن عبد الملك بن على أبو صالح المؤذن النيسابورى، كان يعظ و يؤذن، و كان كثير الرواية، حافظا، و مولده سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة، و عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني أبو القاسم بن أبى عبد الله الحافظ، له تصانيف كثيرة، منها: تاريخ أصبهان، و له طائفة ينتمون إليه فى الاعتقاد من أهل أصبهان، يقال لهم العبد رحمانية.

و فى سؤال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير، نفساء بولد مات من يومه، و دفنا بدار الخلافة، و لم تجر بذلك عادة لأحد، فعل ذلك إكراما لأبيها، و جلس الوزير فخر الدولة بن جهير، و ابنه عميد الدولة زوجها، للجزء فى دار بباب العامة ثلاثة أيام.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٠٩

٤٧١ ثم دخلت سنة إحدى و سبعين و أربعمائة

ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة

فى هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بأمر الله، و وزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين. و كان السبب فى ذلك أن أبا نصر بن القشيري ورد إلى بغداد، على ما تقدم ذكره، و جرى له الفتن مع الحنابلة، لما ذكر مذهب الأشعرية، و نصره، و عاب من سواهم، و فعلت الحنابلة و من معهم ما ذكرناه، نسب أصحاب نظام الملك ما جرى إلى الوزير فخر الدولة، و إلى الخدم، و كتب أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الواسطي الفقيه الشافعي إلى نظام الملك:

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام

و ابنك [١] القاطن فيهما مستهان مستضام

و بها أودى له قتلى «١» غلام، و غلام الذى منهم تبقى

سالما فيه سهام

[١] و بقى.

(١). قتلا. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٠ يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام

عظم الخطب، و للحرب اتصال، و دوام

فمتى لم تحسم الداء ياديك الحسام

و يكف القوم فى بغداد قتل، و انتقام

فعلى مدرسة فيها، و من فيها السلام

و اعتصام بحريم لك، من بعد، حرام فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن، و قصد مدرسته، و القتل بجوارها، مع أن ابنه مؤيد الملك فيها، عظم عليه، فأعاد كوهرائين إلى شحنكية العراق، و حملة رسالة إلى الخليفة المقتدى بأمر الله تتضمن [١] الشكوى من بنى جهير، و سأل عزل فخر الدولة من الوزارة، و أمر كوهرائين بأخذ أصحاب بنى جهير، و إيصال المكروه إليهم و إلى حواشيهم.

فسمع بنو جهير الخبر، فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه، و تجنب الطريق، و سلك الجبال خوفاً أن يلقاه كوهرايين و يناله فيها أذى، فلما وصل كوهرايين إلى بغداد اجتمع بالخليفة و أبلغه رسالة نظام الملك، فأمر فخر الدولة بلزوم منزله. و وصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطاني، و لم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد إلى ما ألفه منه، و زوجته بابنة بنت «١» له، و عاد إلى بغداد في العشرين من جمادى الأولى، فلم يرّد الخليفة أباه إلى وزارته، و أمرهما بملازمة منازلهما، و استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين.

[١] يتضمّن.

(١). ابن A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١١

ثم إن نظام الملك راسل الخليفة في إعادته بنى جهير إلى الوزارة، و شفّع في ذلك، فأعيد عميد الدولة إلى الوزارة، و أذن لأبيه فخر الدولة في فتح بابه، و كان ذلك في صفر سنة اثنتين و سبعين [و أربعمئة].

ذكر استيلاء تش على دمشق

في هذه السنة ملك تاج الدولة تش بن ألب أرسلان دمشق.

و سبب ذلك أن أخاه السلطان ملك شاه أقطعه الشام، و ما يفتح في تلك النواحي، سنة سبعين و أربعمئة، فأتى حلب و حصرها، و لحق أهلها مجاعة شديدة، و كان معه جمع كثير من التركمان، فأنفذ إليه أقيس، صاحب دمشق، يستنجده، و يعرفه أن عساكر مصر قد حصرته بدمشق.

و كان أمير الجيوش بدر قد سيّر عسكرا من مصر، و مقدّمهم قائد يعرف بنصر «١» الدولة، فحصر دمشق، فأرسل أقيس إلى تاج الدولة تش يستنصره، فسار إلى نصره أقيس، فلما سمع المصريون بقربة أجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين، و خرج أقيس إليه يلتقيه عند سور البلد، فاغتاظ منه تش حيث لم يبعد في تلقّيه، و عاتبه على ذلك، فاعتذر بأمر لم يقبلها تش، فقبض عليه في الحال، و قتله من ساعته، و ملك البلد، و أحسن السيرة في أهله، و عدل فيهم.

قد ذكر ابن الهمذاني و غيره من العراقيين أن ملك تش دمشق كان هذه السنة، و ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق أن ملكه إياها كان سنة اثنتين و سبعين [و أربعمئة].

(١). بنصير A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٢

ذكر عده حوادث

في هذه السنة ولد الملك بركيارق ابن السلطان ملك شاه.

و فيها، في المحرم، وصل سعد الدولة كوهرايين إلى بغداد، و ضرب الطبل على باب داره، أوقات الصلوات، و كان قد طلب ذلك من قبل، فلم يجب إليه لأنه لم تجر به عادة.

و فيها توفي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردّي، الجواني، في شهر ربيع الأول، و دفن بطسفونج.

وفى رجب توفى أبو على بن البنا المقري الحنبلى، و له مصنفات كثيرة، و سليم الجورى «١» بناحية جور «٢» من دجيل، و كان زاهدا، يعمل، و يأكل من كسبه، و لم يكلف أحدا حاجة، و أقام بطنزة من ديار بكر، و هى كثيرة الفواكه، فلم يأكل بها فاكهة البتة.

(١). الحوزى. A.

(٢). حوزى. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٣

٤٧٢ ثم دخلت سنة اثنتين و سبعين و أربعمائئة

ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند

فى هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند، فحصر قلعة أجود «١»، و هى على [١] مائة و عشرين فرسخا من لهاور، و هى قلعة حصينة، فى غاية الحصانة، كبيرة، تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة، فقاتلوه، و صبروا تحت الحصر، و زحف إليهم غير مرة، فأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا و رعبا، فسلموا القلعة* إليه فى الحادى و العشرين من صفر هذه السنة. و كان فى نواحى الهند قلعة «٢» يقال لها قلعة «٣» روبال «٤»، على رأس جبل شاهق، و تحتها غياض أشبه، و خلفها البحر، و ليس عليها قتال إلا من مكان ضيق، و هو مملوء بالفيلة المقاتلة، و بها من رجال الحرب ألوف كثيرة، فتابع عليهم الوقائع، و ألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب، و ملك القلعة، و استنزلهم [٢] منها. و فى موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركى من قديم الزمان، و لم يتعرض إليهم أحد من

[١] ما.

[٢] و انتزلهم.

(١). أخود. A.

(٢). P.C.mO.

(٣). p.C.

(٤). وبال. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٤

الملوك، فسار إليهم إبراهيم «١»، و دعاهم إلى الإسلام أولا، فامتنعوا من إجابته، و قاتلوه، فظفر بهم، و أكثر القتل فيهم، و تفرق من سلم فى البلاد، و سبى [١] و استرق من النسوان و الصبيان مائة ألف. و فى هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره، يشرب منه أهل القلعة و جميع ما عندهم من دابة، و لا يظهر فيه نقص.

وفى بلاد الهند موضع يقال له وره، و هو برّ بين خليجين، فقصد الملك إبراهيم، فوصل إليه فى جمادى الأولى، و فى طريقه عقبات «٢» كثيرة، و فيها أشجار ملتفة، فأقام هناك ثلاثة أشهر و لقي الناس من الشتاء شدة، و لم يفارق الغزوة «٣» حتى أنزل الله نصره على أوليائه، و ذلّه على أعدائه، و عاد إلى غزنه سالما مظفرا.

هذه الغزوات لم أعرف تاريخها، و أما الأولى فكانت هذه السنة «٤»، فلهذا أوردتها متتابعة في هذه السنة.

ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب

في هذه السنة ملك «٥» شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي، صاحب الموصل «٦»، مدينة حلب. و سبب ذلك أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان «٧» حصرها «٨» مرّة بعد أخرى، فاشتدّ الحصار بأهلها، و كان شرف الدولة يواصلهم بالغلات و غيرها.

[١] و سبا.

(١). أولاً P.C.

(٢). عقبان A.

(٣). العرصه A.

(٤). P.C.mO.

(٥). سار a.

(٦). إلى dda. a

(٧). mo. a

(٨). فحصرها a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٥

ثم إن تتش حصرها هذه السنة، و أقام عليها أيّاما و رحل عنها و ملك بزاعة و البيرة، و أحرق ربض عزاز، و عاد إلى دمشق. فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها إليه، فلما قاربها امتنعوا من ذلك، و كان مقدّمهم يعرف بابن الحيتي «١» العبّاسي، فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعه له، فأسره أحد التركمان، و هو صاحب حصن بنواحي حلب، و أرسله إلى شرف الدولة، فقرر معه أن يسلم البلد إليه إذا أطلقه، فأجاب إلى ذلك، فأطلقه، فعاد إلى حلب، و اجتمع بأبيه، و عزّفه ما استقرّ، فأذعن إلى تسليم البلد، و نادى بشعار شرف الدولة، و سلّم البلد إليه، فدخله سنة ثلاث و سبعين [و أربعمائه]، و حصر القلعة، و استنزل منها سابقا و وثابا ابني محمود بن مرداس، فلما ملك البلد أرسل ولده، و هو ابن عمّية السلطان، إلى السلطان يخبره بملك البلد، و أنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدّلين بحلب بضمّانها، و سأل أن يقرّر عليه الضمان، فأجابه السلطان إلى ما طلب، و أقطع ابن عمّته مدينة بالس.

ذكر مسير ملك شاه إلى كرمان

في أوّل هذه السنة سار السلطان ملك شاه إلى بلاد كرمان، فلما سمع صاحبها سلطان شاه بن قاورت بك «٢»، و هو ابن عمّ السلطان، بوصوله إليها خرج إلى طريقه و لقيه و حمل له الهدايا الكثيرة، و خدمه، و بالغ في الخدمة، فأقرّه السلطان على البلاد، و أحسن إليه، و عاد عنه في المحرم سنة ثلاث و سبعين [و أربعمائه] إلى أصبهان.

(١). الجنيى A.

(٢). A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٦

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ولد سمّاه موسى و كناه أبا جعفر، و زينت بغداد سبعة أيام. و فيها وصل السلطان ملك شاه إلى خوزستان متصيداً، فوصل معه خماتكين و كوهرائين [و كانا يسعيان] في قتل ابن علان اليهودي، ضامن البصرة، و كان ملتجئاً إلى نظام الملك، و كان بين نظام الملك و بين خماتكين الشرابي و كوهرائين عداوة، فسعى باليهودي لذلك، فأمر السلطان بتغريقه فغرق، و انقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيام، و أغلق بابه، ثم أشير عليه بالركوب فركب، و عمل للسلطان دعوة عظيمة قدّم له فيها أشياء كثيرة، و عاتبه على فعله، فاعتذر إليه. و كان أمر اليهودي قد عظم «١» إلى حدّ أنّ زوجته توفيت، فمشى خلف جنازتها كلّ من في البصرة، إلّا القاضي، و كان له نعمة عظيمة، و أموال كثيرة، فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار، و ضمن خماتكين البصرة كلّ سنة بمائة ألف دينار و مائة فرس. و فيها زادت [مياه] الفرات تسع أذرع، فخربت بعض دواليب هيت، و خربت [١] فوهة نهر عيسى، و زادت تامرًا نيفا و ثلاثين ذراعاً، و علا على قنطرتي طراستان و خانقين الكسرويتين فقطعهما. و فيها، في ذي الحجّة، توفى نصر بن مروان، صاحب ديار بكر، و ملك

[١] و خرب.

(١). النظام فيه عظيم. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٧

بعده [١] ابنه منصور، و دبّر دولته ابن الأنباري.

و فيها توفى أبو منصور محمّد بن عبد العزيز العكبري، و مولده سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، و هو من المحدّثين المعروفين، و كان صدوقاً، و محمّد ابن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي «١» و ولد سنة تسع «٢» و أربعمائة، و حدّث عن هلال الحفّار و غيره، و توفى في جمادى الأولى.

و فيها توفى أبو الفتيان محمّد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور، و حدّث عن جدّه لأمه القاضي أبي نصر محمّد بن هارون بن الجندی «٣».

[١] بعد.

(١). اللالكائي. A.

(٢). سبع. A.

(٣). الجعفري. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٨

٤٧٣ ثم دخلت سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة

ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان و أخذها منه

في هذه السنة، في شعبان، سار السلطان ملك شاه إلى الري، و عرض العسكر، فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم، فمضوا إلى أخيه تكش، و هو ببوشنج، فقوى بهم، و أظهر العصيان على أخيه ملك شاه، و استولى على مروالروذ، و مرو الشاهجان، و ترمذ، و غيرها، و سار إلى نيسابور «١» طامعا في ملك خراسان.

و قيل إن نظام الملك قال للسلطان لَمَّا أمر بإسقاطهم: إنَّ هؤلاء ليس فيهم كاتب، و لا- تاجر، و لا خياط، و لا من له صنعة غير الجندية، فإذا أسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلا و يقولوا [١] هذا السلطان، فيكون لنا منهم شغل، و يخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم من الجارى إلى أن نظفر «٢» بهم. فلم يقبل السلطان قوله، فلَمَّا مضوا إلى أخيه و أظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم.

و اتصل خبره بالسلطان ملك شاه، فسار مجداً إلى خراسان، فوصل إلى

[١] و قالوا.

(١). نيشابور. A.

(٢). يظفر. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١١٩

نيسابور قبل أن يستولى تكش عليها، فلَمَّا سمع تكش بقربه منها سار عنها، و تحصن بترمذ، و قصده السلطان، فحصره بها، و كان تكش قد أسر جماعه من أصحاب السلطان، فأطلقهم، و استقر الصلح بينهما، و نزل تكش إلى أخيه السلطان ملك شاه، و نزل عن ترمذ.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تسلّم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط.

و فيها توفى أبو علي بن شبلى الشاعر المشهور، و من شعره فى الزهد:

أهم بترك الذنب ثم يردنى طموح شباب بالگرام موكل

فمن لى [١] إذا أخرجت «١» ذا اليوم توبه بآن المنايا لى إلى الشيب «٢» تمهل

أ أعجز ضعفا عن أدا [٢] حق خالقي، و أحمل وزرا فوق ما يتحمل و فيها أيضا توفى العميد أبو منصور «٣» بالبصرة.

و فيها توفى عبد السلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفى من أهل فارس، سافر الكثير، و سمع الحديث بالعراق، و الشام، و مصر، و أصبهان و غيرها، و كانت وفاته بفارس، و يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم التفكرى، الزنجانى، ولد سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة، و سمع من أبى نعيم الحافظ و غيره، و تفقه على أبى إسحاق الشيرازى و أدرك أبى الطيب الطبرى، و كان من العلماء العاملين، المشتغلين «٤» بالعبادة.

[١] إلى.

[٢] أذى.

(١). أحدثت A.

(٢). الشيب، A. الست P.C.

(٣). مضر. A.

(٤). P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٠

٤٧٤ ثم دخلت سنة أربع و سبعين و أربعمائه**ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملك شاه**

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه، فسار فخر الدولة إلى أصبهان، إلى السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام الملك أن يمضى معه إلى خاتون زوجة السلطان في المعنى، فمضيا إليها فخطبها، فقالت إن ملكك غزنه و ملوك الخاتية بما وراء النهر طلبوها و خطبوها لأولادهم، و بذلوا أربع مائة ألف دينار، فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحقّ منهم. فعزفتها أرسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف و الفخر بالاتصال بالخليفة، و أنّ هؤلاء كلّهم عبيده و خدمه، و مثل الخليفة لا يطلب منه المال، فأجابت إلى ذلك، و شرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار، و أنّه لا يبقى له سرية و لا زوجة غيرها، و لا يكون مبيته إلّا عندها، فأجبت [١] إلى ذلك، فأعطى السلطان يده، و عاد فخر الدولة إلى بغداد.

[١] فأجيب.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢١

ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد و إمارة ولده منصور

في هذه السنة، في شوال، توفي نور الدولة أبو الأغرّ ديبس بن عليّ ابن مزيد الأسديّ بمطيراباذ، و كان عمره ثمانين سنة، و إمارته سبعا [١] و خمسين سنة، و ما زال ممدّحا في كلّ زمان مذكورا بالفضل و الإحسان، و رثاه الشعراء فأكثروا، و ولي بعده ما كان إليه ابنه أبو كامل منصور، و لقبه بهاء الدولة، فأحسن السيرة، و اعتمد الجميل، و سار إلى السلطان ملك شاه في ذي القعدة، و استقرّ له الأمر، و عاد في صفر سنة خمس و سبعين [و اربعمائه]، و خلع الخليفة أيضا عليه.

ذكر محاصرة تميم بن المعزّ مدينة قابس

في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مدينة قابس حصارا شديدا، و ضيق على أهلها، و عاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة، فأفسدوها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار تتش، بعد عود شرف الدولة عن دمشق، و قصد الساحل الشاميّ، فافتتح أنطربوس، و بعضا [٢] من الحصون، و عاد إلى دمشق.

[١] سبع.

[٢] وبعض.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٢

وفىها ملك شرف الدولة، صاحب الموصل، مدينة حرّان، وأخذها من بنى وثّاب التّميميين، وصالحه صاحب الرّها، ونقش السكّة باسمه.

وفىها سد ظفر القائميّ ببق نهر «١» عيسى، وكان خراباً منذ ثلاث وعشرين سنة، وسدّ مرارا، وتخرب إلى أن سدّه ظفر.

وفىها أرسل السلطان إلى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الّذى وزر للخليفة بعد بنى جهير، فأرسله الخليفة إلى نظام الملك، وسير معه رسولا، وكتب معه إلى نظام الملك كتابا بخطّه، يأمره بالرضا عن أبى شجاع، فرضى عنه وأعادته إلى بغداد.

وفىها مات ابن السلطان ملك شاه، واسمه داود، فجزع عليه جزعا شديدا، و حزن حزنا عظيما، ومنع من أخذه وغسله، حتّى تغيّرت رائحته، وأراد قتل نفسه مرّات، فمنعه خواصّه، ولما دفن لم يطق المقام، فخرج يتصيد، وأمر بالنياحه عليه فى البلد، ففعل ذلك عدّه أيام، و جلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد.

وفىها توفّى عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم، وهو من أعيان أهل بغداد، وكان مرضه شقيقه، وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا يبصر ضوءا.

وفىها، فى ذى الحجة، توفّى أبو محمّد بن أبى عثمان المحدث، وكان صالحا، يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين.

و توفّى على بن أحمد بن علىّ أبو القاسم البسرى «٢» البندار، و مولده سنة ستّ و ثمانين و ثلاثمائة، سمع المخلص وغيره، و كان ثقة صالحا.

وفىها توفّى أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل بن حبش القرشيّ، النحوى «٣».

(١). بهر. A.

(٢). البيرى. A.

(٣). و تمت السنة. A. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٣

٤٧٥ ثم دخلت سنة خمس و سبعين و أربعمائه

ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك

فى هذه السنة، فى رجب، توفّى جمال الملك منصور «١» بن نظام الملك، و ورد الخبر بوفاة إلى بغداد فى شعبان، فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء، و حضر فخر الدولة بن جهير، و ابنه عميد الملك، معزيين، و أرسل الخليفة إليه فى اليوم الثالث فأقامه من العزاء.

و كان سبب موته أنّ مسخرة كان للسلطان ملك شاه يعرف بجعفر ك يحاكي نظام الملك، و يذكره فى خلواته مع السلطان، فبلغ ذلك جمال الملك، و كان يتولّى مدينة بلخ و أعمالها، فسار من وقته يطوى المراحل إلى والده و السلطان، و هما بأصبهان، فاستقبله أخواه، فخر الملك و مؤيد الملك، فأغلظ لهما القول فى إغضائهما على ما بلغه عن جعفر ك، فلما وصل إلى حضرة السلطان رأى «٢» جعفر ك يسارّه، فانتهره و قال: مثلك يقف هذا الموقف، و ينبسط «٣» بحضرة السلطان فى هذا الجمع! فلما خرج من عند السلطان أمر

«٤» بالقبض على جعفر ك، و أمر بإخراج لسانه من قفاه و قطعه فمات. ثم سار مع السلطان و أبيه إلى خراسان، و أقاموا بنيسابور مدة، ثم أرادوا

(١). P.C.

(٢). وجد. A.

(٣). و تنسط. A.

(٤). أصحابه. A. dda

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٤

العود إلى أصبهان، و تقدّمهم نظام الملك، فأحضر السلطان عميد خراسان، و قال له: أيما أحبّ لك رأسك أم رأس جمال الملك؟ فقال: بل رأسي. فقال:

لئن لم تعمل في قتله لأقتلنك. فاجتمع بخادم يختصّ بخدمة جمال الملك، و قال له سرّاً: الأولى أن تحفظوا نعمتكم، و مناصبكم، و تدبّر في قتل جمال الملك، فإنّ السلطان يريد أن يأخذه و يقتله، و لأن تقتلوه [١] أنتم سرّاً أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهراً. فظنّ الخادم أنّ ذلك صحيح، فجعل له سمّاً في كوز فقّاع، فطلب جمال الملك فقّاعاً، فأعطاه الخادم ذلك الكوز، فشربه فمات، فلمّا علم السلطان بموته سار مجدّداً، حتّى لحق نظام الملك، فأعلمه بموت ابنه، و عزّاه، و قال: أنا ابنك، و أنت أولى من صبر و احتساب.

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية و الحنابلة

ورد إلى بغداد، هذه السنة، الشريف أبو القاسم البكري، المغربي، الواعظ، و كان أشعريّ المذهب، و كان قد قصد نظام الملك، فأحبه و مال إليه، و سيّره إلى بغداد، و أجرى عليه الجراية الوفرة، فوعظ بالمدرسة النظامية، و كان يذكر الحنابلة و يعيبهم، و يقول: و ما كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا «١»، و الله ما كفر أحمد و لكن أصحابه كفروا. ثمّ إنّّه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانيّ بنهر القلائين، فجرى بين بعض أصحابه و بين قوم من الحنابلة مشاجرة أدّت إلى الفتنة، و كثر

[١] و لئن تقتلونه.

(١). ١٠٢. sv، ٢naroC.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٥

جمعه، فكبس دور بني الفرّاء، و أخذ كتبهم، و أخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى «١»، فكان يقرأ بين يديه و هو جالس على الكرسي للوعظ، فيشنع «٢» به عليهم، و جرى له معهم خصومات و فتن. و لُقّب البكريّ من الديوان بعلم السنّة، و مات ببغداد، و دفن عند قبر أبي الحسن الأشعريّ.

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة

في هذه السنة، في ذي الحجّة، أوصل الخليفة المقتدى بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الشيرازيّ إلى حضرته، و حمّله رسالة إلى السلطان ملك شاه، و نظام الملك، تتضمّن [١] الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث، عميد العراق، و أمره أن ينهي ما يجري على البلاد

من النظار «٣». فسار فكان كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه، ويأخذون تراب بقلته للبركة.

و كان في صحبته جماعة من أعيان بغداد «٤» منهم الإمام أبو بكر الشاشي وغيره.
ولمّا وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها، وسأله «٢» فقهاؤها كلّ منهم أن يدخل بيته، فلم يفعل، ولقيه أصحاب «٥» الصناعات، و معهم ما يثرونه على محفته،

[١] يتضمن.

[٢] وسألوه.

(١). P.C.mO.

(٢). فشنع. A.

(٣) النظام. A.

(٤). أصحابه. P.C.

(٥) أرباب. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٦

فخرج الخبازون يثرون الخبز، وهو ينههم، فلم يتهوا، وكذلك أصحاب الفاكهة، والحلواء، وغيرهم، و خرج إليه الأساكفة، وقد عملوا مداخل لطافا تصلح لأرجل الأطفال، و ثروها، فكانت تسقط على رءوس الناس، فكان الشيخ يتعجب، و يذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه، و يقول: ما كان حظكم من ذلك الثار؟ فقال له بعضهم: ما كان حظ سيدنا منه. فقال: [أما] أنا فغطيت بالمحفة، و هو يضحك. فأكرمه السلطان و نظام الملك. و جرى بينه و بين إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك، و أجيب إلى جميع ما التمسه، و لمّا عاد أهين العميد، و كسر عمّا كان يعتمد «١»، و رفعت يده عن جميع ما يتعلّق بحواشي الخليفة.

و لمّا وصل الشيخ إلى بسطام خرج إليه السهلکی، شيخ الصوفية بها، و هو شيخ كبير، فلما سمع الشيخ أبو إسحاق بوصوله خرج إليه ماشيا، فلما رآه السهلکی ألقى نفسه من دابة كان عليها، و قبل يد الشيخ أبي إسحاق، فقبل أبو إسحاق رجله، و أقعد موضعه، و جلس أبو إسحاق بين يديه، و أظهر كلّ واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا، و أعطاه شيئا من حنطة ذكر أنّها من عهد أبي يزيد البسطامي، ففرح بها أبو إسحاق.

ذكر حصر شرف الدولة دمشق و عوده عنها «٢»

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا، و سار عن بغداد، و قصد بلاد الروم: أنطاكية و ما جاورها «٣»، فسمع شرف الدولة، صاحب حلب،

(١). P.C.mO.

(٢) AnitupaccoH. ٤٧٦onnabus , tatsxe ,muitretenidro.

(٣). A.mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٧

الخبر، فخافه، فجمع أيضا العرب من عقيل، والأكراد، وغيرهم، فاجتمع معه جمع كثير، فراسل الخليفة بمصر يطلب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق، فوعده ذلك «١» فسار إليها. فلما سمع تتش الخبر عاد إلى دمشق، فوصلها أول المحرم سنة ست و سبعين [و أربعمئة]، و وصل شرف الدولة أواخر المحرم، و حصر المدينة و قاتله أهلها.

و فى بعض الأيام خرج إليه عسكر دمشق و قاتلوه، و حملوا على عسكره حملة صادقة، فانكشفوا و تضععوا، و انهزمت العرب، و ثبت شرف الدولة، و أشرف على الأسر، و تراجع إليه أصحابه، فلما رأى شرف الدولة ذلك، و رأى أيضا أن مصر لم يصل إليه منها عسكر، و أتاه عن بلاده [١] الخبر أن أهل حران عصوا عليه «٢» رحل [٢] عن دمشق إلى بلاده، و أظهر أنه يريد البلاد بفلسطين، فرحل أو إلى مرج الصفر، فارتاع أهل دمشق و تتش و اضطربوا، ثم إنه رحل من مرج الصفر مشرقا فى البرية و جد فى مسيره «٣»، فهلك من المواشى الكثير مع عسكره، و من الدواب شىء كثير، و انقطع خلق كثير.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصبهان، فخرج عميد الدولة بن جهير إلى لقائه «٤»، و نزل بالمدرسة النظامية، و ضرب على بابه

[١] بلاد.

[٢] فرحل.

(١). بذلك. A.

(٢). ما أزعجه أيضا. P.C.

(٣). P.C.mO.

(٤). العامة. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٨

الطبول، أوقات الصلوات الثلاث، فأعطى مالا جليلا حتى قطعه، و أرسل الطبول إلى تكريت.

و فيها توفى أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن مندة الأصبهاني، فى جمادى الآخرة، بأصبهان، و كان حافظا فاضلا، و الأمير أبو نصر على ابن الوزير أبى القاسم هبة الله بن على بن جعفر بن ماکولاء مصنف كتاب الإكمال، و مولده سنة عشرين و أربعمئة، و كان فاضلا حافظا، قتله مماليكه الأتراک بكرمان، و أخذوا ماله. الكامل فى التاريخ ج ١٠ ١٢٩ ٤٧٦ ثم دخلت سنة ست و

سبعين و أربعمئة ص: ١٢٩

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٢٩

٤٧٦ ثم دخلت سنة ست و سبعين و أربعمئة

ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة و مسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر

فى هذه السنة، فى صفر، عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة، و وصل يوم عزل رسول من السلطان، و نظام الملك، إلى الخليفة يطلبان أن يرسل إليهما بنو جهير، فأذن لهما فى ذلك، و ساروا بجميع أهلهم و نساءهم إلى السلطان، فصادفوا منه، و من نظام

الملك، الإكرام والاحترام، و عقد السلطان على فخر الدولة بن جهير ديار بكر، و خلع عليه، و أعطاه الكوسات، و ستر معه العساكر، و أمره أن يقصدها و يأخذها من بنى مروان، و أن يخطب لنفسه، و يذكر اسمه على السكّة، فسار إليها. و لما فارق بنو جهير بغداد رتبّ فى الديوان أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، و كان قبل ذلك على أبنية الدار و غيرها.

ذكر عصيان أهل حرّان على شرف الدولة و فتحها

فى هذه السنة عصى أهل حرّان على شرف الدولة مسلم بن قريش، و أطاعوا قاضيهم ابن حلبه، و أرادوا هم «١» و ابن عطير «٢» النميرى تسليم البلد إلى

(١). و أرادواهم. A.

(٢). عطية. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٠

جبق «١»، أمير التركمان، و كان شرف الدولة على دمشق، يحاصر تاج الدولة تتش بها، فبلغه الخبر، فعاد إلى حرّان و صالح ابن ملاعب، صاحب حمص، و أعطاه سلمية و رقتية، و بادر بالسير «٢» إلى حرّان، فحصرها، و رماها بالمنجنيق، فخرب من سورها بدنة، و فتح البلد فى جمادى الأولى، و أخذ القاضى و معه ابنان [١] له، فصلبهم على السور.

ذكر وزارة أبى شجاع محمّد بن الحسين للخليفة

فى هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح ابن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان، و استوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين، و خلع عليه خلع الوزارة فى شعبان، و لقبه ظهير الدين، و مدحه الشعراء فأكثروا، فممن مدحه و هنأه أبو المظفر محمّد بن العباس الأبيوردى بالقصيدة المشهورة التى أولها:

ها إنّها مقل الطّباء العين فتكت بسر فؤادى المكنون «٣» و منها:

فانهلّ أسراب الدموع كأنها منخّ يتابعها ظهير الدّين «٤»

[١] ابنين.

(١). جبق. A.

(٢). السير. A.

(٣). المظنون. A.

(٤). و هى طويلة مشهورة. A. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣١

ذكر قتل أبى المحاسن بن أبى الرضا

فى هذه السنة، فى شوال «١»، قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا، و كان قد قرب من السلطان ملك شاه قريبا عظيما، و كان أبوه يكتب الطغراء، فقال أبو المحاسن للسلطان: سلّم إلى نظام الملك و أصحابه، و أنا أسلّم إليك منهم ألف ألف

دينار، فإنهم يأكلون الأموال، و يقتطعون الأعمال، و عظم عنده ذخائرهم.

فبلغ ذلك نظام الملك، فعمل سماطا عظيما، و أقام عليه مماليكه، و هم «٢» ألوف من الأتراك، و أقام خيلهم و سلاحهم على حيالهم [١]، فلما حضر السلطان قال له: إننى قد خدمتك، و خدمت أباك و جدك، و لى حقّ خدمه، و قد بلغك أخذى لعشر أموالك، و صدق هذا، أنا آخذه و أصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك، و أصرفه أيضا إلى الصدقات، و الصلوات، و الوقوف التى أعظم ذكرها، و شكرها، و أجرها لك، و أموالى، و جميع ما أملكه بين يديك، و أنا اقع بمرقعة و زاوية. فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن و أن تسمل عيناه، و أنفذه إلى قلعه ساوة.

و سمع أبوه كمال الملك الخير، فاستجار بدار نظام الملك، فسلم، و بذل مائتى ألف دينار، و عزل عن الطغراء، و رتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك.

[١] حمالهم.

(١). A. mO.

(٢). و هو. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٢

ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان و أخذها منه

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى «١» العرب فأكثر، و سار إلى المهدية فحصرها، فقام الأمير تميم بن المعز قياما تاما، و رحله عنها، و لم يظفر منها بشيء، فسار مالك منها «٢» إلى القيروان فحصرها و ملكها، فجرد إليه تميم العساكر العظيمة، فحصره بها، فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بتميم خرج عنها و تركها، فاستولى عليها عسكر تميم و عادت إلى ملكه كما كانت.

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة عمّ الرخص جميع البلاد، فبلغ كثر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير.

و فيها، فى جمادى الآخرة، توفى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى، و كان مولده سنة ثلاث و تسعين و ثلاثمائة، و أكثر الشعراء مراثيه، فمنهم أبو الحسن الخباز، و البنديجى، و غيرهما، و كان، رحمه الله عليه، واحد عصره علما و زهدا و عبادة و سخاء، و صلى عليه فى جامع القصر، و جلس أصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة أيام، و لم يتخلف أحد عن العزاء.

و كان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد، فرتب فى التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولى، فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكروه، و قال: كان

(١). الصخرى. A.

(٢). A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٣

يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبى إسحاق سنة، و صلى عليه باب الفردوس، و هذا لم يفعل على غيره، و صلى عليه الخليفة المقتدى بأمر الله، و تقدّم فى الصلاة عليه أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء، و هو ينوب فى الوزارة، ثم صلى عليه بجامع القصر، و دفن

بياب أبرز.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٤

٤٧٧ ثم دخلت سنة سبع و سبعين و أربعمئة

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير و ابن مروان و شرف الدولة

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير فى العساكر السلطانية إلى ديار بكر، فلما كانت هذه السنة سیر السلطان إليه أيضا جيشا فيهم الأمير أرتق ابن اكسب، و أمرهم بمساعدته. و كان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة و سأله نصرته على أن يسلم إليه آمد، و حلف كل واحد لصاحبه، و كل منهما يرى أن صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة، و اجتمعا على حرب فخر الدولة، و سارا إلى آمد، و قد نزل فخر الدولة بنواحيها، فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال إلى الصلح، و قال: لا أوتر أن يحلّ بالعرب بلاء على يدي. فعرف «١» التركمان ما عزم عليه، فركبوا ليلا و أتوا إلى العرب و أحاطوا بهم فى ربيع الأول، و التحم القتال و اشتد، فانهمزت العرب، و لم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة، و لا أرتق، و غنم التركمان حلل العرب و دوابهم، و انهزم شرف الدولة، و حمى [١] نفسه حتى وصل إلى فصيل آمد، و حصره فخر الدولة و من معه.

[١] و حما.

(١). فعلم A

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٥

فلما رأى شرف الدولة أنه محصور خاف على نفسه، فراسل الأمير أرتق، و بذل له مالا و سأله أن يمنّ عليه بنفسه، و يمكنه من الخروج من آمد، و كان هو على حفظ الطرق و الحصار. فلما سمع أرتق ما بذل له شرف الدولة أذن له فى الخروج، فخرج منها فى الحادى و العشرين من ربيع الأول، و قصد الرقة، و أرسل إلى أرتق بما كان وعده به، و سار ابن جهير إلى ميثافارقين، و معه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مزيد، و ابنه سيف الدولة صدقة، ففارقوه و عادوا إلى العراق، و سار فخر الدولة إلى خلاط. و لما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب، و غنموا أموالهم، و سبوا حريمهم، بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الأموال، و افتك أسرى بنى عقيل و نساءهم و أولادهم و جهّزهم جميعهم و ردّهم إلى بلادهم، ففعل أمرا عظيما، و أسدى مكرمة شريفة، و مدحه الشعراء فى ذلك فأكثروا، فمنهم محمد بن خليفة السبسيّ يذكر ذلك فى قصيدة:

كما أحرزت شكر بنى عقيل بآمد يوم كظهم الحذار

غداة رمتهم الأتراك طرابشهب فى حوافلها ازورار

فما جبنوا، و لكن قاض بحر عظيم لا تقاومه البحار

فحين تنازلوا تحت المنايا، و فيهنّ الززية و الدمار [١]

منتت عليهم، و فككت عنهم، و فى أثناء جلبهم انتشار

و لو لا أنت لم ينفكّ منهم أسير، حين أعلقه الإسار فى أبيات كثيرة، و ذكرها أيضا البندنيجيّ فأحسن، و لو لا خوف التطويل لذكرت أبياته.

[١] و الذمار.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٦

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لما بلغ السلطان أن شرف الدولة انهزم و حصر بآمد لم يشك في أسره، فخلع على عميد الدولة بن جهير، و سيره في جيش كثيف إلى الموصل، و كاتب أمراء التركمان بطاعته، و سير معه من الأمراء آقسنقر، قسيم الدولة، جد ملوكنا أصحاب الموصل، و هو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب.

و كان الأمير أرتق قد قصد السلطان، فعاد صحبة «١» عميد الدولة من الطريق.

فسار عميد الدولة حتى وصل إلى الموصل، فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان و ترك عصيانه، ففتحوا له البلد و سلموه إليه، و سار السلطان بنفسه و عساكره إلى بلاد شرف الدولة ليملكها، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان، على ما نذكره.

و رأى شرف الدولة قد خلص من الحصر، فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة، و هو مقابل الرحبة، فأعطاه العهود و الموائيق، و أحضره عند السلطان، و هو بالبوازيج، فخلع عليه آخر رجب، و كانت أمواله قد ذهبت، فاقترض ما خدم به، و حمل للسلطان خيلا رائقة، من جملتها فرسه بشار، و هو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة، و من آمد أيضا، و كان سابقا لا يجارى، فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل، فجاء سابقا، فقام السلطان قائما لما تداخله [١] من العجب.

و أرسل الخليفة النقيب طرادا [٢] الزينبي في لقاء [٣] شرف الدولة، فلقبه بالموصل،

[١] صحبته.

[٢] طراد.

[٣] معنى.

(١). داخله. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٧

فزاد أمر شرف الدولة قوة، و صالحه السلطان، و أقره على بلاده، و عاد إلى خراسان لحرب أخيه.

ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملك شاه

قد تقدم ذكره، و ذكر مصالحته للسلطان، فلما كان الآن، و رأى بعد السلطان عنه عاود العصيان، و كان أصحابه يؤثرون الاختلاط، فحسبوا له مفارقة طاعه أخيه، فأجابهم، و سار معهم، فملك مروالروذ و غيرها إلى قلعة تقارب سرخس و هي لمسعود ابن الأمير ياخر «١»، و قد حصنها جهده، فحصره بها، و لم يبق غير أخذها منه.

فاتفق أبو الفتوح الطوسي، صاحب نظام الملك، و هو بنيسابور، و عميد خراسان، و هو أبو علي، على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا إلى مسعود بن ياخر «٢»، و كان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك، يقول فيه: كتبت هذه الرقعة من الرزي يوم كذا، و نحن سائرون من الغد نحوك، فاحفظ القلعة، و نحن نكسب العدو في ليلة كذا. و استدعيا فيجا يتقون به، و أعطياه دنانير صالحه، و قالوا: سر نحو مسعود، فإذا وصلت إلى المكان الفلاني فأقم به و نم و أخف هذا الملطف في بعض حيطانه، فستأخذك طلائع تكش، فلا

تعترف لهم حتى يضربوك، فإذا فعلوا ذلك و بالغوا فأخرجه لهم و قل إنك فارقت السلطان بالزّي، و لك منّا الحياء و الكرامة. ففعل ذلك، و جرى الأمر على ما وصفا، و أحضر بين يدي تكش و ضرب، و عرض على القتل، فأظهر الملطف و سلمه إليهم، و أخبرهم

(١). يا جر. P.C.

(٢). يا جر. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٨

أنه فارق السلطان و نظام الملك بالزّي فى العساكر، و هو سائر، فلما وقفوا على الملطف، و سمعوا كلام الرجل، ساروا من وقتهم، و تركوا خيامهم و دوابهم، و القدور على النار، فلم يصبروا على ما فيها «١»، و عادوا إلى قلعة و نج «٢». و كان هذا من الفرج العجيب. فنزل مسعود و أخذ ما فى المعسكر، و ورد السلطان إلى خراسان بعد ثلاثة أشهر، و لو لا هذا الفعل لنهب تكش إلى باب الزّي. و لمّا وصل السلطان قصد تكش و أخذه، و كان قد حلف له بالأيمان أنه لا يؤذيه، و لا يناله منه مكروه، فأفتاه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد، ففعل ذلك، فأمر أحمد بكحله، فكحل و سجن.

ذكر فتح سليمان بن قنلمش أنطاكية

فى هذه السنة سار سليمان بن قنلمش، صاحب قونية و أقصرا و أعمالها من بلاد الروم، إلى الشام، فملك مدينة أنطاكية من أرض الشام، و كانت بيد الروم من سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة. و سبب ملك سليمان المدينة أن صاحبها الفردوس «٣» الرومى كان قد سار عنها إلى بلاد الروم، و رتب بها شحنة، و كان الفردوس «٤» مسينا إلى أهلها، و إلى جنده أيضا، حتى إنه حبس ابنه، فاتفق ابنه و الشحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قنلمش، و كاتبه يستدعونه، فركب البحر فى ثلاثمائة فارس و كثير من الرجال، و خرج منه، و سار فى جبال و عرة، و مضايق شديدة، حتى

(١). P.C. mO.

(٢). و [٤] ج. A.

(٣). الفرد الروس. A.

(٤). الفردروس. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٣٩

وصل إليها للموعد، فنصب السلايم، باتفاق من الشحنة و من معه، و صعد السور، و اجتمع بالشحنة و أخذ «١» البلد فى شعبان، فقاتله أهل البلد، فهزمهم مرّة بعد أخرى، و قتل كثيرا من أهلها، ثم عفا عنهم، و تسلّم القلعة المعروفة بالقسيان، و أخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء، و أحسن إلى الرعية، و عدل فيهم، و أمرهم بعمارة ما خرب، و منع أصحابه من النزول فى دورهم و مخالطتهم. و لمّا ملك سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملك شاه يبشّره بذلك، و ينسب هذا الفتح إليه لأنه من أهله، و ممّن يتولّى طاعته، فأظهر ملك شاه البشارة به، و هنأه الناس، فممّن قال فيه الأبيوردى من قصيدة مطلعها:

لمعت كناصرية الحصان الأشقر نار بمعتلج الكثيب الأغر

و فتحت أنطاكية الروم التى نشرت معاقلها على الإسكندر

وطئت مناكبها جياذك، فانتشت تلقى أجنّتها نبات الأصفر و هى طويلة.

ذكر قتل شرف الدولة و ملك أخيه إبراهيم

قد تقدّم ذكر ملك سليمان بن قنلمش مدينة أنطاكية، فلما ملكها أرسل إليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله إليه الفردوس «٢» من المال، و يخوّفه معصية السلطان، فأجابه: أمّا طاعة السلطان، فهى شعارى، و دثارى، و الخطبة له، و السكّة فى بلادى، و قد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد، و أعمال الكفار.

(١). و دخل A.

(٢). الفردوس A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٠

و أمّا المال الذى كان يحمله صاحب أنطاكية قبلى، فهو كان كافرا، و كان يحمل جزيه رأسه و أصحابه، و أنا بحمد الله مؤمن، و لا أحمل شيئا. فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية، فنهب سليمان أيضا بلد حلب، فلقية أهل السواد يشكون إليه نهب عسكره، فقال: أنا كنت أشدّ كراهية لما يجرى، و لكنّ صاحبكم أحوجنى إلى ما فعلت، و لم تجر عادتى بنهب مال مسلم، و لا أخذ ما حرّمته الشريعة. و أمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعاده.

ثم إن شرف الدولة جمع الجموع من العرب و التركمان، و كان ممّن معه جبق أمير التركمان فى أصحابه، و سار إلى أنطاكية ليحصرها. فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره و سار إليه، فالتقيا فى الرابع و العشرين من صفر سنة ثمان و سبعين و أربعمائه فى طرف من أعمال أنطاكية، و اقتتلوا، فمال تركمان جبق إلى سليمان، فانهزمت العرب، و تبعهم شرف الدولة منهزما، فقتل بعد أن صبر، و قتل بين يديه أربعمائه غلام من أحداث حلب، و كان قتله يوم الجمعة الرابع و العشرين من صفر سنة ثمان و سبعين [و أربعمائه] و ذكرته هاهنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا.

و كان أحول، و كان قد ملك من السندية التى على نهر عيسى إلى منبج من الشام، و ما والاها من البلاد، و كان فى يده ديار ربيعة و مضر من أرض الجزيرة و الموصل و حلب، و ما كان لأبيه و عمّه قرواش، و كان عادلا، حسن السيرة، و الأمن فى بلاده عام، و الرخص شامل، و كان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب و الراكبان فلا يخافان شيئا. و كان له فى كلّ بلد و قرية عامل، و قاض، و صاحب خبر، بحيث لا [١] يتعدّى أحد على أحد.

[١] أ.أ.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤١

و لَمّا قتل قصد بنو عقيل أخاه إبراهيم بن قريش، و هو محبوس، فأخرجوه و ملكوه أمرهم، و كان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث أنه لم يمكنه المشى و الحركة لَمّا أخرج، و لَمّا قتل شرف الدولة سار سليمان بن قنلمش إلى حلب فحصرها مستهلّ ربيع الأوّل سنة ثمان و سبعين [و أربعمائه]، فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة، فلم يبلغ منها غرضا، فرحل عنها.

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة، فى صفر، انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب، كان حجمه كالقمر و ضوءه كضوئه، و سار مدى بعيدا على مهل و تؤدة فى نحو ساعة، و لم يكن له شبيه «١» من الكواكب.

و فيها ولد السلطان سنجر بن ملك شاه في الخامس والعشرين من رجب، بمدينة سنجر من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان، عند نزول السلطان بها، و سمّاه أحمد، و إنّما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها، و أمّه أمّ ولد. و في هذه السنة، في جمادى الأولى، توفي الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصّيباغ، الفقيه الشافعي، صاحب الشامل و الكامل، و كفاية المسائل و غيرها من التصانيف، بعد أن أضرّ عدّه سنين، و كان مولده سنه أربعمائه، و القاضي أبو عبد الله الحسين بن عليّ البغداديّ المعروف بابن البقال، و هو من شيوخ أصحاب الشافعي، و كان إليه القضاء بباب الأرح، و حجّ لثما انقطع الحجّ على سبيل التجريد، و إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل ابن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الإسماعيليّ، الجرجانيّ، و مولده سنه أربع «٢» و أربعمائه، و كان إماما فقيها شافعيّا، محدّثا، أدبيا، و داره مجمع العلماء.

(١). شبه. A.

(٢). سبع. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٢

٤٧٨ ثم دخلت سنة ثمان و سبعين و أربعمائه

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة

في هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس، و أخذوها من المسلمين، و هي من أكبر البلاد و أحصنها.

و سبب ذلك أنّ الأذفونش، ملك الفرنج بالأندلس، كان قد قوى شأنه، و عظم ملكه، و كثرت عساكره، مذ تفرقت بلاد الأندلس، و صار كلّ بلد بيد ملك، فصاروا مثل ملوك الطوائف، فحينئذ طمع الفرنج فيهم، و أخذوا كثيرا من ثغورهم.

و كان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى التّون، و عرف من أين يؤتى البلد، و كيف الطريق إلى ملكه. فلما كان الآن جمع الأذفونش عساكره و سار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين، و أخذها من القادر، فزاد قوة إلى قوته.

و كان المعتمد على الله أبو عبد الله محمّد بن عبيد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين، و كان يملك أكثر البلاد مثل: قرطبة و إشبيلية، و كان يؤدّي إلى الأذفونش ضريبة كلّ سنة. فلما ملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته، فردّها عليه و لم يقبلها منه، فأرسل إليه يتهدّده و يتوعّده أنّه يسير إلى مدينة قرطبة و يتملّكها إلّا أن يسلم إليه جميع الحصون التي في الجبل، و يبقى

السهل للمسلمين، و كان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٣

فارس، فأنزله محمّد بن عبّاد، و فرّق أصحابه على قواد عسكره، ثم أمر كلّ من عنده منهم رجل أن يقتله، و أحضر الرسول و صفعه «١» حتّى خرجت عيناه، و سلم من الجماعة ثلاثة نفر، فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر، و كان متوجّها إلى قرطبة ليحاصرها، فلما بلغه الخبر عاد إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار، و رحل المعتمد إلى إشبيلية.

ذكر استيلاء ابن جهير على آمد

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد.

و سبب ذلك أنّ فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ إليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم، و معه جناح الدولة، المعروف بالمقدم السالار

«٢»، و أرادوا «٣» قلع كرومها و بساتينها، و لم يطمع مع ذلك فى فتحها لحصانتها، فعم أهلها الجوع، و تعدّرت الأتوات، و كادوا يهلكون، و هم صابرون على الحصار، غير مكترئين له. فاتفق أن بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم، و تركوا أسلحتهم مكانها، فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامة تقدّمهم رجل من السواد يعرف بأبى الحسن «٤»، فلبس السلاح، و وقف على ذلك المكان «٥»، و نادى بشعار السلطان، و فعل من معه كفعله، و طلبوا زعيم الرؤساء، فأتاهم، و ملك البلد، و اتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بنى مروان من الجور و الحكم «٦»، و كان أكثرهم نصارى، فانتقموا منهم.

(١). ضغطه. A.

(٢). السلار. A.

(٣). فحصرها و. A.

(٤). الجيش. A.

(٥). A.

(٦). و التحكم. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٤

ذكر ملكه أيضا ميثافارين

و فى هذه السنة أيضا، فى سادس جمادى الآخرة، ملك فخر الدولة ميثافارين، و كان مقيما على حصارها، فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين فى عسكره نجده له، فجدّ فى القتال فسقط من سورها قطعة، فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملك شاه، و سلّموا البلد إلى فخر الدولة و أخذ «١» جميع ما استولى عليه من أموال بنى مروان و أنفذه «٢» إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء، فانحدر هو و كوهرائين إلى بغداد، و سار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان، فوصلها فى شوال، و أوصل ما معه إلى السلطان.

ذكر ملك جزيرة ابن عمر

فى هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشا إلى جزيرة ابن عمر، و هى لبنى مروان أيضا، فحصرها، فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو و هبان، و هم من أعيان أهلها، و قصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البويبة «٣» لا يسلكه إلّا الرجال لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد بدرج، فكسروه، و أدخلوا العسكر، فملكه، و انقرضت دولة بنى مروان، فسبحان من لا يزول ملكه. و هؤلاء بنو و هبان، إلى يومنا هذا، كلما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد، و لم يبق منهم من له شوكة، و لا منزلة يفعل بها شيئا، و إنّما بتلك الحركة يؤخذون إلى الآن.

(١). و أرسل. P.C.

(٢). و أرسله. A.

(٣). البويبة. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٥

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الأول «١»، وصل أمير الجيوش فى عساكر مصر إلى الشام، فحصر دمشق، و بها صاحبها تاج الدولة تتش، فضيق عليه، و قاتله، فلم يظفر منها بشيء، فرحل عنها عائداً إلى مصر. و فيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ و سائر المحال من بغداد، و أحرقوا من نهر الدجاج درب الأجر و ما قاربه، و أرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند، و نهاهم عن سفك الدماء تحرجاً من الإثم، فلم يمكنهم تلافى الخطب فعظم. و فيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان و فارس، و كان أشدها بأرجان، فسقطت الدور، و هلك تحتها خلق كثير. و فيها، فى ربيع الأول، هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء، و كثر الرعد و البرق، و سقط على الأرض رمل أحمر و تراب كثير، و كانت النيران «٢» تضطرم فى أطراف السماء، و كان أكثرها بالعراق و بلاد الموصل، فألقت النخيل و الأشجار و سقط معها صواعق فى كثير من البلاد، حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، ثم انجلى ذلك نصف الليل. و فيها، فى ربيع الآخر، توفى إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى، و مولده سنة سبع «٣» عشرة و أربعمئة، و هو الإمام المشهور فى الفقه و الأصولين و غيرهما من العلوم، و سمع الحديث من أبى محمد الجوهري و غيره. و فيها، فى ذى الحجة، توفى محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد «٤»

A.mO.(١)

(٢). النار. A.

P.C.(٣)

a.(٤)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٦

ابن الوليد أبو علي المتكلم، كان أحد رؤساء المعتزلة و أئمتهم، و لزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عاصمة بغداد، و أخذ الكلام عن أبى الحسين البصرى و عبد الجبار الهمداني القاضى، و من جملة تلاميذه ابن برهان، و هو أكبر منه. و فى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السبيى، قاضى الحريم، بنهر معلى، و مولده سنة أربع و تسعين و ثلاثمئة، و كان يذاكر الإمام المقتدى بأمر الله، و ولى ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضى القضاة ابن الدامغانى. و فيها، فى جمادى الأولى، توفى أبو العز بن صدقة، وزير شرف الدولة، ببغداد، و كان قد قبض عليه شرف الدولة و سجنه بالرحبة، فهرب منها إلى بغداد، فمات بعد وصوله إلى مأمته بأربعة أشهر، و كان كريماً متواضعاً لم يغيّر الولاية عن إخوانه. و فيها، فى رجب، توفى قاضى القضاة أبو عبد الله بن الدامغانى، و مولده سنة ثمان و تسعين «١» و ثلاثمئة، و دخل بغداد سنة تسع عشرة و أربعمئة، و كان قد صحب القاضى أبا العلاء بن صاعد، و حضر ببغداد مجلس أبى الحسين القدورى، و ولى قضاء القضاة بعده القاضى أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامى، و هو من أكبر أصحاب القاضى أبى الطيب الطبرى. و فيها توفى عبد الرحمن بن مأمون بن علي «٢» أبو سعد المتولى مدرّس النظامية، و هو من أصحاب القاضى حسين المروروذى و تم كتاب الإبانة.

(١). و سبعين. A.

P.C.mO.(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٧

٤٧٩ ثم دخلت سنة تسع و سبعين و أربعمائه

ذكر قتل سليمان بن قلمش

لما قتل سليمان بن قلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه، أرسل إلى ابن الحتيتي العباسي، مقدّم أهل حلب، يطلب منه تسليمها إليه، فأنفذ إليه، واستمهلته إلى «١» أن يكاتب السلطان ملك شاه، و أرسل ابن الحتيتي إلى تتش، صاحب دمشق، يعده أن يسلم إليه حلب، فسار تتش طالبا لحلب، فعلم سليمان بذلك، فسار نحوه مجداً، فوصل إلى تتش وقت السحر «٢» على غير تعبته، فلم يعلم به حتى قرب منه، فعبأ أصحابه.

و كان الأمير أرتق بن أكسب مع تتش، و كان منصوراً لم يشهد حرباً إلّا و كان الظفر له، و قد ذكرنا فيما تقدّم حضوره مع ابن جهير على آمد، و إطلاقه شرف الدولة من آمد، فلما فعل ذلك خاف أن ينهي ابن جهير ذلك إلى السلطان، ففارق خدمته، و لحق بتاج الدولة تتش، فأقطع البيت المقدس، و حضر معه هذه الحرب، فأبلى فيها بلاء حسناً، و حرّض العرب على القتال، فانهزم أصحاب سليمان، و ثبت و هو في القلب، فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكيناً معه فقتل نفسه، و قيل بل قتل في المعركة، و استولى تتش على عسكره.

و كان سليمان بن قلمش، في السنة الماضية، في صفر «٣»، قد أنفذ جئته

(١). P. C. mO.

(٢). و تتش. A. dda

(٣). a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٨

شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفه في إزار، و طلب من أهلها أن يسلموها إليه. و في هذه السنة في صفر أرسل تتش جئته سليمان في إزار ليسلموها إليه، فأجابه ابن الحتيتي أنه يكاتب السلطان، و مهما أمره فعل، فحصر تتش البلد، و أقام عليه، و ضيق على أهله. و كان ابن الحتيتي قد سلّم كلّ برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه، و سلّم برجاً فيها إلى إنسان يعرف بابن الرعوى. ثم إن ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه، و كان هذا الرجل شديد القوة، و رأى ما الناس فيه من الشدة، فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تتش يستدعيه، و واعدته ليلة يرفع الرجال إلى السور في الجبال، فأتى تتش للميعاد الذي ذكره، فأصعد الرجال في الجبال و السلايم، و ملك تتش المدينة، و استجار ابن الحتيتي بالأمير أرتق فشفع فيه، و أما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران، و هو ابن عمّ شرف الدولة مسلم بن قريش، فأقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوماً، فبلغه الخبر بوصول مقدّمه أخيه السلطان ملك شاه، فرحل عنها.

ذكر ملك السلطان حلب و غيرها

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملك شاه يستدعيه ليسلم إليه حلب، لما خاف تاج الدولة تتش، فسار إليه من أصبهان في جمادى الآخرة، و جعل على مقدّمته الأمير برسق «١»، و بوزان، و غيرهما من الأمراء، و جعل طريقه على الموصل، فوصلها في رجب، و سار منها، فلما وصل إلى حرّان سلّمها إليه ابن الشاطر، فأقطعها السلطان لمحمّد بن شرف الدولة، و سار إلى الرها،

(١). برشق. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٤٩

و هى بيد الروم، فحصرها و ملكها، و كانوا قد اشتروها من ابن عطير «١»، و تقدّم ذكر ذلك، و سار إلى قلعة جعبر، فحصرها يوما و ليلة و ملكها، و قتل من بها من بنى قشير، و أخذ جعبر من صاحبها، و هو شيخ أعمى، و ولد له، و كانت الأذية بهم عظيمة يقطعون الطرق و يلجئون إليها.

ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب، فملك فى طريقه مدينة منبج، فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش، و كان قد ملك المدينة، كما ذكرناه، و سار عنها يسلك البرية، و معه الأمير أرتق، فأشار بكبس عسكر السلطان، و قال:

إنهم قد وصلوا، و بهم و بدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع، و لو فعل لظفر بهم.

فقال تتش: لا أكسر جاه أخى الذى أنا مستظلّ بظله، فإنه يعود بالوهن على أولاء.

و سار إلى دمشق، و لثما وصل السلطان إلى حلب تسلّم المدينة، و سلّم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوّضه عنها قلعة جعبر، و كان سالم قد امتنع بها أولا، فأمر السلطان أن يرمى إليه رشقا واحدا بالسهم، فرمى الجيش، فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام، فصانع عنها بقلعة جعبر و سلّمها «٢»، و سلّم السلطان إليه قلعة جعبر، فبقيت بيده و بيد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكى، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

و أرسل إليه الأمير نصر بن على بن منقذ الكنانى، صاحب شيزر، فدخل فى طاعته، و سلّم إليه اللاذقية [١]، و كفر طاب، و أفامية [٢]، فأجابه إلى

[١] لاذقية.

[٢] و فامية.

(١) عطية. a.

(٢) و تسلّمها. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٠

المسالمة، و ترك قصده، و أقرّ عليه شيزر.

و لثما ملك السلطان حلب سلّمها إلى قسيم الدولة آقسنقر، فعمرها، و أحسن السيرة فيها.

و أما ابن الحيتى فإنه كان واثقا بإحسان السلطان و نظام الملك إليه، لأنه استدعاهما، فلثما ملك السلطان البلد طلب أهله أن يعفيهم من ابن الحيتى، فأجابهم إلى ذلك، و استصحبه معه، و أرسله إلى ديار بكر، فافتقر، و توفى بها على حال شديدة من الفقر، و قتل ولده بأنطاكية، قتله الفرنج لما ملكوها.

ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد و ولاية ابنه صدقة

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن ديبس بن على بن مزيد الأسدى، صاحب الحلة، و التيل، و غيرهما ممّا يجاورها «١»، و لثما سمع نظام الملك خبر وفاته قال: مات أجلّ صاحب عمامة، و كان فاضلا قرأ على على «٢» بن برهان، فبرع بذكائه [١] فى الذى استفاد منه، و له شعر حسن، فمنه:

فإن أنا لم أحمل عظيما و لم أقدلها، و لم أصبر على فعل معظم

و لم أجز الجانى، و أمتع حوزة، غداة أنادى للفخار و أنتمى

[١] بذكاته.

(١) p. c. mo.

(٢) A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥١
 و له فى صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه:
 فإن كان أودى خدننا، و نديمنا، أبو مالك، فالنائب تنوب
 فكلّ ابن أنثى لا محالة ميت، و فى كلّ حىّ للمنون نصيب
 و لو ردّ حزن، أو بكاء لهالك، بكيناه [١] ما هبت صبا و جنوب و لما توفى أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين
 أبا الغنائم يعزّيه، و سار سيف الدولة إلى السلطان ملك شاه، فخلع عليه، و ولّاه ما كان لأبيه، و أكثر الشعراء مراثى بهاء الدولة.

ذكر وقعة الزلاقة بالأندلس و هزيمة الفرنج

قد تقدّم ذكر ملك الفرنج طليطله، و ما فعله المعتمد بن عبّاد برسول الأذفونش، ملك الفرنج، و عود المعتمد إلى إشبيلية. فلما عاد إليها، و سمع مشايخ قرطبة بما جرى، و رأوا قوّة الفرنج، و ضعف المسلمين، و استعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض، اجتمعوا و قالوا: هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج، و لم يبق منها إلّا القليل، و إن استمرّت الأحوال على ما نرى عادت نصرانيّة كما كانت. و ساروا إلى القاضى عبد الله بن محمّد بن أدهم، فقالوا له: ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصّغار و الدّلة، و عطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها، و قد رأينا رأيا نعرضه عليك. قال: ما هو؟ قالوا: نكتب إلى عرب إفريقية و نبذل لهم، فإذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا، و خرجنا معهم مجاهدين فى

[١] بكيناه.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٢

سبيل الله. قال: نخاف، إذا وصلوا إلينا، يخزّبون بلادنا، كما فعلوا بإفريقية، و يتركون الفرنج و يبدءون بكم، و المرابطون أصلح منهم و أقرب إلينا.

قالوا له: فكاتب أمير المسلمين، و ارغب إليه ليعبر إلينا، و يرسل بعض قواده.

و قدم عليهم المعتمد بن عبّاد، و هم فى ذلك، فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه، فقال له ابن عبّاد: أنت رسولى إليه فى ذلك، فامتنع، و إنّما أراد أن يبرّئ نفسه من تهمة، فألح عليه المعتمد، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين «١»، فأبلغه الرسالة، و أعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش.

و كان أمير المسلمين بمدينة سبتة، ففى الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، و أرسل إلى مراكش فى طلب من بقى من عساكره، فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضا، فلما تكاملت عنده عبر البحر و سار، فاجتمع بالمعتمد بن عبّاد بإشبيلية، و كان قد جمع عساكره أيضا، و خرج من أهل قرطبة عسكر كثير، و قصده المتطوّعة من سائر بلاد «٢» الأندلس.

و وصلت الأخبار إلى الأذفونش، فجمع فرسانه و سار من طليطله، و كتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين، يغلظ

له القول، و يصف ما عنده من القوّة و العدد و العدد، و بالغ الكاتب في الكتاب. فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه، و كان كاتباً مفلقاً، فكتب فأجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، أحضر كتاب الأذفونش و اكتب في ظهره الّمدى يكون ستر له.

فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك، و علم أنّه بلى برجل له عزم

(١) p. c. mo.

(٢) a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٣

و حزم، فازداد استعداداً، فرأى في منامه كأنه راكب فيل، و بين يديه طبل صغير، و هو ينقر فيه، فقصّ رؤياه على القسيسين، فلم يعرفوا تأويلها، فأحضر رجلاً مسلماً، عالماً بتعبير الرؤيا، فقصّها عليه «١»، فاستعفاه من تعبيرها «٢»، فلم يعفه، فقال: تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز، و هو قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ «٣» السورة، و قوله تعالى: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكِ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَسِيرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ «٤»، و يقتضى هلاك هذا الجيش الّذى تجمعه.

فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته، فأحضر ذلك المعبر، و قال له:

بهذا الجيش ألقى إله محمّد، صاحب كتابكم. فانصرف المعبر، و قال لبعض المسلمين: هذا الملك هالك و كلّ من معه، و ذكر

قول رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، «ثلاث مهلكات»

الحديث،

و فيه: «و إعجاب المرء بنفسه».

و سار أمير المسلمين، و المعتمد بن عباد، حتّى أتوا أرضاً يقال لها الزّلاقة، من بلد بطليوس، و أتى الأذفونش فنزل موضعاً بينه و بينهم ثمانية عشر ميلاً، فقبل لأمر المسلمين: إنّ ابن عباد ربّما لم ينصح، و لا يبذل نفسه دونك.

فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن يكون في المقدّمة، ففعل ذلك، و سار، و قد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل، و المعتمد في سفح جبل آخر، يتراءون، و ينزل أمير المسلمين وراء الجبل الّمدى عنده المعتمد، و ظنّ الأذفونش أنّ عساكر المسلمين ليس إلّا الّذى يراه.

و كان الفرنج في خمسين ألفاً، فتيقنوا الغلب، و أرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال، و قصده الملك، فقال: غدا الجمعة، و بعده الأحد، فيكون اللقاء يوم الاثنين، فقد وصلنا على حال تعب، و استقرّ الأمر على هذا،

(١) p. c. mo.

(٢) تفسيرها. a.

(٣) .roc. ١٠٥. إلى آخر. dda. a.

(٤) .sv. ٤٧. roc. ٨-١٠.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٤

و ركب ليلة الجمعة سحراً، و صبّح بجيشه جيش المعتمد بكره الجمعة، غدراً، و ظلّياً «١» منه أنّ ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين، فوقع القتال بينهم، فصر المسلمون، فأشرفوا على الهزيمة.

و كان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب، فقال: احمولوني إلى خيام الفرنج، فسار إليها، فبينما هم في

القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج «٢»، فنهبها، وقتل من فيها، فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا، وأخذهم السيف، و تبعهم المعتمد من خلفهم، و لقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم، و وضع فيهم السيف، فلم يفلت منهم أحد، و نجا الأذفونش في نفر يسير، و جعل المسلمون من رءوس القتلى كوما كثيرة، فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها. و كانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع و سبعين [و أربعمئة]، و أصاب المعتمد جراحات في وجهه، و ظهرت ذلك اليوم شجاعته. و لم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمئة فارس، و غنم المسلمون كل ما [١] لهم من مال و سلاح و دواب و غير ذلك.

و عاد ابن عبيد إلى إشبيلية، و رجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء، و عبر إلى سبتة، و سار إلى مراكش، فأقام بها إلى العام المقبل، و عاد إلى الأندلس، و حضر معه المعتمد بن عباد في عسكره، و عبد الله بن بلكين الصنهاجي، صاحب غرناطة، في عسكره، و ساروا حتى نزلوا على ليط «٣»، و هو حصن منيع بيد الفرنج، فحصره حصارا شديدا فلم يقدروا على فتحه، فرحلوا عنه بعد مدة، و لم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام

[١] كلما.

(١) و بناء.a.

(٢) فسار إليها.a. dda.

(٣) لبط.a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٥

الماضي، فعاد ابن عبيد إلى إشبيلية، و عاد أمير المسلمين إلى [١] غرناطة، و هي طريقه، و معه عبد الله بن بلكين، فغدر به أمير المسلمين، و أخذ غرناطة منه و أخرجه منها، فرأى في قصوره من الأموال و الذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالأندلس، و من جملة ما وجدته سبحة فيها أربعمئة جوهرة، قومت كل جوهرة بمائة دينار، و من الجواهر ما له قيمة جليئة، إلى غير ذلك من الثياب و العدد و غيرها، و أخذ معه عبد الله، و أخاه تميما ابني بلكين إلى مراكش، فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الأندلس. و قد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس، و عود من عاد منهم إلى المعز بإفريقية، و كان آخر من بقى منهم بالأندلس عبد الله هذا، و أخذت مدينته، و رحل إلى العدو.

و لما رجع أمير المسلمين إلى مراكش أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس، و ورغة، و قلعة مهدى، و قال له علماء الأندلس إنه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة، و يأتيه تقليد منه بالبلاد، فأرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله ببغداد، فأتاه الخلع، و الأعلام، و التقليد، و لقب بأمر المسلمين، و ناصر الدين «١».

[١] على.

ذكر دخول السلطان إلى بغداد

في هذه السنة دخل السلطان ملك شاه بغداد في ذي الحجة، بعد أن فتح حلب و غيرها من بلاد الشام، و الجزيرة، و هي أول قدمه قدمها، و نزل

(١) الدولة. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٦

بدار المملكة، وركب من الغد إلى الحلب، و لعب بالجوكان و الكرة، و أرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة، فقبلها الخليفة، و من الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمة كثيرة، فقبلها، و زار السلطان و نظام الملك مشهد موسى بن جعفر، و قبر معروف، و أحمد بن حنبل و أبي حنيفة، و غيرها من «١» القبور المعروفة، فقال ابن زكرويه الواسطي يهتئ نظام الملك بقصيدة منها:

زرت «٢» المشاهد زورة مشهودة، أرضت مضاجع من بها مدفون

فكأنك الغيث استهل [١] بتربها، و كأنها بك روضة و معين

فازت قداحك بالثواب و أنجحت و لك الإله على النجاح «٣» ضمين و هي مشهورة.

و طلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلا، فمضى في الزبب، و عاد من ليلته، و مضى السلطان و نظام الملك إلى الصيد في البرية، فزارا المشهدين:

مشهد أمير المؤمنين علي، و مشهد الحسين، عليه السلام، و دخل السلطان البر، فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان و غيرها، و أمر ببناء منارة القرون بالسبيعي «٤»، و عاد السلطان إلى بغداد، و دخل إلى الخليفة، فخلع عليه الخلع السلطانية.

و لما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميرا أميرا إلى الخليفة، و كلما قدم أميرا يقول: هذا العبد فلان بن فلان، و أقطاعه كذا و كذا، و عدّة عسكره كذا و كذا، إلى أن أتى على آخر الأمراء، و فوّض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد و العباد، و أمره بالعدل فيهم، و طلب السلطان أن يقبل يد الخليفة،

[١] استحلّ.

(١) p. c. mo.

(٢) يقف. p. C.

(٣) العجاج. p. C. a

(٤) p. c. sitcnpenis. بالنسيعي. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٧

فلم يجبه، فسأل أن يقبل خاتمه، فأعطاه إيّاه فقبله، و وضعه على عينه، و أمره الخليفة بالعود فعاد.

و خلع الخليفة أيضا على نظام الملك، و دخل نظام الملك إلى المدرسة النظامية، و جلس في خزائن الكتب، و طالع فيها كتبا، و سمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث، و أملى جزءا آخر. و أقام السلطان ببغداد إلى صفر سنة ثمانين [و أربعمائة]، و سار منها إلى أصبهان.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرم، جرى بين أهل الكرخ و أهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة، من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشمي، الخطيب، أصابه سهم فمات منه، و لما قتل تولّى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة، و كان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد، فسار بخيله و رجله إلى القنطرة العتيقة، و أعان أهل الكرخ، ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها، فأعان الحجاج على أهل الكرخ، فانهمزوا، و بلغ الناس إلى درب اللؤلؤ، و كاد أهل الكرخ يهلكون، فخرج أبو الحسن بن

برغوث العلوي إلى مقدم الأحداث من السنة، فسأله العفو، فعاد عنهم و ردّ الناس.
 وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران، و جاء المطر يومين ببغداد «١».
 وفيها، في ربيع الأول، أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار، فتسلّمها من بني عقيل، و خرجت من أيديهم.

(١). A. mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٨
 وفيها، في ربيع الآخر، فرغت المنارة بجامع القصر و أذن فيها.
 وفيها، في جمادى الأولى، ورد الشريف أبو القاسم عليّ بن أبي يعلى الحسنى الدبوسى إلى بغداد، في تجمل عظيم، لم ير مثله لفقيه،
 و رتب مدرّسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولّى.
 وفيها أمر السلطان أن يزداد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى «١» من طريق خراسان، و عشرة آلاف دينار من معاملة بغداد.
 وفيها أقطع السلطان ملك شاه محمّد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرّحبة و أعمالها، و حرّان، و سروج، و الرّقة، و الخابور، و زوجته
 بأخته زليخا خاتون، فتسلّم البلاد جميعها ما عدا حرّان، فإنّ محمّد بن الشاطر امتنع من تسليمها، فلمّا وصل السلطان إلى الشام نزل عنها
 ابن الشاطر، فسلمها السلطان إلى محمّد.
 وفيها وقع ببغداد صاعقتان، فكسرت إحدهما أسطوانتين، و أحرقت قطنًا في صناديق، و لم تحترق الصناديق، و قتلت الثانية رجلا.
 وفيها كانت زلازل بالعراق، و الجزيرة، و الشام، و كثير من البلاد، فخربت كثيرا من البلاد، و فارق الناس مساكنهم إلى الصحراء، فلمّا
 سكنت عادوا.
 وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر، و سلّمها السلطان إلى العميد أبي عليّ البلخيّ، و جعله عاملا عليها.
 وفيها أسقط اسم الخليفة المصري «٢» من الحرمين الشريفين، و ذكر اسم الخليفة المقتدى بأمر الله.

(١) بررى. C. p.

(٢) المستنصر العلويّ صاحب مصر. a.
 الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٥٩
 وفيها أسقط السلطان المكوس و الاجتيازات بالعراق.
 وفيها حصر تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مدينتي قابس و سفاقس في وقت واحد، و فرّق عليهما [١] العساكر.
 وفيها، في ربيع الأول، توفّي أبو الحسن بن فضال المجاشعيّ، النحويّ، المقريّ.
 و في ربيع الآخر توفّي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفيّ، التيسابوريّ، و هو الذي تولّى بناء الرباط بنهر المعلّى، و بنى وقوفه، و هو رباط
 شيخ الشيوخ الآن، و بنى وقوف المدرسة النظامية، و كان عالي الهمة، كثير التعصّب لمن يلتجئ إليه، و جدّد تربة معروف الكرخي
 بعد أن احترقت، و كانت له منزلة كبيرة عند السلطان، و كان يقال: نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة، و لو أخرجه من
 قباء لهلكنا.
 وفيها توفّي أبو عليّ محمّد بن أحمد الشيرى «١»، البصريّ، و كان خيرا، حافظا للقرآن، ذا مال كثير، و هو آخر من روى سنن أبي
 داود السجستانيّ عن أبي عمر الهاشميّ.
 وفيها توفّي الشريف أبو نصر الزينبيّ، العباسيّ، نقيب الهاشميين، و هو محدّث مشهور عالي الإسناد.

[١] عليها.

(١) السيري. p. C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٠

٤٨٠ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمئة**ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة**

في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه إلى دار الخلافة على مائة و ثلاثين جملاً مجللاً بالديباج الرومي، و كان أكثر الأحمال الذهب و الفضّة و ثلاث عماريات، و على أربعة و سبعين بغلاً مجللاً بأنواع الديباج الملكي، و أجراسها و قلائدها من الذهب و الفضّة «١»، و كان على ستّة منها اثنا عشر صندوقاً من فضّة لا يقدر ما فيها من الجواهر و الحلّي، و بين يدي البغال ثلاثة و ثلاثون فرساً من الخيل الرائقة، عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر، و مهد عظيم كثير الذهب.

و سار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين، و الأمير برسق «٢»، و غيرهما، و نثر أهل نهر معلّى عليهم الدنانير و الثياب، و كان السلطان قد خرج عن بغداد متصيّداً، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى ترکان خاتون، زوجة السلطان، و بين يديه نحو ثلاثمئة موكبيّة، و مثلها مشاعل، و لم يبق في الحريم دكان إلّا و قد أشعل فيها الشمعة و الاثنتان و أكثر من ذلك.

و أرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسناً، و قال الوزير لترکان خاتون: سيّدنا و مولانا أمير المؤمنين يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

a(١)

(٢) برشق. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦١

الأمانات إلى أهلها، و قد أذن في نقل الوديعه إلى داره. فأجابت بالسّمع و الطاعة، و حضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان، و كلّ منهم معه من الشمع و المشاعل الكثير، و جاء نساء الأمراء الكبار و من دونهم كلّ واحد منهم منفردة في جماعتها و تجملها «١»، و بين أيديهنّ الشمع الموكبيات و المشاعل يحمل ذلك جميعه [١] الفرسان.

ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان، بعد الجميع، في محفة مجللة، عليها من الذهب و الجواهر أكثر شيء، و قد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة، و سارت إلى دار الخلافة، و كانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها.

فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى أن فيه أربعين ألف من السكر، و خلع عليهم كلّهم، و على كلّ من له ذكر في العسكر، و أرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان، و إلى جميع الخواتين، و عاد السلطان من الصيد بعد ذلك.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ولد للسلطان ابن من ترکان خاتون، و سمّاه محموداً، و هو الذي خطب له بالمملكة بعد «٢».

[١] جميعها.

(١) و محلها.a.

(٢) بعده.a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٢

و فيها سلم السلطان ملك شاه مدينة حلب و القلعة إلى مملوكة آقسنقر، فولياها، و أظهر فيها العدل و حسن السيرة، و كان زوج دادوا «١» السلطان ملك شاه، و هي التي تحضنه و تربيته، و ماتت بحلب سنة أربع و ثمانين [و أربعمائه].
و فيها استتب ساعيان أحدهما للسلطان، فضلي، و الآخر للأمير قماج، مرعوشى، فسبق ساعى السلطان، و قد تقدم ذكر الفضلى و المرعوشى أيام معز الدولة بن بويه.

و فيها جعل السلطان ولي عهدده ولده أبا شجاع أحمد، و لقبه ملك الملوكة، عضد الدولة، و تاج الملة، عدّه أمير المؤمنين، و أرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداد، ليخطب له ببغداد بذلك، فخطب له فى شعبان، و نثر الذهب على الخطباء.
و فيها، فى شعبان، انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن أبى الجبر «٢»، صاحب البطائح، و لما فارق بغداد كثرت فيها الفتن.

و فيها، فى ذى القعدة، ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرًا [١]، و كناه أبا الفضل، و زين البلد لأجل ذلك.
و فيها استولى العميد كمال الملك «٣» أبو الفتح الدهستانى، عميد العراق، على مدينة هيت، أخذها صلحا و مضى إليها، و عاد عنها فى ذى القعدة.

و فيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ و غيرها من المحال، قتل فيها كثير من الناس.
و فيها كسفت الشمس كسوفًا كليًا.

[١] جعفر.

(١) دادة.a.

(٢) الجهير.a.

(٣) كمال الدين.a. p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٣

و فيها توفى الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاج، و حج أميرًا اثنتى عشرة [١] سنة، و كانت له فى العرب عدّة وقعات، و كانوا يخافونه، و لما مات قال نظام الملك: مات اليوم ألف رجل، و ولى إمارة الحاج نجم الدولة خمارتكين.
و فيها، فى جمادى الأولى، توفى إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى، سمع الحديث «١» الكثير من أبى سعيد الصيرفى و غيره، و روى عنه الناس، و كان ثقة، و طاهر بن الحسين أبو ألوف البندنجى، الهمدانى، كان شاعرا، أديبا، و كان يمدح لا لعرض الدنيا، و مدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا، إحداهما ليس فيها نقطة، و الأخرى جميع حروفها منقوطة.

و فيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب، المعروفة بنت الأقرع، الكاتبة، كانت من أحسن الناس خطا على «٢» طريقة ابن البواب، و سمعت الحديث و أسمعتة.

و فيها، فى ذى القعدة، توفى غرس النعمة أبو الحسن محمّد بن الصابى، صاحب التاريخ، و ظهر له مال كثير، و كان له معروف و

صدقة.

[١] عشر.

a(١)

(٢) تؤدى.a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٤

٤٨١ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة**ذكر الفتنة ببغداد**

فى هذه السنة، فى صفر، شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة، و نقلوا الآجر فى أطباق الذهب و الفضة و بين أيديهم اللباب، و اجتمع إليهم أهل المحال، و كثر عندهم أهل باب الأزج فى خلق لا يحصى.

و اتفق أن كوهرائين سار فى سميرية «١»، و أصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره، فوقف أهل باب الأزج على امرأة كانت تسقى «٢» الناس من مزلة لها على دجلة، فحملوا «٣» عليها، على عادة لهم، و جعلوا يكسرون الجرار، و يقولون: الماء للسبيل! فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به، فأمر بإبعادهم عنها، فضربهم الأتراك بالمقارع، فسأل العامة سيوفهم و ضربوا وجه فرس حاجبه سليمان، و هو أخص أصحابه، فسقط عن الفرس، فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السميرية «٤» إليهم راجلا، فحمل أحدهم عليه، فطعنه بأسفل رمحه، فألقاه فى الماء و الطين، فحمل أصحابه على العامة، فقاتلوهم، و حرصوا على الظفر بالذى [١] طعنه، فلم يصلوا إليه، و أخذ ثمانية نفر «٥»، فقتل أحدهم، و قطع أعصاب ثلاثة نفر، و أرسل قباءه

[١] بالظفر على الذى.

(١) سيرفة.a

(٢) يستسقى.p.c

(٣) فجهلوا.a

(٤) السيرفة.a

(٥) p.c.mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٥

إلى الديوان و فيه أثر الطعنة و الطين يستنفر على أهل باب الأزج. ثم إن أهل الكرخ عقدوا لأنفسهم طاقا آخر على باب طاق الحزانى، و فعلوا كفعل أهل باب البصرة.

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة.

و سبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة، فتماسكا، فشم الطواف التركي، فأخذ التركي صنجة من الميزان و ضرب بها رأس الطواف فشجّه، فاجتمعت العامة، و كاد يكون بينهم و بين الأتراك شرّ [١]، و استغاثوا «١»، و شنّوا، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك، فأخرجوا عن آخرهم، فى ساعة واحدة، على أفتح صورة، وقت العشاء الآخرة.

ذكر ملك الروم مدينة زويلة و عودهم عنها

فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من إفريقية، و هى بقرب المهديّة. و سبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس، صاحبها، أكثر غزو

[١] شرّا.

(١) a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٦

بلادهم فى البحر، فخرّبها، و شتّ أهلها، فاجتمعوا من كلّ جهة، و اتفقوا على إنشاء الشوانى لغزو المهديّة، و دخل معهم البيشانيون «١»، و الجنويون، و هما من الفرنج، فأقاموا يعمران الأسطول أربع سنين، و اجتمعوا بجزيرة قوصرة فى أربع مائة قطعة، فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم و عددهم و حكمهم على الجزيرة، فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر، مقدّم الأسطول الذى له، ليمنعهم من النزول، فمنعه من ذلك بعض قواده، و اسمه عبد الله بن منكوت، لعداوة بينه و بين المهر، فجاءت الروم، و أرسلوا، و طلّوا إلى البرّ، و نهبوا، و خرّبوا، و أحرقوا، و دخلوا زويلة و نهبوا، و كانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته.

ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار، و ردّ جميع ما حووه من السبى، و كان تميم يبذل المال الكثير فى الغرض الحقيق، فكيف فى الغرض الكبير، حكى عنه أنه بذل للعرب، لِمَا استولوا على حصن له يسمّى قنطرة «٢» ليس بالعظيم، اثني عشر ألف دينار حتى هدمه، فقيل له: هذا سرف فى المال، فقال: هو شرف فى الحال.

ذكر وفاة الناصر بن علناس و ولاية ولده المنصور

فى هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حمّاد، و ولى بعده ابنه المنصور، فاقتفى آثار أبيه فى الحزم و العزم و الرئاسة، و وصله كتب الملوك و رسلهم

(١) اللساسون. P.C.

(٢) فاطمة. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٧

بالتعزية بأبيه و التهنة بالملك، منهم: يوسف بن تاشفين، و تميم بن المعز، و غيرهما.

ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة و ملك ابنه مسعود

فى هذه السنة توفى الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة، و كان عادلا، كريما، مجاهدا، و قد

ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا، و كان عاقلا، ذا رأى متين، فمن آرائه أن السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى جمع عساكره و سار يريد غزنة، و نزل باسفرار، فكتب إبراهيم بن مسعود كتابا إلى جماعة من أعيان أمراء ملك شاه يشكرهم، و يعتد «١» لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملك شاه بلاده «٢» لئتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به، و تخليصهم من يده، و يعدهم الإحسان على ذلك، و أمر القاصد بالكتب أن تعرّض لملكشاه فى الصيد، ففعل ذلك، فأخذ، و أحضر عند السلطان، فسأله عن حاله، فأنكره، فأمر السلطان بجلده، فجلده، فدفع الكتب إليه بعد جهد و مشقة، فلما وقف ملك شاه عليها تحيل [١] من أمرائه و عاد، و لم يقل لأحد من أمرائه فى هذا الأمر شيئا خوفا أن يستوحشوا منه.

و كان يكتب بخطه، كل سنة، مصحفا، و يبعثه مع الصدقات إلى مكة، و كان يقول: لو كنت موضع أبى مسعود، بعد وفاة جدى محمود، لَمَا انفصمت [٢]

[١] تخيل.

[٢] انفصمت.

(١) و يعتذر. p. C.

(٢) a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٨
 عرى مملكتنا، و لكتى الآن عاجز عن [أن] أسترّد ما أخذوه، و استولى عليه ملوك قد اتّسعت مملكتهم، و عظمت عساكرهم.
 و لَمَا توفى ملك بعده ابنه مسعود، و لقبه جلال الدين، و كان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملك شاه، و أخرج نظام الملك فى هذا الإملاك و الزّفاف مائة ألف دينار.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حجّ الوزير أبو شجاع، وزير الخليفة، و استتاب ابنه ربيب الدولة أبا منصور، و نقيب النقباء طراد بن محمّد الزينبى.
 و فيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجّاج من الخفارة.
 و فيها جمع آقسنقر، صاحب حلب، عسكره و سار إلى قلعة شيزر فحصرها «١»، و صاحبها ابن منقذ، و ضيق عليها، و نهب ربضها، ثم صالحه صاحبها و عاد إلى حلب.
 و فيها توفى أبو بكر أحمد بن أبى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى، الهروى، و القاضى محمود بن محمّد بن القاسم أبو «٢» عامر الأزدي، المهلبى، راويا جامع الترمذى عن أبى محمّد الجراحى، رواه عنهما أبو الفتح الكروخى.
 و توفى عبد الله بن محمّد بن على بن محمّد أبو إسماعيل «٣»، الأنصارى، الهروى، شيخ الإسلام، و مولده سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة، و كان شديد التعصّب فى المذاهب، و محمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الباقرحى، و مولده

(١) a. mo.

(٢) p. C. بن.

(٣) a. الاسمايلى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٦٩

في شعبان، و هو من أهل الحديث و الرواية.
و في المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر و دفنت عند قبر أحمد، و كانت ترجع إلى دين، و معروف كثير، لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت.

و في شعبان توفي عبد العزيز الصحراوي الزاهد.
و فيها توفي الملك أحمد ابن السلطان ملك شاه بمرو، و كان ولي عهد أبيه في السلطنة، و كان «١» عمره إحدى عشرة سنة، و جلس الناس ببغداد للغزاة سبعة أيام في دار الخلافة، و لم يركب أحد فرسا، و خرج النساء ينحن «٢» في الأسواق، و اجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج و المناحات، و سود أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهارا للحزن عليه [١].

[١] به.

(١) a. mo

(٢) و نحن. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٠

٤٨٢ ثم دخلت سنة اثنتين و ثمانين و أربعمائة

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

في هذه السنة، في صفر، كبس أهل باب البصرة الكرخ، فقتلوا رجلا، و جرحوا آخر، فأغلق أهل الكرخ الأسواق، و رفعوا المصاحف، و حملوا ثياب [١] الرجلين و هي بالدم «١»، و مضوا إلى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين، فأرسل إلى النقيب طراد بن محمّد يطلب منه إحضار القاتلين، فقصد طراد دار الأمير بوزان «٢» بقصر ابن المأمون، فطالبه بوزان بهم، و وكل به «٣»، فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرفه حال النقيب طراد، و محلّه، و منزلته، فخلّى سبيله و اعتذر إليه، فسكن العميد كمال الملك الفتنة، و كفّ الناس بعضهم عن بعض، ثم سار إلى السلطان، فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة، و لم ينقض يوم إلّا عن قتلى و جرحى.

[١] أثياب.

(١) p. c. mo

(٢) بوران. a. euqibu

(٣) a. mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧١

ذكر ملك السلطان ملك شاه ما وراء النهر

في هذه السنة ملك السلطان ملك شاه ما وراء النهر.
و سبب ذلك أنّ سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان، أخو «١» شمس الملك، الذي كان قبله، و هو ابن أخي ترکان

خاتون، زوجة السلطان ملك شاه، و كان صبيًا ظالما، قبيح السيرة، و يكثر مصادرة الرعيّة، فنفروا منه، و كتبوا إلى السلطان سرًا يستغيثون [١] به، و يسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم، و حضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعيّ عند السلطان شاكيا، و كان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله، فأظهر السفر للتجارة و الحجّ، فاجتمع بالسلطان، و شكّا إليه، و أطمعه فى البلاد. فتحرّكت دواعى السلطان إلى ملكها، فسار من أصبهان.

و كان قد وصل إليه، و هو فيها، رسول ملك الروم، و معه الخراج المقرّر عليه، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر، و حضر فتح البلاد، فلما وصل إلى كاشغر أذن له نظام الملك فى العود إلى بلاده، و قال: أحبّ أن يذكر عنّا فى التواريخ أنّ ملك الروم «٢» حمل الجزية و أوصلها إلى باب كاشغر لينهى إلى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه، و لا يحدث نفسه بخلاف الطاعة. و هذا يدلّ على همّة عالية تعلو [٢] على العتيق.

و لما سار السلطان من أصبهان إلى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها،

[١] مستغيثون.

[٢] تعلوا.

(١) أخى. a.

(٢) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٢

فعبّر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان، و لا تدخل «١» تحت الإحصاء، فلما قطع النهر قصد بخارى، و أخذ ما على طريقه، ثم سار إليها و ملكها و ما جاورها من البلاد، و قصد سمرقند و نازلها، و كانت الملطّفات قد قدّمها إلى أهل البلد يعدّهم النصر، و الخلاص ممّا هم فيه من الظلم، و حصر البلد، و ضيق عليه، و أعاناه أهل البلد بالإقامات، و فرق أحمد خان، صاحب سمرقند، أبراج السور على الأمراء و من يثق به [١] من أهل البلد، و سلّم برجا يقال له برج العيار إلى رجل علويّ كان مختصّا به، فنصح فى القتال. فاتفق أنّ ولدا لهذا العلويّ أخذ أسيرا ببخارى، فهذّب الأب بقتله، فتراخى عن القتال، فسهل الأمر على السلطان ملك شاه، و رمى [٢] من السور عدّة ثلم بالمنجنقات، و أخذ ذلك البرج، فلما صعد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان، و اختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه و أخذ و حمل إلى السلطان و فى رقبته حبل، فأكرمه السلطان، و أطلقه و أرسله «٢» إلى أصبهان، و معه من يحفظه، و ربّ بسمرقند الأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم.

و سار السلطان قاصدا إلى كاشغر، فبلغ إلى يوزكند، و هو بلد يجرى على بابه نهر، و أرسل منها رسلا إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة، و ضرب السكّة باسمه، و يتوعّده إن خالف بالمسير إليه. ففعل ذلك و أطاع، و حضر عند السلطان، فأكرمه و عظّمه، و تابع الإنعام عليه، و أعاده إلى بلده.

و رجع السلطان إلى خراسان، فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها

[١] إليه.

[٢] و رما.

(١) يقع. p. C.

(٢) و سار. C. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٣
و عسكرها المعروفون [١] بالجكلىة مع العميد أبى طاهر، نائب السلطان عندهم، حتى كادوا يشبون عليه، فاحتال حتى خرج من عندهم،
و مضى إلى خوارزم.

ذكر عصيان سمرقند

كان مقدّم العسكر المعروف بالجكلىة، و اسمه عين الدولة، قد خاف السلطان لهذا الحادث، فكتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر، و مملكته تعرف بآب نباشى «١»، و بيده قلعتها، و استحضره، فحضر عنده بسمرقند، و اتفقا، ثم إن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه، فوضع عليه الرعيّة الذين كان أساء إليهم، حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم، و أخذ الفتاوى عليه فقتله، و اتّصلت الأخبار بالسلطان ملك شاه بذلك، فعاد إلى سمرقند.

ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى

لما اتّصلت الأخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملك شاه، و قتل عين الدولة، مقدّم الجكلىة، عاد إلى سمرقند، فلما وصل إلى بخارى هرب يعقوب المستولى على سمرقند، و مضى إلى فرغانة، و لحق بولايته.
و وصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين، فلقوه بقريه تعرف بالطواويس، و لما وصل السلطان إلى سمرقند ملكها، و رتب بها الأمير أبر «٢»،

[١] المعروفين.

(١) باشى. a.

(٢) أبر mutpircsrepusiuc. أقسز. c. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٤
و سار فى أثر يعقوب حتى نزل بيوزكند، و أرسل العساكر إلى سائر الأكناف فى طلبه.
و أرسل السلطان إلى ملك كاشغر، و هو أخو يعقوب، ليجدّ فى أمره، و يرسله إليه، فاتفق أن عسكر يعقوب شغبوا عليه، و نهبوا خزائنه، و اضطروه إلى أن هرب على فرسه، و دخل إلى أخيه بكاشغر مستجيرا به. فسمع السلطان بذلك، فأرسل إلى ملك كاشغر يتوعده، إن لم يرسله إليه، أن يقصد بلاده، و يصير هو العدو، فخاف أن يمنع السلطان، و أنف أن يسلم أخاه بعد أن استجار به و إن كانت بينهما عداوة قديمة، و منافسة فى الملك عظيمه، لما يلزمه فيه العار، فأذاه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب، و أظهر أنه كان فى طلبه، فظفر به، و سيّره مع ولده، و جماعة من أصحابه، و كلهم بيعقوب، و أرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان، و أمر ولده أنه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يسلم يعقوب و يتركه، فإن رضى السلطان بذلك، و إلّا سلمه إليه.
فلما وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشغر أن يسلم عمه، و ينفذ فيه ما أمره به أبوه، فتقدّم بكتفه و إلقائه على الأرض، ففعلوا به ذلك، فبينما هم على تلك الحال، و قد أحموا الميل ليسملوه، إذ سمعوا ضجّة عظيمه، فتركوه، و تشاوروا بينهم، و ظهر عليهم انكسار، ثم أرادوا بعد ذلك «١» سمله، و منع منه بعض، فقال لهم يعقوب: أخبرونى عن حالكم، و ما يفوتكم الهدى تريدونه منى، و إذا فعلتم بى شيئا ربّما ندمتم عليه.

ف قيل له: إن طغرل بن يئال أسرى من ثمانين فرسخا فى عشرات ألوف من العساكر، و كبس أخاك [١] بكاشغر، فأخذه أسيرا، و نهب عسكره، و عاد

[١] أخال.

(١) p. c. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٥
إلى بلاده، فقال لهم: هذا الذى تريدون تفعلونه بى ليس ممّا تتقربون به إلى الله تعالى، و إنّما تفعلونه اتّباعا لأمر أخى، و قد زال أمره، و وعدهم الإحسان فأطلقوه.
فلَمّا رأى السلطان ذلك و رأى طمع طغرل بن يئال، و مسيره إلى كاشغر، و قبض صاحبها، و ملكه لها مع قربه منه، خاف أن ينحلّ بعض أمره و تزول هيئته، و علم أنّه متى قصد طغرل سار من بين يديه، فإن عاد عنه رجع إلى بلاده، و كذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر «١»، و أنّه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه و خوف الموت بها، فوضع تاج الملك على أن يسعى فى إصلاح أمر يعقوب معه، ففعل ما أمره به «٢» السلطان، فاتّفق هو و يعقوب، و عاد إلى خراسان، و جعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوّة، و ملك البلاد، و كلّ منهما يقوم فى وجه الآخر.

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

و فى هذه السنة أرسل السلطان «٣» إلى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بدّ منه.
و سبب ذلك أنّها أرسلت تشكو من الخليفة، و تذكر أنّه كثير الأطراح لها، و الإعراض عنها، فأذن لها فى المسير، فسارت فى ربيع الأوّل، و سار معها ابنها من الخليفة «٤» أبو الفضل جعفر بن المقتدى بأمر الله، و معها سائر أرباب الدولة، و مشى، مع محفّتها، سعد الدولة كوهرائين، و خدم دار الخلافة الأكابر، و خرج الوزير و شيعهم إلى النهروان و عاد.

(١) p. c. mo

(٢) فشفعه. a.

a(٣)

a(٤)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٦
و سارت الخاتون إلى أصبهان، فأقامت بها إلى ذى القعدة، و توفّيت، و جلس الوزير ببغداد للغزاء سبعة أيّام، و أكثر الشعراء مراثيها ببغداد، و بعسكر السلطان.

ذكر فتح عسكر مصر عكا و غيرها من الشام

فى هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام فى جماعة من المقدّمين، فحصرُوا مدينة صور، و كان قد تغلّب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل، و امتنع عليهم، ثم توفّى، و وليها أولاده، فحصرهم العسكر المصرى فلم يكن لهم من القوّة ما يمتنعون بها، فسلموها إليهم.

ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيدا، ففعلوا بها كذلك.

ثم ساروا إلى مدينة عكا، فحاصروها، وضيّقوا على أهلها، فافتتحوها.

وقصدوا مدينة جبيل، فملكوها أيضا، وأصلحوا أحوال هذه البلاد، وقزروا قواعدها، وساروا عنها إلى مصر عائدتين، واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعامل.

ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية

وفى هذه السنة، فى جمادى الأولى، كثرت الفتنة ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال، وقتل بينهم عدد كثير، واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج، فنهبوا، وأحرقوها، فنزل شحنة بغداد،

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٧

وهو خممارتكين النائب عن كوهرائين، على دجلة فى خيله ورجله، ليكف الناس عن الفتنة، فلم ينتهوا، وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات.

وفى بعض الأيام وصل أهل باب البصرة إلى سويقه غالب، فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عاداته بالقتال، فقاتلهم حتى كشفوهم. فركب خدم الخليفة، والحجاب، والقباء، وغيرهم من أعيان الحنابلة، كابن عقيل، والكلوذائى، وغيرهما، إلى الشحنة، وساروا معه إلى أهل الكرخ، فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف، ومعاودة السكون، وحضور الجماعة والجمعة، والتدين بمذهب أهل السنة، فأجابوا إلى الطاعة.

فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بأن السنة قد قصدوهم، والقتال عندهم، فمضوا مع الشحنة، ومنعوا من الفتنة، وسكن الناس وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم: خير الناس بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ، وقصدوا شارع ابن أبى عوف ونهبوه، وفى جملة ما نهبوا دار أبى الفضل بن خيرون المعدل، فقصد الديوان مستنفرا، ومع الناس، ورفع العامة الصليبان وهجموا على الوزير فى حجرته، وأكثروا من الكلام الشنيع، وقتل ذلك اليوم رجل هاشمى من أهل باب الأزج بسهم أصابه، فثار العامة هناك بعلوى كان مقيما بينهم، فقتلوه وحرقوه، وجرى من النهب، والقتل، والفساد أمور عظيمة، فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد، فأرسل عسكريا إلى بغداد، فطلبوا المفسدين والعتارين، فهربوا منهم، فهدمت دورهم، وقتل منهم ونفى وسكنت الفتنة، وأمن الناس.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٨

ذكر حيلة [١] لأمير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا

كان بالمغرب إنسان اسمه محمد بن إبراهيم الكزولى «١»، سيد قبيلة كزولة «٢» ومالك جبلها، وهو جبل شامخ، وهى قبيلة كثيرة، و بينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع، فلما كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به، فركب إليه محمدا، فلما قاربه خافه على نفسه، فعاد إلى جبله، واحتاط لنفسه، فكتب إليه يوسف، وحلف له أنه ما أراد به إلا الخير، ولم يحدث نفسه بغدر. فلم يركن محمد إليه.

فدعا يوسف حجّاما، وأعطاه مائة دينار، وضمن له مائة دينار أخرى، إن هو سار إلى محمدا بن إبراهيم واحتال على قتله. فسار الحجّام، ومعها مشاريط مسمومة، فصعد الجبل، فلما كان الغد خرج ينادى لصناعته بالقرب من مساكن «٣» محمد، فسمع محمد الصوت، فقال: هذا الحجّام من بلدنا؟ فقيل:

إنه غريب، فقال: أراه يكتر الصياح، وقد ارتبت [٢] بذلك، ائتونى به. فأحضر عنده، فاستدعى حجّاما آخر وأمره أن يحجمه

بمشاريطه التى معه، فامتنع الحجاج الغريب، فأمسك و حجم فمات، و تعجب الناس من فطنته.
فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه، و لَجَّ فى السعى فى أذى يوصله إليه، فاستمال قوما من أصحاب محمّد، فمالوا إليه، فأرسل إليهم
جرارا من عسل مسموم، فحضرُوا عند محمّد و قالوا: قد وصل [٣] إلينا قوم معهم جرار من عسل

[١] الحيلة.

[٢] ارتب.

[٣] وصلوا.

(١) القزولى. a.

(٢) قزولة. a.

(٣) منازل. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٧٩

أحسن ما يكون، و أردنا إتحاقك به، و أحضروها بين يديه، فلما رآه أمر بإحضار خبز، و أمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن
يأكلوا منه، فامتنعوا، و استعفوه من أكله، فلم يقبل منهم، و قال: من لم يأكل قتل بالسيف، فأكلوا، فماتوا عن آخرهم.
فكتب إلى يوسف بن تاشفين: إنك قد أردت قتلى بكل وجه، فلم يظفرك الله بذلك، فكف عن شرك «١»، فقد أعطاك الله
المغرب بأسره، و لم يعطنى غير هذا الجبل، و هو فى بلادك كالشامة البيضاء فى الثور الأسود، فلم تقنع بما أعطاك الله، عزّ و جلّ.
فلما رأى يوسف أن سرّه قد انكشف و أنّه لا يمكنه فى أمره شىء لحصانه جبهه أعرض عنه و تركه.

ذكر ملك العرب مدينة سوسة و أخذها منهم

فى هذه السنة نقض ابن علوى ما بينه و بين تميم بن المعز بن باديس أمير إفريقية من العهد، و سار فى جمع من عشيرته العرب، فوصل
إلى مدينة سوسة من بلاد إفريقية، و أهلها غارون لم يعلموا به، فدخلها عنوة، و جرى بينه و بين من بها من العسكر و العامة قتال، فقتل
من الطائفتين جماعة و كثر القتل فى أصحابه و الأسر، و علم أنّه لا يتم له مع تميم حال، ففارقها، و خرج منها إلى حلته من الصحراء.
و كان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد، و بقى كذلك إلى سنة أربع و ثمانين [و أربعمائه]، و صلحت أحوال أهلها، و أخصبت البلاد،
و رخصت الأسعار، و أكثر أهلها الزرع.

(١) سريرتك. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٠

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب، فركب آقستقر فى جماعة من عسكره و تبعهم، و لم يزل حتى
أخذهم و قتلهم، فأمنت الطرق بولايته.
و فيها ورد العميد الأغز أبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى إلى بغداد عميدا، و عزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه.
و فيها درّس الإمام أبو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب أبرز من بغداد، و هى المدرسة التاجية

المشهوره.

و فيها عمرت مناره جامع حلب.

و فيها توفي الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمى، خطيب دمشق، في ذى الحجة.

و فيها توفي أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر «١» النيسابورى رئيسها، و مولده سنه عشر و أربعمائه، و كان من العلماء، و

عاصم بن الحسن ابن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من أهل الكرخ، كان ظريفا كيسا، له شعر حسن، فمنه:

ما ذا على متلون الأخلاق لو زارنى، فأبته أشواقى

و أبوح بالشكوى إليه تذلا، و أفضّ ختم الدمع من آماقى

فعاياه يسمح بالوصال لمندف ذى لوعه، و صبابه، مشتاق

أسر الفؤاد، و لم يرق لموثق ما ضره لو جاد بالإطلاق

(١) mo.a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨١ إن كان قد لسبت «١» [١] عقارب صدغه قلبى، فإن رضابه درياقى و قال أيضا:

فديت من ذبت شوقا من محبته، و صرت من هجره فوق الفراش لقا

سمعته يتغنى، و هو مصطبح، أفديه مصطبحا منه، و معتبقا

و أخلفتك ابنة البكرى ما وعدت، و أصبح الجبل منها واهيا خلقا و الصحيح أنه توفي سنه ثلاث و ثمانين [و أربعمائه].

و فيها، فى جمادى الآخرة، توفي الشريف أبو القاسم العلوى، الدبوسى، المدرّس بالنظامية ببغداد، و كان فاضلا فصيحاً «٢».

[١] لبست.

(١) سلبت: selanna.fluba 'lll' p.٢٧٠

(٢) و تمت السنه. dda.a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٢

٢٨٣ ثم دخلت سنه ثلاث و ثمانين و أربعمائه

ذكر وفاة فخر الدولة أبى نصر بن جهير

فى هذه السنه، فى المحرم، توفي فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جهير الذى كان وزير الخليفه بمدينة الموصل، و مولده بها

سنه ثمان و تسعين و ثلاثمائه، و تزوج إلى أبى العقارب شيخها، و نظر فى إملاك جارية قرواش، المعروفة بسرهنك، ثم خدم بركة

بن المقلد «١»، حتى قبض على أخيه قرواش و حبسه، و مضى بهدايا إلى ملك الروم، فاجتمع هو و رسول نصر «٢» الدولة بن مروان،

فتقدم فخر الدولة عليه، فنازعه رسول ابن مروان، فقال فخر الدولة لملك الروم: أنا أستحقّ التقدم عليه لأنّ [١] صاحبه يؤدى الخراج

إلى صاحبه.

فلما عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه، فاستجار بأبى الشداد، و كانت عقيل تجير على أمرائها، و سار إلى حلب، فوزر لمعز

الدولة أبى شمال ابن صالح. ثم مضى إلى ملطيه، و منها إلى ابن مروان، فقال له: كيف أمنتنى و قد فعلت برسولى ما فعلت عند ملك

الروم «٣»؟ فقال: حملنى على ذلك نصح صاحبى. فاستوزره، فعمر بلاده.

[١] لأنه.

(١) مقلد. a.

(٢) نصير. a.

(٣) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٣

و وزير بعد نصر الدولة لولده، ثم سار إلى بغداد، و ولّى وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، و تولّى أخذ ديار بكر من بنى مروان، على ما ذكرناه أيضا، ثم أخذها منه السلطان، فسار إلى الموصل فتوفى بها.

ذكر نهب العرب البصرة

و فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً.

و سبب ذلك أنه ورد إلى بغداد، فى بعض السنين، رجل أشقر من سواد النيل يدعى الأدب، و النجوم، و يستجرى الناس، فلقبه أهل بغداد تلياً «١»، و كان نازلاً فى بعض الخانات، فسرق ثياباً من الديباج و غيره، و أخفاها فى خلفا «٢»، و سار بها، فرآها الذين يحفظون الطريق، فمنعوه من السفر اتّهاماً له «٣»، و حملوه إلى المقدم عليهم، فأطلقه لحرمة العلم.

فسار إلى أمير من أمراء العرب من «٤» بنى عامر، و بلاده متاخمة الأحساء، و قال له: أنت تملك الأرض، و قد فعل أجدادك بالحاج كذا و كذا، و أفعالهم مشهورة، مذكورة فى التواريخ، و حسن له نهب البصرة و أخذها، فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل، و قصد البصرة، و بها العميد عصمة، و ليس معه من الجند إلّا اليسير، لكون الدنيا آمنة من ذاعر، و لأنّ الناس فى جنّة من هيبه السلطان، فخرج إليهم فى أصحابه، و حاربهم، و لم يمكّنهم من دخول البلد، فأتاه من أخبره أنّ أهل البلد يريدون أن يسلموه إلى العرب، فخاف، ففارقهم، و قصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل.

(١) تلياً (بفتح التاء). p. C.

(٢) a. mo.

(٣) p. c. mo.

(٤) dda. a. بلاد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٤

فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم و انصرفوا، و دخل العرب حينئذ البصرة، و قد قويت نفوسهم، و ملكوها، و نهبوا ما فيها نهباً شنيعاً، فكانوا ينهبون نهاراً، و أصحاب العميد عصمة ينهبون ليلاً، و أحرقوا مواضع عدّة، و فى جملة ما أحرقوا داران [١] للكتب إحداهما و قفت قبل أزيام عضد الدولة ابن بويه، فقال عضد الدولة: هذه مكرمة سبقنا إليها، و هى أول دار و قفت فى الإسلام. و الأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان، و كان بها نفائس الكتب و أعيانها، و أحرقوا أيضا النحاسين و غيرها من الأماكن.

و خرّبت و قوف البصرة التى لم يكن لها نظير، من جملتها: و قوف على الحمّال «١» الدائرة على شاطئ دجلة، و على الدواليب التى تحمل الماء و ترقيه إلى قنى «٢» الرصاص الجارية إلى المصانع، و هى على فراسخ من البلد، و هى من عمل محمّد بن سليمان «٣»

الهاشمى وغيره.

و كان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملك شاه. فلما فعلوا ذلك، و بلغ الخبر إلى بغداد، انحدر سعد الدولة كوهرائين، و سيف الدولة صدقة بن مزيد إلى البصرة لإصلاح أمورها، فوجدوا العرب قد فارقوها. ثم إن تليا أخذ بالبحرين، و أرسل إلى السلطان، فشهره ببغداد سنة أربع و ثمانين [و أربعمائه] على جمل، و على رأسه طرطور، و هو يصفع بالدرّة، و الناس يشتمونه، و يستبهم «٤»، ثم أمر به فصلب.

[١] دارين.

(١) الجمال. a.

(٢) قناه. a.

(٣). سليمان بن محمد. a.

(٤). و يشتمهم. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٥

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة قدم الإمام أبو عبد الله الطبرى بغداد، فى المحرم، بمنشور من نظام الملك بتوليته تدریس المدرسة النظامية، ثم ورد بعده، فى شهر ربيع الآخر من السنة، أبو محمّد عبد الوهاب الشيرازى، و هو أيضا معه منشور بالتدریس، فاستقر أن يدرّس يوما، و الطبرى يوما.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٦

٤٨٤ ثم دخلت سنة أربع و ثمانين و أربعمائه

ذكر عزل الوزير أبى شجاع و وزارة عميد الدولة بن جهير

فى هذه السنة، فى ربيع الأول، عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة.

و كان سبب عزله أن إنسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان و نظام الملك، فلقية إنسان يبيع الحصر [١]، فصفعه صفعه أزال عمامته عن رأسه «١»، فأخذ الرجل، و حمل إلى الديوان، و سئل عن السبب فى فعله، فقال: هو وضعنى على نفسه، فسار كوهرائين و معه ابن سمحا اليهودى إلى العسكر يشكوان، و كانا متفقين على الشكايه من الوزير أبى شجاع. فلما سارا خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة بالغيار، و لبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فهربوا كلّ مهرب، أسلم بعضهم، فمّن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا «٢» الكاتب، و ابن أخيه «٣» أبو نصر هبة الله بن الحسن بن على صاحب الخبر، أسلما على يدى الخليفة.

[١] الخصر.

(١) a.mo

(٢) الموصلايا.p.c

(٣) أخته.a

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٧

و نقل أيضا عنه إلى السلطان و نظام الملك أنه يكسر أغراضهم و يقبّح أفعالهم، حتى إنه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال: و ما هذا ممّا يبشّر به، كأنه قد فتح بلاد الروم، هل أتى إلّا إلى قوم مسلمين موّخدين، فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين! فلما وصل كوهرائين و ابن سمحا إلى العسكر و شكوا من الوزير إلى السلطان و نظام الملك، و أخبراهما بجميع ما يقول عنهما، و يكسر من أغراضهما، أرسلّا إلى الخليفة في عزله، فعزله، و أمره بلزوم بيته، و كان عزله يوم الخميس، فلما أمر بذلك أنشد:

تولّاه و ليس له عدوّ، و فارقتها و ليس له صديق فلما كان الغد، يوم الجمعة، خرج من داره إلى الجامع راجلا، و اجتمع الخلق العظيم عليه، فأمر أن لا يخرج من بيته، و لما عزل استتب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا، كاتب الإنشاء، و أرسل الخليفة إلى السلطان و نظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره، فسير إليه، فاستوزره في ذى الحجة من هذه السنة، و ركب إليه نظام الملك، فهنأ بالوزارة في داره، و أكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة.

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة، في رجب، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، صاحب بلاد المغرب، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين: قرطبة و إشبيلية، و قبض على المعتمد بن عباد صاحبها، و ملك غيرها من الأندلس.

و لقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمّد بن هارون

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٨

الرشيد. قال أبو بكر عيسى بن اللبّانة الداني، من مدينه دانية: كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائه، فجرى ذكر غرناطة، و ملك أمير المسلمين لها، و قد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة، فلما ذكرناها تفجّع، و تلهّف، و استرجع، و ذكر قصرها «١»، فدعونا لقصره «٢» بالدوام، و لملكه بتراخي الأيام «٣». فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيليّ بالغناء فغنى:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت، و طال عليها سالف الأبد فاستحالت مسرته، و تجهمت أسرته. ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى:

إن شئت أن لا ترى صبيرا لمصطبر، فانظر إلى أيّ حال أصبح الطلل فتأكد «٤» تطيره، و اشتدّ اربداد وجهه و تغيره، و أمر مغتية أخرى بالغناء، فغنت:

يا لهف نفسي على مال أفزقه «٥» على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي من إحدى المصيبات قال ابن اللبّانة: فتلافت الحال بأن قمت فقلت:

محلّ مكرمه لا هدّ مبناه، و شمل مأثرة لا شته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا، إن الرشيد مع المعتد ركانه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده، و راحل في سبيل الله مثنوا

حتم على الملك أن يقوى و قد وصلت بالشرق و الغرب يمناه و يسراه

(١) قصرها.a

(٢) لعصره.a

(٣) p. c. mo

(٤) فأكد. p. c.

(٥) أجود به. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٨٩ بأس توقد، فاحمرّت لواحظه «١» و نائل شبّ، فاحضرت عذاراه فلعمرى قد بسطت من نفسه، و أعدت عليه بعض أنسه. على أنى وقعت فيما وقع فيه الكلّ بقولى البيت كالبيت. و أمر إثر ذلك بالغناء فغنى: و لَمَّا قُضِيَنا من منى كلّ حاجة، و لم يبق إلّا أن تزمّ الركائب فأيقنّا أن هذه الطير، تعقب الغير. فلَمَّا أراد أمير المسلمين ملك الأندلس سار من مراكش إلى سبتة، و أقام بها، و سیر العساكر مع سير بن أبى بكر و غيره إلى الأندلس، فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية، فملكوها و أعمالها، و أخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها، و ساروا إلى مدينة شاطبة و مدينة دانية فملكوهما. و كانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما، بعد أن حصروها سبع سنين، فلَمَّا سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها، فملكها المسلمون أيضا، و عمروها و سكنوها، فصارت الآن للمرابطين.

و كانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة، فقصدوا «٢» مدينة إشبيلية، و بها صاحبها المعتمد بن عباد، فحصروه بها، و ضيقوا عليه، فقاتل أهلها قتالا شديدا، و ظهر من شجاعته «٣» المعتمد، و شدة بأسه، و حسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه، فكان يلقي نفسه فى المواقف التى لا يرجى خلاصه منها، فيسلم بشجاعته، و شدة نفسه، و لكن إذا نفذت المدّة، لم تغن العدة. و كانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم، فجمعوا فآكثروا، و ساروا ليساعدوا

(١) ملاحظة. a

(٢) فملكوا. p. c.

(٣) و أظهر من شجاعته. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٠

المعتمد، و يعينوه على المرابطين، فسمع سير بن أبى بكر، مقدّم المرابطين، بمسيرهم، ففارق إشبيلية و توجه إلى لقاء الفرنج، فلقبهم، و قاتلهم، و هزمهم، و عاد إلى إشبيلية فحصرها، و لم يزل الحصار دائما، و القتال مستمرا إلى العشرين من رجب من هذه السنة، فعظم الحرب ذلك اليوم، و اشتد الأمر على أهل البلد، و دخله المرابطون من واديه، و نهب جميع ما فيه، و لم يبقوا على سب و لا لبد، و سلبوا الناس ثيابهم، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم، و سبيت المخدرات، و انتهكت الحرمات، فأخذ المعتمد أسيرا، و معه أولاده الذكور و الإناث، بعد أن استأصلوا جميع مالهم، فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد. و قيل: إن المعتمد سلّم البلد بأمان، و كتب نسخة الأمان و العهد، و استحلفهم به لنفسه، و أهله، و ماله، و عبيده، و جميع ما يتعلّق بأسبابه.

فلَمَّا سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له، و أخذوهم أسراء و مالهم غنيمة، و سیر المعتمد و أهله إلى مدينة أغمات، فحبسوا فيها، و فعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها أحد ممّن قبله، و لا يفعلها أحد ممّن يأتى بعده، إلّا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة، و ذلك أنه سجنهم فلم يجز عليهم ما يقوم بهم، حتى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم، و ذكر ذلك المعتمد فى أبيات ترد عند ذكر وفاته، فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس و لؤم قدرة.

و أغمات هذه مدينة فى سفح جبل بالقرب من مراكش، و سيرد من ذكر المعتمد عند موته، سنة ثمان و ثمانين [و أربعمئة]، ما يعرف به محلّه.

قال أبو بكر بن اللبانه: زرت المعتمد بعد أسره بأغمت، و قلت أبياتا [١]

[١] أبيات.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩١

عند دخولى إليه، منها:

لم أقل فى الثقاف كان ثقافا، كنت «١» قلبا به، و كان شغافا

يمكث الزهر فى الكمام، و لكن بعد مكث الكمام يدنو قطافا

و إذا ما الهلال غاب بغير لم يكن ذلك المغيب انكسافا

إنما أنت درة للمعالى «٢»، ركب الدهر فوقها أصدافا

حجب البيت منك شخصا كريما، مثلما تحجب الدنان «٣» السلافا «٤»

أنت للفضل كعبه، و لو أتى كنت أسطىح لالتمت الطوفا قال: و جرت بينى و بينه مخاطبات ألد من غفلات الرقيب، و أشهى من

رشفات الحبيب، و أدل على السماح، من فجر على صباح.

و لما أخذ المعتمد و أهله قتل ولداه الفتح و يزيد بين يديه صبوا، فقال فى ذلك:

يقولون صبوا! لا سبيل إلى الصبر، سأكى، و أبكى ما تطاول من عمرى

أفتح لقد فتحت لى باب رحمة، كما بيزيد، الله قد زاد فى أجرى «٥»

هوى بكما المقدار عنى، و لم أمت، فأدعى و فنيا، قد نكصت «٦» إلى الغدر

و لو عدتما لاخرتما العود فى الثرى إذا أنتما أبصرتمانى فى الأسر

أبا خالد أورثنى البث خالد، أبا نصر مذ و دعت و دعى نصرى و كان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد، و هو محبوس، بالنثر و النظم،

يتوجعون له، و يذمون الزمان و أهله، حيث مثله منكوب، فمن ذلك ما قاله عبد الجبار

(١) كان. a

(٢) المعانى. a

(٣) الزجاج. a

(٤). سلافا. p. C.

(٥) ذخرى. a

(٦). نسبت. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٢

ابن أبى بكر بن حمد يس، و كتبه إليه «١» يذكر مسيرهم عن إشبيلية إلى أغمت:

جرى لك جد بالكرام عثور، و جار زمان كنت منه تجير

لقد أصبحت بيض الظبى فى غمودها إنانا لترك الضرب «٢»، و هى ذكور

و لما رحلت بالندى فى أكفكم، و قلقل رضوى منكم و ثبير

رفعت لسانى بالقيامة قد أتت، ألا فانظروا كيف الجبال تسير «٣» و قال شاعره ابن اللبانه فى حادثته أيضا:

تبكى السماء بدمع «٤» رائح غادى على البهاليل من أبناء عباد

على الجبال التى هددت قواعدهاو كانت الأرض منها تحت أوتاد «٥»

عزيسة دخلتها النابات على أساود منهم فيها و آساود

و كعبة كانت الآمال تعمرها، فاليوم لا عاكف فيها، ولا باد و لما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس، و أخذ بلادهم، جمع ملوكهم و سيرهم إلى بلاد بالغرب «٦»، و فرقهم فيها، إن الملوك إذا دخلوا قريه أفسدوها و جعلوا أعزّه أهلها أذله «٧».

و لما فرغ سير من إشبيلية سار إلى المريّة فنازلها، و كان صاحبها محمد بن معن بن صمادح «٨»، فقال لولده: ما دام المعتمد بإشبيلية فلا نبالى بالمرايطين. فلما سمع بملكهم لها، و ما جرى للمعتمد، مات فى تلك الأيام غمًا و كمدًا، فلما مات سار ولده الحاجب و أهله فى مراكب، و معهم كل

(١) a.mo

(٢) الظبى p.c. الكامل فى التاريخ ج ١٠ ١٩٢ ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التى للمسلمين ص : ١٨٧

(٣) فهذى الجبال الراسيات.a

(٤). بمزن.a

(٥) tseedsusrevcih.p.cni

(٦) بالمغرب.a

(٧) SV، ٢٧.٢OC

(٨) ضمادح بن معن.a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٣

مالهم [١]، و قصدوا بلاد بنى حماد، فأحسنوا إليهم.

و كان عمر بن الأفطس، صاحب بطليوس، ممن أعان سير على المعتمد، فلما فتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده، فسار إليه سير، و حاربه، فغلبه «١»، و أخذ بلده منه، و أخذه أسيرا هو و ولده الفضل، فقتلها، فقال عمر حين أرادوا قتله: قدّموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى صحيفتى! فقتل ولده قبله، و قتل هو «٢» بعده، و احتوى سير «٣» على ذخائرهم و أموالهم.

و لم يترك من ملوك الأندلس سوى بنى هود، فإنه لم يقصد بلادهم، و هى شرق الأندلس، و كان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود، و هو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم، و كان قد أعد كل ما [٢] يحتاج إليه فى الحصار، و ترك عنده ما يكفيه عدّة سنين بمدينه روطه، و كانت قلعه حصينه، و كانت رعيته «٤» تخافه، و لم يزل يهادى أمير المسلمين، قبل أن يقصد بلاد الأندلس و يملكها، و يواصله، و يكثر مراسلته، فرعى له ذلك، حتى إنه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود، و قال: اتركهم بينك و بين العدو، فإنهم شجعان.

ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية

فى هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على جميع جزيرة صقلية، أعادها الله تعالى إلى الإسلام و المسلمين.

[١] كلما لهم.

[٢] كلما.

a.(١)

p.c.(٢) أبوه.

p.c.(٣)

p.c.(٤). رعية.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٤

و سبب ذلك أن صقلية كان الأمير عليها سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبى الحسين، ولأه عليها العزيز العلوى، صاحب مصر و إفريقية، فأصابه هذه السنة فالج، فتعطل جانبه الأيسر، و ضعف الجانب الأيمن، فاستتاب ابنه جعفرا، فبقى كذلك ضابطا للبلاد، حسن السيرة فى أهلها إلى سنة خمس و أربعمائه، فخالف عليه أخوه على، و أعانه جمع من البربر و العبيد، فأخرج إليه أخوه جعفر جندا من المدينة، فاقتلوا سبع شعبان، و قتل من البربر و العبيد خلق كثير، و هرب من بقى منهم و أخذ على أسيرا، فقتله أخوه جعفر، و عظم قتله على أبيه، فكان بين خروجه و قتله ثمانية أيام.

و أمر جعفر حينئذ أن ينفى كل بربرى بالجزيرة، فنفا إلى إفريقية، و أمر بقتل العبيد، فقتلوا عن آخرهم و جعل جنده كلهم من أهل صقلية.

فقل «١» العسكر بالجزيرة، و طمع أهل الجزيرة فى الأمراء، فلم يمتض إلّا يسير حتى ثار به أهل صقلية، و أخرجوه، و خلعوه، و أرادوا قتله.

و سبب ذلك أنه ولى عليهم إنسانا صادرهم، و أخذ الأعمار من غلاتهم، و استخف بقوادهم و شيوخ البلد، و قهر جعفر إخوته، و استطال عليهم، فلم يشعر إلّا و قد زحف إليه أهل البلد كبيرهم و صغيرهم، فحصره فى قصره فى المحرم «٢» سنة عشر و أربعمائه، و أشرفوا على أخذه، فخرج إليهم أبوه يوسف فى محفة، و كانوا له محبين، فلفظ بهم و رفق، فبكوا رحمة له من مرضه، و ذكروا له ما أحدث ابنه عليهم، و طلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكل، ففعل ذلك.

و خاف يوسف على ابنه جعفر منهم، فسيّره فى مركب إلى مصر، و سار أبوه يوسف بعده، و معهما من الأموال ستمائة ألف دينار و سبعون ألفا، و كان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة، سوى البغال و غيرها،

a.(١) فضعف فقتل.

p.c.(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٥

و مات بمصر و ليس له إلّا دابة واحدة.

و لما ولى الأكل أخذ أمره بالحزم و الاجتهاد، و جمع المقاتلة، و بث سراياه فى بلاد الكفرة، فكانوا يحرقون، و يغنمون، و يسبون، و يخربون البلاد، و أطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين.

و كان للأكل ابن اسمه جعفر كان يستنبيه «١» إذا سافر، فخالف سيرة أبيه، ثم إن الأكل «٢» جمع أهل صقلية و قال: أحب أن أشليكم على «٣» الإفريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم، و رأى إخراجهم، فقالوا: قد صاهرناهم و صرنا شيئا واحدا، فصرفهم. ثم أرسل إلى الإفريقيين، فقال لهم مثل ذلك، فأجابوه إلى ما أراد، فجمعهم حوله، فكان يحمى أملاكهم، و يأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية، فسار من أهل صقلية جماعة إلى المعز ابن باديس، و شكوا إليه ما حلّ بهم، و قالوا: نحب أن نكون فى طاعتك، و إلّا سلّمنا البلاد إلى الروم، و ذلك سنة سبع و عشرين و أربعمائه، فسيّر معهم ولده عبد الله فى عسكر، فدخل المدينة، و حصر الأكل فى الخلاصة. ثم اختلف أهل صقلية، و أراد بعضهم نصره الأكل، فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعز.

ثم إن الصقليين رجع بعضهم على بعض، وقالوا: أدخلتم غيركم عليكم، والله لا- كانت عاقبه أمركم فيه «٤» إلى خير! فعزموا على حرب عسكر المعز، فاجتمعوا و زحفوا إليهم، فاقتتلوا، فانهزم عسكر المعز، و قتل منهم ثمانمائة رجل، و رجعوا فى المراكب إلى إفريقيا، و ولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام، أخا الأكل، فاضطربت أحوالهم، و استولى الأراذل، و انفرد كل إنسان ببلد، و أخرجوا الصمصام، فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر

(١). يستخلفه. a

(٢). إنه. p. c.

(٣). أفرغكم من. a

(٤). C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٦

و طرابنش «١» و غيرهما، و انفرد القائد على بن نعمه، المعروف بابن الحواس «٢»، بقصريانه «٣» و جرجنت و غيرهما، و انفرد ابن الثمنه «٤» بمدينة سرقوسة، و قطانيه «٥»، و تزوج بأخت ابن الحواس «٦».

ثم إنه «٧» جرى بينها و بين زوجها «٨» كلام فأغلظ كل منهما لصاحبه، و هو سكران، فأمر ابن الثمنه «٩» بفصدها فى عضديها، و تركها لتموت، فسمع ولده إبراهيم، فحضر، و أحضر الأطباء، و عالجهما إلى أن عادت قوتها، و لما أصبح أبوه ندم، و اعتذر إليها بالسكر، فأظهرت قبول عذره.

ثم إنهما طلبت منه بعد مدة أن تزور أخاها، فأذن لها، و سير معها التحف و الهدايا، فلما وصلت ذكرت لأخيها ما فعل بها، فحلف أنه لا يعيدها إليه، فأرسل ابن الثمنه «١٠» يطلبها، فلم يردّها إليه، فجمع ابن الثمنه عسكره، و كان قد استولى على أكثر الجزيرة، و خطب له بالمدينة، و سار، و حصر ابن الحواس بقصريانه، فخرج إليه فقاتله، فانهزم ابن الثمنه، و تبعه إلى قرب مدينته قطانيه «١١»، و عاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر.

فلما رأى ابن الثمنه أن عساكره قد تمزقت، سؤلت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريد الله تعالى، فسار إلى مدينة مالطة «١٢»، و هى بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجى الذى تقدّم ذكره سنة اثنتين و سبعين و ثلاث مائه، و استوطنها الفرنج إلى الآن، و كان ملكها حينئذ رجار «١٣» الفرنجى فى جمع من الفرنج، فوصل إليهم ابن الثمنه و قال: أنا أملككم الجزيرة! فقالوا: إن فيها جندا كثيرا، و لا طاقة لنا بهم، فقال: إنهم مختلفون، و أكثرهم يسمع

(١) و طرابلس. a

(٢-٦) الجواس. p. c. euqibu

(٣) بقصر بانه. euqibu. a. بقصر نانه. p. c.

(٤-٩) الشمس. S. الشمس. p. c.

(٥) الشمس. p. c. euqibu

(٧). a

(٨). بينهما. p. c.

(١٠) الشمس. p. c. euqibu

(١١) قسطانيه. p. c.

(١٢). مايطة. a.

(١٣). راحار. a, زحار. p.c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٧

قولي، و لا- يخالفون أمري. فساروا معه في رجب سنة أربع و أربعين و أربعمائه، فلم يلقوا من يدافعهم، فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم، و قصد بهم إلى قصر يانة فحصروها، فخرج إليهم ابن الحوّاس، فقاتلهم، فهزمه الفرنج، فرجع إلى الحصن، فرحلوا عنه، و ساروا في الجزيرة، و استولوا على مواضع كثيرة، و فارقها كثير من أهلها من العلماء و الصالحين، و سار جماعة من أهل صقلية إلى المعز بن باديس، و ذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف، و غلبه الفرنج على كثير منها، فعمر أسطولا كبيرا «١»، و شحنه بالرجال و العدد، و كان الزمان شتاء، فساروا إلى قوصرة، فهاج عليهم البحر، فغرق أكثرهم، و لم ينج إلّا القليل.

و كان ذهاب هذا الأسطول ممّا أضعف المعزّ، و قوى عليه العرب، حتّى أخذوا البلاد منه. فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل و تؤدة، لا يمنعهم أحد، و اشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب، و مات المعزّ سنة ثلاث و خمسين و أربعمائه، و ولي ابنه تميم، فبعث أيضا أسطولا و عسكرا إلى الجزيرة، و قدّم عليه و لديه أيّوب و عليّ، فوصلوا إلى صقلية، فنزل أيّوب و العسكر المدينة «٢»، و نزل عليّ جرجنت، ثمّ انتقل أيّوب إلى جرجنت، فأمر عليّ بن الحوّاس أن ينزل في قصره، و أرسل هديّة كثيرة. فلمّا أقام أيّوب فيها أحبّه أهلها، فحسده ابن الحوّاس، فكتب إليهم ليخرجوه، فلم يفعلوا، فسار إليه في عسكره، و قاتله، فشدّ أهل جرجنت من أيّوب، و قاتلوا معه، فبينما ابن الحوّاس يقاتل أتاها سهم غرب فقتله، فملك العسكر عليهم أيّوب. ثمّ وقع بعد ذلك بين أهل المدينة و بين عبيد تميم فتنة أدّت إلى القتال، ثمّ زاد

(١). كثيرا. A.

(٢). P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٨

الشرّ بينهم، فاجتمع أيّوب و عليّ أخوه، و رجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى و ستين [و أربعمائه]، و صحبهم جماعة من أعيان صقلية و الأسطولية، و لم يبق للفرنج ممانع، فاستولوا على الجزيرة، و لم يثبت بين أيديهم غير قصر يانة و جرجنت، فحصرهما الفرنج، و ضيقوا على المسلمين بهما، فضاق الأمر على أهلها [١] حتّى أكلوا الميتة، و لم يبق عندهم ما يأكلونه. فأما أهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج، و بقيت قصر يانة بعدها ثلاث سنين، فلمّا اشتدّ الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم، فتسلمها الفرنج، لعنهم الله، سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و ملك رجار جميع الجزيرة و أسكنها الروم و الفرنج مع المسلمين، و لم يترك لأحد من أهلها حمّاما، و لا دكانا، و لا طاحونا.

و مات رجار، بعد ذلك، قبل التسعين و الأربعمائه، و ملك بعده [٢] ولده رجار، فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنايب و الحجاب، و السلاحية، و الجاندارية، و غير ذلك، و خالف عادة الفرنج، فإنّهم لا يعرفون شيئا منه، و جعل له ديوان المظالم ترفع «١» إليه شكوى المظلومين، فينصفهم و لو من ولده، و أكرم المسلمين، و قربهم و منع عنهم الفرنج، فأحبّوه، و عمّر أسطولا كبيرا، و ملك الجزائر التي بين المهدية و صقلية، مثل مالطة، و قوصرة، و جربة، و قرقة «٢»، و تناول إلى سواحل إفريقية، فكان منه ما نذكره إن شاء الله.

[١] أهلها.

[٢] بعد.

(١). يرفع. A.

(٢). وقرية. A، و مرقنه. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ١٩٩

ذكر وصول السلطان إلى بغداد

في هذه السنة، في شهر رمضان، وصل السلطان إلى بغداد، و هي المرّة الثانية، و نزل بدار المملكة، و نزل أصحابه متفرّقين، و وصل إليه أخوه تاج الدولة تتش، و قسيم الدولة آقسنقر، صاحب حلب، و غيرهما من زعماء الأطراف، و عمل الميلاد ببغداد، و تأنقوا في عمله، فذكر الناس أنّهم لم يروا ببغداد مثله أبداً، و أكثر [١] الشعراء وصف تلك الليلة، فمّن قال المطرّز:

و كلّ نار على العشّاق مضرمة من نار قلبي، أو من ليلة السّدق «١»

نار تجلّت بها الظّلماء، و اشتبهت بسدفة الليل فيه غرّة الفلق

و زارت الشمس فيها البدر و اصطلاحا على الكواكب بعد الغيظ و الحنق

مدّت على الأرض بسطا من جواهرها ما بين مجتمع وار و مفترق [٢]

مثل المصاييح إلّا أنّها نزلت من السماء بلا رجم و لا حرق

أعجب بنار و رضوان يسعها و مالك قائم منها على فرق

في مجلس ضحكت روض الجنان له لَمّا جلا ثغره عن واضح يقق

و للشّموع عيون كلّما نظرت تظلمت من يديها أنجم الغسق «٢»

من كلّ مرهفة الأعطاف كالغصن المياد، لكنّه عار من الورق

[١] و أكثروا.

[٢] و مفترق.

(١). الصدق. A.

(٢). العنق. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٠ إني لأعجب [١] منها، و هي وادعة تبكي، و عيشتها من ضربة العنق و في هذه المرّة أمر بعمارة جامع السلطان، فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس و ثمانين و أربعمائه، و عمل قبلته بهرام منجمه، و جماعة من أصحاب الرصد، و ابتدأ بعده نظام الملك، و تاج الملوك، و الأمراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها إذا قدموا ببغداد، فلم تطل مدّتهم بعدها، و تفرّق شملهم بالموت، و القتل، و غير ذلك في باقى سنتهم، و لم تغن عنهم عساكرهم و ما جمعوا شيئا، فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره «١».

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكّة مستغيثا من التركمان.

و في آخرها مرض نظام الملك ببغداد، فعالج نفسه بالصدقة، فكان يجتمع بمدرسه من الفقراء و المساكين من لا يحصى، و تصدّق

عنه الأعيان، و الأمراء من عسكر السلطان، فعوفى، و أرسل [له] الخليفة خلعا نفيسة. و فيها، فى تاسع شعبان، كان بالشام، و كثير من البلاد، زلازل كثيرة، و كان أكثرها بالشام، ففارق الناس مساكنهم، و انهدم بأنطاكية كثير من المساكن، و هلك تحتها عالم كثير، و خرب من سورها تسعون برجا، فأمر السلطان ملك شاه بعمارتها. و فيها، فى شوال، توفى أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك «٢»

[١] لا عجبت.

(١). ملكه. A.

(٢). علمك. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠١

الفقيه الشافعى، و هو من رؤساء الفقهاء الشافعية، و هو الذى تقدم ذكره فى فتح سمرقند، و مشى أرباب الدولة السلطانية كلهم فى جنازته، إلا نظام الملك، فإنه اعتذر بعلو السن، و أكثر البكاء عليه، و دفن عند الشيخ أبى إسحاق* بباب ابرز «١»، و زار السلطان قبره. و توفى محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفى، قاضى الرى، و كان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل إلى الاعتزال، و كان موته فى رجب.

و فيها فى شعبان «٢» توفى أبو الحسن على بن الحسين بن طاووس المقرئ بمدينة صور.

(١-٢). A.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٢

٤٨٥ ثم دخلت سنة خمس و ثمانين و أربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين و الفرنج بجان

فى هذه السنة جمع أذفونش عساكره، و جموعه، و غزا بلاد جيان من الأندلس، فلقىه المسلمون و قاتلوه، و اشتدت الحرب، فكانت الهزيمة أولا على المسلمين، ثم إن الله تعالى رد لهم الكثرة على الفرنج، فهزموهم، و أكثروا القتل فيهم، و لم ينج إلا الأذفونش فى نفر يسير، و كانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع، بعد الزلاقة، و أكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم.

ذكر استيلاء تش على حمص و غيرها من ساحل الشام

لما كان السلطان ببغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تش من دمشق، و قسيم الدولة آقسنقر من حلب، و بوزان من الرها، فلما أذن لهم السلطان فى العود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة و بوزان أن يسيرا مع عساكرهما فى خدمة أخيه تاج الدولة، حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر «١» العلوى، بساحل الشام، من البلاد، و يسير، و هم معه، إلى مصر ليملكها.

فساروا أجمعون «٢» إلى الشام، و نزل على حمص، و بها ابن ملاعب صاحبها،

(١-٢). A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٣

و كان الضرر به و بأولاده عظيما على المسلمين، فحصروا البلد، و ضيقوا على من به، فملكه تاج الدولة، و أخذ ابن ملاعب و ولديه، و سار إلى قلعة عرقه فملكها عنوة، و سار إلى قلعة أفامية فملكها أيضا، و كان بها خادم للمصرى، فنزل بالأمان فأمنه، ثم سار إلى طرابلس فنزلها، فرأى صاحبها جلال الملك ابن عمّار جيشا لا يدفع إلّا بحيلة، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة، و أطمعهم ليصلحوا حاله، فلم ير فيهم مطمعا.

و كان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرّين كمر «١»، فراسله ابن عمّار فرأى عنده لينا، فأتحفه و أعطاه، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة فى إصلاح حاله ليدفع عنه، و حمل له ثلاثين ألف دينار، و تحفا بمثلها، و عرض عليه المناشير التى بيده من السلطان بالبلد، و التقدّم إلى التّواب بتلك البلاد بمساعدته، و الشّدّ معه «٢»، و التحذير من محاربتة، فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش: لا أقاتل من هذه المناشير بيده «٣»، فأغظ له تاج الدولة، و قال: هل أنت إلّا تابع لى؟ فقال آقسنقر: أنا أتابعك إلّا فى معصية السلطان، و رحل من الغد عن موضعه، فاضطرّ تاج الدولة إلى الرحيل، فرحل غضبان، و عاد بوزان أيضا إلى بلاده، فانقض هذا الأمر.

ذكر ملك السلطان اليمن

و كان ممّن «٤» حضر أيضا عند السلطان ببغداد جيق أمير التركمان، و هو صاحب قرميسين و غيرها، فأمره السلطان أن يسير هو و معه جماعة من أمراء السلطان «٥»

(١). زريكمر. A.

(٢). منه. A.

(٣). mO. A.

(٤). فيمن. A.

(٥). التركمان. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٤

ذكرهم، إلى الحجاز و اليمن، و يكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين، ليفتحوا البلاد هناك، فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك، فساروا حتّى وردوا اليمن، فاستولوا عليها، و أساءوا السيرة فى أهلها، و لم يتركوا فاحشة و لا سيئة إلّا ارتكبوها، و ملكوا عدن، و ظهر على ترشك الجدرى، فتوفى فى سابع يوم من وصوله إليها، و كان عمره سبعين سنة، فعاد أصحابه إلى بغداد، و حملوه، فدفنوه عند قبر أبى حنيفة، رحمه الله عليه.

ذكر مقتل نظام الملك

فى هذه السنة، عاشر رمضان، قتل نظام الملك أبو علىّ الحسن بن علىّ ابن إسحاق الوزير بالقرب من نهاوند، و كان هو و السلطان فى أصبهان، و قد عاد إلى بغداد، فلما كان بهذا المكان، بعد أن فرغ من إفطاره، و خرج فى محفّته إلى خيمه حرمه، أتاه [١] صبى ديلمى من الباطنية، فى صورة مستميج، أو مستغيث، فضربه بسكين كانت معه «١»، فقتل عليه و هرب، فعثر بطنب خيمه، فأدركوه فقتلوه، و ركب السلطان إلى خيمه «٢»، فسكن عسكره و أصحابه.

و بقى وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان، صاحب خراسان، أيام عمّه طغرلبك، قبل أن يتولّى السلطنة، و كان علت سنّه، فأثّه كان مولده سنة ثمان و أربعمائه.

[١] فأتاه.

(١). P.C.mO.

(٢). خيمته. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٥

و كان سبب قتله أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولّاه جدّه نظام الملك رئاسة مرو، و أرسل السلطان إليها شحنة يقال له قودن، و هو من أكبر مماليكه، و من أعظم الأمراء فى دولته، فجرى بينه و بين عثمان منازعة فى شىء، فحملت عثمان حداثة سنّه، و تمكّنه، و طمعه بجدّه، على أن قبض عليه، و أخرج به، ثم أطلقه، فقصد السلطان مستغيثا شاكيا، فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالته مع تاج الدولة «١» و مجد الملك البلاسانى و غيرهما من أرباب دولته يقول له: إن كنت شريكى فى الملك، و يدك مع يدى فى السلطنة، فلذلك «٢» حكم، و إن كنت نائبي، و بحكمى، فيجب أن تلزم حدّ التبعية و النيابة، و هؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة، و ولى ولاية كبيرة، و لم يقنعهم ذلك، حتى تجاوزوا أمر السياسة و طمعوا إلى «٣» أن فعلوا كذا و كذا، و أطال القول، و أرسل معهم الأمير يلبرد، و كان من خواصّه و ثقافته، و قال له: تعرّفنى ما يقول، فربما كنتم هؤلاء شيئا.

فحضروا عند نظام الملك و أوردوا عليه الرسالة، فقال لهم: قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم، فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى و رأى، أما يذكر حين قتل أبوه فقمتم بتدبير أمره، و قمعت الخوارج عليه من أهله، و غيرهم، منهم: فلان و فلان، و ذكر جماعة من خرج عليه، و هو ذلك الوقت يتمسك بى و يلزمنى، و لا يخالفنى، فلما قادت الأمور إليه، و جمعت الكلمة عليه، و فتحت له الأمصار القريبة و البعيدة، و أطاعه القاصى و الدانى، أقبل يتجنّى لى الذنوب، و يسمع فى السعيات؟ قولوا له عنى: إن ثبات تلك القلنسة معدوق بهذه الدواة، و إن اتفقا رباط كل رغبة «٤» و سبب كل غنيمه، و متى أطبقت هذه زالت تلك، فإن عزم على تغيير

(١). A.mO.

(٢). فذلك. A.

(٣). فى. A.

(٤). رعمته. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٦

فليترؤد للاحتياط «١» قبل وقوعه، و ليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه، و أطال فيما هذا سبيله، ثم قال لهم: قولوا للسلطان عنى مهما أردتم، فقد أهمنى «٢» ما لحقنى من توبيخه و فتّ [١] فى عضدى.

فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان، و أن يقولوا له ما مضمونه العبودية و التنصل، و مضوا إلى منازلهم، و كان الليل قد انتصف، و مضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ما جرى، و بكر الجماعة إلى السلطان، و هو ينتظرهم، فقالوا له من الاعتذار و العبودية ما كانوا اتفقوا عليه، فقال لهم السلطان: إنه لم يقل هذا، و إنما قال كيت و كيت، فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك، و سابقته، فوقع التدبير عليه، حتى تمّ عليه من القتل ما تمّ. و مات السلطان بعده بخمسة و ثلاثين يوما، و انحلت الدولة، و وقع السيف، و كان قول نظام الملك شبه الكرامة له، و أكثر الشعراء مرثيه، فمن جيد ما قيل فيه قول شبلى الدولة مقاتل بن عطية:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزّت «٣»، فلم تعرف الأيام قيمتها فردّها، غيرة منه، إلى الصّدْف و رأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام، فسأله عن حاله، فقال: كان يعرض علىّ جميع عملى لو لا الحديدة التى أصبت بها، يعنى القتل.

[١] ما فت.

(١). للاختلاط. P.C.

(٢). دهمنى. A.

(٣). بدت. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٧

ذكر ابتداء حاله «١» و شىء من أخباره

أمّا ابتداء حاله، فكان من أبناء الدهاقين بطوس، فزال ما كان لأبيه من مال، و ملك، و توفيت أمّه و هو رضيع، فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبته، حتّى شبّ، و تعلّم العربيّة، و سرّ الله فيه يدعوه إلى علو الهمة، و الاشتغال بالعلم، فتفقّه، و صار فاضلاً، و سمع الحديث الكثير، ثم اشتغل بالأعمال السلطانية، و لم يزل الدهر يعلو به و يخفض «٢» حضرا و سفرا. و كان يطوف بلاد خراسان، و وصل إلى غزنه فى صحبة بعض المتصرّفين، ثمّ لزم أبا علىّ بن شاذان متولّى الأمور ببلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان، فحسنت حاله معه، و ظهرت كفايته و أمانته، و صار معروفا عندهم بذلك، فلما حضرت أبا علىّ بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به، و عزّفه حاله، فولاه شغله، ثم صار وزيراً له إلى أن ولى السلطنة بعد عمّه طغرلبك، و استمرّ على الوزارة لأنّه ظهرت منه كفاية عظيمة، و آراء سديدة قادت «٣» السلطنة إلى ألب أرسلان، فلما توفّى ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملك شاه، و قد تقدّم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا.

و قيل إنّ ابتداء أمره أنّه كان يكتب للأمير تاجر، صاحب بلخ، و كان الأمير «٤» يصادره فى رأس كلّ سنه، و يأخذ ما معه، و يقول له: قد سمت يا حسن! و يدفع إليه فرسا و مقرعة و يقول: هذا يكفيك، فلما طال ذلك عليه أخفى ولديه فخر الملك، و مؤيد الملك «٥»، و هرب إلى جغرى بك داود، والد ألب أرسلان، فوقف فرسه فى الطريق، فقال: اللهمّ إني أسألك فرسا

(١). أمره. A.

(٢). ينخفض. A.

(٣). فادت. A.

(٤). ابن شاذان كان. A.

(٥). P.C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٨

تخلّصنى عليه! فسار غير بعيد، فلقى تر كمانىّ و تحته فرس جواد، فقال لنظام الملك: انزل عن فرسك، فنزل عنه، فأخذه التر كمانىّ و أعطاه فرسه، فركبه و قال له: لا تنسنى [١] يا حسن. قال نظام الملك: فقويت نفسى بذلك، و علمت أنّه ابتداء سعادة. فسار نظام الملك إلى مرو، و دخل على داود، فلما رآه أخذ بيده، و سلّمه إلى ولده ألب أرسلان، و قال له: هذا حسن الطوسىّ، فتسلّمه، و اتّخذ والد لا تخالفه.

و كان الأمير تاجر «١» لثما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره إلى مرو، فقال لداود: هذا كاتبى و نائبى قد أخذ أموالى، فقال له داود: حديثك مع محمد، يعنى ألب أرسلان، فكان اسمه محمدا «٢» [٢]، فلم يتجاسر تاجر على خطابه، فتركه و عاد. و أميا أخباره، فإنه كان عالما، دينيا، جوادا، عادلا، حلما، كثير الصبح عن المذنبين، طويل الصمت، كان مجلسه عامرا بالقراء، و الفقهاء، و أئمة المسلمين، و أهل الخير و الصلاح، أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار و البلاد، و أجرى لها الجرايات العظيمة، و أملى الحديث بالبلاد: ببغداد و خراسان و غيرهما، و كان يقول: إني لست من أهل هذا الشأن، لما تولاه، و لكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقله حديث رسول الله، صلى الله عليه و سلم. و كان إذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه و تجنّب، فإذا فرغ

[١] تنسانى.

[٢] محمد.

(١). ابن شاذان. A.

(٢). P. C. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٠٩

لا يبدأ بشيء قبل الصلاة، و كان، إذا غفل [١] المؤذن و دخل الوقت يأمره بالأذان، و هذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة فى حفظ الأوقات، و لزوم الصلوات.

و أسقط المكوس و الضرائب، و أزال لعن الأشعرية من المنابر، و كان الوزير عميد الملك الكندرى قد حسن للسلطان طغربك التقدم «١» بلعن الراضة، فأمره بذلك، فأضاف إليهم الأشعرية، و لعن الجميع، فلهذا فارق كثير من الأئمة بلادهم، مثل إمام الحرمين، و أبى القاسم القشيرى، و غيرهما، فلما ولى ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه، و أعاد العلماء إلى أوطانهم.

و كان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيرى، و الإمام أبو المعالى الجوينى، يقوم لهما، و يجلس فى مسندة، كما هو، و إذا دخل أبو على الفارمذى يقوم إليه، و يجلسه فى مكانه «٢»، و يجلس هو بين يديه، فليل له فى ذلك، فقال: إن هذين و أمثالهما «٣» إذا دخلوا على «٤» يقولون لى:

أنت كذا و كذا، يثون على بما ليس فى «٥»، فيزيدنى كلامهم عجا و تها، و هذا الشيخ يذكر لى عيوب نفسى، و ما أنا فيه من الظلم، فتتكسر نفسى لذلك، و أرجع عن كثير مما أنا فيه.

و قال نظام الملك: كنت أتمنى أن يكون لى قرية خالصة، و مسجد أتفرد «٦» فيه لعبادة ربى، ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لى قطعة أرض أتقوت بريعتها، و مسجد أعبد الله فيه «٧»، و أما الآن فأنا أتمنى أن يكون لى رغيى كل

[١] أغفل.

(١). التقرير. A.

(٢). عن مجلسه. A.

(٣). و يقول. A.

(٤). أولئك. A. dda

(٥). يسرنى. A.

(٦). أنفرد. A.

(٧). P.C.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٠
يوم، و مسجد أعبد الله فيه.

وقيل: كان ليلة يأكل الطعام، و بجانبه أخوه أبو القاسم، و بالجانب الآخر عميد خراسان، و إلى جانب العميد إنسان فقير، مقطوع اليد، فنظر نظام الملك، فرأى العميد يتجنب الأكل مع المقطوع، فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر، و قرب المقطوع إليه [١] فأكل معه. و كانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه، و يقربهم إليه، و يدينهم. و أخباره مشهورة كثيرة، قد جمعت لها المجاميع السائرة فى البلاد.

ذكر وفاة السلطان و ذكر بعض سيرته

سار السلطان ملك شاه، بعد قتل نظام الملك، إلى بغداد، و دخلها فى الرابع و العشرين من شهر رمضان، و لقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير، و ظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة، و كان السلطان قد أمر أن تفضّل خلع الوزارة لتاج الملك، و كان هو الذى سعى بنظام الملك، فلمّا فرغ من الخلع، و لم يبق غير لبسها و الجلوس فى الدست، اتفق أن السلطان خرج إلى الصيد، و عاد ثالث شوال مريضاً، و أنشب الموت أظفاره فيه، و لم يمنع عنه سعة ملكه، و كثرة عساكره. و كان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحمّ و افصد، و لم يستوف إخراج الدم، فثقل مرضه، و كانت حمى محرقة، فتوفى ليلة الجمعة، النصف من شوال.

[١] اليد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١١

و لمّا ثقل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة، و لمّا توفى سترت زوجته ترکان خاتون المعروفة بخاتون الجلاية موته و كتمته، و أعادت جعفرًا [١] ابن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدى بأمر الله، و سارت من بغداد و السلطان معها محمولاً، و بذلت الأموال للأمرء سراً، و استحلفتهم لابنها محمود، و كان تاج الملك يتولّى ذلك لها، و أرسلت قوام الدولة كربوقا الذى صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان، فاستنزل مستحفظ القلعة، و تسلّمها، و أظهر أن السلطان أمره بذلك، و لم يسمع بسلطان مثله لم يصلّ عليه أحد، و لم يلطم عليه وجه.

و كان مولده سنة سبع و أربعين و أربعمائه، و كان من أحسن الناس صورة و معنى، و خطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، و من أقاصى بلاد الإسلام فى الشمال إلى آخر بلاد اليمن، و حمل إليه ملوك الروم الجزية، و لم يفته مطلب، و انقضت أيامه على أمن عام، و سكون شامل، و عدل مطرد.

و من أفعاله أنه لمّا خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس، فزاره، فلمّا خرج قال لنظام الملك: بأى شىء دعوت؟

قال: دعوت الله أن ينصر ك «١»، فقال: أمّا أنا فلم أدع بهذا بل قلت: اللهم انصر أصلحنا للمسلمين، و أنفعنا للرعية.

و حكى عنه أن سوادياً لقيه و هو يبكى، فاستغاث به، و قال: كنت ابتعت بطيخا بدرهيمات لا أملك سواها، فغلبنى عليه ثلاثة نفر من الأتراك، فأخذوه منى. فقال السلطان له: اقعدا! ثم أحضر فراشا و قال: قد اشتيت بطيخا، و كان ذلك عند أول استوائه، و أمره بطلبه من العسكر، فغاب ثم عاد

[١] جعفر.

(١). ينصرنا. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٢

ومعه البطيخ، فأمره بإحضار من وجده عنده، فأحضره، فسأله السلطان من أين له ذلك البطيخ؟ فقال: غلماى جاءونى به، فأمر أن يجيء بهم إليه، فمضى، وأمرهم بالهرب، وعاد فقال: لم أجدهم، فقال للسوادى: خذ «١» مملوكى هذا قد وهبته لك عوضا عن بطيخك، ويحضر الذين أخذوه، والله لئن أطلقتهم لأضربن عنقك. فأخذ السوادى، فاشترى الغلام نفسه منه بثلاثمائة دينار، فعاد السوادى إلى السلطان، وقال: قد بعته نفسه بثلاثمائة دينار «٢»، فقال: أراضيت بذلك؟ قال: نعم! قال: امض مصاحباً.

وقال عبد السمیع بن داود العباسى: شاهدت ملك شاه وقد أتاه رجلاى من أرض العراق السيفلى، من قرية الحدادىة، يعرفان بابنى غزال، فلقياه، فوقف لهما، فقالا: إن مقطعا الأمير خمارتکین قد صادرنا بألف وستمائة دينار، وقد كسر ثيبتى أحدا «٣»، وأراهما السلطان، وقد قصدناك «٤» لتقتص لنا منه، فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك، وإلا فالله يحكم بيننا.

قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال: ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي، واسحباني إلى خواجه حسن، يعنى نظام الملك، فامتنع من ذلك، واعتذرا، فأقسم عليهما إلاً فعلا، فأخذ كل واحد منهما بكم من كمي «٥» ومشى معهما إلى نظام الملك، فبلغه الخبر، فخرج مسرعاً، فلقيه وقبل الأرض، وقال: يا سلطان العالم! ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالى غدا عند الله إذا طولت بحقوق المسلمين، وقد قلدتك هذا الأمر لتكفينى مثل هذا الموقف، فإن نال الرعيه أذى فأنت المطالب، فانظر لى ولنفسك. فقبل الأرض، ومشى فى خدمته، وعاد من وقته، وكتب بعزل الأمير

(١). A.

(٢). A. mo.

(٣) أميرنا. A.

(٤). أتيناك. A.

(٥) أكمامه. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٣

خمارتکین عن إقطاعه، ورد المال عليهما، وأعطاهما مائة دينار من عنده، وأمرهما بإثبات البينة أنه قلع ثيبتيه ليقلع ثيبتيه [١] عوضهما، فرضيا وانصرفا.

وقيل إنه ورد بغداد ثلاث دفعات، فخافه الناس من غلاء الأسعار، وتعدي الجند، فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه، وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهاراً، فلا يخافون «١» أحداً، ولم يتعد عليهم أحد، وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد، وعمر الطرق، والقناطر، والزبط التى فى المفاوز، وحفر الأنهار الخراب، وعمر الجامع ببغداد، وعمل المصانع بطريق مكه، وبنى [٢] البلد بأصبهان، وبنى [٢] منارة القرون بالسيعى «٢» بطريق مكه، وبنى [٢] مثلها بما وراء النهر، واصطاد مرة صيدا كثيراً، فأمر بعده، فكان عشرة آلاف رأس، فأمر بصدقه عشرة آلاف دينار، وقال: إننى خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة، وفرق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يحصى، وصار بعد ذلك كلما صاد شيئاً تصدق بعدده دانير، وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته، وقد أكثر الشعراء مرثيه أيضاً.

وقيل إن بعض أمراء السلطان كان نازلا- بهراء مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن فى داره، فقال يوما ذلك الأمير للسلطان، و هو سكران: إن عبد الرحمن يشرب الخمر، و يعبد الأصنام من دون الله تعالى، و يحلل الحرام، فلم يجبه ملك شاه، فلما كان الغد صحا ذلك الأمير، فأخذ السلطان السيف، و قال له: اصدقنى عن فلان، و إلا قتلتك! فطلب منه الأمان، فأمنه، فقال:

[١] ثنيتاه.

[٢] و بنا.

(١). يخالقون. A.

(٢). P. C. sitcnupenis.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٤

إن عبد الرحمن له دار حسناء، و زوجة جميلة، فأردت أن تقتله فأفوز بداره و زوجته، فأبعده السلطان، و شكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعائته، و تصدق بأموال جليئة المقدار.

ذكر ملك ابنه الملك محمود و ما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك

لما مات السلطان ملك شاه كتبت زوجته ترکان خاتون موته، كما ذكرناه، و أرسلت إلى الأمراء سرًا فأرضتهم، و استحلفتهم لولدها محمود، و عمره أربع سنين و شهور، و أرسلت إلى الخليفة المقتدى فى الخطبة لولدها أيضا، فأجابها، و شرط أن يكون اسم السلطنة لولدها، و الخطبة له، و يكون المدبر لزعامه «١» الجيوش، و رعاية «٢» البلد، هو الأمير أتر «٣»، و يصدر عن رأى تاج الملك، و يكون ترتيب العمال، و جباية الأموال إلى تاج الملك أيضا، و كان تاج الملك هو الذى يدبر الأمر بين يدى خاتون.

فلما جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله، فقيل لها:

إن ولدك صغير، و لا يجوز الشرع ولايته، و كان المخاطب لها فى ذلك الغزالي، فأذعنت له، و أجابت إليه، فخطب لولدها، و لقب ناصر الدنيا و الدين، و كانت الخطبة يوم الجمعة الثانى و العشرين من شوال من السنة، و خطب له بالحرمين الشريفين.

و لما مات السلطان ملك شاه أرسلت ترکان خاتون إلى أصبهان فى القبض على

(١). لرعاية. A.

(٢). و رعایا. A.

(٣). أنز. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٥

بركيارق ابن السلطان، و هو أكبر أولاده، خافته أن ينازع ولدها فى السلطنة، فقبض عليه، فلما ظهر موت ملك شاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان، فأخذوه و ثاروا فى البلد، و أخرجوا بركيارق من الحبس، و خطبوا له بأصبهان و ملكوه، و كانت والده بركيارق زبيدة ابنه ياقوتى بن داود، و هى ابنة عم ملك شاه، خائفه على ولدها من خاتون أم محمود، فأتاها الفرج بالمماليك النظامية.

و سارت ترکان خاتون من بغداد إلى أصبهان، فطالب العسكر تاج الملك بالأموال، فوعدهم، فلما وصلوا إلى قلعه برجين «١» سعد إليها لينزل الأموال منها، فلما استقر فيها عصى على خاتون، و لم ينزل خوفا من العسكر، فساروا عنه، و نهبوا خزائنه، فلم يجدوا بها

شيئا، فإنه «٢» كان قد علم ما جرى، فاستظهر وأخفاه.

ولما وصلت ترکان خاتون إلى أصفهان لحقها تاج الملك، واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه، وأنه هرب منه إليها، فقبلت عذره. وأميا بركيارق فإنه لما قاربت خاتون وابنها محمود أصفهان خرج منها هو ومن معه من النظامية، و ساروا نحو الرى، فلقبهم أرغش النظامى فى عساكره، ومعهم جماعة من الأمراء، و صاروا يدا واحدة، و إنما حمل النظامية على الميل إلى بركيارق كراحتهم لتاج الملك لأنه كان عدو نظام الملك، و المتهم بقتله، فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك و أخذوها عنوة، فسيّرت خاتون العساكر إلى قتال بركيارق، فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد، فانحاز جماعة من الأمراء الذين فى عسكر خاتون إلى بركيارق، منهم: الأمير يلبرد، و كمشتكين الجاندار، و غيرهما، فقوى بهم، و جرت الحرب بينهم

(١). ترحين. ddoC.

(٢) لأنه. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٦

أواخر ذى الحجة، و اشتد القتال، فانهم عسكر خاتون و عادوا إلى أصفهان، و سار بركيارق فى أثرهم فحصرهم بأصفهان «١».

ذكر قتل تاج الملك

كان تاج الملك مع عسكر خاتون، و شهد الواقعة، فهرب إلى نواحى بروجرد، فأخذ و حمل إلى عسكر بركيارق، و هو يحاصر أصفهان، و كان يعرف كفايته، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج الملك فى إصلاح كبار النظامية، و فرّق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض، فزال ما فى قلوبهم.

فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه، فوضع الغلمان الأصغر على الاستغاثة، و أن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم، ففعلوا، فانفسخ ما دبره تاج الملك، و هجم النظامية عليه فقتلوه، و فضّلوه أجزاء، و كان قتله فى المحرم سنة ست و ثمانين [و أربعمائة]، و حملت إلى بغداد إحدى أصابعه.

و كان كثير الفضائل، جم المناقب، و إنما غطى [١] جميع محاسنه مما لآته على قتل نظام الملك، و هو الذى بنى [٢] تربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى «٢»، و عمل المدرسة التى إلى جانبها، و رتب بها الشيخ أبى بكر الشاشى، و كان عمره حين قتل سبعا [٣] و أربعين سنة.

[١] غطا.

[٢] بنا.

[٣] سبع.

A.(١)

C.(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٧

ذكر ما فعله العرب بالحجاج و الكوفة

سار الحجاج هذه السنة من بغداد، فقدموا الكوفة، ورحلوا منها، فخرجت عليهم خفاجة، و قد طمعوا بموت السلطان، و بعد العسكر، فأوقعوا بهم، و قتلوا أكثر الجند الذين معهم، و انهزم باقيهم، و نهبوا الحجاج، و قصدوا الكوفة فدخلوها، و أغاروا عليها، و قتلوا في أهلها، فرماهم الناس بالنشاب، فخرجوا بعد أن نهبوا، و أخذوا ثياب من لقوة من الرجال و النساء، فوصل الخبر إلى بغداد، فسيرت العساكر منها، فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا، فأدركهم العسكر، فقتل منهم خلق كثير، و نهبت أموالهم، و ضعفت خفاجة بعد هذه الواقعة.

ذكر عدة حوادث

فيها، في ربيع الأول، عاد السلطان من بغداد إلى أصبهان، و أخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدى بأمر الله من ابنة السلطان، و تفرق الأمراء إلى بلادهم، ثم عاد إلى بغداد، فتوفى كما ذكرناه «١». و فيها، في جمادى الأولى، احترق نهر المعلى، فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهراس «٢»، إلى باب «٣» دار الضرب، و احترق سوق الصاغة و الصيارف، و المخاطين، و الريحانيين، و كان الحريق من الظهر إلى العصر، فاحترق منها

(١). P.C.mO.

(٢). خزانه المتراس. A.

(٣). A.mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٨

الأمر العظيم في الزمان القليل، و احترق من الناس خلق كثير، ثم ركب عميد الدولة بن جهير، وزير الخليفة، و جمع السقاءين، و لم يزل راكبا حتى طفئت النار.

و في هذه السنة توفى عبد الباقي بن محمّد بن الحسين بن نايقا «١» الشاعر البغدادى، سمع الحديث، و كان يتهم بأنه يطعن على الشرائع، فلما مات كانت يده مقبوضة، فلم يطق الغاسل فتحها، فبعد جهد فتحت فإذا فيها مكتوب:

نزلت بجار لا يخبّ ضيفه، أرجى نجاتى من عذاب جهنم

و إنى على خوفى من الله واثق بإنعامه، و الله أكرم منعم و فيها توفى هبة الله بن عبد الوارث بن على بن أحمد أبو القاسم الشيرازى الحافظ، أحد الرّجالين فى طلب الحديث شرقا و غربا، و قدم الموصل من العراق، و هو الذى أظهر سماع الجعديّات لأبى محمّد الصّريفيّ، و لم يكن يعرف ذلك «٢».

(١). باقيا. A.

(٢). A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢١٩

٤٨٦ ثم دخلت سنة ست و ثمانين و أربعمائنه

ذكر وزارة عزّ الملك بن نظام الملك لبركيارق

كان عزّ الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم، حاكما فيها و فى كلّ ما يتعلّق بها، إليه المرجع فى كلّ أمرها

السلطانية، فلما كان قبل أن يقتل أبوه حضر عنده خدمة له و للسلطان، فقتل أبوه، و مات السلطان، فأقام بأصبهان إلى الآن. فلتما حصرها بركيارق، و كان أكثر «١» عسكره النظامية، خرج من أصبهان هو و غيره من إخوته، فلتما اتصل بركيارق احترامه، و أكرمه، و فوض أمور دولته إليه، و جعله وزيرا له.

ذكر حال تتش بن ألب أرسلان

كان تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق و ما جاورها من بلاد الشام، فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملك شاه، سار من دمشق إليه ببغداد، فلما كان بهيت بلغه موته، فأخذ هيت، و استولى عليها، و عاد إلى دمشق يتجهز لطلب السلطنة، فجمع العساكر، و أخرج الأموال و سار نحو حلب،

(١). عظم. A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٠

و بها قسيم الدولة آقسنقر، فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملك شاه، و صغرهم، فعلم أنه لا يطيق دفع تتش، فصالحه، و صار معه، و أرسل إلى باغى سيان «١»، صاحب أنطاكية، و إلى بوزان، صاحب الزها و حران، يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من أولاد ملك شاه، ففعلوا، و صاروا معه، و خطبوا له في بلادهم، و قصدوا الرحبة، فحصروها، و ملكوها في المحرم من هذه السنة، و خطب لنفسه بالسلطنة.

ثم ساروا إلى نصيبين، فحصروها، فسب أهلها تاج الدولة، ففتحتها عنوة و قهرا، و قتل من أهلها خلقا كثيرا، و نهبت الأموال، و فعل فيها الأفعال القبيحة، ثم سلمها إلى الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي، و سار يريد الموصل، و أتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير، و كان في جزيرة ابن عمر، فأكرمه، و استوزره.

ذكر وقعة المضيق و أخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قريش بن بدران، أمير بنى عقيل، قد استدعاه السلطان ملك شاه سنة اثنتين و ثمانين و أربعمائه ليحاسبه، فلما حضر عنده اعتقله، و أنفذ فخر الدولة بن جهير إلى البلاد، فملك الموصل و غيرها، و بقى إبراهيم مع ملك شاه، و سار معه إلى سمرقند، و عاد إلى بغداد، فلما مات ملك شاه أطلقتته ترکان خاتون من الاعتقال، فسار إلى الموصل.

و كان ملك شاه قد أقطع عمته صفيئة مدينة بلد، و كانت زوجة شرف الدولة، و لها منه ابنة علي، و كانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم،

(١). gramni .P .C. mucotpircsrepus.ياغبسان

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢١

فلما مات ملك شاه قصدت الموصل، و معها ابنة علي، فقصدها محمد بن شرف الدولة، و أراد أخذ الموصل، فافترت العرب فرقتين: فرقة معه، و أخرى مع صفيئة و ابنة علي، و اقتتلوا بالموصل عند الكناسة، فظفر علي، و انهزم محمد، و ملك علي الموصل.

فلما وصل إبراهيم إلى جهينة، و بينه و بين الموصل أربعة فراسخ، سمع أن الأمير عليا [١] ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها، و معه أمه صفيئة، عمه ملك شاه، فأقام مكانه، و راسل صفيئة خاتون، و ترددت الرسل، فسلمت البلد إليه، فأقام به.

فلما ملك تتش نصيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة، و يعطيه طريقا إلى بغداد لينحدر، و يطلب الخطبة بالسلطنة، فامتنع

إبراهيم من ذلك، فسار تتش إليه، و تقدّم إبراهيم أيضا نحوه، فالتقوا بالمضيق، من أعمال الموصل، في ربيع الأول، و كان إبراهيم في ثلاثين ألفا، و كان تتش في عشرة آلاف، و كان آقسنقر على ميمنته، و بوزان على يسرته، فحمل العرب على بوزان، فانهزم «١»، و حمل آقسنقر على العرب فهزمهم، و تمّت الهزيمة على إبراهيم و العرب، و أخذ إبراهيم أسيرا و جماعة من أمراء العرب، فقتلوا صبورا، و نهبت أموال العرب و ما معهم من الإبل و الغنم و الخيل و غير ذلك، و قتل كثير من نساء العرب أنفسهنّ خوفا من السبي و الفضيحة.

و ملك تتش بلادهم الموصل و غيرها، و استتاب بها عليّ بن شرف الدولة مسلم، و أمه صفية عمّة تتش، و أرسل إلى بغداد يطلب الخطبة، و ساعده

[١] عليّ.

A.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٢

كوهرائين على ذلك، فقبل لرسوله: إنّنا ننتظر [١] وصول الرسل من العسكر، فعاد إلى تتش بالجواب.

ذكر ملك تتش ديار بكر و أذربيجان و عوده إلى الشام

فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب، و ملك الموصل و غيرها من بلادهم، سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر، فملك ميفارقين و سائر ديار بكر من ابن مروان، و سار منها إلى أذربيجان. فأنتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بركيارق، و كان قد استولى على كثير من البلاد، منها: الرّي، و همدان، و ما بينهما، فلما تحقّق الحال سار في عساكره ليمنع عمّه عن البلاد، فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان «١»: إنّما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا، و الآن فقد ظهر ابنه، و نريد أن نكون معه. فاتفقا على ذلك و فارقا تتش، و صارا مع بركيارق.

فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم أنّه لا قوة له بهم، فعاد إلى الشام، و استقامت البلاد لبركيارق، فلما قوى أمره سار كوهرائين إلى العسكر «٢» يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش، و أعانه برسق «٣»، و تعصّب عليه كمشتكين الجاندار، فأخذ إقطاعه، و أعطى الأمير يلبرد زيادة، و ولى شحنكية بغداد عوض كوهرائين، و تفرّق عن كوهرائين أصحابه، فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

[١] انتظر.

A.(١)

A.mO.(٣-٢)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٣

ذكر حصر عسكر مصر صور و ملكهم لها

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، ملك عسكر المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، مدينة صور. و سبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين و ثمانين و أربعمئة: إنّ أمير الجيوش بدرا، وزير المستنصر، سيّر العساكر إلى مدينة صور، و غيرها،

من ساحل الشام، و كان من بها قد امتنع من طاعتهم، فملكها، و قرّر «١» أمورها، و جعل فيها الأمراء. و كان قد ولى «٢» مدينة صور «٣» الأمير المذى يعرف بمنير الدولة الجيوشى، فعصى على المستنصر و أمير الجيوش، و امتنع بصور، فسيرت العساكر من مصر إليه، و كان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه، فلما وصل العسكر المصرى إلى صور و حصروها و قاتلوا ثار أهلها، و نادوا بشعار المستنصر و أمير الجيوش، و سلموا البلد، و هجم العسكر المصرى بغير مانع و لا مدافع، و نهب من البلد شىء كثير، و أسر منير الدولة و من معه من أصحابه، و حملوا إلى مصر، و قطع على أهل البلد ستون ألف دينار، فأجحت بهم.

و لما وصل منير الدولة إلى مصر و معه الأسرى قتلوا جميعهم و لم يعف عن واحد منهم.

(١). و دبر. A.

(٢). سلم. A.

(٣). إلى. A. ddA

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٤

ذكر قتل إسماعيل [١] بن ياقوتى خال بركيارق

فى هذه السنة، فى شعبان، قتل إسماعيل بن ياقوتى بن داود، و هو خال بركيارق، و ابن عم ملك شاه. و سبب قتله أنه كان بأذربيجان أميرا عليها، فأرسلت إليه ترکان خاتون، زوجة ملك شاه، تطمعه أن تتزوج به، و تدعوه إلى محاربة بركيارق، فأجابها إلى ذلك، و جمع خلقا كثيرا من التركمان و غيرهم، و صار أصحاب سرهنك ساوتكين فى خيله، و أرسلت إليه ترکان خاتون كربوقا، و غيره من الأمراء، فى عسكر كثير مددا له، فجمع بركيارق عساكره، و سار إلى حرب خاله إسماعيل، فالتقوا عند الكرج «١»، فانحاز الأمير يلبرد إلى بركيارق، و صار معه، فانهزم إسماعيل و عسكره، و توجه إلى أصبهان، فأكرمه ترکان خاتون، و خطبت له، و ضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملك شاه.

و كاد الأمر فى الوصلة يتم بينهما، فامتنع الأمراء من ذلك لا سيما الأمير أنر «٢»، و هو مدبر الأمر، و صاحب الجيش، و آثروا «٣» خروج إسماعيل عنهم، و خافوه، و خاف هو أيضا منهم، ففارقهم، و راسل أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم، فأذنت له فى ذلك، فوصل إليهم، و أقام عندهم أياما يسيرة، فخلا به كمشتكين الجاندار، و آقسنقر، و بوزان، و بسطوة فى القول، فأطلعهم على سره، و أنه يريد السلطنة، و قتل بركيارق، فوثبوا عليه فقتلوه، و أعلموا أخته خبره [٢] فسكتت عنه.

[١] إسماعيل.

[٢] أخبره.

(١). كرج. A.

(٢). انز. A.

(٣). و ابدا. A.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٥

ذكر أخذ الحجاج

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لأسباب أوجبت ذلك، و سار الحجاج من دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها، فلما قضوا حجهم و عادوا سائرين «١» سير أمير مكة، و هو محمد بن أبي هاشم، عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة، و نهبوا كثيرا من أموالهم و جمالهم، فعادوا إليها، و لقوه، و سألوه أن يعيد عليهم ما أخذ منهم، و شكوا إليه بعد ديارهم، فأعاد بعض ما أخذ منهم، فلما يسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة، فلما أبعدها عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدّة جهات، فصانعوهم على مال أخذوه من الحجاج، بعد أن قتل منهم جماعة وافرّة، و هلك فيه [كثيرون] بالضعف و الانقطاع، و عاد السالم على أقبح صورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جمادى الأولى، قدم إلى بغداد أردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ، العبادي، و أكثر الوعظ بالمدرسة النظامية، و هو مروزي، و قدم بغداد قاصدا للحج، و كان له قبول عظيم، بحيث أنّ الغزالي و غيره من الأئمة و مشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه، و ذرع في بعض المجالس الأرض التي فيها الرجال، فكان طولها مائة و خمسة و سبعين [١] ذراعا، و عرضها مائة

[١] و سبعون.

A.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٦

و عشرين [١] ذراعا، و كانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا، و كان النساء أكثر من ذلك، و كان له كرامات ظاهرة، و عبادات كثيرة. و كان سبب منعه من الوعظ أنّه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح، و قال هو ربا، فمنع من الوعظ، و أخرج من البلد. و فيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة، و قصد كل فريق الفريق الآخر، و قطعوا الطرقات بالجانب الغربي، و قتل أهل النصرية مصلحيًا، فأرسل كوهرائين فأحرقها، و اتّصلت الفتنة بين أهل الكرخ و باب البصرة، و كان للعميد الأغرّ أبي المحاسن الدهستاني في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن.

و فيها، في شعبان، سار سيف الدولة صدقة بن مزيد إلى السلطان بركيارق، فلقيه بنصيبين، و سار معه إلى بغداد، فوصلها في ذي القعدة و معه وزيره عزّ الملك بن نظام الملك، و خرج عميد الدولة و الناس إلى لقائه من عقروق. و فيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل، و كنى أبا منصور، و لقب عمدة الدين، و هو المسترشد بالله. و فيها، في رمضان، قتل الأمير يلبرد، قتله بركيارق، و كان من الأمراء الكبار مع أبيه، فزاده بركيارق إقطاع كوهرائين، و شحنكية بغداد، فلما وصل إلى دقوقا أعيد منها لأنّه تكلم، فيما يتعلّق بوالدة السلطان بركيارق، بكلام شنيع، فلما وصل إليه أصبح مقتولا. و فيها، في المحرم «١»، توفّي عليّ بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي، الهكاري، المعروف بشيخ الإسلام، و كان فاضلا، عابدا، كثير السماع،

[١] و عشرون.

A.mO.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٧
 إلّا أنّ الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها، والأمير أبو نصر عليّ ابن هبة الله بن عليّ بن جعفر العجليّ، المعروف بابن ماكولا، مصنّف كتاب الإكمال، قتله غلمان الأتراك بكرمان، و مولده سنة اثنتين و أربعمائه، و كان حافظا «١».
 و فيها، في صفر، توفّي أبو محمّد عامر الضيرير، و كان فقيها شافعيّا، مقرئا، نحويا، و كان يصلّي في رمضان بالإمام المقتدى بأمر الله.
 و في جمادى الأولى توفّي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدى، و أمّه ابنة السلطان ملك شاه، و إليه تنسب الجعفريات «٢».
 و في رجب توفّي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن، و كان فقيها شافعيّا، كثير الإحسان إلى أهل العلم، و كان محمودا في ولايته.
 و فيها توفّي كمال الملك الدهستانيّ الذي كان عميد بغداد.
 و في رمضان توفّي المشطب «٣» بن محمّد الحنفى بالكحيل من أرض الموصل، و كان الخليفة قد أرسله إلى بركيارق، و كان بالموصل، و معه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا، و كان شيخا كبيرا، عالما، مكرما عند الملوك، و حمل إلى العراق، و دفن عند أبي حنيفة.
 و فيه توفّي القاضي أبو عليّ يعقوب بن إبراهيم المرزبانيّ، قاضى باب الأزج، و ولي مكانه القاضى أبو المعالى عزيزى، و كان أبو المعالى شافعيّا، أشعريا، مغاليا، و له مع أهل باب الأزج أقاصيص و حكايات عجيبة.
 و فيها توفّي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث، و أبو الفتح

(١).A.mO.

(٢).الجعفريتان.P.C.

(٣).المتطبب.A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٨
 التنكتى، له كنيّتان، سافر [فى] البلاد شرقا و غربا، روى صحيح مسلم و غيره، و كان ثقة، و مولده سنة ستّ و أربعمائه.
 و فى ذى الحجة منها توفّي أبو الفرج عبد الواحد بن محمّد بن عليّ الحنبليّ، الفقيه، و كان وافر العلم، غزير الدين، حسن الوعظ و السّمت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٢٩

٤٨٧ تمّ دخلت سنة سبع و ثمانين و أربعمائه

ذكر الخطبة للسلطان بركيارق

فى هذه السنة، يوم الجمعة رابع عشر المحرم، خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملك شاه، و كان قدمها أواخر سنة ستّ و ثمانين [و أربعمائه]، و أرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة، فأجيب إلى ذلك، و خطب له، و لقب ركن الدين.
 و حمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع إلى بركيارق، فلبسها، و عرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه، فعلم فيه، و توفّي فجأة على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، و ولى ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة، فأرسل الخلع و التقليد إلى السلطان بركيارق، فأقام ببغداد إلى ربيع الأوّل من السنة، و سار عنها إلى الموصل.

ذكر وفاة المقتدى بأمر الله

في هذه السنة، يوم السبت خامس عشر المحرم، توفي الإمام المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة، و كان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه، فقرأه، و تدبره، و علم فيه، ثم قدم إليه طعام، فأكل منه، و غسل يديه، و عنده قهرمانته

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٠

شمس النهار، فقال لها: ما هذه الأشخاص التي دخلت عليّ بغير إذن؟ قالت:

فالتفت فلم أر شيئاً، و رأيتها قد تغيرت حالته، و استرخت يداه و رجلاه، و انحلت قوته، و سقط إلى الأرض، فظنتها غشياً قد لحقته، فحللت أزرار ثوبه، فوجدته و قد ظهرت عليه أمارات الموت، و مات لوقته.

قالت: فتماسكت، و قلت لجارية عندي: ليس هذا وقت إظهار الجزع و البكاء «١»، فإن صحت قتلتك، و أحضرت الوزير فأعلمته الحال، فشرعوا في البيعة لولي العهد، و جهّزوا المقتدى، و صلى عليه ابنه المستظهر بالله، و دفنوه، و كان عمره ثمانياً [١] و ثلاثين سنة و ثمانية أشهر و سبعة أيام، و كانت خلافته تسع عشرة سنة و ثمانية أشهر غير يومين، و أمّه أم ولد أرمنيّة تسمى أرجوان، و تدعى قرّة العين، أدركت خلافته، و خلافة ابنه المستظهر بالله، و خلافة ابن ابنه المسترشد بالله.

و وزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير، ثم أبو شجاع، ثم عميد الدولة «٢» أبو منصور بن جهير.

و قضاته: أبو عبد الله الدامغانى، ثم أبو بكر الشامى.

و كانت أيامه كثيرة الخير، و واسعة الرزق، و عظمت الخلافة أكثر ممّا كان من قبله، و انعمت ببغداد عدّة محالّ في خلافته منها: البصلية، و القطيعة، و الحلبة، و المقتديّة، و الأجمة، و درب القيار «٣»، و خربة «٤» ابن جردة، و خربة «٥» الهّاس، و الخاتونيتين.

[١] ثمان.

A.mO.(١)

ilutnocnih.B١٤٧.(٢)

mate, tidecorp mecidoCtseatelpx eelameroitneceru na

٤٩٣innait٤

ucaltipicnirojam. AniciH sitipacmenifdaeusueauq, an

B.(٣). الغبار.

B.(٤). و خراب.

B.(٥). و خزانه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣١

و أمر بنفى المغيّات و المفسدات من بغداد، و بيع دورهنّ، فنفين، و منع الناس أن يدخل أحد الحمام إلا بمئزر، و قلع الهراذى، و الأبراج التي للطيور، و منع من اللعب بها لأجل الاطلاع على حرم الناس، و منع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، و ألزم أربابها بحفر آبار للمياه، و أمر أن يغسل السمك المالح يعبر إلى النجى فيغسله هناك، و منع الملاحين أن يحملوا الرجال و النساء مجتمعين، و كان قويّ النفس، عظيم الهمة من رجال بنى العباس.

ذكر خلافة المستظهر بالله

لَمَّا تَوَفَّى المقتدى بأمر الله، أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله، وأعلم بموته، وحضر الوزير فبايعه، وركب إلى السلطان بركيارق، فأعلمه الحال، وأخذ بيعته للمستظهر بالله.

فلَمَّا كان اليوم الثالث من موت المقتدى أظهر ذلك، وحضر عزَّ الملك ابن نظام الملك وزير بركيارق، وأخوه بهاء الملك، وأمراء «١» السلطان، وجميع «٢» أرباب المناصب «٣»: النقيبان طراد العباسي، والمعمر العلوي في «٤» أصحابهما، وقاضي القضاة، والغزالي، والشاشي، وغيرهما من العلماء، فجلسوا في العزاء، وبايعوا، وكان للمستظهر بالله لَمَّا بويع ستَّ عشرة سنة و شهران.

(١). و أمر. B.

(٢). و جمع. B.

(٣). و جمع. B. dda

(٤). B. mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٢

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر و ملك تش حب و الجزيرة و ديار بكر و أذربيجان و همذان و الخطبة له ببغداد

في هذه السنة، في جمادى الأولى، قتل قسيم الدولة آقسنقر، جدُّ ملوكنا بالموصل الآن، أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر. وسبب قتله أن تاج الدولة تش لَمَّا عاد من أذربيجان منهزماً لم يزل يجمع العساكر، فكثرت جموعه، وعظم حشده، فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب «١» السلطنة، فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر، وبوزان، وأمدهما ركن الدين بركيارق بالأمير كربوقا اللذي صار بعد صاحب الموصل، فلَمَّا اجتمعوا ساروا إلى طريقه، فلقوه عند نهر سبعين «٢» قريباً من تل السلطان، بينه وبين حلب ستَّة فراسخ، واقتلوا، واشتد القتال، فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر، فانهزموا، وتبعهم الباقون، فتمت الهزيمة، وثبت آقسنقر، فأخذ أسيراً، وأحضر عند تش، فقال له: لو ظفرت بي ما كنت صنعت؟

قال: كنت أقتلك! فقال له: أنا أحكم عليك بما كنت تحكم عليّ، فقتله صبراً.

وسار نحو حلب، وكان قد دخل إليها كربوقا، وبوزان، فحفظها منه، وحصرها تش ولجَّ في قتالها حتَّى ملكها، سلَّمها إليه المقيم بقلعة الشريف، ومنها دخل البلد «٣»، وأخذهما أسيرين، وأرسل إلى حرّان والزها ليسلموه [١] من بهما و كانتا لبوزان، فامتنعوا من التسليم إليه، فقتل بوزان، وأرسل رأسه إليهم «٤» و تسلَّم البلدين.

[١] ليسلمهما.

(١). ليخطب. P. C.

(٢-٤). P. C. mO.

(٣). B. mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٣

و أمَّا كربوقا فإنّه أرسله إلى حمص، فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تش.

و كان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسة لرعيته، وحفظاً لهم، وكانت بلاده بين رخص عامّ، وعدل شامل، وأمن واسع، وكان قد شرط على أهل كلّ قرية من بلاده، متى أخذ عندهم «١» قفل، أو أحد «٢» من الناس، غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل و

كثير، فكانت السيارة، إذا بلغوا قرية من بلاده، ألقوا رحالهم و ناموا، و حرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا، فأمنت الطرق. و أما وفاؤه، و حسن عهده، فيكفيه فخرا أنه قتل في حفظ بيت صاحبه و ولي نعمته.

فلما ملك تش حزان و الزها سار إلى الديار الجزرية فملكها جميعها، ثم ملك ديار بكر و خلاط، و سار إلى أذربيجان فملك بلادها كلها، ثم سار منها إلى همذان فملكها، و رأى بها فخر الملك بن نظام الملك، و كان بخراسان، فسار منها إلى السلطان بركيارق ليخدمه، فوقع عليه الأمير قماج، و هو من عسكر محمود ابن السلطان ملك شاه بأصبهان، فذهب فخر الملك، فهرب منه و نجا بنفسه، فجاء إلى همذان فصادفه تش بها، فأراد قتله، فشفع فيه باغى سيان «٣»، و أشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته، فاستوزره، و أرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله، و كان شحنته ببغداد ايتكين جب، فلازم الخدمة بالديوان، و ألح في طلبها، فأجيب إلى ذلك، بعد أن سمعوا أن بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تش، على ما نذكره.

(١). أحدهم. P.C.

(٢). واحد. P.C.

(٣). بسان. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٤

ذكر انهزام بركيارق من عمه تش و ملكه أصبهان بعد ذلك

في هذه السنة، في سؤال، انهزم بركيارق من عسكر عمه تش. و كان بركيارق بنصيبين، فلما سمع بمسير «١» عمه إلى أذربيجان، سار هو من نصيبين، و عبر دجلة من بلد فوق الموصل، و سار إلى إربل، و منها إلى بلد سرخاب بن بدر إلى أن بقى بينه و بين عمه تسعة فراسخ، و لم يكن معه غير ألف رجل، و كان عمه في خمسين ألف رجل، فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمه، فكبسه و هزمه، و نهب سواده، و لم يبق معه إلا برسق «٢»، و كمشكين الجاندار، و اليارق، و هم من الأمراء الكبار، فسار إلى أصبهان.

و كانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت، على ما نذكره، فمنعه من بها من الدخول إليها، ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه، فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقبه، و دخل البلد، و احتاطوا عليه، فاتفق أن أخاه محمودا حم و جدر، فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق، فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطيب: إن الملك محمودا قد جدر، و ما كأنه يسلم منه، و أراكم تكرهون أن يليكم، و يملك البلاد تاج الدولة، فلا تعجلوا على بركيارق، فإن مات محمود أقيموه ملكا، و إن سلم محمود فأنتم تقدرتون على كحله. فمات محمود سلخ سؤال، فكان هذا من الفرج بعد الشدة، و جلس بركيارق للعزاء بأخيه.

و كان مولد محمود في صفر سنة ثمانين و أربعمائه. و قصده مؤيد الملك بن نظام الملك، فاستوزره في ذى الحجة، و كان أخوه عز الملك بن نظام الملك

(١). بلغه مسير. B.

(٢). برشق. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٥

قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل، و حمل إلى بغداد، فدفن بالنظامية، و كان أصبح الناس وجهها، و أحسنهم خلقا و سيره، و كان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقعات أبيه في الإطلاقات من خاصيته [١]، منها ببغداد مائتا كتر غلة، و ثمانية عشر ألف دينار أميرى.

ثم إنَّ بركيارق جدر، بعد أخيه، و عوفى و سلم، فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الأمراء العراقيين، و الخراسانيين، و استمالهم، فعادوا كلهم إلى بركيارق، فعظم شأنه و كثر عسكره «١».

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

في هذه السنة، في ذى القعدة «٢»، توفى أمير الجيوش بدر الجمالي، صاحب الجيش بمصر، و قد جاوز ثمانين سنة، و كان هو الحاكم في دولة المستنصر، و المرجوع إليه. و كان قد استعمله على الشام سنة خمس و خمسين و أربعمئة، و جرى بينه و بين الرعيّة و الجند بدمشق ما خاف [منه] على نفسه، فخرج عنها هاربا، و جمع و حشد، و قدم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ست و خمسين [و أربعمئة]، ثم خالفه أهل دمشق مرّة أخرى، فهرب منهم سنة ستين، و خرب العاميّة و الجند قصر الإمارة، ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر، و تقدّم بها، و صار صاحب الأمر.

[١] خاصه.

(١). جمعه. B.

(٢). ربيع الأول. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٦

قال علقمة بن عبد الرزاق «١» العليمي: قصدت بدرا الجمالي بمصر، فرأيت أشراف الناس و كبراءهم و شعراءهم على باب، قد طال مقامهم و لم يصلوا إليه، قال: بينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في أثره، و أقام إلى أن رجع من صيده، فلما قاربه وقف على نشز من الأرض، و أوما برقعة في يده، و أنشأ يقول:

نحن التجار، و هذه أعلاقنا، درّ، و جود يمينك المبتاع

قلّب، و فتشها بسمعك إنما هي جوهر تختاره الأسماع

كسدت علينا بالشّام، و كلما قلّ التّفاق تعطلّ الصّناع

فأتاك يحملها إليك تجارها و مطيها الآمال و الأطماع

حتّى أناخوها ببابك، و الرّجامن دونك السّمسار و البياع

فوهبت ما لم يعطه «٢» في دهره هرم، و لا كعب، و لا القعقاع

و سبقت هذا الناس في طلب العلي فالناس، بعدك، كلهم أتباع

يا بدر أقسم لوبك اعتصم الوري، و لجوا إليك جميعهم، ما ضاعوا و كان على يد بدر بازي فألقاه و انفرد عن الجيش، و جعل يستردّ الأبيات و هو ينشدها إلى أن استقرّ في مجلسه، ثم قال لجماعة غلمانة و خاصّته: من أحبني فليخلع على هذا الشاعر، فخرج من عنده و معه سبعون بغلا، يحمل الخلع و التحف، و أمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج من عنده و فرّق كثيرا من ذلك على الشعراء، و لما مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل.

(١). الوراق. B.

(٢). تعطه. B.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٧

ذكر وفاة المستنصر و ولاية ابنه المستعلى

فى هذه السنة، ثامن عشر ذى الحجة، توفى المستنصر بالله أبو تميم معدّ ابن أبى الحسن علىّ الظاهر لإعزاز دين الله العلوىّ، صاحب مصر و الشام، و كانت خلافته ستين سنة و أربعة أشهر، و كان عمره سبعا [١] و ستين سنة، و هو الذى خطب له البساسيرى ببغداد، و قد ذكرنا ذلك.

و كان الحسن بن الصّيباح، رئيس هذه «١» الطائفة الإسماعيلية، قد قصده فى زىّ تاجر، و اجتمع به، و خاطبه فى إقامة الدعوة له ببلاد العجم، فعاد و دعا الناس إليه سرّاً، ثمّ أظهرها، و ملك القلاع، كما ذكرناه، و قال للمستنصر: من إمامى بعدك؟ فقال: ابنى نزار، و هو أكبر أولاده، و الإسماعيلية إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار.

و لقي المستنصر شداً و أهوالاً، و انفتقت عليه الفتوق بديار مصر، أخرج فيها أمواله و ذخائره إلى أن بقى لا يملك غير سجّادته التى يجلس عليها، و هو مع هذا صابر غير خاشع، و قد أتينا على ذكر هذا سنة سبع و ستين و أربعمئة و غيرها.

و لما مات ولى بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلى بالله، و مولده فى المحرم سنة سبع و ستين و أربعمئة، و كان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه نزار، فخلعه الأفضل و بايع المستعلى بالله.

و سبب خلعه أن الأفضل ركب مرّة، أيام المستنصر، و دخل دهليز القصر

[١] سبع.

B.(١)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٨

من باب الذهب راكبا، و نزار خارج، و المجاز مظلم، فلم يره الأفضل، فصاح به نزار: انزل، يا أرمنى، كلب «١»، عن الفرس، ما أقلّ أدبك! فحقدها عليه، فلما مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه، و بايع المستعلى، فهرب نزار إلى الإسكندرية، و بها ناصر الدولة أفتكين، فبايعه أهل الإسكندرية، و سمّوه المصطفى لدين الله، فخطب الناس، و لعن الأفضل، و أعانه أيضا القاضى جلال الدولة بن عمّار، قاضى الإسكندرية، فسار إليه الأفضل، و حاصره بالإسكندرية، فعاد عنه مقهوراً، ثمّ ازداد عسكرياً، و سار إليه، فحصره و أخذه، و أخذ أفتكين فقتله، و تسلّم المستعلى نزاراً فبنى [١] عليه حائطاً فمات، و قتل القاضى جلال الدولة بن عمّار و من أعانه «٢».

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا أنّهم سيطيرون، فأخبر اليهود بذلك، فوهبوا أموالهم و ذخائرهم، و جعلوا ينتظرون الطيران، فلم يطيروا، و صاروا ضحكة بين الأمم.

و فى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها، إلّا أنّه «٣» [٢] لم يكن الهدم كثيراً «٤» [٣].

[١] نزار فبنا.

[٢] أنّها.

[٣] كثيرة.

(١). جلب.P.C.

(٢). أطاعه.B

(٣). P.C.mO.

(٤). كثيرا.P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٣٩

وفىها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجاء، فاحترقت نهر طابق، وصارت تلولا، فلما احترقت عبر يمن، صاحب الشرطة، فقتل رجلا مستورا، فنفر الناس منه، وعزل فى اليوم الثالث.

وفىها توفى محمد بن أبى هاشم الحسينى، أمير مكة، وقد جاوز سبعين سنة، ولم يكن له ما يمدح به، وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين [و أربعمائة] وقتل منهم خلقا كثيرا.

وفىها، فى ربيع الأول، قتل السلطان بركيارق عمه تكش و غرقه، وقتل ولده معه، وكان ملك شاه قد أخذه «١»، لما خرج عليه، وكحله «٢»، وحسه بقلعة تكريت، فلما ملك بركيارق أحضره إليه ببغداد، وسار بمسيره، فظفر بملطفات إليه من أخيه تتش يحته على اللحاق به، وقيل إنه أراد المسير إلى بلخ لأن أهلها كانوا يريدونه، فقتله، فلما غرق بقى [١] بسر من رأى، فحمل إلى بغداد، فدفن عند قبر أبى حنيفة.

وفىها، فى جمادى الآخرة، كانت وقعة بين الأمير أنر و توران شاه، ابن قاووت بك، وكانت ترکان خاتون الجلائية، والدة محمود بن ملك شاه، قد أرسلته فى عسكر ليأخذ بلاد فارس من توران شاه، ولم يحسن الأمير أنر تدبير بلاد فارس، فاستوحش منه الأجناد، واجتمعوا مع توران شاه وهزموا أنر، ومات توران شاه، بعد الكسرة بشهر، من سهم «٣» أصابه فيها.

وفىها استولى أصبهيد بن ساوتكين على مكة، حرسها الله، عنوة، وهرب منها الأمير قاسم بن أبى هاشم العلوى صاحبها، وأقام بها إلى سؤال، و جمع

[١] فغا.

(١). B.mO.

(٢). كحله.B

(٣). بشهرين لسهم.b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٠

الأمير قاسم وكبسه بعسفان، و جرى بينهما حرب فى سؤال من هذه السنة، فانهزم أصبهيد، ودخل قاسم إلى مكة، ومضى أصبهيد إلى الشام وقدم إلى بغداد.

وفىها، فى رجب، أحرق شحنة بغداد، وهو أيتكين، جب «١» باب البصرة «٢»، وسبب ذلك أن النقيب طرادا [١] الزينبى كان له كاتب يعرف بابن سنان، فقتل، فأنفذ النقيب إلى الشحنة يستدعى منه من يقيم السياسة، فأنفذ حاجبه محمدا، فرجمه أهل باب البصرة، وأدموه، فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم.

فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم، فسار إليهم فى جماعة كثيرة، وتبعهم أهل الكرخ، فأحرقوا ونهبوا، فأرسل الخليفة إلى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف.

وفيهما، فى رمضان، توفيت ترکان خاتون الجلائية بأصبهان، وهى ابنة طفغاج «٣» خان، وهى من نسل أفراسياب التركى، وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تتش لتتصل به، فمرضت وعادت وماتت، وأوصت إلى الأمير أنر وإلى الأمير سرمنز «٤» شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود، ولم يكن بقى بيدها سوى قصبه أصبهان، ومعها عشرة آلاف فارس أتراك. وفيها، فى ذى القعدة، توفى أبو الحسين بن الموصلايا، كاتب ديوان الزمام ببغداد «٥».

[١] طراد.

(١). حب. B.

(٢). النصر. B.

(٣). طنغاج. B.

(٤). سرمن. B.

(٥). وانقضت السنة. B. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤١

٤٨٨ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

فى هذه السنة غدر شاهملك التركى بيحى بن تميم بن المعز بن باديس، وقبض عليه. وكان شاهملك هذا من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق، فناله فى بلده أمر اقتضى خروجه منه، فسار إلى مصر فى مائة فارس، فأكرمه الأفضل أمير الجيوش، وأعطاه إقطاعاً ومالاً، ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر، فخرج هو وأصحابه هاربين، فاحتالوا حتى أخذوا سلاحاً وخيلاً. وتوجهوا إلى المغرب، فوصلوا إلى طرابلس الغرب، وأهل البلد كارهون لواليتها، فأدخلوهم البلد، وأخرجوا الوالى، وصار شاهملك أمير البلد.

فسمع تميم الخبر، فأرسل العساكر إليها، فحاصروها، وضيقوا على الترك ففتحوها، ووصل شاهملك معهم إلى المهدية، فسرى به تميم وبمن معه، وقال:

ولد لى مائة ولد أنتفع بهم، وكانوا لا يخطئ لهم سهم.

فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم، فعلم شاهملك ذلك، وكان داهيا، خبيثا، فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد فى جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس، ومعهم شاهملك، وكان أبوه تميم قد تقدم إليه أن لا يقرب شاهملك، فلم يقبل. فلما أبعدها فى طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه، وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه إلى مدينة سفاقس.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٢

وبلغ الخبر تميما، فركب، وسير العساكر فى أثرهم، فلم يدر كدهم، ووصل شاهملك بيحى بن تميم إلى سفاقس، فركب صاحبها، واسمه حمو [١]، وكان قد خالف على تميم، ولقى يحيى، ومشى فى ركابه راجلا، وقبل يده وعظمه، واعترف له بالعبودية، فأقام عنده أياما، ولم يذكره أبوه بكلمة، وكان قد جعله ولي عهد، فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه المثنى.

ثم إن صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم، فأرسل إلى تميم كتابا يسأله فى إنفاذ

الأتراك و أولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى، ففعل ذلك بعد امتناع، و قدم يحيى، فحجبه أبوه عنه «١» مدة، ثم أعاده إلى حاله، و رضى عنه، ثم جهّز تميم عسكرا إلى سفاقس، و يحيى معهم «٢»، فساروا إليها و حصروها بزا و بحرا، و ضيقوا على الأتراك بها، و أقاموا عليها شهرين، و استولوا عليها، و فارقها الأتراك إلى قابس «٣».

و كان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى، و داخله الحسد، فلم يملك نفسه، فنقل عنه إلى أبيه ما غير قلبه عليه، فأمر بإخراجه من المهديّة بأهله و أصحابه، فركب فى البحر و مضى إلى سفاقس، فلم يمكّنه عامله من الدخول إليها، و قصد مدينة قابس، و بها أمير يقال له مكين «٤» بن كامل الدهسمانيّ، فأنزله و أكرمه، فحسن له المثنى الخروج معه إلى سفاقس و المهديّة، و أطعمه فيهما، و ضمن الإنفاق على الجند من ماله، فجمع مكين «٥» من يمكّنه جمعه، و سار إلى سفاقس، و معهما شاهملك التركى و أصحابه، فنزلوا على سفاقس و قاتلواها.

[١] حموا.

(١). عنده. B.

(٢). صحبتهم. B.

(٣). P.C.mO.

(٤-٥). مكن. B.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٣

و سمع تميم، فجزّد إليها جندا، فلما علم المثنى و من معه أنّهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهديّة، فنزلوا عليها و قاتلواها، و كان الّذى يتولّى القتال فى المهديّة يحيى بن تميم، و ظهرت منه شهامة، و شجاعته، و حزم، و حسن تدبير، فلم يبلغ أولئك منها غرضا، فعادوا خائبين، و قد تلف ما كان مع المثنى من مال و غيره، و عظم أمر يحيى، و صار و هو المشار إليه.

ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند «١»

فى هذه السنة، فى المحرم، قتل أحمد خان، صاحب سمرقند، و كان قد كرهه عسكره و اتهموه بفساد الاعتقاد، و قالوا: هو زنديق [١]. و كان سبب ذلك أنّ السلطان ملك شاه، لما فتح سمرقند و أسر أحمد خان هذا، قد وكلّ به جماعة من الديلم، فحسنوا له معتقدهم، و أخرجوه إلى الإباحة، فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدلّ على انحلاله من الدين، فلما كرهه أصحابه، و عزموا على قتله، قالوا لمستحفظ قلعة كاسان، و هو طغرل ينال بك، ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله، فيتمكّنوا من قتله، فعصى طغرل ينال بك، فسار أحمد خان و العسكر إلى قتاله، فلما نازل القلعة تمكّن العسكر منه، و قبضوا عليه، و عادوا إلى سمرقند، و أحضروا القضاة و الفقهاء، و أقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة، فوجد، فشهد عليه

[١] زندق.

(١). BnitseedtupaccoH.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٤

جماعة بذلك. فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه، و أجلسوا ابن عمّه مسعودا [١] مكانه و أطاعوه.

ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداد

في هذه السنة، في صفر، سیر الملك تتش يوسف بن آبق التركمانی شحنة لبغداد، و معه جمع من التركمان، فمنع من دخول بغداد، و ورد إليه صدقة بن مزید صاحب الحلة و كان يكره تتش، و لم «١» يخطب له في بلاده، فلما سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خراسان و نهب باجسرى، و قاتله العسكر ببغداد، فهزمهم و نهبهم «٢» أفحش نهب و أكثر معه من التركمان و عاد إلى بغداد. و كان صدقة قد رجع إلى الحلة، فدخل يوسف بن آبق إلى بغداد، و أراد نهبها و الإيقاع بأهلها، فمعه أمير كان معه من ذلك، ثم وصل إليه الخبر بقتل تتش، فرحل عن بغداد إلى الموصل، و سار من هناك إلى حلب.

ذكر الحرب بين بركيارق و تتش و قتل تتش

في هذه السنة، في صفر، قتل تتش بن ألب أرسلان.

و كان سبب ذلك أنه لما هزم السلطان بركيارق، كما ذكرناه، سار من [١]

[١] مسعود.

(١). P.C.mO.

(٢). و نهبها. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٥

موضع الوقعة إلى همذان، و قد تحصن بها أمير آخر، فرحل تتش عنها، فتبعه أمير آخر لأجل أثقاله، فعاد عليه تتش فكسره، فعاد إلى همذان، و استأمن إليه، و صار معه.

و بلغ تتش مرض بركيارق، فسار إلى أصبهان، فاستأذنه أمير آخر في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة و ما يحتاج إليه، فأذن له، فسار إليها، و منها إلى أصبهان، و عرفهم خبر تتش.

و علم تتش خبره، فذهب جرباذقان، و سار إلى الرى، و راسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته، و يبذل لهم البذول الكثيرة، و كان بركيارق مريضاً بالجدري، فأجابوه يعدونه بالانحياز إليه، و هم ينتظرون ما يكون من بركيارق. فلما عوفى أرسلوا إلى تتش: ليس بيننا غير السيف، و ساروا مع بركيارق من أصبهان، و هم في نفر يسير، فلما بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كل مكان، حتى صاروا في ثلاثين ألفاً، فالتقوا بموضع قريب من الرى، فانهمز عسكر تتش و ثبت هو، فقتل، قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر، صاحب حلب، أخذاً بثأر صاحبه.

و كان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك، و هو معه، فأطلق، و استقام الأمر و السلطنة لبركيارق، و إذا أراد الله أمراً هتأ أسبابه، بالأمس ينهزم من عمه تتش، و يصل إلى أصبهان في نفر يسير، فلا يتبعه أحد، و لو تبعه عشرون فارساً لأخذوه لأنه بقى على باب أصبهان عدّة أيام، ثم لمّا دخلها أراد الأمراء كحله، فاتفق أن أخاه حمّ ثانى يوم وصوله، و جدر، فمات، فقام في الملك مقامه، ثم جدر هو و أصابه معه سرسام، فعوفى، و بقى مذكوره عمه إلى أن عوفى و سار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه، و لا عمل شيئاً، و لو قصده و هو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد:

و لله سرّ في علاك، و إنّما كلام العدى ضرب من الهديان

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٦

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان، وكتب إليه من بلد الجبل، قبل المصافى الذى قتل فيه، يأمره أن يسير إلى العراق، و يقيم بدار المملكة، فسار فى عدد كثير منهم: يلغازى بن أرتق، و كان قد سار إلى تتش، فتركه عند ابنه رضوان، و منهم: الأمير وثاب بن محمود «١» ابن صالح بن مرداس، و غيرهما، فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه، فعاد إلى حلب، و معه والدته، فملكها، و كان بها أبو القاسم الحسن بن على الخوارزمي، قد سلمها إليه تتش و حكمه فى البلد و القلعة. و لحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن أيتكين، و كان مع تتش، فسلم من المعركة، و كان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران: أبو طالب و بهرام، و كانوا كلهم مع أبى القاسم كالأضياف لتحكمه فى البلد، و استمال جناح الدولة المغاربة، و كانوا أكثر جند القلعة، فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان، و احتاطوا على أبى القاسم، و أرسل إليه رضوان يطيب قلبه، فاعتذر، فقبل عذره، و خطب لرضوان على منابر حلب و أعمالها، و لم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه، بعد قتله، نحو شهرين. و سار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة، و خالف عليهم الأمير باغى سيان «٢» بن محمد بن ألب التركمانى، صاحب أنطاكية، ثم صالحهم، و أشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر، لخلوها من وال يحفظها، فساروا جميعا، و قدم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تتش رتبهم فيها، و قصدوا سروج فسبقهم إليها الأمير سقمان بن أرتق جد «٣» أصحاب الحصن اليوم،

(١). محمد. B.

(٢). سنان. gramni. باغى سنان. P. C.

(٣). هولاء. B. ddA.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٧

و أخذها، و منعهم عنها، و أمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان و تظلموا إليه من عساكره و ما يفسدون من غلاتهم، و يسألونه الرحيل، فرحل عنهم إلى الزها.

و كان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط، و كان يضمن البلد من بوزان، فقاتل المسلمين بمن معه، و احتسمى بالقلعة، و شاهدوا من شجاعته ما لم يكونوا [١] يظنون، ثم ملكها رضوان «١»، و طلب باغى سيان «٢» القلعة من رضوان، فوهبها له، فتسلمها و حصنها، و رتب رجالها، و أرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم حران «٣»، فسمع ذلك قراجه أميرها، فأتهم ابن المفتى، و كان ابن المفتى هذا قد اعتمد عليه تتش فى حفظ البلد، فأخذه، و أخذ معه بنى أخيه، فصلبهم.

و وصل الخبر إلى رضوان، و قد اختلف جناح الدولة و باغى سيان، و أضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه، فهرب جناح الدولة إلى حلب، فدخلها، و اجتمع بزوجه أم الملك رضوان، و سار رضوان و باغى سيان، فعبرا الفرات إلى حلب، فسمعا بدخول جناح الدولة إليها، ففارق باغى سيان الملك رضوان، و سار إلى أنطاكية، و معه أبو القاسم الخوارزمي، و سار رضوان إلى حلب.

و أما دقاق بن تتش فإنه كان قد سيره أبوه إلى عمه السلطان ملك شاه ببغداد، و خطب له ابنة السلطان، و سار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلائية و ابنها محمود إلى أصبهان، و خرج إلى السلطان بركيارق سراً، و صار معه، ثم لحق بأبيه، و حضر معه الوقعة التى قتل فيها.

[١] لا كانوا.

(٢) باغى نسان. ddoc.

(٣) p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٨

فلَمَّا قتل أبوه أخذَه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبيّ، و سار به إلى حلب، و أقام عند أخيه الملك رضوان، فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرّاً، يدعوهُ ليملكه دمشق، فهرب من حلب سرّاً، و جدّ في السير، فأرسل أخوه رضوان عدّة من الخيالة، فلم يدركوه، فلَمَّا وصل إلى دمشق فرح به الخادم، و أظهر الاستبشار، و لقيه، فلَمَّا دخلها أرسل إليه باغى سيان يشير عليه بالتفرّد بملك دمشق عن أخيه رضوان.

و اتّفق وصول معتمد الدولة طغديكين إلى دمشق، و معه جماعة من خواصّ تتش و عسكره، و قد سلموا، فإنّه كان قد شهد الحرب مع صاحبه، و أسر، فبقى إلى الآن، و خلص من الأسر، فلَمَّا وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق و أرباب دولته، و بالغوا في إكرامه، و كان زوج والده دقاق «١» فمال إليه لذلك، و حكّمه في بلاده، و عملوا على قتل الخادم ساوتكين، فقتلوه، و سار إليهم باغى سيان «٢» من أنطاكية، و معه أبو القاسم الخوارزمي، فجعله وزيراً لدقاق، و حكّمه في دولته.

ذكر وفاة المعتمد بن عباد

في هذه السنة توفّي المعتمد بن عباد، الذي كان صاحب الأندلس، مسجوناً بأغمت، من بلد المغرب، و قد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، فبقى مسجوناً إلى الآن، و توفّي، و كان من محاسن الدنيا كرماً، و علماً، و شجاعاً، و رئاساً تامّة، و أخباره مشهورة، و آثاره مدوّنة.

(١) b. mo.

(٢) ياغى سيان. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٩

و له أشعار حسنة، فمنها ما قاله لما أخذ ملكه و حبس:

سَلّت على يد الخطوب سيوفها فجدّذن «١» من جسدي الحصيف [١] الأمتنا

ضربت بها أيدي الخطوب، و إنّما ضربت رقاب الآملين بها المنى [٢]

يا آملى العادات من نفحاتنا، كَفّوا، فإنّ الدهر كَفّ أكفّنا و له من قصيدة يصف القيد في رجليه:

تعطّف في ساقى تعطف أرقم، يساورها عَضاً بأنياب ضيغم

و إنّى من كان الرجال بسيبه، و من سيفه «٢» في جَنّة و جهنّم و قال في يوم عيد:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً، فساءك العيد [٣]، في أغمت، مأسورا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً، فردّك الدهر منهياً، و مأمورا

من بات بعدك في ملك يسرّ به، فإنّما بات بالأحلام مسرورا و كان شاعره أبو بكر بن اللبانه يأتيه و هو مسجون، فيمدحه لا لجدوى ينالها منه، بل رعاية لحقّه و إحسانه القديم إليه. فلَمَّا توفّي أتاها، فوقف على قبره، يوم عيد، و الناس عند قبور أهليهم، و أنشد بصوت عال «٣»:

ملك الملوك أسامع فأنادى «٤»، أم قد عداك عن الجواب عوادى

[١] الخصيف.

[٢] المنا.

[٣] فصرت كالعبد.

(١) فجددت.b.

(٢) سبقه.b.

(٣).b.

(٤) ما أنادى.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٠ لما خلت منك القصور، و لم تكن فيها، كما قد كنت في الأعياد مثلت «١» في هذا الثرى لك خاضعا «٢» و اتخذت قبرك موضع الإنشاد و أخذ في إتمام القصيدة، فاجتمع الناس كلهم عليه ليكون. و لو أخذنا في تفصيل مناقبه و محاسنه لطلال الأمر، فلنقف عند هذا.

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله، وزير الخليفة، في جمادى الآخرة، و أصله من رودزاور، و ولد بالأهواز، و قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، و كان عالما بالعربية، و له تصانيف منها: ذيل تجارب الأمم، و كان عفيفا، عادلا، حسن السيرة، كثير الخير و المعروف، و كان موته بمدينة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كان مجاورا فيها. و لما حضره الموت أمر فحمل إلى مسجد النبي، صلى الله عليه و سلم، فوقف بالحضرة و بكى، و قال: يا رسول الله! قال الله، عز و جل: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا «٣»، و قد جئت معترفا بذنوبي و جرائمى أرجو شفاعتك.

و بكى فأكثر، و توفي من يومه، و دفن عند قبر إبراهيم ابن النبي، صلى الله عليه و سلم.

(١) قلب.b.

(٢) خاشعا.b.

(٣).sv، ٤، naroc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥١

ذكر الفتنة بنيسابور

في هذه السنة، في ذى الحجة، جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا، و سار بهم إلى نيسابور، فحصرها، فاجتمع أهلها و قاتلوه أشد قتال، و لازم حصارهم نحو أربعين يوما، فلما لم يجد له مطعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع و ثمانين [و أربعمئة]، فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية و سائر الطوائف من أهلها، فقتل بينهم قتلى كثيرة.

و كان مقدّم الشافعية أبا القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، و مقدّم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد، و هما متفقان على الكرامية، و مقدّم الكرامية محمّشاد، فكان الظفر للشافعية و الحنفية على الكرامية، فخربت مدارسهم، و قتل كثير منهم و من غيرهم، و كانت فتنة عظيمة.

ذكر عده حوادث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم، و أذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامّة في التفرّج و العمل، فزيتوا البلد، و عملوا [١] القباب، و جدّوا في عمارته.

و فيها، في شهر رمضان، جرح السلطان بركيارق، جرحه إنسان سترى «١»

[١] و عمل.

(١) سفرى. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٢

له، من أهل سجستان، في عضده، ثم أخذ الرجل، و أعانه رجلان أيضا من أهل سجستان، فلما ضرب الرجل الجرح اعترف أن هذين الرجلين وضعاه، و اعترفا بذلك، فضربا الضرب الشديد، ليقرا على من أمرهما بذلك، فلم يقرا، فقرّبا إلى الفيل ليجعلا تحت قوائمه، و قدّم أحدهما، فقال: اتركونى و أنا أعرفكم، فتركوه، فقال لصاحبه: يا أخى لا بدّ من هذه القتلّة، فلا تفضح أهل سجستان بإفشاء الأسرار، فقتلا.

و فيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام، و زار القدس، و ترك التدريس في النظامية، و استناب أخاه، و تزهد، و لبس الخشن، و أكل الدون، و في هذه السفرة صنّف إحياء علوم الدين، و سمعه منه الخلق الكثير بدمشق، و عاد إلى بغداد بعد ما حجّ في السنة التالية، و سار إلى خراسان.

و فيها، في ربيع الأول، خطب لولّى العهد أبى الفضل منصور بن المستظهر بالله «١».

و فيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك، و استوزر أخاه فخر الملك، و سبب ذلك أن بركيارق لما هزم عمه تتش، و قتله، أرسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان، فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء، و أشاروا عليه بتركها، فقال: لا أريد الملك إلّا لها، و بوجودها عندي، فلما وصلت إليه و علمت الحال تنكرت على مؤيد الملك، و كان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها، و علم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك، و كان بين مؤيد الملك و أخيه فخر الملك تباعد [١] بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك، فلما علم فخر الملك تنكر أم «٢» السلطان على أخيه

[١] متباعدة.

(١) mo. b.

(٢) بكرم. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٣

مؤيد الملك أرسل و بذل أموالا جزيلة في الوزارة، فأجيب إلى ذلك، و عزل أخوه و ولى هو.

و في هذه السنة، في جمادى الأولى، توفى أبو محمّد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، الفقيه الحنبلي، و كان عارفا بعدة علوم، و كان قريبا من السلاطين.

و فيها، في رجب، توفى أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، المعروف بابن الباقلائي، و هو مشهور، و مولده سنة ست «١» و

أربعمائة.

وفىها، فى شعبان، توفى قاضى القضاة أبو بكر محمّد بن المظفر الشامى، و كان من أصحاب أبى الطيب الطبرى، و لم يأخذ على القضاة أجرا، و أقر [١] الحقّ مقرّه، و لم يحاب [٢] أحدا من خلق الله، ادعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئا، فقال: أ لك بينة؟ قال: نعم! فلان، و المشطب الفقيه الفرغانى، فقال:

لا- أ قبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير، فقال التركى: فالسلطان و نظام الملك يلبسان الحرير، فقال «٢»: لو شهدا عندى على باقة بقل لم أ قبل شهادتهما، و ولى القضاة بعده أبو الحسن على بن قاضى القضاة أبى عبد الله محمّد الدامغانى. و فيها مات القاضى أبو يوسف عبد السلام بن محمّد القزوينى، و مولده سنة إحدى عشرة و أربعمائة، و كان مغاليا فى الاعتزال، و قيل كان زيديّ المذهب.

و فيها توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى، قاضى دجيل، و كان شافعيّ

[١] و أقرّا.

[٢] يخاب.

(١) p. c. mo

(٢) b. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٤

المذهب، و ولى بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحدّاد الأصبهانى، صاحب أبى نعيم الحافظ، روى عنه حلية الأولياء، و هو أكبر من أخيه أبى المعالى «١»، و أبو عبد الله محمّد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله ابن حميد الحميدى الأندلسى، ولد قبل العشرين و أربعمائة، و سمع الحديث ببلده، و مصر، و الحجاز، و العراق، و هو مصنّف الجمع بين الصحيحين، و كان ثقة فاضلا، و توفى فى ذى الحجّة، و وقف كتبه فانتفع بها الناس.

(١) على. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٥

٤٨٩ ثم دخلت سنة تسع و ثمانين و أربعمائة

ذكر قتل يوسف بن أبى و المجنّ الحلبى

فى هذه السنة، فى المحرم، قتل يوسف بن أبى الذى ذكرناه أنه سيّره تاج الدولة تتش إلى بغداد و نهب سوادها. و كان سبب قتله أنه كان بحلب، بعد قتل تاج الدولة، و كان بحلب إنسان يقال له المجنّ، و هو رئيس الأحداث بها، و له أتباع كثيرون، فحضر عند جناح الدولة حسين، و قال له: إن يوسف بن أبى يكاتب باغى سيان «١»، و هو على عزم الفساد، و استأذنه فى قتله، فأذن له، و طلب أن يعينه بجماعة من الأجناد، ففعل ذلك، فقصد المجنّ الدار التى بها يوسف، فكبسها من الباب و السطح، و أخذ يوسف فقتله، و نهب كلّ ما [١] [كان] فى داره، و بقى بحلب حاكما، فحدّثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان، فقال لجناح الدولة:

إنَّ الملك رضوان أمرني بقتلك، فخذ لنفسك، فهرب جناح الدولة إلى حمص، و كانت له، فلمّا انفرد المجنّ بالحكم تغيّر عليه رضوان، و أراد منه أن يفارق البلد، فلم يفعل، و ركب في أصحابه، فلو هم «٢» بالمحاربة لفعل، ثم أمر أصحابه أن ينهبوا ماله، و أثاثه، و دوابّه، ففعلوا ذلك، و اختفى، فطلب

[١] كلما.

(١) باغى يسان. p.c.

(٢) فأمرهم. b. الكامل في التاريخ ج ١٠ ٢٥٦ ذكر قتل يوسف بن آبق و المجن الحلبي ص : ٢٥٥

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٦

فوجد بعد ثلاثة أيام، فأخذ و عوقب و عذب، ثم قتل هو و أولاده، و كان من السواد يشقّ الخشب، ثم بلغ هذه الحالة.

ذكر وفاة منصور بن مروان

في هذه السنة، في المحرم، توفى منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر «١»، و هو الذي انقرض أمر بني مروان على يده، حين حاربه فخر الدولة بن جهير، و كان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة، و تركه عند رجل يهودي، فمات في داره، و حملته زوجته إلى تربة آبائه، فدفتته ثم حجت [١]، و عادت إلى بلد البشنوية، فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب «٢» جزيرة ابن عمر، و أقامت فيه تعبد الله.

و كان منصور شجاعا، شديد البخل، له في البخل حكايات عجيبة. فتعسا لطالب الدنيا، المعرض عن الآخرة، ألا ينظر [٢] إلى فعلها بأبنائها، بينما منصور هذا ملك من بيت ملك آل أمره إلى أن مات في بيت يهودي، نسأل الله تعالى أن يحسن أعمالنا، و يصلح عاقبة أمرنا في الدنيا و الآخرة، بمّنه و كرمه.

[١] حجب.

[٢] تنظر.

(١) بالجزيرة. dda .b.

(٢) .b .mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٧

ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا

في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس، و أخرج منها أخاه عمرا «١» [١]. و سبب ذلك أنها كان بها إنسان يقال له قاضي بن «٢» إبراهيم بن بلمونه فمات «٣»، فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز، فأساء السيرة، و كان قاضي ابن إبراهيم عاصيا على تميم، و تميم يعرض عنه، فسلك عمرو طريقه في ذلك «٤»، فأخرج تميم العساكر إلى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه، فقال له بعض أصحابه:

يا مولانا لِمَا كان فيها قاضي توانيت «٥» عنه و تركته، فلمّا وليها أخوك جرّدت إليه العساكر، فقال: لِمَا كان فيها غلام من عبيدنا كان

زواله سهلا علينا، و أمّا اليوم، و ابن المعزّ بالمهديّة، و ابن المعزّ «٦» بقابس، فهذا [٢] ما لا يمكن السكوت عليه.
 و فى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أوّلها:
 ضحك الزمان، و كان يلقي عابسا لما فتحت بحدّ سيفك قابسا
 اللّهُ يعلم ما حويت ثمارها إلّا و كان أبوك، قبل، الغارسا
 من كان فى زرق الأستة خاطبا، كانت له قتل البلاد عرائسا
 فأبشر تميم بن المعزّ بفتكته تركتك من أكناف قابس قابسا

[١] عمروا.

[٢] هذا.

(١) عمرا. ddoc.

(٢) p. c. mo.

(٣) قاضى بن. p. c. dda.

(٤) العصيان. b.

(٥) p. c. mo.

(٦) b. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٨ ولّوا، فكم تركوا هناك مصانعوا مقاصرا، و مخالدا، و مجالسا
 فكأنّها قلب، و هنّ وساوس، جاء اليقين، فذاد [١] عنه وساوسا

ذكر ملك كربوقا الموصل

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، و قد ذكرنا أنّ تاج الدولة تتش أسره لّمّا قتل آقسنقر
 و بوزان، فلّمّا أسره أبقى عليه، طمعا فى استصلاح حميه «١» الأمير أنر، و لم يكن له بلد يملكه إذا قتله، كما فعل بالأمير بوزان، فإنّه
 قتله و استولى «٢» على بلاده الرّها و حرّان.

و لم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب إلى أن قتل تتش، و ملك ابنه الملك رضوان حلب [٢]، فأرسل السلطان بركيارق رسولا يأمره
 بإطلاقه و إطلاق أخيه [٣] التونتاش، فلّمّا أطلقا سارا و اجتمع عليهما كثير من العساكر الباطلين، فأتيا حرّان فتسلّماها، و كاتبهما محمّد
 بن شرف الدولة مسلم بن قريش، و هو بنصيبين، و معه ثروان بن وهيب، و أبو الهيجاء الكرديّ، يستنصرون بهما على الأمير علىّ بن
 شرف الدولة، و كان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع.

[١] فزاد.

[٢] حلبا.

[٣] أخاه.

(١) جهة. b.

(٢) حتى استولى b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٥٩

فسار كربوقا إليهم، فلقبه محمّد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين، واستحلفهما لنفسه، فقبض عليه كربوقا بعد اليمين، و حمله معه، و أتى «١» نصيبين، فامتعت عليه، فحصرها أربعين يوما، و تسلّمها، و سار إلى الموصل فحصرها، فلم يظفر منها بشيء، فسار عنها إلى بلد، و قتل بها محمّد بن شرف الدولة، و عزّقه، و عاد إلى حصار الموصل، و نزل على فرسخ منها بقريةً باحلاف، و ترك التوتناش شرقى الموصل، فاستنجد علىّ ابن مسلم صاحبها بالأمر جكرمش، صاحب جزيرة ابن عمر، فسار إليه نجدة له، فلمّا علم التوتناش بذلك سار إلى طريقه، فقاتله، فانهزم جكرمش، و عاد إلى الجزيرة منهزما، و صار فى طاعة كربوقا، و أعانه على حصر الموصل، و عدت الأقوات بها و كلّ شيء، حتّى ما يوقدونه، فأوقدوا القير، و حب القطن.

فلما ضاق بصاحبها علىّ الأمر فارقها و سار إلى الأمير صدقة بن يزيد بالحلّة، و تسلّم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر، و خافه أهله لأنّه بلغهم أنّ التوتناش يريد نهبهم، و أنّ كربوقا يمنعه من ذلك، فاشتغل التوتناش بالقبض على أعيان البلد، و مطالبتهم بودائع البلد «٢»، و استطال على كربوقا، فأمر بقتله، فقتل فى اليوم الثالث، و أمن الناس شرّه، و أحسن كربوقا السيرة فيهم، و سار نحو الرّحبة، فمنع عنها، فملكها و نهبها و استناب بها و عاد.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اجتمع ستّة كواكب فى برج الحوت، و هى الشمس، و القمر، و المشتري، و الزّهرة، و المريخ، و عطارد، فحكم المنجّمون

(١) إلى b.

(٢) العرب b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦٠

بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح، فأحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجّم، فسأله، فقال: إنّ طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت، و الآن فقد اجتمع ستّة منها، و ليس منها زحل، فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح، و لكن أقول إنّ مدينة، أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة، فيغرقون، فخافوا على بغداد، لكثرة من يجتمع فيها من البلاد، فأحكمت المسّيات، و المواضع التى يخشى منها الانفجار و العرق.

فاتفق أن الحجاج نزلوا بواى المياقت «١»، بعد نخله، فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم، و نجا من تعلق بالجبال، و ذهب المال، و الدواب، و الأزواد، و غير ذلك، فخلع الخليفة على المنجّم.

و فيها، فى صفر، درّس الشيخ أبو عبد الله الطبرىّ الفقيه الشافعىّ بالمدرسة النظاميّة ببغداد، ربّبه فيها فخر الملك بن نظام الملك، وزير بركيارق.

و فيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن يزيد، فأرسل فى أثرهم عسكريا، مقدّمه ابن عمّه قريش بن بدران بن ديبس بن يزيد، فأسرته خفاجة، و أطلقوه، و قصدوا مشهد الحسين بن علىّ، عليه السّلام، فتظاهروا فيه بالفساد و المنكر، فوجه إليهم صدقة جيشا، فكبسوهم، و قتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد، حتّى عند الضريح، و ألقى رجل منهم نفسه و هو على فرسه من على السور، فسلم هو و الفرس.

و فى هذه السنة، فى صفر، توفّى القاضى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرّة النعمان و المستولى على أمورها، و كان رجل زمانه

همة و علما «٢».

و فيها، فى ربيع الأول، توفى أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف

(١) المناقت.b.

(٢) عالما فى عدة علوم قد قارب ثمانين سنة.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤١

بابن الخاضبة، المحدث، و كان عالما.

و فيها، فى رمضان، توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى، و مولده سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة.

و فيها، فى رمضان، توفى أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم المقدسى المعروف بالهمذانى، و كان عالما فى عدة علوم، و قد قارب ثمانين سنة «١».

(١) .mo.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٢

٤٩٠ ثم دخلت سنة تسعين و أربعمائه

ذكر قتل أرسلان أرغون

فى هذه السنة، فى المحرم، قتل أرسلان أرغون بن ألب أرسلان، أخو السلطان ملك شاه، بمرو، و كان قد ملك خراسان «١». و سبب قتله أنه كان شديدا على غلمانه، كثير الإهانة لهم و العقوبة، و كانوا يخافونه [خوفا] عظيما، فاتفق أنه الآن طلب غلاما له، فدخل عليه و ليس معه أحد، فأنكر عليه تأخره عن الخدمة، فاعتذر، فلم يقبل عذره، و ضربه، فأخرج الغلام سكيناً معه و قتله، و أخذ الغلام، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: لأريح الناس من ظلمه.

و كان سبب ملكه خراسان أنه كان له، أيام أخيه ملك شاه، من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار، و كان معه ببغداد لَمّا مات، فسار إلى همذان فى سبعة غلمان، و اتصل به جماعة، فسار إلى نيسابور، فلم يجد فيها مطمعا، فتّم «٢» إلى مرو، و كان شحنة مرو أمير اسمه قودن «٣» من مماليك ملك شاه، و هو الذى كان سبب تنكر السلطان ملك شاه على نظام الملك، و قد تقدّم ذلك فى قتل نظام الملك، فمال إلى أرسلان أرغون، و سلّم البلد إليه، فأقبلت العساكر إليه، و قصد بلخ، و بها فخر الملك بن نظام الملك، فسار عنها،

(١) .mo.b.

(٢) فمر.b.

(٣) قودن.p.c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٣

و وزير لتاج الدولة تتش، على ما ذكرناه.

و ملك أرسلان أرغون بلخ، و ترمذ، و نيسابور، و عامية خراسان، و أرسل إلى السلطان بركيارق و إلى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب أن يقرّ عليه خراسان، كما كانت لجده داود، ما عدا نيسابور، و يبذل «١» الأموال و لا ينازع في السلطنة. فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود و عمه تتش، فلمّا عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته، و وليها أخوه فخر الملك، و استولى على الأمور مجد الملك البلاساني، قطع أرسلان أرغون مراسله بركيارق، و قال: لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاساني، فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس «٢» بن ألب أرسلان، و سيّره في العساكر لقتاله.

و كان قد اتّصل بأرسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك، و وزر له، فلمّا وصلت العساكر إلى خراسان لقيهم أرسلان أرغون، و قاتلهم، و انهزم منهم، و سار منهم ما إلى بلخ، و أقام بوربرس و العساكر التي معه بهراه.

ثم جمع أرغون عساكر جتيّة و سار إلى مرو، فحصرها أياما، و فتحها عنوة، و قتل فيها و أكثر، و قلع أبواب سورها و هدمه، فسار إليه بوربرس من هراه، فالتقى و تصافا، فانهزم بوربرس سنة ثمان و ثمانين [و أربعمئة].

و سبب هزيمته أنّه كان معه من جملة العساكر التي سيّرها [١] معه بركيارق أمير آخر «٣» ملك شاه، و هو من أكابر الأمراء، و الأمير مسعود بن تاجر، و كان أبوه مقدّم عسكر داود، جدّ ملك شاه، و لمسعود منزلة كبيرة، و محلّ عظيم، عند الناس كافّة [٢]، و كان بين أمير آخر و بين أرسلان مودة قديمة، فأرسل

[١] الذي سير.

[٢] كافّة الناس.

(١) و بذل. C. p.

(٢) بوديرس. euqobu. b.

(٣) اسمه. dda. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦٤

إليه أرسلان أرغون يستميله، و يدعوه إلى طاعته، فأجابه إلى ذلك.

ثم إنّ مسعود بن تاجر قصد أمير آخر زائرا له، و معه ولده، فأخذهما و قتلهما، فضعف أمر بوربرس، و انهزم من أرسلان أرغون، و تفرّق عسكره، و أسر، و حمل إلى أرسلان أرغون، و هو أخوه، فحبسه بترمذ، ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه، و قتل أكابر عسكر خراسان ممّن كان يخافه و يخشى تحكّمه عليه، و صادر وزيره عماد الملك بثلاثمئة ألف دينار، و قتله، و خرب «١» أسوار مدن خراسان، منها: سور سبزوار، و سور مرو الشاهجان، و قلعة سرخس، و قهندز نيسابور، و سور شهرستان، و غير ذلك، خربه جميعه سنة تسع و ثمانين [و أربعمئة]، ثم إنّه قتل هذه السنة كما ذكرنا.

ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور

في هذه السنة، في ربيع الأول، وصل عسكر كثير من مصر إلى ثغر صور، بساحل الشام، فحصرها و ملكها. و سبب ذلك أنّ الوالي بها، و يعرف بكتيلة، أظهر العصيان على المستعلى، صاحب مصر، و الخروج عن طاعته، فسير إليه جيشا، فحصره بها، و ضيقوا عليه و على من معه من جنديّ و عامي، ثم افتتحها عنوة بالسيف، و قتل بها خلق كثير، و نهب منها المال الجزيل، و أخذ الوالي أسيرا بغير أمان، و حمل إلى مصر فقتل بها.

(١) و حرق. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦٥

ذكر ملك بركيارق خراسان و تسليمها إلى أخيه سنجر

كان بركيارق قد جهّز العساكر مع أخيه الملك سنجر، و سَيرها إلى خراسان لقتال عمّه أرسلان أرغون، و جعل الأمير قماج أتابك سنجر، و رتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي، فلما وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله، فأقاموا، حتى لحقهم السلطان بركيارق، و ساروا إلى نيسابور، فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة و ملكها بغير قتال، و كذلك سائر البلاد الخراسانية، و ساروا إلى بلخ.

و كان عسكر أرسلان أرغون قد ملكوا بعد قتله ابنا له صغيرا، عمره سبع سنين، فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدهوا إلى جبال طخارستان، و أرسلوا يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، فعادوا و معهم ابن أرسلان أرغون، فأحسن السلطان لقاءه، و أعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيام ملك شاه، و كان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس، فما انقضى يومهم حتى فارقه، و اتصلت كل طائفة منهم بأمر تخدمه، و بقي وحده مع خادم لأبيه، فأخذته والده السلطان بركيارق إليها، و أقامت له من يتولى خدمته و تربيته. و سار بركيارق إلى ترمذ فسلمت إليه، و أقام عند بلخ سبعة أشهر، و أرسل إلى ما وراء النهر، فأقيمت له الخطبة بسمرقند و غيرها، و دانت له البلاد.

ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفا

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد ابن سليمان، و يعرف بأمر أميران، و هو ابن عم ملك شاه، و توجه إلى

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦٦

بلخ «١»، و استمد من صاحب غزنه، فأمدّه بجيش كثير، و فيله، و شرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان، فقويت شوكته، و مدّ يده في البلاد، فسار إليه الملك سنجر بن ملك شاه جريده، و لا يعلم به أمير أميران، فكبسه، فجرى بينهما قتال ساعة، ثم أسر، و حمل إلى بين يدي سنجر، فأمر به فكحل.

ذكر عصيان الأمير قودن و يارقاتش على السلطان و استعمال حبشي على خراسان

في هذه السنة عصى يارقاتش و قودن على السلطان بركيارق.

و سبب ذلك أن الأمير قودن كان قد صار في جملة الأمير قماج، فتوفى، و السلطان بمرو، فاستوحش قودن «٢»، و أظهر المرض، و تأخر بمرو بعد مسير السلطان إلى العراق، و كان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي، و قد ولّاه السلطان خوارزم، و لقبه خوارزم شاه، فجمع عساكره و سار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان، فسبق العسكر إلى مرو في ثلاثمائة فارس، و تشاغل بالشرب، فاتفق قودن و أمير آخر اسمه يارقاتش على قتله، فجمعوا خمسمائة فارس و كبسوه و قتلوه، و ساروا إلى خوارزم، و أظهروا أن السلطان قد استعملها عليها فتسلماها.

و بلغ الخبر إلى السلطان، فتمّ المسير إلى العراق، لما بلغه من خروج الأمير أنر و مؤيد الملك عن طاعته، و أعاد أمير داذ حبشي «٣» بن التوناق «٤» في جيش

(١) p. c. mo.

(٢) b. mo.

(٣) الأمير داود الحبشي. b.

(٤) البومات. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٧

إلى خراسان لقتالهما، فسار إلى هراء، و أقام ينتظر اجتماع العساكر معه، فعاجلاه في خمسة عشر ألفا، فعلم أمير داذ «١» أنه لا طاقة له بهما، فعبر جيحون، فسارا إليه، و تقدّم يارقطاش ليلحقه قودن، فعاجله يارقطاش وحده و قاتله، فانهزم يارقطاش و أخذ أسيرا. و بلغ الخبر إلى قودن، فثار به عسكره، و نهبوا خزائنه و ما معه، فبقى في سبعة نفر، فهرب إلى بخارى، فقبض عليه صاحبها، ثم أحسن إليه، و بقي عنده، و سار من هناك إلى الملك سنجر ببلخ، فقبله أحسن قبول، و بذل له قودن أن يكفيه أموره، و يقوم بجمع العساكر على طاعته، فقدر أنه مات عن قريب، و أما يارقطاش فبقى أسيرا إلى أن قتل أمير داذ، و كان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزم شاه

في هذه السنة أمر بركيارق الأمير حبشي بن التوناق على خراسان، كما ذكرناه، فلما صفت له، و قتل قودن، كما ذكرناه قبل، ولى خوارزم الأمير محمد بن أنوشتكين، و كان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقية، اسمه بلكباك «٢»، قد اشتراه من رجل من غرستان فقيل له أنوشتكين غرشجه، فكبر، و علا أمره، و كان حسن الطريقة، كامل الأوصاف، و كان مقدما، مرجوعا إليه، و ولد له ولد سماه محمدا، و هو هذا، و علمه، و خرجه، و أحسن تأديبه، و تقدّم بنفسه، و بالعناية الأزلية، فلما ولى أمير داذ حبشي خراسان كان خوارزم شاه اكنجي قد قتل،

(١) داود. b.

(٢) بلكانك. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٨

و قد تقدّم ذكره، و نظر الأمير حبشي فيمن يوليّه خوارزم، فوقع اختياره على محمد بن أنوشتكين، فولاه خوارزم، و لقبه خوارزم شاه، فقصر أوقاته على معدلة ينشرها، و مكرمه يفعلها، و قرب أهل العلم و الدين، فازداد ذكره حسنا، و محلّه علوا. و لمّا ملك السلطان سنجر خراسان أقرّ محمدا خوارزم شاه على خوارزم و أعمالها، فظهرت كفايته و شهامته، فعظم سنجر محلّه و قدره.

ثم إن بعض ملوك الأتراك جمع جموعا، و قصد خوارزم، و محمد غائب عنها، و كان طغرلتكين «١» بن اكنجي، الذي كان أبوه خوارزم شاه، قبل، عند السلطان سنجر، فهرب منه، و التحق بالأتراك على خوارزم، فلما سمع خوارزم شاه محمد الخبر بادر إلى خوارزم، و أرسل إلى سنجر يستمده، و كان بنيسابور، فسار في العساكر إليه، فلم ينتظره محمد، فلما قارب خوارزم هرب الأتراك إلى منقشلاغ، و طغرلتكين أيضا رحل إلى حندخان، و كفى خوارزم شاه شرهم.

و لما توفي خوارزم شاه ولى بعده ابنه أئسز، فمدّ ظلال الأمن، و أفاض العدل، و كان قد قاد الجيوش أيام أبيه، و قصد بلاد الأعداء، و باشر الحروب، فملك مدينة منقشلاغ.

و لما ولى بعد أبيه قرّبه السلطان سنجر، و عظّمه، و اعتضد به، و استصحبه معه في أسفاره و حروبه، فظهرت منه الكفاية و الشهامه، فزاده تقدما و علوا، و هو ابتداء ملك بيت خوارزم شاه تكش، و ابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى

«٢».

(١) محمد .b. dda.

(٢) .p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٦٩

ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق

في هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق، وبها أخوه دقاق، عازما على أخذها منه، فلما قاربها، ورأى حصانتها وامتناعها، علم عجزه عنها، فرحل إلى نابلس، وسار إلى القدس ليأخذها، فلم يمكنه، وانقطعت العساكر عنه، فعاد معه باغى «١» سيان، صاحب أنطاكية، و جناح الدولة.

ثم إن باغى سيان فارق رضوان، وقصد دقاق، وحسن له محاصرة أخيه بحلب، جزاء لما فعله، فجمع عساكر كثيرة و سار و معه باغى سيان، فأرسل رضوان رسولا إلى سقمان بن أرتق، وهو بسروج، يستنجده، فأتاه في خلق كثير من التركمان، فسار نحو أخيه، فالتقيا بقتسرين، فاقتتلا، فانهزم دقاق و عسكره، ونهبت خيامهم و جميع مالهم، و عاد رضوان إلى حلب، ثم اتفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق، و بأنطاكية، و قيل كانت هذه الحادثة سنة تسع و ثمانين [و أربعمائه].

ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي، صاحب مصر. و سبب ذلك أنه كان عنده الأمير جناح الدولة، و هو زوج أمه، فرأى من رضوان تغيرا، فسار إلى حمص، و هي له، فلما رأى باغى «٢» سيان بعده

(١) ياغى .p. C.

(٢) ياغى .p. c. euqibu.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٠

عن رضوان صالحه، و قدم إليه بحلب، و نزل بظاهرها.

و كان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد، و كان يميل إليه، فقدمه بعد مسير جناح الدولة، فحسن له مذاهب العلويين المصريين، و أتته رسل المصريين يدعونه إلى طاعتهم، و يبذلون له المال، و إنفاذ «١» العساكر إليه ليملك دمشق، فخطب لهم بشيزر، و جميع الأعمال سوى أنطاكية، و حلب «٢»، و المعرة، أربع جمع، ثم حضر عنده سقمان بن أرتق، و باغى سيان، صاحب أنطاكية، فأنكرا ذلك و استعظما، فأعاد الخطبة العباسية في هذه السنة، و أرسل إلى بغدادا يعتذر مما كان منه.

و سار باغى سيان إلى أنطاكية، فلم يقيم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها و حصروها، و كان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار و أهل خسروجرد، و قتال عظيم، فقتل بينهم جماعة كثيرة، و انهزم أهل خسروجرد.

و فيها قتل عثمان، و كيل دار نظام الملك، و كان سبب قتله أنه كان كاتب صاحب غزنه بالأخبار من قبل «٣» السلطان، فأخذ و حبس بترمد مدّة، ثم أطلع عليه، و هو فى الحبس، أنه كان يكاتبه أيضا فقتل.
و فى صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمى، وزير أم السلطان بركيارق، قتله باطنى غيلة، و قتل الباطنى بعده.

(١) و أنفذت. b.

(٢) و قلعه حلب. b.

(٣) جهة. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧١

و فيها، فى شعبان، ظهر كوكب كبير له ذؤابة، و أقام يطلع عشرين يوما، ثم غاب و لم يظهر.
و فيها توفى النقيب الطاهر أبو الغنائم محمّد بن عبد الله، و كان ديناً، سخياً، كريماً، متعصباً، حنفى المذهب، و ولى النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة.
و فيها توفى أبو القاسم يحيى بن أحمد «١» السيبى «٢» و هو ابن مائة سنة و سنتين «٣»، و هو صحيح الحواس، و كان مقرئاً، محدثاً، حاضر [١] القلب.
و فيها قتل أرغش النظامى، مملوك نظام الملك، بالرّى و كان قد بلغ مبلغاً عظيماً بحيث أنه تزوّج ابنة ياقوتى عم السلطان بركيارق، قتله باطنى، و قتل قاتله.
و قتل برسق فى شهر رمضان، و هو من أكابر الأمراء، قتله باطنى «٤»، و كان برسق من أصحاب السلطان طغرلبك، و هو أول شحنة كان ببغداد.

[١] حاضر.

(١) بن أحمد. b. dda.

(٢) السبى. b.

(٣) و ستين سنة. b.

(٤) mo. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٢

٤٩١ ثم دخلت سنة إحدى و تسعين و أربعمائه

ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج، و اشتداد أمرهم، و خروجهم إلى بلاد الإسلام، و استيلائهم على بعضها، سنة ثمان و سبعين و أربعمائه، فملكوا مدينة طليطلة و غيرها من بلاد الأندلس، و قد تقدّم ذكر ذلك.
ثم قصدوا سنة أربع و ثمانين و أربعمائه جزيرة صقلية و ملكوها، و قد ذكرته أيضاً، و تطرّفوا إلى أطراف إفريقية، فملكوا منها شيئاً و أخذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما تراه.

فلما كان سنة تسعين و أربعمائه خرجوا إلى بلاد الشام، و كان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج، و كان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية، فأرسل إلى رجار يقول له: قد جمعت جمعا كثيرا، و أنا واصل إليك، و سائر من عندك إلى إفريقية أفتحها، و أكون مجاورا لك.

فجمع رجار أصحابه، و استشارهم فى ذلك، و قالوا: و حق الإنجيل هذا جيد لنا و لهم، و تصبح البلاد بلاد النصرانية. فرفع رجله و حبى حبة عظيمة «١» و قال: و حق دينى، هذه خير من كلامكم! قالوا: و كيف ذلك؟ قال: إذا وصلوا إلى أحتاج إلى كلفة كثيرة، و مراكب تحملهم إلى إفريقية، و عساكر

(١) قوية. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٣

من عندى أيضا، فإن فتحوا البلاد كانت لهم، و صارت المئونة لهم من صقلية، و ينقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة، و إن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادى، و تأذيت بهم، و يقول تميم غدرت بى، و نقضت عهدى، و تنقطع الوصلة و الأسفار بيننا، و بلاد إفريقية باقية لنا، متى وجدنا قوة أخذناها.

و أحضر رسوله، و قال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك «١» فتح بيت المقدس، تخلصونه من أيديهم و يكون لكم الفخر، و أما إفريقية فبيني و بين أهلها أيمان و عهود.

فتجهزوا، و خرجوا إلى الشام، و قيل: إن أصحاب مصر من العلويين، لما رأوا قوة الدولة السلجوقية، و تمكّنها و استيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، و لم يبق بينهم و بين مصر ولاية أخرى تمنعهم، و دخول أقيس إلى مصر و حصرها، خافوا [١]، و أرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، و يكونوا بينهم و بين المسلمين، و الله أعلم «٢».

فلما عزم الفرنج على قصد الشام، ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا المجاز إلى بلاد المسلمين، و يسيروا فى البر، فيكون أسهل عليهم، فلما وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده، و قال: لا- أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا [٢] لى أنكم تسلّمون إلى أنطاكية، و كان قصده [أن] يحتّم على الخروج إلى بلاد الإسلام، ظنا منه أنهم [٣] أتراك لا يبقون منهم أحدا، لما رأى من صرامتهم و ملكهم البلاد.

[١] فخافوا،

[٢] تحلفون.

[٣] أن.

(١) فافصد بذلك. b.

b. mo (٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٤

فأجابوه إلى ذلك، و عبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين [و أربعمائه]، و وصلوا إلى بلاد قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش، و هى قونية و غيرها، فلما وصلوا إليها لقيهم قلع أرسلان فى جموعه، و منعهم، فقاتلوه فهزموه فى رجب سنة تسعين [و أربعمائه]، و اجتازوا فى بلاده إلى بلاد ابن الأرمنى، فسلكوها، و خرجوا إلى أنطاكية فحصروها.

و لما سمع صاحبها باغى «١» سيان بتوجههم إليها، خاف من النصارى الذين بها، فأخرج المسلمين من أهلها، ليس معهم غيرهم، و

أمرهم بحفر الخندق، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا، ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلما أرادوا دخول البلد منعهم، وقال لهم: أنطاكية لكم تهبونها [١] لى حتى انظر ما يكون منّا ومن الفرنج، فقالوا له: من يحفظ أبناءنا ونساءنا؟ فقال: أنا أخلفكم فيهم، فأمسكوا، وأقاموا فى عسكر الفرنج، فحصروها تسعة أشهر، و ظهر من شجاعة باغى سيان، و جودة رأيه، و حزمه، و احتياظه ما لم يشاهد من غيره، فهلك أكثر الفرنج موتا، و لو بقوا على كثرتهم التى خرجوا فيها لطبقوا بلاد الإسلام «٢»، و حفظ باغى سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم، و كفّ الأيدى المتطرقة إليهم. فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، و هو زراد يعرف بروزبه، و بذلوا له مالا و أقطعا، و كان يتولّى حفظ برج يلى الوادى، و هو مبنى على شباك فى الوادى، فلما تقرّر الأمر بينهم و بين هذا الملعون الزراد، جاءوا إلى الشباك ففتحوه و دخلوا منه، و صعد جماعة كثيرة بالحبال، فلما زادت عدّتهم على خمسمائة ضربوا البوق، و ذلك

[١] تهبونها.

(١) ياغى. p. c.

(٢) b. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٥

عند السحر، و قد تعب الناس من كثرة السهر و الحراسة، فاستيقظ باغى سيان، فسأل عن الحال، فقيل: إنّ هذا البوق من القلعة، و لا شك أنّها قد ملكت، و لم يكن من القلعة، و إنّما كان من ذلك البرج، فدخله الرعب، و فتح باب البلد، و خرج هاربا فى ثلاثين غلاما على وجهه «١»، فجاء نائبة فى حفظ البلد، فسأل عنه، فقيل إنّّه هرب، فخرج من باب آخر هاربا، و كان ذلك معونة للفرنج، و لو ثبت ساعة لهلكوا «٢».

ثم إنّ الفرنج دخلوا البلد من الباب، و نهبوه، و قتلوا من فيه من المسلمين، و ذلك فى جمادى الأولى.

و أمّا باغى سيان فإنّه لما طلع عليه النهار رجع إليه عقله، و كان كالولهان «٣»، فرأى نفسه و قد قطع عدّه فراسخ، فقال لمن معه: أين أنا؟

فقيل: على أربعة فراسخ من أنطاكية، فندم كيف خلص سالما، و لم يقاتل حتى يزيلهم عند البلد أو يقتل، و جعل يتلهّف، و يسترجع على ترك أهله و أولاده و المسلمين، فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه، فلما سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه مسكة [فإنّه كان] قد قارب الموت فتركوه و ساروا عنه، و اجتاز به إنسان أرمنى كان يقطع الحطب، و هو بآخر رمق، فقتله و أخذ رأسه و حمله إلى الفرنج بأنطاكية.

و كان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب، و دمشق، بأننا لا «٤» نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم، لا نطلب سواها، مكرّا منهم و خديعة، حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية.

(١) b. mo.

(٢) لم يملكوه. b.

(٣) كالرهان. b.

(٤) نأخذ و لا. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٦

ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج و ما كان منهم

لَمَّا سَمِعَ قِوَامَ الدَّوْلَةِ كَرْبُوقَا بِحَالِ الْفَرَنْجِ، وَ مَلِكِهِمْ أَنْطَاكِيَّةً، جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَ سَارَ إِلَى الشَّامِ، وَ أَقَامَ بِمَرْجِ دَابِقٍ، وَ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ عَسَاكِرُ الشَّامِ، تَرَكَهَا وَ عَرَبَهَا سِوَى مَنْ كَانَ بِحَلَبٍ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ دِقَاقُ بَنِ تَتَشٍ وَ طَغْتَكِينَ «١» أَتَابِكِ، وَ جَنَاحَ الدَّوْلَةِ، صَاحِبَ حَمَصٍ، وَ أَرْسَلَانَ تَاشَ، صَاحِبَ سَنجَارِ، وَ سَلِيمَانَ بَنِ أَرْتَقٍ، وَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَنَّمَنَ لَيْسَ مِثْلَهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَتِ الْفَرَنْجُ عِظَمَتِ الْمَصِيبَةَ عَلَيْهِمْ، وَ خَافُوا لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْوَهْنِ، وَ قَلْبَهُ الْأَقْوَاتِ عِنْدَهُمْ، وَ سَارَ الْمُسْلِمُونَ، فَنَازَلُوهُمْ عَلَى أَنْطَاكِيَّةٍ، وَ أَسَاءَ كَرْبُوقَا السَّيْرَةَ، فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَ أَغْضَبَ الْأَمْرَاءَ [١] وَ تَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقِيمُونَ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، فَأَغْضَبَهُمْ ذَلِكَ، وَ أَضْمَرُوا لَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ الْغَدْرَ، إِذَا كَانَ قِتَالٌ، وَ عَزَمُوا عَلَى إِسْلَامِهِ عِنْدَ الْمَصْدُوقَةِ «٢».

وَ أَقَامَ الْفَرَنْجُ بِأَنْطَاكِيَّةٍ، بَعْدَ أَنْ مَلَكُوهَا، اثْنَى «٣» عَشَرَ يَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَهُ، وَ تَقَوَّتِ الْأَقْوِيَاءُ بِدَوَابِّهِمْ، وَ الضَّعْفَاءُ بِالْمَيْتَةِ وَ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَرْسَلُوا إِلَى كَرْبُوقَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ لِيُخْرِجُوا مِنَ الْبَلَدِ، فَلَمْ يَعْطِهِمْ مَا طَلَبُوا، وَ قَالَ: لَا- تُخْرِجُونَ [٢] إِلَّا بِالسَّيْفِ.

وَ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَلُوكِ بَرْدُوبِيلُ، وَ صَنْجِيلُ، وَ كَنْدَفْرِيُّ، وَ الْقَمَّصُ،

[١] الآراء.

[٢] تخرجوا.

(١) طغتكين maj، طغتكين maj.arutpircssi nimonsujuhtairav.

(٢) المصدر. b.

(٣) ثلاثة. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٧

صَاحِبَ الرَّهَاءِ، وَ بِيَمْنَتِ «١»، صَاحِبَ أَنْطَاكِيَّةٍ، وَ هُوَ الْمَقْدَّمُ عَلَيْهِمْ «٢»، وَ كَانَ مَعَهُمْ رَاهِبٌ مَطَاعٌ فِيهِمْ، وَ كَانَ دَاهِيَةً مِنَ الرِّجَالِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْمَسِيحَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ لَهُ حَرْبَةٌ مَدْفُونَةٌ بِالْقَسِيَانِ الَّذِي بِأَنْطَاكِيَّةٍ، وَ هُوَ بِنَاءٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا فَإِنَّكُمْ تَظْفَرُونَ، وَ إِنْ لَمْ تَجِدُوهَا فَالْهَلَاكُ مُتَحَقِّقٌ.

وَ كَانَ قَدْ دَفِنَ قَبْلَ ذَلِكَ حَرْبَةٌ فِي مَكَانٍ فِيهِ، وَ عَفَى [١] أَثْرَهَا، وَ أَمَرَهُمْ بِالصُّومِ وَ التَّوْبَةِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ أَدْخَلَهُمُ الْمَوْضِعَ جَمِيعَهُمْ، وَ مَعَهُمْ عَامَّتُهُمْ، وَ الصَّيْنَاعُ مِنْهُمْ، وَ حَفَرُوا فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ [٢] فَوَجَدُوهَا كَمَا ذَكَرَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَبْشُرُوا بِالظَّفْرِ، فَخَرَجُوا فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْبَابِ مُتَفَرِّقِينَ مِنْ خَمْسَةِ، وَ سِتَّةٍ، وَ نَحْوِ ذَلِكَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لِكَرْبُوقَا: يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ عَلَى الْبَابِ، فَتَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَخْرُجُ، فَإِنَّ أَمْرَهُمُ الْآنَ، وَ هُمْ مُتَفَرِّقُونَ، سَهْلٌ. فَقَالَ:

لَا- تَفْعَلُوا! أَمْهَلُوهُمْ حَتَّى يَتَكَامَلَ خُرُوجُهُمْ فَتَقْتُلَهُمْ. وَ لَمْ يُمْكِنَ مِنْ مَعَاجِلَتِهِمْ «٣»، فَقَتَلَ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةً مِنَ الْخَارِجِينَ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ هُوَ بِنَفْسِهِ، وَ مَنَعَهُمْ، وَ نَهَاهُمْ.

فَلَمَّا تَكَامَلَ خُرُوجُ الْفَرَنْجِ، وَ لَمْ يَبْقَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ أَحَدٌ مِنْهُمْ، ضَرَبُوا مَصَافًا عَظِيمًا، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مِنْهَزِمِينَ، لَمَّا عَامَلَهُمْ بِهِ كَرْبُوقَا أَوَّلًا مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ بِهِمْ، وَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَ ثَانِيًا مِنْ مَنَعِهِمْ عَنِ قِتَالِ الْفَرَنْجِ، وَ تَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يَضْرِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسَيْفٍ، وَ لَا طَعَنَ بِرِمْحٍ، وَ لَا- رَمَى بِسَهْمٍ، وَ آخَرَ مِنْ أَنْهَزَمَ سَقْمَانُ بَنِ أَرْتَقٍ، وَ جَنَاحُ الدَّوْلَةِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي الْكَمِينِ، وَ أَنْهَزَمَ كَرْبُوقَا مَعَهُمْ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرَنْجُ ذَلِكَ ظَنُّوهَ مَكِيدَةً، إِذْ لَمْ يَجْرَ قِتَالٌ يَنْهَزِمُ مِنْ مِثْلِهِ،

[١] و عفا.

[٢] الإمكان.

(١) سمت. ddoc.

(٢) مقدم العسكر. b.

(٣) مقاتلتهم. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٨

و خافوا أن يتبعوهم، و ثبت جماعة من المجاهدين، و قاتلوا حسبة، و طلبا للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوفاً، و غنموا ما فى العسكر من الأقات و الأموال و الأثاث و الدوابّ و الأسلحة، فصلحت حالهم، و عادت إليهم قوتهم.

ذكر ملك الفرنج معزة النعمان

لمّا فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى معزة النعمان، فنازلوها، و حصروها، و قاتلهم أهلها قتالا شديدا، و رأى الفرنج منهم شدة و نكايه، و لقوا منهم الجدّ فى حربهم، و الاجتهاد فى قتالهم، فعملوا عند ذلك، برجا من خشب يوازى سور المدينة، و وقع القتال عليه، فلم يضّر المسلمين ذلك، فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين، و تداخلهم الفشل و الهلع، و ظنّوا أنّهم إذا تحصّنا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها، فنزلوا من السور و أدخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه، فرآهم طائفة أخرى، ففعلوا كفعلهم، فخلا مكانهم أيضا من السور.

و لم تزل تتبع طائفة منهم التى تليها فى النزول، حتّى خلا السور، فصعد الفرنج إليه على السلالم، فلما علوه تحيّر المسلمون «١»، و دخلوا دورهم، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف، و سبوا السبى الكثير، و ملكوه، و أقاموا أربعين يوما. و ساروا إلى عرقة فحصروها أربعة أشهر، و نقبوا سورها عدّة نقوب، فلم يقدرها عليها، و راسلهم منقذ، شيزر، فصالحهم عليها، و ساروا إلى حمص و حصروها، فصالحهم صاحبها جناح الدولة، و خرجوا على طريق النواير إلى عكا، فلم يقدرها عليها.

(١) mo. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٧٩

ذكر الحرب بين الملك سنجر و دولتشاه

كان دولتشاه من أبناء الملوك السلجوقية، فاجتمع عليهم جمع من عساكر بيغو أخى طغرلبك، و كانوا بطخارستان، فأخذوا ولوالج و كمنج، فسار إليهم السلطان سنجر و عساكره، فوصل إلى بلخ، فدخلها فى رجب من هذه السنة، و خرج منها لقتال دولتشاه، فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سنجر، فقاتلوا شيئا من قتال، و انهزموا، و أخذوا دولتشاه أسيرا، و أحضر عند سنجر، فعفا عنه من القتل، و حبسه، ثم بعد ذلك كحله، و سیر سنجر جيشا إلى مدينة ترمذ، فملكوها، و سلّمها إلى طغرلتكين.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس، صاحب إفريقية، جزيرة جربة و جزيرة قرقنة، و مدينة تونس، و كان بإفريقية غلاء شديد

هلك فيه كثير من الناس.

و فيها أرسل الخليفة رسولا إلى السلطان بركيارق مستنفرًا على الفرنج، و مبالغًا في تعظيم الأمر و تداركه قبل أن يزداد قوة. و في هذه السنة، في شعبان، توفي أبو الحسن «١» أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف، و مولده سنة اثنتي عشرة و أربعمئة، و كان فاضلا في الحديث.

و فيها توفي أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي، و كان

(١) الحسين. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٠

فاضلا، فصيحًا.

و فيها، في شوال، توفي طراد بن محمد الزيني، و هو عالي الإسناد في الحديث، و ولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد.

و فيها، في ذي القعدة، توفي أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة، و كان بيته مجمع الفضلاء و أهل الدين، و من جملة من كان عنده إلى أن توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي.

و فيها توفي أبو الفرنج سهل بن بشر «١» بن أحمد الأسفرايني، و هو من أعيان المحدّثين.

(١) شير. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨١

٤٩٢ ثم دخلت سنة اثنتين و تسعين و أربعمئة

ذكر عصيان الأمير أنر «١» و قتله

لما سار السلطان بركيارق إلى خراسان ولى الأمير أنر بلاد فارس جميعها، و كانت قد تغلب عليها الشوانكاره «٢» على اختلاف بطونهم و قبائلهم، و استعانوا بصاحب كرمان إيران شاه «٣» بن قاورت، فاجتمعوا، و صافوا الأمير أنر، و كسروه، و عاد مفلولا إلى أصبهان، و أرسل إلى السلطان يستأذنه في اللحاق به إلى خراسان، فأمره بالمقام ببلد الجبال، و ولّاه إمارة العراق، و كاتب العساكر المجاورة له بطاعته. فأقام بأصبهان، و سار منها إلى أقطاعه بأذربيجان، و عاد و قد انتشر أمر الباطنية بأصبهان، فندب نفسه لقتالهم «٤»، و حصر قلعه على جبل أصبهان.

و اتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك، و كان ببغداد، فسار منها إلى الحلّة، فأكرمه صدقه، و سار من عنده إلى الأمير أنر، فلما اجتمع بالأمير أنر خوفه هو و غيره من السلطان بركيارق، و عظّموا عليه الاجتماع به، و حسّنوا له البعد عنه، و أشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملك شاه، و هو إذ ذاك بكنجة، فعزم على المخالفة للسلطان، و تحدّث فيه، فظهر ذلك، فزاد خوفه

(١) انز. b.

(٢) شوانكاره. c. p، الشوانكار.

(٣) انز بن شاه. c. p، انز بن شاه. b.

(٤) فهرب إلى قتالهم. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٢

من السلطان، فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس، و سار من أصبهان إلى الرى، و أرسل إلى السلطان يقول: إنّه مملوك، و مطيع، إن سلّم إليه مجد الملك البلاسانى، و إن لم يسلمه إليه فهو عاص خارج عن الطاعة. فبينما هو يفطر، و كانت عادته [أن] يصوم أياما من الأسبوع، فلما قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولدين بخوارزم، و هم من جملة خيله، فصدّم أحدهم المشعل فألقاه، و صدم الآخر الشمعة فأطفأها، و ضربه الثالث بالسكين فقتله، و قتل معه جانداره، و اختلط الناس فى الظلمة، و نهبوا خزائنه، و تفرّق عسكره، و بقى ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه، ثم حمل إلى داره بأصبهان، و دفن بها.

و وصل خبر قتله إلى السلطان بركيارق، و هو بخوار الرى، قد خرج من خراسان عازما على قتاله، و هو على غاية الحذر من قتاله و عاقبه أمره، و فرح مجد الملك البلاسانى بقتله، و كان له مثل يومه عن قريب، و كان عمر أنر سبعا [١] و ثلاثين سنة، و كان كثير الصوم و الصلاة و الخير «١» و المحبّة للصالحين.

ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدس

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش، و أقطعه للأمير سقمان «٢» بن أرتق التركمانى، فلما ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية، و قتلوا فيهم، ضعفوا،

[١] سبع.

(١) C. p.

(٢) سقمان. C. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٣

و تفرّقوا، فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه، و مقدّمهم الأفضل ابن بدر الجمالى، و حصره، و به الأمير سقمان، و يبلغاى ابنا أرتق، و ابن عمّهما سونج، و ابن أخيها ياقوتى، و نصبوا [١] عليه تيفا و أربعين منجنيقا، فهدموا مواضع من سوره، و قاتلهم أهل البلد، فدام القتال «١» و الحصار تيفا و أربعين يوما، و ملكوه بالأمان فى شعبان سنة تسع و ثمانين و أربعمائه. و أحسن الأفضل إلى سقمان و يبلغاى و من معهما، و أجزل لهم العطاء، و سيّرههم فساروا إلى دمشق، ثم عبروا «٢» الفرات، فأقام سقمان ببلد الرّها و سار يبلغاى إلى العراق، و استناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة، و بقى فيه إلى الآن. فقصده الفرنج، بعد أن حصره عكا، فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إليه حصره تيفا و أربعين يوما، و نصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون، و أحرقه المسلمون، و قتلوا كلّ من به.

فلما فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأنّ المدينة قد ملكت من الجانب الآخر، و ملكوها من جهة الشمال [٢] منه ضحوه نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، و ركب الناس السيف، و لبث الفرنج فى البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين، و احتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، فاعتصموا به، و قاتلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلموه إليهم، و وفى [٣] لهم الفرنج، و خرجوا ليلا إلى عسقلان فأقاموا بها.

و قتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة

[١] و نصب.

[٢] الشمالى.

[٣] و وفا.

(١) المنجنيق. p. c.

(٢) عبر. ddoc.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٤

كثيرة من أئمة المسلمين، و علمائهم، و عبادهم، و زهادهم، ممن فارق الأوطان و جاور بذلك الموضع الشريف، و أخذوا من عند الصخرة تيفا و أربعين قنديلا من الفضة، و وزن كل قنديل ثلاثة آلاف و ستمائة درهم، و أخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون [١] رطلا بالشامى، و أخذوا من القناديل الصغار [٢] مائة و خمسين قنديلا نقره، و من الذهب تيفا و عشرين قنديلا «١»، و غنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء.

و ورد المستنفرون من الشام، فى رمضان، إلى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى، فأوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون، و أوجع القلوب، و قاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، و بكوا و أبكوا «٢»، و ذكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظم من قتل الرجال، و سبى الحریم و الأولاد، و نهب الأموال، فلشدة ما أصابهم أظروا، فأمر الخليفة أن يسير القاضى أبو محمد الدامغانى، و أبو بكر الشاشى، و أبو القاسم الزنجانى، و أبو ألوف بن عقيل، و أبو سعد الحلوانى، و أبو الحسين بن سماك «٣»، فساروا إلى حلوان، فبلغهم قتل «٤» مجد الملك البلاسانى، على ما ذكره، فعادوا من غير بلوغ أرب، و لا قضاء حاجة.

و اختلف السلاطين على ما ذكره، فتمكّن الفرنج من البلاد، فقال أبو المظفر الآيوردى، فى هذا المعنى، أبياتا منها:
مزجنا دماء بالدموع السواجم، فلم يبق منا عرصة [٣] للمراحم

[١] أربعين.

[٢] الصفار.

[٣] عرصة.

(١) b. mo.

(٢) b.

(٣) السماك. b.

(٤) فمنعهم. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٥ و شرّ سلاح المرء دمع يفيضه، إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

فإيها، بنى الإسلام، إن وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

أ تهويمه فى ظلّ أمن و غبطة، و عيش كنوار الخميلى ناعم

و كيف تنام العين ملء جفونها، على هفوات «١» أيقظت كلّ نائم

و إخوانكم بالشام يضحى «٢» مقيلهم ظهور المذاكى، أو بطون القشاعم

تسومهم الرّوم الهوان، و أنتم تجزّون ذيل الخفض فعل المسالم
و كم من دماء قد أبيضت، و من دمي توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمّرة الطّبي و سمر العوالى داميات اللّهازم
و بين اختلاس الطّعن و الضّرب وقفه «٣» تظل لها الولدان شيب القوادم
و تلك حروب من يغب عن غمارها ليسلم، يقرع بعدها سنّ نادم
سلن بأيدى المشركين قواضبا، ستغمد منهم فى الطّلى و الجماجم
يكاد لهنّ المستجنّ بطيبة ينادى بأعلى الصّوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يشرعون إلى العدى رماحهم، و الدّين واهى الدّعائم
و يجتنبون النار خوفا من الرّدى، و لا يحسبون العار ضربة لازم
أ ترضى صناديد الأعراب بالأذى، و يغضى «٤» على ذلّ كماه الأعاجم و منها:
فليتهم، إذ لم يذودوا حميّة عن الدّين، ضنّوا غيره بالمحارم
و إن زهدوا فى الأجر، إذ حمس الوغى، فهلّا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن أذعت تلك الخياشيم للبرى، فلا عطسوا «٥» إلّا بأجدع راغم

(١) هفوات. c. p. هبوات. b.

(٢) نضحى. c. p.

(٣) وقعة. b.

(٤) و يقضى. b.

(٥) عطشوا. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٦ دعوناكم، و الحرب ترنو ملحّة إلينا، بألحاظ التّسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربيّة، تطيل عليها الرّوم عضّ الأباهم
فإن أتم لم تغضبوا بعد هذه، رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

ذكر الحرب بين المصريّين و الفرنج

فى هذه السنّة، فى رمضان «١»، كانت وقعة بين العساكر المصريّة و الفرنج، و سببها أنّ المصريّين لما بلغهم ما تمّ على أهل القدس،
جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر، و حشد، و سار إلى عسقلان، و أرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، و يتهدّدهم، فأعادوا
الرسول بالجواب و رحلوا فى «٢» أثره، و طلّعوا على المصريّين، عقيب وصول الرسول، و لم يكن عند المصريّين خبر من وصولهم، و
لا من حركتهم، و لم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، و لبسوا أسلحتهم، و أعجلهم الفرنج، فهزمهم، و قتلوا منهم
من قتل، و غنموا ما فى المعسكر من مال و سلاح و غير ذلك.

و انهزم الأفضل، فدخل عسقلان «٣»، و مضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجمّيز، و كان هناك كثيرا، فأحرق الفرنج بعض
الشّجر، حتّى هلك من فيه، و قتلوا من خرج منه، و عاد الأفضل فى خواصّه إلى مصر، و نازل الفرنج عسقلان، و ضايقوها، فبذل لهم
أهلها قطيعه اثنى عشر ألف دينار، و قيل عشرين ألف دينار، ثم عادوا إلى القدس.

(١) b. mo.

(٢) فى .b.

(٣) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٧

ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملك شاه

كان السلطان محمد و سنجر أخوين [١] لأمّ و أب، أمهما أمّ ولد، و لّمّا مات أبوه ملك شاه كان محمد معه ببغداد، فسار مع أخيه محمود، و ترکان خاتون زوجته والده إلى أصبهان، و لّمّا حصر بركيارق أصبهان خرج محمد متخفياً، و مضى إلى والدته، و هى فى عسكر أخيه بركيارق، و قصد أخاه السلطان بركيارق، و سار معه إلى بغداد سنة ست و ثمانين و أربعمائه، و أقطعه بركيارق كنجة و أعمالها، و جعل معه أتباكاً له الأمير قتلغ «١» تكين، فلّمّا قوى محمد قتله، و استولى على جميع أعمال أزان الّذى من جملته كنجة، فعرف ذلك الوقت شهامة محمد.

و كان السلطان «٢» ملك شاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبى الأسوار الروادى، و سلّمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم، و أقطع فضلون أستراباد، و عاد فضلون ضمن بلاده، ثم عصى فيها لّمّا قوى، فأرسل السلطان إليه الأمير بوزان، فحاربه و أسره، و أقطع بلاده لجماعة منهم: باغى سيان، صاحب أنطاكية، و لّمّا مات باغى سيان عاد ولده إلى ولاية أبيه فى هذه البلاد، و توفى فضلون ببغداد سنة أربع و ثمانين [و أربعمائه] و هو على غاية من الإضاعة فى مسجد على دجلة.

و قد ذكرنا فيما تقدّم الأحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك، و أنّه كان عند الأمير أنر، فحسن له عصيان السلطان بركيارق، فلّمّا قتل

[١] أخوان.

(١) صالح .b.

(٢) محمد بن .p. c. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٨

أنر سار إلى الملك محمد، فأشار عليه بمخالفة أخيه، و السعى فى طلب السلطنة، ففعل ذلك، و قطع خطبة بركيارق من بلاده «١»، و خطب لنفسه بالسلطنة و استوزر مؤيد الملك.

و اتفق قتل مجد الملك البلاسانى، و استيحاش العسكر من السلطان بركيارق، و فارقه و ساروا نحو السلطان محمد، فلقوه بخرقان، فصاروا معه، و ساروا نحو الرى.

و كان السلطان بركيارق لّمّا فارقه عسكره سار مجدداً إلى الرى، فأتاه بها الأمير ينال بن أنوشكين الحسامى، و هو من أكابر الأمراء، و وصل إليه أيضاً عزّ الملك منصور بن نظام الملك، و أمه ابنة ملك الأنجاز، و معه عساكر جمّة، فبلغه مسير أخيه محمد إليه فى العساكر، فسار من الرى إلى أصبهان، فلم يفتح أهلها له الأبواب، فسار إلى خوزستان، على ما نذكره.

و ورد السلطان محمد إلى الرى ثانى ذى القعدة، فوجد زبيدة خاتون والده أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها، فأخذها مؤيد الملك و سجنها فى القلعة، و أخذ خطها بخمسة آلاف دينار، و أراد قتلها، و أشار عليه ثقاته أن لا يفعل ذلك، فلم يقبل منهم، و قالوا له: العسكر محبوبون لولدها، و إنّما استوحشوا منه لأجلها، و متى قتلت عدلوا عليه «٢»، فلا تغترب بهؤلاء الجند، فإنهم غدروا بمن أحسن

إليهم أوثق ما كان بهم، فلم يصغ إلى قولهم، و رفعها إلى القلعة، و خنقت، و كان عمرها اثنتين و أربعين سنة. فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه فى تذكرته بخمسة آلاف دينار، فكان أعظم الأسباب فى قتله.

(١) p. c. mo.

(٢) إليه. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٨٩

ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد

لما قوى أمر السلطان محمد سار إليه سعد الدولة كوهرائين من بغداد، و كان قد استوحش من السلطان بركيارق، فاجتمع هو و كربوقا، صاحب الموصل، و جكرمش، صاحب الجزيرة «١»، و سرخاب بن بدر، صاحب كنگور، و غيرها، فساروا إلى السلطان محمد، فلقوه بقم، فردّ سعد الدولة إلى بغداد، و خلع عليه، و سار كربوقا و جكرمش فى خدمته إلى أصبهان، و لما وصل كوهرائين إلى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد، فأجاب إلى ذلك، و خطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة، و لقب غياث الدنيا و الدين.

ذكر قتل مجد الملك البلاسنى

قد ذكرنا تحكّم مجد الملك أبى الفضل أسعد بن محمد فى دولة السلطان بركيارق، و تمكّنه منها. فلما بلغ الغاية التى لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا و مصائبها من حيث لا يحتسب. و أما سبب قتله، فإنّ الباطنية لما توالى منهم قتل الأمراء الأكابر من الدولة السلطانية، نسبوا ذلك إليه، و أنّه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه، و عظم ذلك قتل الأمير برسق، فاتّهم أولاده زكى و اقبورى و غيرهما، مجد الملك بقتله، و فارقوا السلطان. و سار السلطان إلى زنجان لأنه بلغه خروج السلطان محمد «٢» عليه، على

(١) جزيرة ابن عمر. b.

(٢) محمود و مؤيد الملك. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٠

ما ذكرناه، فطمع حينئذ الأمراء، فأرسل أمير آخر، و بلكابك، و طغايرك ابن اليزن «١»، و غيرهم إلى الأمراء بنى برسق يستحضرونهم إليهم ليتفقوا معهم على مطالبه السلطان بتسليم مجد الملك إليهم ليقتلوه، فحضروا عندهم، فأرسلوا إلى السلطان بركيارق، و هم بسجاس، مدينة قريبة من همدان، يلتمسون تسليمه إليهم، و وافقهم على ذلك العسكر جميعه، و قالوا: إن سلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة، و إن من عنا فارقتنا، و أخذناه قهرا.

فمنع السلطان منه، فأرسل مجد الملك إلى السلطان يقول له: المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك، و تقتلنى أنت لئلا يقتلنى القوم فيكون فيه و هن على دولتك.

فلم تطب نفس السلطان بقتله، و أرسل إليهم يستحلفهم على حفظ نفسه، و حبسه فى بعض القلاع. فلما حلفوا سلّمه إليهم، فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم، فسكنت الفتنة.

و من العجب أنّه كان لا يفارقه كفته سفرا و حضرا، ففى بعض الأيام فتح خازنه صندوقا، فرأى الكفن، فقال: و ما أصنع بهذا؟ إن

أمرى لا يؤول إلى كفن، و الله ما أبقى إلّا طريقا على الأرض. فكان كذلك، و ربّ كلمة تقول لقائلها دعنى. و لما قتل حمل رأسه إلى مؤيد [١] الملك بن نظام الملك. و كان مجد الملك خيرا، كثير الصلاة بالليل، كثير الصدقة، لا سيما على العلويين و أرباب البيوتات «٢»، و كان يكره سفك الدماء، و كان يتشيع إلّا أنه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا، و يلعن من يستبهم. و لما قتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان: المصلحة أن تعود إلى الرى، و نحن نمضى إلى أخيك فنقاتله و نقضى هذا المهم. فسار

[١] يؤيد.

(١) النون، بالترن. p. c.

(٢) البيوت. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩١

بعد امتناع، و تبعه مائتا فارس لا غير، و نهب العسكر سرادق السلطان و والدته و جميع أصحابه، و عاد إلى الرى، و سار العسكر إلى السلطان محمّد.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى شعبان، وصل الكيا أبو الحسن على بن محمّد الطبرى المعروف بالهّراس، الفقيه الشافعى، و لقبه عماد الدين شمس الإسلام، برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة، و هو من أصحاب إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى، و مولده سنة خمس و أربعمائه، و اعتنى بأمره مجد الملك البلاسانى، و قام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه. و فيها قتل أبو القاسم ابن إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى «١» بنيسابور، و كان خطيبها، و اتهم العامية أبا البركات الثعلبى بأنه هو الذى سعى فى قتله، فوثبوا به فقتلوه و أكلوا لحمه.

و فيها كان بخراسان غلاء شديد، تعذّرت فيه الأقوات، و دام سنتين، و كان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها، و لحق الناس بعده و بء جارف، فمات منهم خلق كثير «٢» عجزوا عن دفنهم لكثرتهم.

و فيها، فى شعبان، توفى أبو الغنائم الفارقى، الفقيه الشافعى، بجزيرة ابن عمر، و كان إماما فاضلا زاهدا.

و فيها، فى صفر، توفى أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالى، و عمره

(١) p. c. mo.

(٢) من. ddate. p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٢

نحو تسعين سنة، و كان عالى الإسناد فى الحديث، و قيل توفى سنة ثلاث و تسعين [و أربعمائه].

و فيها، فى شعبان، توفى أبو غالب محمّد بن على بن عبد الواحد بن الصبّاغ الفقيه الشافعى، تفقه على ابن عمّه أبى نصر، و كان حسن الخلق، متواضعا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٣

٤٩٣ ثم دخلت سنة ثلاث و تسعين و أربعمائه

ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد.

و سبب ذلك أن بركيارق سار في العام الماضي من الرى «١» إلى خوزستان، فدخلها و جميع من معه على حال سيئة، و كان أمير عسكره حينئذ ينال ابن أنوشتكين الحسامى، و أتاه غيره من الأمراء، و سار إلى واسط، فظلم عسكره الناس، و نهبوا البلاد، و اتصل به الأمير صدقه بن مزيد، صاحب الحلّة، و وثب على السلطان قوم ليقتلوه، فأخذوا و أحضروا بين يديه، فاعترفوا أن الأمير سرمز، شحنة أصبهان، وضعهم على قتله، فقتل أحدهم، و حبس الباقون، و سار إلى بغداد، فدخلها سابع عشر صفر، و خطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين.

و كان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعى، و هو فى طاعة السلطان محمد، فسار إلى دايمرج «٢»، و معه إيلغازى بن أرتق و غيره من الأمراء، فأرسل إلى مؤيد الملك و السلطان محمد يستحثهما على الوصول إليه، فأرسل إليه كربوقا، صاحب الموصل، و جكرمش، صاحب جزيرة ابن عمر، فأما جكرمش فاستأذن كوهرائين فى العود إلى بلده، و قال إنه قد اختلت الأحوال «٣»،

(١) p. c. mo.

(٢) p. cnixauca.

(٣) أحواله. p. C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٤

فأذن له، و بقى مع كوهرائين جماعة من الأمراء، فاتفقوا على أن يصدروا عن رأى واحد لا يختلفون، ثم اتفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له: اخرج إلينا، فما فينا من يقاتلك «١».

و كان الذى أشار بذا «٢» كربوقا، و قال لكوهرائين: إننا لم نظفر من محمد و مؤيد الملك بطائل، و كان منحرفا عن مؤيد الملك. فسار بركيارق إليهم، فترجلوا، و قبلوا الأرض، و عادوا معه إلى بغداد، و أعاد إلى «٣» كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح و دواب و غير ذلك، و استوزر بركيارق ببغداد الأعزّ أبى المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى، و قبض على عميد الدولة ابن جهير، وزير الخليفة، و طالبه بالحاصل من ديار بكر و الموصل لما تولّاها هو و أبوه أيام ملك شاه، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار و ستين ألف دينار يحملها إليه، و خلع الخليفة على السلطان بركيارق.

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق و محمد و إعادة خطبة محمد ببغداد

فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد على شهرزور، فأقام بها ثلاثة أيام، و التحق [به] عالم كثير من التركمان و غيرهم، فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه، فكتبه رئيس همذان ليسيير إليها و يأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه، فلم يفعل، و سار نحو أخيه، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب، و هو المصافّ الأوّل بين بركيارق و أخيه السلطان محمد ياسييدروز، و معناه النهر الأبيض، و هو على عدّة فراسخ من همذان.

(١) يقابلك. b.

(٢) بهذا. b.

(٣) mo. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٥

و كان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل، و كان محمد في القلب، و معه الأمير سرمز، و على ميمته أمير آخر، و ابنه أياز، و على مسرته مؤيد الملك، و النظامية، و كان السلطان بركيارق في القلب، و وزيره الأعز أبو المحاسن، و على ميمته كوهرائين و عز الدولة بن صدقة بن مزيد، و سرخاب بن بدر، و على مسرته كربوقا و غيره، فحمل كوهرائين من ميمته بركيارق على ميسرة محمد، و بها مؤيد الملك، و النظامية، فانهزموا، و دخل عسكر بركيارق في خيامهم، فنهبهم، و حملت ميمته محمد على ميسرة بركيارق، فانهزمت الميسرة، و انضافت ميمته محمد إليه في القلب على بركيارق و من معه، فانهزم بركيارق، و وقف محمد مكانه، و عاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه، و كبا به فرسه، فأتاه خراساني فقتله، و أخذ رأسه، و تفرقت عساكر بركيارق، و بقي في خمسين فارسا.

و أما وزيره الأعز أبو المحاسن فإنه أخذ أسيرا، فأكرمه مؤيد الملك ابن نظام الملك، و نصب له خيما و خركاة، و حمل إليه الفرش و الكسوة، و ضمته عمادة بغداد، و أعاده إليها، و أمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد، فلما وصل إليها خاطب في ذلك، فأجيب إليه، و خطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب.

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة، في رجب، قتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبل، و كان ابتداء أمره أنه كان خادما للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة ابن بويه، انتقل إليه من امرأة «١» من قرقوب بخوزستان، و كان إذا توجه

(١) mo.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٦

إلى الأهواز حضر عندها، و استعرض حوائجها، و أصاب أهلها منه خيرا كثيرا، فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداد، فلما قبض عليه السلطان طغرلبيك مضى معه إلى قلعة طبرك، فلما مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان، و وقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي.

و كان ألب أرسلان قد أقطعه واسط، و جعله شحنة لبغداد، فلما قتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملك شاه إلى بغداد، فأحضر له الخلع و التقليد، و رأى ما لم يره خادما قبله من نفوذ الأمر، و تمام القدرة، و طاعة أعيان الأمراء، و خدمتهم إياه، و كان حليما، كريما، حسن السيرة، لم يصادر أحدا من أهل ولايته، و مناقبه كثيرة.

ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة و انهزامه من أخيه سنجر أيضا و قتل أمير داذ حبشى

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا، و هو في خمسين فارسا، و نزل عتمة، و استراح، و قصد الزبي، و أرسل إلى من كان يعلم أنه يريد، و يؤثر دولته، فاستدعاه، فاجتمع معه جمع صالح، فسار إلى أسفرايين، و كاتب أمير داذ حبشى بن التونتاق، و هو بدمغان، يستدعيه، فأجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه، و كان بيده حينئذ أكثر خراسان و طبرستان و جرجان، فلما وصل بركيارق إلى نيسابور قبض على رؤسائها، و خرج بهم، و أطلقهم بعد ذلك، و تمسك بعميد خراسان أبي محمد، و أبي القاسم بن أبي المعالي الجويني، فأما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه، و قد تقدم أنه قتل سنة اثنتين و تسعين [و أربعمئة].

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٧

و عاد بركيارق فاستدعى [١] أمير داذ، فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده في عساكر بلخ، و يسأل السلطان بركيارق أن يصل إليه

ليعيه على الملك سنجر، فسار إليه في ألف فارس، فلم يعلم بقدمه إلاّ الأمراء الكبار من أصحاب سنجر، و لم يعلموا الأصغر لئلاّ ينهزموا.

و كان مع أمير [٢] داذ عشرون ألف فارس، فيهم من رجالة الباطية خمسة آلاف، و وقع المصاف بين بركيارق و أخيه سنجر خارج التوشجان، و كان الأمير بزغش في ميمنة سنجر، و الأمير كندكز في ميسرته، و الأمير رستم في القلب، فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله، و انهزم أصحابه و أصحاب سنجر، و اشتغل العسكر بالنهب، فحمل عليهم بزغش و كندكز، فقتلا المنهزمين، و انهزم الرجالة إلى مضيق بين جبلين، فأرسل عليهم الماء فأهلكهم، و وقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق، و كان قد أخذ والدته أخيه سنجر لئلاّ انهزم أصحابه أولاً، فخافت أن يقتلها بأمه، فأحضرها و طيب قلبها، و قال: إنّما أخذتك حتى يطلق أخي سنجر من عنده من الأسرى، و لست كفؤا لوالدتي حتى أقتلك. فلما أطلق سنجر الأسرى أطلقها بركيارق.

و هرب أمير داذ إلى بعض القرى. و أخذه بعض التركمان، فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار، فلم يطلقه، و حمله إلى بزغش فقتله. و سار بركيارق «١» إلى جرجان ثم إلى دامغان، و سار في البرية، و رأى [٣] في بعض المواضع و معه سبعة عشر فارسا، و جمارة واحدة «٢»، ثم كثر جمعه،

[١] استدى.

[٢] الأمير.

[٣] و رأى.

(١) p. c. mo

(٢) anixnucalsinif

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٨

و صار معه ثلاثة آلاف فارس، منهم: جاولى سقاووا، و غيره، و سار إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها، فسمع السلطان محمد، فسبقه إليها، فعاد إلى سميرم.

ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقس

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقس، و كان صاحبها حمّو «١» قد عاد فتغلب [١] عليها، و اشتدّ أمره بوزير كان عنده قد قصده، و هو من كتاب المعزّ، كان حسن الرأي و التدبير، فاستقامت به دولته، و عظم شأنه، فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه، و وعده، و بالغ في استمالته، فلم يقبل، فسير تميم جيشا إلى حصار سفاقس، و أمر الأمير الذي جعله مقدّم الجيش أن يهدم ما حول المدينة و يحرقه، و يقطع الأشجار سوى ما يتعلّق بذلك الوزير فإنّه لا يتعرّض له، و يبلغ في صيانته، ففعل ذلك، فلما رأى حمّو «٢» ما فعل بأملالك الناس، ما عدا الوزير، أتهمه، فقتله، فأنحلّ نظام دولته، و تسلّم عسكر تميم المدينة، و خرج حمّو منها، و قصد مكن بن كامل الدهماني، فأقام عنده، فأحسن إليه، و لم يزل عنده حتى مات.

ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة و وفاته

لما أطلق مؤيد الدولة، وزير السلطان محمد، الأعزّ أبا المحاسن، وزير بركيارق، و ضمّنه عمادة بغداد، أمره أن يخاطب الخليفة بعزل

وزيره عميد

[١] تغلب.

(١) حمر. a. b، جمق. p. c.

(٢) حموما. b، حمر. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٩٩

الدولة بن جهير، فسار من العسكر، وسمع عميد الدولة الخبر، فأمر أصبهذ صباوة بن خمارتكين بالخروج إلى طريق الأعز و قتله. و كان أصبهذ قد حضر الحرب مع بركيارق، ولما انهزم العسكر قصد بغداد، فخرج إلى طريق الأعز أبى المحاسن، فلقه قريبا من بعقوبا، فأوقع بمن معه، و التجأ الأعز إلى القرية و احتمى. فلما رأى أصبهذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له: إنك وزير السلطان بركيارق، و أنا مملوكه، فإن كنت على خدمته فاخرج إلينا حتى نسير إلى بغداد و نقيم الخطبة للسلطان، و أنت صاحب المذى لا يخالف «١»، و إن لم تجب إلى هذا، فما بيننا غير السيف.

فأجابه الأعز إلى ذلك، و اجتمعا، فعزفه صباوة الذى أمره به عميد الدولة من قتله. و باتا تلك الليلة، و أرسل الأعز إلى الأمير إيلغازى بن أرتق، و كان قد ورد فى صحبته، و فارقه نحو الراذان، فحضر فى الليل، فانقطع حينئذ أمل صباوة منه، و فارقه. و سار الأعز إلى بغداد و خاطب فى عزل عميد الدولة، فعزل فى رمضان، و أخذ من ماله خمسة و عشرون ألف دينار، و قبض عليه و على إخوته، و بقى معزولا- إلى سادس عشر شوال، فتوفى محبوسا فى دار الخلافة، و مولده فى المحرم سنة خمس و ثلاثين و أربعمئة، و كان عاقلا، كريما، حليما، إلا أنه كان عظيم الكبر، يكاد يعد كلامه عدا، و كان إذا كلم إنسانا كلمات يسيرة هتئ ذلك الرجل بكلامه.

(١) تخالف. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٠

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

فى ذى القعدة من هذه السنة لقي كمشتكين بن الدانشمند طايلو، و إنما قيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلما للتركمان و تقلبت به الأحوال، حتى ملك «١»، و هو صاحب ملطية و سيواس و غيرهما، بيمند الفرنجى، و هو من مقدمى الفرنج، قريب ملطية، و كان صاحبها قد كاتبه، و استقدمه إليه، فورد عليه فى خمسة آلاف، فلقبهم ابن الدانشمند، فانهزم بيمند و أسر. ثم وصل من البحر سبعة قمامصة من الفرنج، و أرادوا تخليص بيمند، فأتوا إلى قلعة تسمى «٢» أنكوربي، فأخذوها و قتلوا من بها من المسلمين، و ساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدانشمند، و حصروها، فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا، و لقي الفرنج، و جعل له كميناً، و قاتلهم، و خرج الكمين عليهم، فلم يفلت أحد من الفرنج، و كانوا ثلاثمئة ألف، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا- و أفلتوا مجروحين.

و سار ابن الدانشمند إلى ملطية، فملكها و أسر صاحبها، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية، فلقبهم و كسرهم، و كانت هذه الوقائع فى شهور قريبة.

(١) b.

(٢) p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠١

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد، في شعبان، و عظم ضررهم، فأمر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد، فأخذ جماعه من أعيانهم، و طلب الباقيين فهربوا.

و فيها أيضا انحلت الأسعار بالعراق، و كان كثر الحنطة قد بلغ سبعين «١» ديناراً [١]، و ربّما زاد كثيرا في بعض الأوقات، و انقطعت الأمطار، و يبست الأنهار، و كثر الموت، حتّى عجزوا عن دفن الموتى، فحمل في بعض الأوقات ستّة أموات على نعش واحد، و عدت الأدوية و العقاقير.

و فيها، في رجب، سار بيمند الفرنجى، صاحب أنطاكية، إلى قلعة أفامية، فحصرها، و قاتل أهلها أيّاما، و أفسد زروعها ثم رحل عنها «٢».

و فيها، في آخر رمضان، قتل الأمير بلكابك سرمز بأصبهان، بدار السلطان محمّد، و كان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع و من يمنع عنه، ففى ذلك اليوم لم يلبس درعا، و دخل دار السلطان فى قلّة، فقتله الباطنية، فقتل واحد و نجا آخر.

و فيها توفى أبو الحسن البسطامى الصوفى، و رباطه مشهور على دجلة غربى بغداد، بناه أبو الغنائم بن المحلبان.

و فيها مات أبو نصر بن أبى عبد الله بن جرّدة، و أصله من عكبرا، و إليه

[١] دينار.

(١) تسعين. p. C.

(٢) b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٢

ينسب مسجد ابن جرّدة، و خرابه ابن جرّدة ببغداد.

و فيها توفى أبو على يحيى بن جزلة الطيب. و كان نصرانيا فأسلم، و هو مصنّف كتاب المنهاج.

و فيها، فى سؤال، توفى عبد الرزاق الصوفى، الغزنوى، المقيم برباط عتاب، و حجّ عدّة حجّات على التجريد، و لم يخلف ما تكفّن فيه، فقالت زوجته: إذا متّ افتضحنا، قال: لم نفتضح؟ قالت: لأنك ليس لك ما تكفّن فيه. فقال: إنّما أفتضح إذا خلّفت ما أكفّن فيه.

و فيها، فى رمضان، توفى عزّ الدولة أبو المكارم محمّد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٣

٤٩٤ ثم دخلت سنة أربع و تسعين و أربعمائه**ذكر الحرب بين السلطانين بركيارق و محمّد و قتل مؤيد الملك**

فى هذه السنة، ثالث جمادى الآخرة، كان المصافى الثانى بين السلطان بركيارق و السلطان محمّد، و قد ذكرنا سنة ثلاث و تسعين [و

أربعمائه] انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمّد، و تنقله فى البلاد، إلى أصبهان، و أنّه لم يدخلها، و سار منها إلى خوزستان، و أتى عسكر مكرم، فأتاه الأميران زنكى و البكى ابنا برسق «١»، و صارا معه، و أقام بها شهرين، و سار منها إلى همذان، فاتصل به الأمير أياز.

و كان سبب ذلك أنّ أمير آخر قد مات مذ قريب، فاتهم أياز مؤيد الملك بأنّه سقاه السمّ، و قوّى ذلك عنده أنّ وزير أمير آخر هرب عقيب موته، فازداد ظنّ أياز باتهامه، فظفر بالوزير، فقتله.

و كان أياز قد اتخذه أمير آخر ولدا، و اتصل به العسكر «٢»، و وصّى له بجميع ماله، فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق، و اتصل به، و معه خمسة آلاف فارس، و صار من جملة «٣» عسكره.

و سار السلطان محمّد إلى لقاء أخيه، فلمّا تقارب العسكران استأمن الأمير سرخاب بن كيخسرو، صاحب آوّه، إلى السلطان بركيارق، فأكرمه.

(١) برشق. a.

(٢) p. c. mo.

(٣) من a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٤

و وقع المصافّ ثالث جمادى الآخرة، و كان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا، و مع أخيه السلطان محمّد خمسة عشر ألفا، فالتقوا، فاقتتلوا يومهم أجمع، و كان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمّد إلى بركيارق، فيحسن إليهم.

و من العجب الدالّ على الظفر أنّ رجالة بركيارق احتاجوا إلى تراس، فوصل إليه يوم المصافّ بكره اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية أحمال تراس، ففرقت فيهم، فلمّا وصلت نزل السلطان بركيارق، و صلّى ركعتين شكرا لله تعالى.

و لم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار، فانهزم السلطان محمّد و عسكره، و أسر مؤيد الملك، أسره غلام لمجد الملك البلاسانى و أحضر عند السلطان بركيارق، فسبّه، و أوقفه «١» على ما أعتده معه من سبّ والدته مرّة، و نسبته إلى مذهب الباطنية أخرى، و من حمل أخيه محمّد «٢» على عصيانه، و الخروج عن طاعته إلى غير ذلك، و مؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة، فقتله بركيارق بيده، و ألقى على الأرض عدّه أيام، حتّى سأل الأمير أياز فى دفنه، فأذن فيه، فحمل إلى تربة أبيه بأصبهان فدفن معه.

و كان بخيلا، سيّئ السيرة مع الأمراء، إلّا أنّه كان كثير المكر و الحيل فى إصلاح أمر الملك، و كان عمره لما قتل نحو خمسين سنه. و كان السلطان بركيارق قد استوزر فى صفر الأعزّ أبأ المحاسن عبد الجليل ابن علىّ الدهستانى، فلمّا قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا إلى بغداد، و هو أبو إبراهيم الأسدآبازى «٣»، لأخذ أموال مؤيد الملك، فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك، و سلّم إليه محمّد الشرابى، و هو ابن خاله مؤيد الملك،

(١-٢) b. mo.

(٣). الاسابادى. b. الأسترابادى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٥

فأخذت منه الأموال و الجواهر بعد مكروه «١» أصابه، و عذاب ناله، و أخذ له ذخائر من مواضع آخر ببلاد العجم منها: قطعة بلخش، و زنها واحد و أربعون [١] مثقالا.

و لمّا فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار إلى الرىّ، فوصل إليه هناك قوام الدولة كربوقا، صاحب الموصل، و نور الدولة ديبس

بن صدقة بن مزيد.

ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر

لما انهزم السلطان محمد، سار طالبا خراسان إلى أخيه سنجر، و هما لأّم واحدة، فأقام بجرجان، و راسل أخاه يطلب منه مالا و كسوة، و غير ذلك، فسير إليه ما طلب، و ترددت الرسل بينهما، حتى تحالفا و اتفقا. و لم يكن بقى مع السلطان محمد غير أميرين فى نحو «٢» ثلاثمائة فارس، فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان فى عساكره نحو أخيه السلطان محمد، فاجتمعا بجرجان، و سارا منها إلى دامغان، فخرّبها العسكر الخراسانى، و مضى أهلها هارين إلى قلعة كردكوه، و خرّب العسكر ما قدروا عليه من البلاد، و عمّ الغلاء تلك الأصقاع، حتى أكل الناس الميتة و الكلاب، و أكل الناس بعضهم بعضا. و سارا إلى الرى، فلما وصلا إليها

[١] أحد و أربعين.

(١). نكد. b

(٢). و نحو. a. b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٦

انضم إليهما النظامية و غيرهم، فكثر جمعهما، و عظمت شوكتهما، و تمكنت من القلوب هيتهما.

ذكر ما فعله السلطان بركيارق و دخوله بغداد

لما كان السلطان بركيارق بالرى، بعد انهزام أخيه محمد، اجتمعت عليه العساكر الكثيرة، فصار معه نحو مائة ألف فارس، ثم إنهم ضاقت عليهم الميرة، ففرقت العساكر، فعاد ديبس بن صدقة إلى أبيه، و خرج الملك مودود ابن إسماعيل بن ياقوتى بأذربيجان، فسير إليه قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف فارس، و استأذن الأمير أياز فى أن يقصد داره بهمدان يصوم بها شهر رمضان، و يعود بعد الفطر، فأذن له، و تفرقت العساكر لمثل ذلك، و بقى فى العدد القليل.

فلما بلغه أن أخويه قد جمعا الجموع، و حشدا الجنود «١»، و أنّهما لما بلغهما قلّة من معه جدّا فى المسير إليه، و طويا المنازل ليعاجلاه، قبل أن يجمع جموعه و عساكره، فلما قاربا سار من مكانه، و قد طمع فيه من كان يهابه، و أيس منه من كان يرجوه، فقصد نحو همدان ليجمع هو و أياز، فبلغه أن أياز «٢» قد راسل السلطان محمدا ليكون معه و من جملة أعوانه، خوفا على ولايته، و هى همدان و غيرها، فلما سمع ذلك عاد عنها، و قصد خوزستان، فلما قرب من تستر كاتب الأمراء بنى برسق «٣» يستدعيهم إليه، فلم يحضروا لما علموا أن أياز «٤» لم يحضر، و للخوف من السلطان محمد، فسار نحو العراق.

فلما بلغ حلوان أتاه رسول الأمير أياز يسأل التوقف ليصل إليه.

(١) الحشوة. b

(٢-٤) أياز. a

(٣) برشق. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٧

و سبب ذلك أن أياز «١» راسل السلطان محمداً فى الانضمام إليه «٢»، و المصير فى جملة عسكره، فلم يقبله، و سبب العساكر إلى همدان، ففارقها منهزماً، و لحق بالسلطان بركيارق، فأقام السلطان بركيارق «٣» بخلوان، و وصل إليه أياز، و ساروا جميعهم إلى بغداد. و أخذ عسكر محمداً ما تخلف للأمير أياز بهمدان من مال، و دواب، و برك، و غير ذلك، فإنه أعجل عنه، و كان من جملة خمسمائة حصان عربيّة، قيل كان يساوى كلّ حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار، و نهبوا داره، و صادروا جماعة من أصحابه، و صودر رئيس همدان بمائة ألف دينار.

و لمّا وصل أياز إلى بركيارق تكاملت عدّتهم خمسة آلاف فارس، و قد ذهبت خيامهم و ثقلهم، و وصل بركيارق إلى بغداد سابع عشر ذى القعدة، و أرسل الخليفة إلى طريقه يلتقيه أمين «٤» الدولة بن موصلايا فى الموكب «٥»، و لمّا كان عيد الأضحى نفذ الخليفة منبرا إلى دار السلطان، و خطب عليه الشريف أبو الكرم، و صلّى صلاة العيد، و لم يحضر بركيارق لأنّه كان مريضاً. و ضاقت الأموال على بركيارق، فلم يكن عنده ما يخرج على نفسه و على عساكره، فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة و قلّة المال، و يطلب أن يعان بما يخرج، فتقرّر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار، حملها الخليفة إليه، و مدّ بركيارق و أصحابه أيديهم إلى أموال الناس، فعمّ ضررهم، و تمنّى أهل البلاد زوالهم عنهم، و دعّتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطّة شنعاء، و ذلك أنّه قدم عليهم أبو محمّد عبيد الله بن منصور، المعروف بابن صليحة «٦»،

(١). أياز. a

(٢). b

(٣). a. mo

(٤). أمير. a

(٥). المراكب. a. b

(٦). صليحة. C. p

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٨

قاضى جبله من بلاد الشام و صاحبها، منهزماً من الفرنج، على ما نذكره، و معه أموال جليله المقدار، فأخذوها منه.

ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق

فى هذه السنة خرج الأمير صدقة بن منصور بن ديبس بن مزيد، صاحب الحلّة، عن طاعة السلطان بركيارق، و قطع خطبته من بلاده، و خطب فيها للسلطان محمداً.

و سبب ذلك أن الوزير الأعزّ أبا المحاسن الدهستانيّ، وزير السلطان بركيارق، أرسل إلى صدقة يقول له: قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار، و كذا و كذا ديناراً لسنين كثيرة، فإن أرسلتها، و إلّا سببنا العساكر إلى بلادك و أخذناها منك. فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة، و خطب لمحمداً.

فلما وصل السلطان بركيارق إلى بغداد على هذه الحال أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعو إلى الحضور عنده، فلم يجب إلى ذلك، فأرسل إليه الأمير أياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان، و يضمن له كلّ ما [١] يريده، فقال: لا أحضر، و لا أطيع السلطان، إلّا إذا سلّم وزيره أبا المحاسن إليّ، و إن لم يفعل فلا يتصوّر منى الحضور عنده أبداً، و يكون فى ذلك ما يكون، فإن سلّمه إليّ، فأنا العبد المخلص فى العبوديّة بالحسن و الطاعة. فلم يجب إلى ذلك، فتّم على مقاطعته، و أرسل إلى الكوفة، و طرد عنها النائب بها عن السلطان و استضافها إليه.

[١] كَلِّمًا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٠٩

ذكر وصول السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها

في هذه السنة، في السابع والعشرين [من] ذى الحجة، وصل السلطان محمد وسنجر إلى بغداد، وكان السلطان محمد لما استولى على همدان وغيرها سار إلى بغداد، فلما وصل إلى حلوان سار إليه إيلغازي بن أرتق في عساكره، وخدمه، وأحسن في الخدمة، وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع.

فلما وصلت الأخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض، يرجف عليه خواصه بكرة وعشياً، فماج أصحابه، وخافوا، واضطربوا، وحاروا، وعبروا به في محفة إلى الجانب الغربي، فنزلوا بالزلملة، ولم يبق في بركيارق غير روح يتردد، وتيقن أصحابه موته، وتشاوروا في كفته، ووضع دفنه.

فبينما هم كذلك إذ قال لهم: إني أجد نفسي قد قويت، وحركتي قد تزايدت، فطابت نفوسهم، وساروا، وقد وصل العسكر الآخر، فترأى الجمعان بينهما دجلة، وجرى بينهما مراماة «١» و سباب، وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطية، يعيرونهم بذلك، ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط.

ووصل السلطان محمد إلى بغداد، فنزل بدار المملكة، فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه،

(١). مراسلات B، مراسلة A.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٠

والاستبشار بقدمه، وخطب له بالديوان، ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين، وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير «١» الملك أبا منصور محمد بن الحسين، وقدم إليه في المحرم سنة خمس وتسعين [و أربعمائة] الأمير سيف الدولة صدقة، وخرج الخلق كلهم إلى لقائه.

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمد عبيد «٢» الله بن منصور المعروف بابن صليحة، وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين، يقضى بينهم، فلما ضعف أمر الروم، وملكها المسلمون، وصارت تحت حكم جلال «٣» الملك أبي الحسن علي بن عمارة، صاحب طرابلس، كان منصور على عادته في الحكم فيها.

فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه، وأحب الجندية، واختار الجند.

فظهرت شهامته، فأراد ابن عمار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العباسية، فبذل ابن عمارة لدقاق بن تشش مالا ليقتده ويحصره، ففعل، وحصره، فلم يظفر منه بشيء، وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة في ركبتة وبقى أثرها.

وبقى أبو محمد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج، لعنهم الله، فحاصروها، فأظهر «٤» أن السلطان بركيارق قد توجه إلى الشام، وشاع هذا، فرحل الفرنج، فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا «٥» حصاره، فأظهر أن المصريين قد توجهوا لحربهم، فرحلوا ثانياً، ثم عادوا، فقرر مع النصارى الذين بها أن

(١). خطيب. a. b

(٢) عبد. c. p

(٣) جمال. a. b

(٤) فأظهروا. a

(٥) عادوا إلى. a. b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١١

يراسلوا الفرنج، و يواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه إليهم و يملكوا البلد، فلما أتتهم الرسالة جهّزوا نحو «١» ثلاثمائة رجل من أعيانهم و شجعانهم، فتقدّموا إلى ذلك البرج، فلم يزالوا يرقون فى الحبال، واحدا بعد واحد «٢»، و كلما صار عند ابن صليحة، و هو على السور، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين، فلما أصبحوا رمى [١] الرءوس إليهم فرحلوا عنه.

و حصروه مرّة أخرى، و نصبوا على البلد برج خشب، و هدموا برجا من أبراجه، و أصبحوا و قد بناه أبو محمّد، ثم نقب فى السور نقوبا، و خرج من الباب و قاتلهم، فانهمز منهم، و تبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنج من ظهورهم، فولّوا منهزمين و أسر مقدّمهم «٣» المعروف بكند اصطبل «٤»، فافتدى نفسه بمال جزيل.

ثم علم أنّهم لا- يقعدون عن طلبه، و ليس له من يمنعهم عنه، فأرسل إلى طغتكين أتابك يلتمس منه إنفاذ من يتق به ليسلم إليه ثغر جبله، و يحميه ليصل هو إلى دمشق بماله و أهله، فأجابه إلى ما التمس، و سير إليه ولده تاج الملوک بورى، فسلم إليه البلد، و رحل إلى دمشق، و سأله أن يسيره إلى بغداد، ففعل، و سيره معه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار.

و لما صار بدمشق أرسل ابن عمّار صاحب طرابلس إلى الملك دقاق، و قال:

سلم إليّ ابن صليحة عريانا، و خذ ماله أجمع، و أنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار، فلم يفعل. فلما وصل إلى الأنبار أقام بها أيّاما، ثم سار إلى بغداد، و بها السلطان بركيارق، فلما وصل أحضره الوزير الأعزّ أبو المحاسن عنده،

[١] رما.

(١). a. b

(٢) آخر. c. p

(٣). فارسهم

(٤). اصطبل. c. p

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٢

و قال له: السلطان محتاج، و العساكر يطالبونه بما ليس عنده، و نريد منك ثلاثين ألف دينار، و تكون له «١» منّة عظيمة، تستحقّ بها المكافأة و الشكر.

فقال: السمع و الطاعة، و لم يطلب أن يحطّ «٢» شيئا، و قال: إنّ رحلى و مالى فى الأنبار بالدار التى نزلتها، فأرسل الوزير إليها جماعة، فوجدوا فيها مالا كثيرا، و أعلّقا نفيسة، فمن جملة ذلك ألف و مائة قطعة مصاغ عجيب الصنعة، و من الملابس و العمام التى لا يوجد مثلها شىء كثير.

كان ينبغى أن نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمّد إلى هاهنا، بعد قتل الباطية، فإنّها كانت أواخر السنة، و كان قتلهم

فى شعبان، و إنما قدّمناها لتتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شىء.

و أما تاج الملوک بورى، فإنه لمّا ملك جبله، و تمكّن منها، أساء السيرة هو و أصحابه مع أهلها، و فعلوا بهم أفعالا أنكروها، فراسلوا القاضى فخر الملك أبا علىّ عمّار «٣» بن محمّد بن عمّار، صاحب طرابلس، و شكوا إليه ما يفعل بهم، و طلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلموا إليه البلد، ففعل ذلك، و سیر إليهم عسكريا «٤»، فدخلوا جبله، و اجتمعوا بأهلها، و قاتلوا تاج الملوک و من معه، فانهزم الأتراك، و ملك عسكري ابن عمّار جبله، و أخذوا تاج الملوک أسيرا، و حملوه إلى طرابلس، فأكرمه ابن عمّار، و أحسن إليه، و سيّره إلى أبيه بدمشق، و اعتذر إليه، و عزّفه صورة الحال، و أنه خاف أن يملك الفرنج جبله.

(١). منك. b.

(٢). يحفظ. p. c.

(٣). p. c.

(٤). وافرا. b. dda

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٣

ذكر قتل الباطنية

فى هذه السنة، فى شعبان، أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية، و هم الإسماعيلية و هم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة «١»، و نحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم.

فأول ما عرف من أحوالهم، أعنى هذه الدعوة الأخيرة التى اشتهرت بالباطنية، و الإسماعيلية، فى أيام السلطان ملك شاه، فإنه «٢» اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا، فصلّوا صلاة العيد فى ساوة، ففطن بهم الشّحنة، فأخذهم و حبسهم، ثم سئل فيهم فأطلقهم، فهذا أول اجتماع كان لهم.

ثم إنهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما بأصبهان، فلم يجبهم إلى دعوتهم، فخافوه أن [١] ينم عليهم، فقتلوه، فهو أول قتل لهم، و أول دم أراقوه «٣»، فبلغ «٤» خبره إلى نظام الملك، فأمر بأخذ من يتهم بقتله، فوَقعت التهمة على نجار اسمه طاهر، فقتل، و مثل به، و جزّوا برجله فى الأسواق، فهو أول قتل منهم، و كان والده واعظا، و قدم إلى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ستّ و ثمانين [و أربعمائه] فحظى «٥» منه، ثم قصد البصرة فولى القضاء بها، ثم توجه فى رسالته إلى كرمان، فقتله العامة فى الفتنة التى جرت، و ذكروا أنه باطنى.

ثم إن الباطنية قتلوا نظام الملك، و هى أول فتكة «٦» مشهورة كانت لهم، و قالوا: قتل نجارا فقتلناه به.

[١] لا.

(١). citra . c. a.

(٢). فإتهم. b.

(٣). p. c. mo.

(٤). فباح. b.

(٥). فحضى. b. a.

(٦) قتلة a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٤

و أول موضع غلبوا عليه و تحصّوا به بلد عند قايين، كان متقدّمه على مذهبهم، فاجتمعوا عنده، و قووا به، فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان إلى قايين، فخرج عليهم و معه أصحابه و الباطنية، فقتل أهل القفل أجمعين، و لم ينج منهم غير رجل تركمانى، فوصل إلى قايين «١» فأخبر بالقصة، فتسارع أهلها مع القاضى «٢» الكرمانى «٣» إلى جهادهم، فلم يقدروا عليهم. ثم قتل نظام الملك، و مات السلطان ملك شاه، فعظم أمرهم، و اشتدت شوكتهم، و قويت أطماعهم. و كان سبب قوتهم بأصبهان أنّ السلطان بركيارق لما حصر أصبهان، و بها أخوه محمود «٤»، و أمه خاتون الجلاية، و عاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها، و انتشرت، و كانوا متفرّقين فى المحالّ، فاجتمعوا، و صاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم و يقتلونهم، فعلموا هذا بخلق كثير، و زاد الأمر، حتّى إنّ الإنسان كان إذا تأخّر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله، و قعدوا للجزاء به، فحذر الناس، و صاروا لا ينفرد أحد، و أخذوا فى بعض الأيام مؤذنا، أخذه جار له باطنى، فقام أهله للنياحة عليه، فأصعده الباطنية إلى سطح داره و أروه أهله كيف يلطمون و يبكون، و هو لا يقدر [أن] يتكلّم خوفا منهم.

ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان

لما عمّت هذه المصيبة الناس بأصبهان، أذن الله تعالى فى هتك أستارهم، و الانتقام منهم، فاتّفق أنّ رجلا دخل دار صديق له، فرأى فيها ثيابا،

(١) كرمان a.

(٢) على a. dda.

(٣) التركمانى a. b.

(٤) محمّد a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٥

و مداسات، و ملابس لم يعهداها، فخرج من عنده، و تحدّث بما كان، فكشف الناس عنها، فعلموا أنّها [١] من المقتولين. و ثار «١» الناس كافةً يبحثون عمّن قتل منهم، و يستكشفون، فظهروا على الدروب التى هم فيها، و إنهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها و قتلوه و ألقوه فى بئر فى الدار قد صنعت لذلك. و كان على باب درب منها رجل ضرير، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده «٢» خطوات إلى باب الدرب، فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أخذ و قتل، فتجرّد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمّد الخجندى، الفقيه الشافعى، و جمع الجمّ الغفير «٣» بالأسلحة، و أمر بحفر أخاديد، و أوقد فيها النيران، و جعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا و منفردين، فيلقون فى النار، و جعلوا إنسانا على أخاديد النيران، و سمّوه مالكا، فقتلوا منهم خلقا كثيرا.

ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم

و استولوا على عدّة حصون منها قلعة أصبهان، و هذه القلعة لم تكن قديما، و إنّما بناها السلطان ملك شاه. و سبب بنائها أنّه كان قد أتاه رجل من مقدّمى الروم، فأسلم و صار معه، فاتّفق أنّه سار «٤» يوما إلى الصيد، فهرب منه كلب حسن الصيد، و صعّد

[١] أنه

(١) و سار. p. C.

(٢) يقود به. a. b.

(٣) جماعة. p. C.

(٤) bba. B.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٦

هذا الجبل، فتبعه السلطان و الرومى معه، فوجده موضع القلعة، فقال له الرومى: لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به، فأمر ببناء القلعة، و منع منها نظام الملك، فلم يقبل قوله، فلما فرغت جعل فيها دزدارا.

فلما انقضت أيام السلطان ملك شاه، و صارت أصبهان بيد خاتون أزال الدردار، و جعلت غيره فيها، و هو إنسان ديلمى اسمه زيار، فمات، و صار بالقلعة إنسان خوزى، فاتصل به أحمد بن عطاش، و كان الباطنية قد ألبسوه تاجا «١»، و جمعوا له أموالا، و قدموه عليهم مع جهله، و إنما كان أبوه مقدما فيهم، فلما اتصل بالدردار بقى معه، و وثق به، و قلده الأمور، فلما توفى الدردار استولى أحمد بن عطاش عليها، و نال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الأموال، و قتل النفوس، و قطع الطريق، و الخوف الدائم، فكانوا يقولون: إن قلعة يدل عليها كلب، و يشير بها كافر لا بد و أن يكون خاتمة أمرها الشر.

و منها ألموت، و هى من نواحي قزوین، قيل إن ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد، فأرسل يوما عقابا، و تبعه، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعا حصينا، فأمر ببناء قلعة عليه، فسماها أله موت، و معناه بلسان الديلم: تعليم العقاب، و يقال لذلك الموضع و ما يجاوره طالقان.

و فيها قلاع حصينة أشهرها ألموت، و كانت هذه النواحي فى ضمان شرف شاه الجعفرى، و قد استتاب فيها رجلا علویا، فيه بله و سلامة صدر.

و كان الحسن بن الصباح رجلا شهما، كافيا، عالما بالهندسة، و الحساب، و النجوم، و السحر، و غير ذلك، و كان رئيس الرى إنسان يقال له أبو مسلم، و هو صهر نظام الملك، فأتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة

(١) و اجتمعوا. b. dda.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٧

المصريين عليه، فخافه ابن الصباح، و كان نظام الملك يكرمه، و قال له يوما من طريق الفراسة: عن قريب يضل «١» هذا الرجل ضعفاء العوام، فلما هرب الحسن من أبى مسلم طلبه فلم يدركه.

و كان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش، الطيب الذى ملك قلعة أصبهان، و مضى ابن الصباح فطاف البلاد، و وصل إلى مصر، و دخل على المستنصر صاحبها، فأكرمه، و أعطاه مالا، و أمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمن الإمام بعدك؟ فأشار إلى ابنه نزار، و عاد من مصر إلى الشام، و الجزيرة، و ديار بكر، و الروم، و رجع إلى خراسان، و دخل كاشغر، و ما وراء النهر، يطوف على قوم يضلهم، فلما رأى قلعة ألموت، و اختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم، و طمع فى إغوائهم، و دعاهم فى السر، و أظهر الزهد، و لبس المسح «٢»، فتبعه أكثرهم، و العلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه، يجلس إليه يتبرك به، فلما أحكم الحسن أمره، دخل يوما على العلوى بالقلعة، قال له ابن الصباح: اخرج من هذه القلعة، فتبسم العلوى، و ظنه يمزح، فأمر ابن الصباح بعض أصحابه «٣» بإخراج

العلوى، فأخرجوه «٤» إلى دامغان، و أعطاه ماله و ملك القلعة.

و لما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكريا إلى قلعة الموت، فحصره فيها، و أخذوا عليه الطرق، فضاق ذرعه بالحصر، فأرسل من قتل نظام الملك، فلما قتل رجع العسكر عنها.
ثم إن السلطان محمد بن ملك شاه جهّز نحوها العساكر، فحصرها، و سيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) يصل. b. a.

(٢) المسوح. b. a.

(٣) p. c. mo.

(٤) فأخرج. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٨

و منها طبس، و بعض قهستان، و كان سبب ملكهم لها أن قهستان كان قد بقى فيها بقايا من بنى سيمجور، أمراء خراسان، أيام السامانية، و كان قد بقى من نسلهم رجل يقال له المنور، و كان رئيسا مطاعا عند الخاصية و العامة، فلما ولى كلسارغ قهستان ظلم الناس و عسفهم، و أراد أختا للمنور بغير حلّ، فحمل ذلك المنور على أن التجأ إلى الإسماعيلية، و صار معهم، فعظم حالهم فى قهستان، و استولوا عليها و من جملتها خور، و خوسف «١»، و زوزن، و قاين، و تون، و تلك الأطراف المجاورة لها.

و منها قلعة و سمنكوه «٢»، ملكوها، و هى بقرب أبهر، سنة أربع و ثمانين [و أربعمائة]، و تأذى بهم الناس، لا سيما أهل أبهر، فاستغاثوا بالسلطان بركيارق، فجعل عليها من يحاصرها، فحوصرت ثمانية أشهر، و أخذت منهم سنة تسع و ثمانين [و أربعمائة]، و قتل كل من بها عن آخرهم.

و منها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان، كانت لمؤيد الملك ابن نظام الملك، و انتقلت إلى جاولى سقاووا، فجعل بها إنسانا تركيا، فصادقه نخبأر باطنى، و أهدى له هدية جميلة، و لزمه حتى وثق به، و سلّم إليه مفاتيح القلعة، فعمل دعوة للتركي و أصحابه، فسقاهم الخمر، فأسكرهم، و استدعى ابن عطّاش، فجاء فى جماعة من أصحابه، فسلم إليهم القلعة، فقتلوا من بها سوى التركي فإنه هرب، و قوى ابن عطّاش بها، و صار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة.

و من قلاعهم المذكورة أستوناوند، و هى بين الرّى و آمل، ملكوها بعد ملك شاه، نزل منها صاحبها، فقتل و أخذت منه. و منها أردهن، و ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح.

(١) b. a. mo.

(٢) و سيمكوه. b، و سيمكوه. a

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣١٩

و منها كردكوه و هى مشهورة.

و منها قلعة الناظر بخوزستان، و قلعة الطنبور و بينها «١» و بين أرتجان فرسخان أخذها «٢» أبو حمزة الإسكاف، و هو من أهل أرتجان، سافر إلى مصر، و عاد داعية لهم.

و قلعة «٣» خلادخان «٤»، و هى بين فارس و خوزستان، و أقام بها المفسدون نحو مائتى سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه، و قتل من بها «٥».

فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أنر «٦»، فجعل بها دزدارا، فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرتجان يطلبون منه بيعها فأبى [١]، فقالوا

له: نحن نرسل إليك من يناظر ك حتى يظهر لك الحق، فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إليه إنسانا ديلميا يناظره، و كان للذدار مملوك قد رباه، و سلم إليه مفاتيح القلعة، فاستماله الباطنى، فأجابه إلى القبض على صاحبه، و تسليم القلعة إليهم، فقبض عليه، و سلم القلعة «٧» إليهم، ثم أطلقه، و استولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها.

ذكر ما فعله جاولى سقاوا بالباطنية

فى هذه السنة قتل جاولى سقاوا خلقا كثيرا منهم.
و سبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التى بين رامهرمز و أركان.

[١] فأبا. الكامل فى التاريخ ج ١٠ ٣١٩ ذكر ما فعله جاولى سقاوا بالباطنية ص : ٣١٩

(١) و بينهما. a. b.

(٢) أخذهما. b.

(٣) بقلعة. a. b.

(٤) خلاوخان. b. حلالدان. c. p.

(٥) قال. a. b. dda.

(٦) انز. a. b.

(٧) a. do. roitnecert iveipersunammauq, cni tatsxe suinuiilofxnucal.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٠

فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان و فارس، و عظم شرهم، و قطعوا الطريق بتلك البلاد، واقف جماعة من أصحابه، حتى أظهروا الشعب عليه، و فارقه، و قصدوا الباطنية، و أظهروا أنهم معهم، و على رأيهم، فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم.
ثم أظهر جاولى أن الأمراء بنى برسق يريدون قصده و أخذ بلاده، و أنه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم، و المسير إلى همذان، فلما ظهر ذلك و سار قال من عند الباطنية من أصحابه [ممن] لهم الرأى: إننا نخرج إلى طريقه و نأخذه و ما «١» معه من الأموال، فساروا إليه فى ثلاثمائة من أعيانهم و صناديدهم، فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم، و وضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر، صعدا إلى الجبل و هربوا، و غنم جاولى ما معهم من دواب، و سلاح، و غير ذلك.

ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى و ملك غيره «٢»

كان تيران شاه «٣» بن توران شاه «٤» بن قاورت بك هو الذى قتل الأتراك الإسماعيلية، و ليسوا منسويين [١] إلى هذه الطائفة الباطنية، إنما نسبوا إلى أمير اسمه إسماعيل، و كانوا من أهل السنة، قتل منهم ألفى رجل صبوا، و قطع أيدي ألفين، و وفد [٢] عليه إنسان يقال له: أبو زرع، كان كاتباً بخوزستان،

[١] منسوبون.

[٢] و نفق.

(١) و نأخذ ما .p.c.

(٢) .p.c.mo.

(٣) تيران شاه te تيران شاه، سيران شاه، تيران شاه oitpircstairav.

(٤) مورانشاه .b.a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢١

فحسّن له مذهب الباطنيّة، فأجاب إليه.

و كان عنده فقيه حنفىّ يقال له: أحمد بن الحسين البلخىّ، كان مطاعا فى الناس، فأحضره عنده ليلا، و أطال الجلوس معه، فلما خرج من عنده أتبعه بمن قتله، فلما أصبح الناس دخلوا عليه، و فيهم صاحب جيشه، فقال لتيرانشاه:

أيها الملك من قتل هذا الفقيه؟ فقال: أنت شحنة البلد، تسألنى من قتله؟

فقال: أنا أعرف قاتله! و نهض من عنده، ففارقه فى ثلاثمائة فارس، و سار إلى أصبهان، فأرسل فى أثره ألفى فارس ليردّوه، فقاتلهم، و هزمهم، و سار إلى أصبهان «١»، و بها السلطان محمّد و مؤيد الملك، فأكرمه السلطان، و قال: أنت والد الملوك.

و امتعض عسكر كرمان بعد مسيره، و اجتمعوا، و قاتلوا تيران شاه، و أخرجوه عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان «٢»، فلما فارقتها اتفق القاضى و الجند، و أقاموا أرسلان شاه بن کرمانشاه بن قاوورت بك، و سار تيران شاه إلى مدينة بَم من كرمان، فحاربه أهلها و منعه منها، و أخذوا ما معه من أموال و جواهر، و قصد قلعة سميرم و تحصّن بها، و فيها أمير يعرف بمحمّد بهستون، فأرسل أرسلان شاه جيشا حصروا القلعة، فقال محمّد بهستون لتيرانشاه: انصرف عنىّ، فلست أرى الغدر بك، و أنا رجل مسلم «٣»، و مقامك عندى يؤذنى، و أتهم بك فى دينى. فلما عزم على الخروج أرسل محمّد بهستون إلى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيران شاه، فجردّ عسكرا إلى طريقه، فخرجوا عليه، و أخذوه و ما معه، و أخذوا أيضا أبا زرع، فأرسل أرسلان شاه فقتلها، و تسلّم جميع بلاد كرمان.

(١-٢) .c.mo.

(٣) .tinisedeanucal .anich.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٢

ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنيّة

لما اشتدّ أمر الباطنيّة، و قويت شوكتهم، و كثر عددهم، صار بينهم و بين أعدائهم ذحول و إحن، فلما قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر، و كان أكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمّد، مخالف للسلطان بركيارق، مثل شحنة أصبهان سرمز، و أرغش، و كمش «١» النظاميين، و صهره، و غيرهم، نسب أعداء بركيارق ذلك إليه، و اتّهموه بالميل إليهم.

فلما ظفر السلطان بركيارق، و هزم أخاه السلطان محمّد، و قتل مؤيد الملك وزيره، انبسط جماعة منهم فى العسكر، و استغفوا كثيرا منهم، و أدخلوهم فى مذهبهم، و كادوا يظهرون بالكثرة و القوّة، و حصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم، و زاد أمرهم، فصاروا يتهدّدون من لا- يوافقهم بالقتل، فصار يخافهم من يخالفهم، حتّى إنهم لم يتجاسر أحد منهم، لا أمير و لا متقدّم، على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا، حتّى إنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه، و استأذن السلطان بركيارق خواصّه فى الدخول [١] عليه بسلاحهم، و عزّفوه خوفهم ممّن يقاثلهم، فأذن لهم فى ذلك.

و أشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافى أمرهم، و أعلموه ما يتّهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم، حتّى إنّ

عسكر أخيه السلطان محمد يشعون بذلك، و كانوا في المصاف يكبرون عليهم، و يقولون يا باطية. فاجتمعت هذه البواعث كلها، فأذن السلطان في قتلهم، و الفتك بهم، و ركب

[١] الوخل.

(١) و كجمع.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٣

هو و العسكر معه، و طلبوهم، و أخذوا جماعة من خيامهم و لم يفلت منهم إلّا من لم يعرف.

و كان ممن اتهم بأنه مقدمهم الأمير محمد بن دشمزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه، صاحب يزد، فهرب، و سار يومه و ليلته، فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضلّ الطريق و لا يشعر، فقتل، و هذا موضع المثل: أتتك بحائن رجلاه، و نهبت خيامه، فوجد عنده السلاح المعدّ، و أخرج الجماعة المتهمون إلى الميدان فقتلوا، و قتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم، و فيمن قتل ولد كيقباز، مستحفظ تكريت، فلم يغير والده خطبة بريكارق، و لكن شرع في تحصين القلعة و عمارتها، و نقض جامع البلد، و كان يقاربها، لئلا يؤتى منه، و جعل بيعة في البلد جامعاً، و صلى الناس فيه.

و كتب إلى بغداد بالقبض على أبي إبراهيم الأسدآباذي الذي كان قد وصل إليها رسولا من بريكارق ليأخذ مال مؤيد الملك، و كان من أعيانهم و رءوسهم، فأخذ و حبس، فلما أرادوا قتله قال: هبوا أنكم قتلتموني، أ تقدرون على قتل من بالقلع و المدن؟ فقتل، و لم يصلّ عليه أحد، و ألقى خارج السور، و كان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم.

و قد كان أهل عانة نسبوا إلى هذا المذهب قديماً، فأنهى حالهم إلى الوزير أبي شجاع أيام المقتدى بأمر الله، فأحضرهم إلى بغداد، فسأل مشايخهم على الذي يقال فيهم، فأنكروا و جحدوا، فأطلقهم.

و اتهم أيضا الكيا الهراس، المدرّس بالنظامية، بأنه باطني، و نقل ذلك عنه إلى السلطان محمد، فأمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه، و شهد له بصحة الاعتقاد، و علو الدرجة في العلم، فأطلق.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٤

ذكر حصر الأمير بزغش «١» قهستان و طبس

في هذه السنة جمع الأمير بزغش، و هو أكبر أمير مع السلطان سنجر، جموعاً كثيرة، و قواهم بالمال و السلاح، و سار إلى بلد الإسماعيلية، فنهبه، و خزبه، و قتل فيهم فأكثر، و حصر طبس، و ضيق عليها، و رماها بالمنجنيق، فخرّب كثيراً من سورها، و ضعف من بها، و لم يبق إلّا أخذها، فأرسلوا إليه الرشا الكثيرة، و استنزوه عمّا كان يريده منهم «٢»، فرحل عنهم و تركهم، فعادوا عمارة ما انهدم من سورها، و ملئوها ذخائر من سلاح و أقوات و غير ذلك، ثم عاودهم بزغش سنة سبع و تسعين [و أربعمئة]، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كندفري، ملك الفرنج «٣» بالشام، و هو صاحب البيت المقدس، إلى مدينة عكة، بساحل الشام، فحصرها، فأصابه سهم فقتله، و كان قد عمر مدينة يافا و سلّمها إلى قمص من الفرنج اسمه: طنكري، فلما قتل كندفري سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس في خمسمائة فارس و راجل، فبلغ الملك دقاق، صاحب دمشق، خبره، فنهض إليه في عسكره، و معه الأمير جناح الدولة في جموعه،

فقاتله، فنصر على الفرنج.

و فيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة، و سبب ذلك أن الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لأن أكثرهم أرمن، و ليس بها

(١) برغش. b. uqibu.

(٢) a. mo.

(٣) b. a. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٥

من المسلمين إلا القليل، فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان، و زحف إليهم، فلقوه و قاتلوه، فهزموه في ربيع الأول. فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سروج، فحاصروها و تسلّموها، و قتلوا كثيرا من أهلها و سبوا حريمهم، و نهبوا أموالهم، و لم يسلم إلا من مضى منهزما.

و فيها ملك الفرنج مدينة حيفا، و هي بالقرب من عكة على ساحل البحر، ملكوها عنوة، و ملكوا أرسوف بالأمان، و أخرجوا أهلها منها.

و فيها، في رجب، ملكوا مدينة قيسارية بالسيف، و قتلوا أهلها، و نهبوا ما فيها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في شهر رمضان، تقدّم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر، و أن يصلّي فيه صلاة التراويح، و لم تكن جرت بذلك عادة، و أمر بالجهر بسم الله الرحمن الرحيم، و هذا أيضا لم تجر به عادة، و إنما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لأن العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها، فترك ذلك مخالفة لهم لا أتباعا لمذهب أحمد الإمام «١»، و أمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعي، فلما كانت الليلة التاسعة و العشرون ختم في جامع القصر، و ازدحم الناس عنده، و كان زعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة قد أطلق من الاعتقال، فاختلط بالناس، و خرج إلى ظاهر بغداد من ثلثة في السور، و سار إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد،

(١) أحد. c. p.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٦

فاستقبله و أنزله و أكرمه.

و فيها، في المحرم، توفّي جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة، و هو أستاذ دار الخليفة.

و فيه توفّي القاضي أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصبّاغ الفقيه الشافعي، و أخذ الفقه عن ابن عمّه الشيخ أبي نصر بن الصبّاغ، و كان يصوم الدهر، و روى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري و غيره.

و فيه توفّي شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفي، الخوارزمي، بأصبهان، و كان مستوفيا في ديوان السلطان ملك شاه، فبذل مائة ألف دينار حتّى ترك الاستيفاء، و بنى [١] مشهدا على قبر «١» أبي حنيفة، رحمه الله عليه، و مدرسة بباب الطاق، و مدرسة بمر و جميعها للحنفيين.

و فيها، في صفر، توفّي القاضي أبو المعالي عزيزي، و كان شافعيًا، أشعريًا، و هو من جيلان، و له مصنّفات كثيرة حسنة، و كان ورعا، و

له مع أهل باب الأزج أخبار ظريفة، و كان قاضيا عليهم، و كانوا يبغضونه و يبغضهم «٢». و توفى أسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو إبراهيم العتبي من ولد عتبة ابن غزوان نيسابورى «٣»، ولد سنة أربع و أربعمائه، و روى عن أبى بكر الحيرى «٤» و غيره. و توفى فى صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى، تفقه على أبى إسحاق الشيرازى،

[١] و بناء.

(١) قبة. a. b.

(٢) p. c. mo.

(٣) بنيسابور. b.

(٤) الخيرى. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٧

و سمع الحديث من أبى الطيب الطبرى و غيره، و كان ثقة صالحا.

و توفى فى ربيع الأول منها محمد بن على بن عبيد الله بن أحمد بن صالح ابن سليمان بن ودعان أبو نصر القاضى الموصلى، و هو صاحب الأربعين الودعائية و قد تكملوا فيها، فليل إنّه سرقها، و كانت تصنيف زيد بن رفاعه الهاشمى، و الغالب على حديثه المناكير. و توفى فيها، فى ربيع الأول، نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القارى أبو الخطاب، و مولده سنة ثمان و تسعين و ثلاثمائه، سمع ابن رزقويه و غيره، و صارت إليه الرحلة لعلو إسناده، و كان سماعه صحيحا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٨

٤٩٥ ثم دخلت سنة خمس و تسعين و أربعمائه

ذكر وفاة المستعلى بالله و ولاية الأمر بأحكام الله

فى هذه السنة توفى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن معدّ المستنصر بالله العلوى، الخليفة المصرى، لسبع عشرة خلت من صفر، و كان مولده فى العشرين من شعبان سنة سبع و ستين و أربعمائه، و كانت خلافته سبع سنين و قريب شهرين، و كان المدبر لدولته الأفضل.

و لما توفى ولى بعده ابنه أبو على المنصور، و مولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين و أربعمائه، و بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه، و له خمس سنين و شهر و أربعة أيام، و لقب الأمر بأحكام الله، و لم يكن [بين] من تسمى بالخلافة قط أصغر منه و من المستنصر، و كان المستنصر أكبر من هذا، و لم يقدر [أن] يركب وحده على الفرس لصغر سنه، و قام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام، و لم يزل كذلك يدبر الأمر إلى أن قتل سنة خمس عشرة و خمسمائة.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٢٩

ذكر الحرب بين السلطان بركيارق و السلطان محمد و الصلح بينهما

في هذه السنة، في صفر، كان المصافى الثالث بين السلطانين بركيارق و محمد.

قد ذكرنا سنة أربع و تسعين [و أربعمائه] قدوم السلطان محمد إلى بغداد، و رحيل السلطان بركيارق عنها إلى واسط مريضاً، فأقام السلطان محمد ببغداد إلى سابع عشر المحرم من هذه السنة، و سار عنها هو و أخوه السلطان «١» سنجر عائدين إلى بلادهما [١]، و سنجر يقصد خراسان «٢»، و السلطان محمد يقصد همذان.

فلما سار محمد عن بغداد وصلت الأخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط «٣» و سمع منه في حق الخليفة ما يقبح نقله، فأرسل الخليفة و أعاد السلطان محمداً إلى بغداد، و ذكر له ما نقل إليه، و عزم على الحركة مع محمد إلى قتال بركيارق، فقال السلطان محمد: لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين، فإني أقوم في هذا القيام المرضي. و سار عائداً، و رتب ببغداد أبا المعالي المفضل ابن عبد الرزاق في جباية الأموال و إيلغازي «٤» شحنة.

و كان لمّا دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان، فنهبوا البلاد و خزّبوها، فأخذهم السلطان محمد معه، و جدّ السير إلى رودراور.

و أمّا السلطان بركيارق فقد تقدّم سنة أربع و تسعين [و أربعمائه] أنه سار من بغداد عند وصول محمد إليها قاصداً إلى واسط، فلما سمع عسكر واسط

[١] بلادهم.

(١) p. c. mo

(٢) بلاده بخراسان. a. b.

(٣) b. a. mo

(٤) b. mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٠

بقربة منهم، خافوا منه، و أخذوا نساءهم، و أولادهم، و أموالهم، و جمعوا السفن جميعها، و انحدروا إلى الزبيديّة، فأقاموا هناك. و وصل السلطان، و هو شديد المرض، يحمل في محفة، و قد هلك من دوابّ عسكره و متاعهم الكثير، فإنهم كانوا يجدون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمد، أو الأمير صدقة، صاحب الحلة، فكانوا كلّما جازوا قنطرة هدموها، ليمتنع من يجتاز بها من أتباعهم. و لما وصلوا إلى واسط عوفي بركيارق، و لم يكن له و لأصحابه همّة غير العبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي، فلم يجد «١» هناك سفينة، و كان الزمان شاتياً، شديد البرد، و الماء زائداً [١]، و كان أهل البلد قد خافوهم، فلزموا الجامع و بيوتهم، فخلت الطرق و الأسواق من مجتاز فيها، فخرج القاضي أبو علي الفارقي إلى العسكر، و اجتمع بالأمير أياز، و الوزير، و استعطفهما للخلق، و طلب إنفاذ «٢» شحنة لتطمئن القلوب، فأجابوه إلى ملتسمه، و قالوا له:

نريد أن تجمع لنا من يعبر دوابنا في الماء، و نسبح «٣» معها، فجمع لهم من شباب واسط، و أعطاهم الأجرة الوافرة، فعبروا دوابهم من الخيل و البغال و الجمال، و كان الأمير أياز بنفسه يسوق الدواب، و يفعل ما يفعله الغلمان، و لم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد، فعبروا أموالهم و رحالهم «٤» فيها. فلما صاروا في الجانب الشرقي اطمأنوا، و نهب العسكر البلد، فرجع القاضي و جدّد الخطاب في الكف عنهم، فأجيب إلى ذلك، فأرسل معه من يمنع من النهب.

[١] زائد.

(١) يجدوا. a.

(٢) p. c. mo.

(٣) و يسبح. a. b.

(٤) و رجالهم. p. C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣١

ثم إنَّ عسكر واسط أرسلوا إلى السلطان بركيارق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمنهم، فحضر أكثرهم عنده، و ساروا معه إلى بلاد بني برسق، فحضروا أيضا عنده و خدموه، و اجتمعت العساكر عليه.

و بلغه مسير أخيه محمّد عن بغداد، فسار يتبعه على نهاوند، فأدركه بروذراور، و كان العسكران متقاربين في العدة، كلّ واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك، فتصافوا، أوّل يوم، جميع النهار، و لم يجز بينهم قتال لشدة البرد، و عادوا في اليوم الثاني، ثم توافقوا كذلك، ثم كان الرجل يخرج من أحد الصّفين فيخرج إليه من يقاتله، فإذا تقاربا اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، و سلّم عليه، و يعود عنه.

ثم خرج الأمير بلدجي «١» و غيره من عسكر محمّد إلى الأمير أياز و الوزير الأعزّ، فاجتمعوا، و اتّفقوا على الصلح، لما قد عمّ الناس من الضرر، و الملل، و الوهن، فاستقرّت القاعدة أن يكون بركيارق السلطان، و محمّد الملك، و يضرب له ثلاث نوب، و يكون له من البلاد جزرة و أعمالها، و أذربيجان، و ديار بكر، و الجزيرة، و الموصل، و أن يمده السلطان بركيارق بالعساكر، حتّى يفتح ما يمتنع عليه منها، و حلف كلّ واحد منهما لصاحبه، و انصرف الفريقان من المصافّ رابع ربيع الأوّل، و سار بركيارق إلى مرج قراتكين قاصدا ساوة، و السلطان محمّد إلى أسداباذ، و تفرّق العسكران و قصد كلّ أمير أقطاعه.

(١) بلداجي. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٢

ذكر الحرب بين السلطان بركيارق و محمّد و انفساخ الصلح بينهما

في هذه السنة، في جمادى الأولى «١»، كان المصافّ الرابع بين السلطان بركيارق و أخيه محمّد. و كان سببه أن السلطان محمّدا سار من روذراور «٢»، من الوقعة المذكورة، إلى أسداباذ، و منها إلى قزوين، و نسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه، و التقاعد به، فوضع رئيس قزوين أن يتوسّل إليه بأولئك الأمراء ليحضر «٣» دعوته، فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان، فحضر دعوته، بعد أن امتنع، و وصّى خواصّه بحمل السلاح تحت أقيبتهم، و حضر الدعوة و معه الأمير أيتكين، و بسمل «٤»، فقتل الأمير بسمل «٥»، و هو من أكابر الأمراء «٦»، و كحل الأمير أيتكين.

و كان الأمير يتّال بن أنوشتكين الحساميّ قد فارق بركيارق، و أقام مجاهدا للباطنيّة الذين في القلاع و الجبال، فقصد الآن السلطان محمّدا، و سار معه إلى الرّيّ يضرب التوب الخمس، و اجتمعت إليه العساكر، و أقام ثمانية أيام، و وافاه أخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع، و وقع بينهما المصافّ عند الرّيّ، و كانت عدّة العسكرين متقاربة كلّ عسكر منهما عشرة آلاف فارس، فلما اصطفوا حمل الأمير سرخاب بن كيخسرو الديلميّ، صاحب أبة «٧»، على الأمير يتّال، فهزمه، و تبعه في الهزيمة جميع عسكر محمّد، و تفرّقوا،

(١) أيضا. a. b. dda.

(٢) رودوار. a. b.

(٣) ليحضرُوا. a. b.

(٤-٥) بسمك. a.

(٦) a. mo.

(٧) أو. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٣

و مضى معظمهم نحو طبرستان، و لم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبيرا. و مضى قطعة من المنهزمين نحو قزوین، و نهبت خزائن محمّد، و مضى في نفر يسير إلى أصفهان، و حمل هو علمه بيده لیتبعه أصحابه، و سار في طلبه الأمير البكي بن برسق «١»، و الأمير أياز إلى قم، و تتبع السلطان بركيارق أصحاب أخيه محمّد، و أخذ أموالهم.

ذكر حصار السلطان محمّد بأصفهان

لما انهزم السلطان محمّد من الوقعة التي ذكرناها بالرّي، مضى إلى أصفهان في سبعين فارسا، و البلد في حكمه، و فيه نائبة، و معه من الأمراء الأمير يئال، و غيره من الأمراء «٢»، و دخل المدينة في ربيع الأول، و أمر بتجديد ما تشعث من السور، و هذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع و عشرين و أربعمائه، عند خوفه من طغرلبك، و أمر محمّد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه، و سلّم إلى كلّ أمير بابا، و كان معه في البلد ألف و مائة فارس و خمس مائة راجل، و نصب المجانيق. و لما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمّد إلى أصفهان سار يتبعه، فوصلها «٣» في جمادى الأولى، و عساكره كثيرة، تزيد على خمسة عشر ألف فارس، و معها مائة ألف من الحواشي، و أقام يحاصر البلد، و ضيق عليه. و كان السلطان محمّد يدور كلّ ليلة على سور البلد ثلاث دفعات، فلما زاد

(١) برشق. a.

(٢) mo. b.

(٣) فوصل إليها. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٤

الأمر في الحصار، أخرج الضعفاء و الفقراء من البلد، حتى خلت المحال، و عدت الأقوات، و أكل الناس الخيل، و الجمال، و غير ذلك، و قلت الأموال، فاضطرّ السلطان محمّد إلى أن يستقرض من أعيان البلد، فأخذ مالا عظيما، ثم عاود الجند الطلب، فقسط على أهل البلد شيئا آخر، و أخذه منهم بالشدة و العنف، فلم تزل الأسعار تغلو، حتى بلغ عشرة أمان [١] من الحنطة بدينار، و أربعة أرتال لحما بدينار، و كلّ مائة رطل تبنا بأربعة دنانير، و رخصت الأمتعة و هانت لعدم الطالب.

و كانت الأسعار، في عسكر بركيارق، رخيصة، فبقى الحصار على البلد إلى عاشر ذي الحجة، فلما رأى السلطان محمّد أنه لا قدرة له على الدفع عن البلد، و كلما جاء أمره يضعف، قوى عزمه «١» على مفارقتة و قصد جهة أخرى، يجمع فيها العساكر، و يعود يدفع الخصم عن الحصار، فسار عن البلد في مائة و خمسين فارسا، و معه الأمير يئال، و استخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقى العسكر، فلما فارق العسكر و البلد لم يكن في دوابهم ما يدوم على السير «٢»، لقلّة [٢] العلف في الحصار، فنزل على سته فراسخ. فلما سمع بركيارق بمسيره سيّر وراءه الأمير أياز في عسكر كثير، و أمره بالجد في السير في طلبه، فقيل: إن محمّدا سبقهم، فلم

يدركوه، فرجعوا، وقيل: بل أدركوه، فأرسل إلى الأمير أياز يقول: أنت تعلم أنّنى «٣» لى فى رقيتك عهد و أيمان ما نقضت، و لم يكن منى إليك ما تبالغ فى أذى. فعاد عنه، و أرسل له خيلا، و أخذ علمه، و الجتر، و ثلاثة أحمال دنانير،

[١] أمانة.

[٢] لعله.

(١) أمره. C. p.

(٢) يدفع. C. p.

(٣) أن. b. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٥

و عاد إلى بركيارق، فدخل إليه، و أعلام أخيه السلطان محمّد منكوسه، فأنكر بركيارق ذلك، و قال: إن كان قد أساء، فلا ينبغى أن يعتمد معه هذا، فأخبره الخبر «١»، فاستحسن ذلك منه.

فلما فارق محمّد أصبهان اجتمع من المفسدين، و السواديين، و من يريد النهب، ما يزيد على مائة ألف نفس، و زحفوا إلى البلد بالسلايم، و الدبابات، و طمّوا الخندق بالتبن، و التصقوا بالسور، و صعد الناس فى السلايم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد [أن] يحمى حريمه و ماله، فعادوا خائنين، فحينئذ أشار الأمراء على بركيارق بالرحيل، فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة، و استخلف على البلد القديم، الذى يقال له شهرستان، ترشك الصوابى فى ألف فارس مع ابنه ملك شاه، و سار إلى همذان، و كان هذا من أعجب ما سطر أن سلطانا محصورا قد تقطعت موائده، و هو يخطب له فى أكثر البلاد، ثم يخلص من الحصر الشديد، و ينجو من العساكر الكثيرة التى كلّها قد شرع إليه رمحه، و فوق إليه سهمه.

ذكر قتل الوزير الأعزّ و وزارة الخطير أبى منصور

فى هذه السنة، ثانى عشر صفر، قتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن عبد الجليل ابن محمّد الدهستانى، وزير السلطان بركيارق على أصبهان، و كان مع بركيارق محاصرا لها، فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان، فجاء شابّ أشقر، قيل: إنّه كان من غلمان أبى سعيد الحداد، و كان الوزير قتله فى العام الماضى، فانتهاز الفرصة فيه، و قيل: كان باطنيا، فجرحه عدة جراحات، فتفرّق أصحابه عنه، ثم عادوا إليه، فجرح أقربهم منه جراحات «٢» أثختته، و عاد إلى

a(١)

b. a. mo(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٦

الوزير فتركه بآخر رمق.

و كان كريما، واسع الصدر، حسن الخلق، كثير العمارة، و نفر الناس منه لأنه دخل فى الوزارة، و قد تغيّرت القوانين، و لم يبق دخل و لا مال، ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه.

و كان حسن المعاملة مع التجار، فاستغنى به خلق كثير، فكانوا يسألونه ليعاملهم، فلما قتل ضاع منهم مال كثير.

حكى أن بعض التجار باعه متاعا بألف دينار، فقال له: خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا، كلّ كرا بعشرين دينارا، فامتنع التاجر من

أخذها، وقال: لا أريد غير الدنانير. فلما كان من الغد دخل إليه التاجر، فقال له: يهنئك، يا فلان! فقال: وما هو؟ قال: خير حنطتك، فقال: ما لي حنطة، ولا أريدها، قال: بلى، وقد بيعت كلّ كَرّ بخمسين ديناراً، فقال: أنا لم أتقبل بها! فقال الوزير: ما كنت لأفسخ عقداً عقده. قال: فخرجت، وأخذت ثمن الحنطة ألفين وخمسمائة دينار، وأضفت إليها مثلها وعاملته، فقتل فضاع الجميع.

وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء، واختصّ به إنسان كيميائي، فكان يعده الشهر بعد الشهر، والحوال بعد الحوال، وقال له بعض أصحابه، وقد أحاله عليه بكرّ حنطة، فاستزاده: لو كان صادقاً في عمله، لما كان يستزيد من القدر القليل، وقتل ولم يصحّ له منه «١» شيء.

ولما قتل الأعزّ أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو منصور الميبدّي الذي كان وزير السلطان محمّد. وكان سبب فراقه لوزاره محمّد أنّه كان معه بأصبهان، و بركيارق يحاصره،

(١) a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٧

وقد سلم إليه محمّد بابا من أبوابها ليحفظها، فقال له الأمير ينال بن أنوشكين: كنت قد كلّفنا «١»، ونحن بالرّي، لنقصد همدان، وقلت: أنا أقيم بالعسكر من مالي، وأحصل لهم ما يقوم بهم، ولا بدّ من ذلك. فقال له الخطير: أنا أفعل ذلك. فلما كان الليل فارق البلد، وخرج من الباب الذي كان مسلماً إليه، وقصد بلده ميبد، وأقام بقلعتها متحصناً، فأرسل إليه السلطان بركيارق وحصره، فنزل منها مستأمناً، فحمل على بغل ياكاف إلى العسكر، فوصله في طريقه قتل الوزير الأعزّ، وكتاب السلطان له بالأمان، وطيب قلبه، فلما وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزه.

حادثة يعتبر بها

في سنة ثلاث وتسعين [أو أربعمائة] بيع رحل بنى جهير و دورهم بباب العامّة، و وصل ثمن ذلك إلى مؤيد الملك، ثم قتل في سنة أربع وتسعين مؤيد الملك، و بيع ماله و بركه، و أخذ الجميع و حمل إلى الوزير الأعزّ، و قتل الوزير الأعزّ، هذه السنة، و بيع رحله، و اقتسمت أمواله، و أخذ السلطان و من ولى بعده أكثرها، و تفرقت أيدي سبا، و هذا عاقبة خدمة الملوك.

ذكر الفتنة بين إيلغازي و عامّة بغداد

في هذه السنة، في رجب، كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير إيلغازي ابن أرتق، شحنة بغداد، و بين عامتها.

(١) كاتبتنا a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٨

و سببها أن إيلغازي كان بطريق خراسان، فعاد إلى بغداد. فلما وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة، فنادوا ملاحاً ليعبر بهم، فتأخّر، فرماه أحدهم بنشابة، فوقع في مشعرة فمات، فأخذ العامّة القاتل، و قصدوا باب التّوبى، فلقبهم ولد إيلغازي مع جماعة، فاستنقذوه، و رجمهم العامّة بسوق الثلاثاء، فمضى إلى أبيه مستغيثاً، فأخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع إيلغازي ذلك، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاحين، المعروفه بمربعة القطّانين، و يتبعهم خلق كثير، فنهبوا ما وجدوا و قدروا عليه، فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم.

و نزل من سلم في السفن ليعبروا دجلة، فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم في الماء و تركوهم فغرقوا، فكان الغريق أكثر من القتل، و جمع إيلغازي التركمان، و أراد نهب الجانب الغربي، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة، و الكيا الهراس، المدرس بالنظامية، فمنعاه من ذلك، فامتنع.

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط و عوده عنها

في هذه السنة، في العشرين من شوال، قصد الأمير إسماعيل، صاحب البصرة، مدينة واسط للاستيلاء عليها. و نحن نبتدئ بذكر إسماعيل، و تنقل الأحوال به إلى أن ملك البصرة، و هو إسماعيل بن سلانجق، و كان إليه في أيام ملك شاه شحنكية الرى، و لما وليها كان أهل الرى و الرستاقية قد أعيوا من وليهم، و عجز الولاة عنهم، فسلك معهم طريقا أصلحهم بها، و قتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها، و أرسل من شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاود و شكلا للدواب، ثم عزل عنها. ثم إن السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمير قماج، فأرسل إليها هذا الأمير الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٣٩

إسماعيل نائبا عنه، فلما فارق قماج بركيارق، و انتقل إلى خراسان، حدثته نفسه بالتغلب على البصرة، و الاستبداد، فانحدر مهذب الدولة بن أبى الجبر «١» من البطيحة إليه ليحاربه، و معه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي، صاحب الجزيرة الدبسية، فأقبلا في جمع كثير من السفن و الخيل، و وصلوا إلى مطارا.

فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التى بناها ينال بمطارا، و جددها إسماعيل و أحكمها، أتاه سهم غرب فقتله، فعاد ابن أبى الجبر إلى البطيحة، و أخذ إسماعيل سفنه، و ذلك سنة إحدى و تسعين [و أربعمائة]، فاستمد ابن أبى الجبر كوهرائين، فأمدّه بأبى الحسن الهروى، و عباس بن أبى الجبر، فلقياه، فكسرهما و أسرهما، و أطلق عباسا على مال أرسله أبوه، و اصطلحا. و أما الهروى فبقى فى حبسه مدة، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار، فلم يصح له منها شىء.

و قوى حال إسماعيل، فبنى [١] قلعة بالأبله، و قلعة بالشاطى مقابل مطارا، و صار مخوف الجانب و أمن البصريون به، و أسقط شيئا من المكوس، و اتسعت إمارته باشتغال السلاطين، و ملك المشان، و استضافها إلى ما بيده. فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه، فقوى طمعه فى واسط، فأصعد فى السفن إلى نهرايان «٢»، و راسلهم فى التسليم، فامتنعوا من ذلك، و قالوا: راسلناك، و قد رأينا غير ذلك الرأى. فأصعد إلى الجانب الشرقى، فخيم تحت النخيل، و سفنه بين يديه، و خيم جند واسط حذاءه،

[١] فبنا.

(١) a. euqibuatl .penis .الخير.

(٢) نهراجان. a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٠

و راسلهم، و وعدهم، و هم لا يجيبونه «١».

و اتفقت العامة مع الجند، و شتموه أقبح شتم، فلما أيس منهم عاد إلى البصرة، و ساروا بإزائه من الجانب الآخر، فوصل إلى العمر، و عبر طائفه من أصحابه فوق البلد، و هو يظن أن البلد خال [١]، و أن الناس قد خرجوا منه، لما رأى كثرة من بإزائه، فيوقع الحريق فى البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم، فكان ظنه خائبا لأن العامة كانوا على دجلة، أولهم فى البلد، و آخرهم مع الأتراك بإزائه

(٢).

فلما عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم، و معهم العامة، فقتلوا منهم ثلاثين رجلا، و أسروا خلقا كثيرا، و ألقى الباقون أنفسهم فى الماء، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنّها، و صار «٣» أعيان أصحابه مأسورين، و عاد إلى البصرة، و كان عوده من سعادته، فإنه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمّد بن مضر بن محمود «٤» البصرة ذلك الوقت «٥»، و له أعمال واسعة، منها: نصف عمان، و جنّاب، و سيراف، و جزيرة بنى نفيس.

و كان سبب قصده إيّاها أنه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يعرف بجعفر ك، و آخر اسمه زنجويه، و الثالث بأبى الفضل الأبلّجى، فأطمعوه فى أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة فى البحر إلى أبى سعد هذا و غيره، فعمل تيفا و عشرين قطعة، فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه فى نحو خمسين قطعة، فأتوا إلى دجلة البصرة، و ذلك فى السنة الخالية، فأقاموا

[١] خاليا.

(١) لعله يخشونه. gramni. ata. يحسرونه. a. b.

(٢) فتوقع الحريق فى البلد. dda. b. te. a.

(٣) و عاد. b. a.

(٤) محمويه. p. c.

(٥) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤١

بها محاربين «١»، و ظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل، و قتلوا صاحب قلعة الأبلّجى، و كاتبوا بنى برسق «٢» بخوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكريا ليساعدوهم على أخذ البصرة، فتمادى الجواب، و ركن الطائفتان إلى الصلح، على أن يسلم إليهم إسماعيل جعفر ك و رفيقه، و يقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة.

فلما رجعوا لم يفعل شيئا من ذلك، و أخذ مركبين لقوم من أصحاب أبى سعد، فحملة ذلك على أن سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة و صغيرة، و وصل إلى فوهة نهر الأبلّجى.

و خرج عسكري إسماعيل فى عدّة مراكب، و وقع القتال بينهم، و كان البحرّيون فى نحو عشرة آلاف، و إسماعيل فى سبعمائة، و أصعد البحرّيون فى دجلة، فأحرقوا عدّة مواضع، و تفرّق عسكري إسماعيل، فبعضه بالأبلّجى، و بعضه بنهر الدير، و بعضه فى مواضع آخر. فلما ضعف إسماعيل عن مقاومة أبى سعد طلب من وكيل «٣» الخليفة، على ما يتعلّق بديوانه من البلاد، أن يسعى فى الصلح، فأرسل إليه فى ذلك، فأعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به إسماعيل مرّة بعد أخرى، و تكرّرت الرسائل بينهم، فأجاب إلى الصّلح، فاصطلحا، و اجتمعا، و عاد أبو سعد إلى بلاده، و حمل كلّ واحد منهما لصاحبه هديّة جميلة.

ذكر وفاة كربوقا و ملك موسى التركمانى الموصل و جكر مش بعده و ملك سقمان الحصن

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، توفى قوام الدولة كربوقا، عند مدينة حوى، و كان السلطان بركيارق قد أرسله فى العام الماضى إلى أذربيجان، كما

(١) غارين. b. غارتين. a.

(٢) برشق. a.

(٣) ديوان. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٢

ذكرناه، فاستولى على أكثرها، وأتى إلى خوي، فمرض بها ثلاثة عشر يوماً، و كان معه أصهبذ صباوة بن خمارتكين، و سنقرجه، فوصى إلى سنقرجه، و أمر الأتراك بطاعته، و أخذ له على عسكره العهد، و مات على أربعة فراسخ من خوي، و لف في زليته لعدم ما يكفن فيه و دفن بخوي.

و سار سنقرجه و أكثر العسكر إلى الموصل، فتسلمها، فأقام بها ثلاثة أيام، و كان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى، و هو يحصن كيفاً ينوب عن كربوقا فيها، و سأله أن يبادر إليهم ليسلموا إليه البلد، فسار مجدداً، فسمع سنقرجه بوصوله، فظن أنه جاء إليه خدمة له، فخرج ليستقبله في أهل البلد، فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه، و اعتنقا، و بكيا على قوام الدولة، فتسايرا «١».

فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه: أنا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا المخدّة، و المنصب، و الأموال، و الولايات لكم و بحكمكم.

فقال موسى: من نحن حتى يكون لنا مناصب و دسوت؟ الأمر فى هذا إلى السلطان يرتب فيه من يريد، و يولى من يختار. و جرى بينهما محاورات، ف جذب سنقرجه سيفه و ضربه صفحا على رأسه فجرحه، فألقى موسى نفسه إلى الأرض، و جذب سنقرجه فألقاه إلى الأرض، و كان مع موسى ولد منصور بن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر، ف جذب سكيناً و ضرب بها رأس سنقرجه فأبانه، و دخل موسى البلد، و خلع على أصحاب سنقرجه، و طيب نفوسهم فصارت الولاية له. و لما سمع شمس الدولة جكرمش، صاحب جزيرة ابن عمر، الخبر

(١) mo. c. p.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٣

قصد نصيبين و تسلمها، و سار موسى قاصداً إلى الجزيرة، فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره، و صاروا مع جكرمش، فعاد موسى إلى الموصل، و قصده جكرمش، و حصره مدة طويلة، فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أرتق، و هو يومئذ بديار بكر، و أعطاه حصن كيفاً و عشرة آلاف دينار، فسار سقمان إليه، فرحل جكرمش عنه.

و خرج موسى لاستقبال سقمان، فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا، و ثب [١] عليه عدّة من الغلمان القوامية، فقتلوه: رماه أحدهم بنشابه فقتله، فعاد أصحابه منهزمين، و دفن على تلّ هناك يعرف الآن بتلّ موسى، و رجع الأمير سقمان إلى الحصن، فملكها و هى بيد أولاده إلى يومنا هذا، سنة «١» عشرين و ستمائة، و صاحبها حينئذ غازى «٢» بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق.

و قصد جكرمش الموصل و حصرها أياماً، ثم تسلمها صلحا، و أحسن الشيرة فيها، و أخذ القوامية الذين قتلوا موسى، فقتلهم و استولى بعد ذلك على الخابور، و ملك العرب و الأكراد، فأطاعوه.

ذكر حال صنجيل الفرنجى و ما كان منه فى حصار طرابلس

كان صنجيل الفرنجى، لعنه الله، قد لقي قلع أرسلان بن سليمان بن قلمش، صاحب قونية، و كان صنجيل فى مائة ألف مقاتل، و كان قلع أرسلان

[١] فوثب.

(١) خمس و. a. b. dda.

(٢) محمود etna بن. a. b. dda، محمود بن محمد. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٤

فى عدد قليل «١»، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج و قتل منهم كثير، و أسر كثير، و عاد قلعج أرسلان بالغنائم، و الظفر الذى لم يحسبه. و مضى صنجيل مهزوما فى ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر الملك «٢» ابن عمّار، صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخر «٣»، خليفة جناح الدولة على حمص، فإلى الملك دقاق بن تتش، يقول: من الصواب أن يعاجل صنجيل إذ «٤» هو فى هذه العدة القريبة، فخرج الأمير ياخر «٥» بنفسه، و سير دقاق ألفى مقاتل، و أتتهم الأمداد «٦» من طرابلس، فاجتمعوا على باب طرابلس، و صافوا صنجيل هناك، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، و مائة إلى عسكر دمشق، و خمسين إلى عسكر حمص، و بقى هو فى خمسين. فأما عسكر حمص فإتهم انكسروا عند المشاهدة، و ولوا منهزمين، و تبعهم عسكر دمشق.

و أما أهل طرابلس فإتهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلما شاهد ذلك صنجيل حمل فى المائتين الباقيتين، فكسروا أهل طرابلس، و قتلوا منهم سبعة آلاف رجل، و نازل صنجيل طرابلس و حصرها. و أتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، و كذلك أهل السواد، و أكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشد قتال، فقتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنه هادنهم على مال و خيل، فرحل عنهم إلى مدينة أنطرسوس، و هى من أعمال طرابلس، فحصرها، و فتحها، و قتل من بها من المسلمين، و رحل إلى حصن الطوبان «٧»، و هو يقارب رفته، و مقدّمه يقال له ابن العريض، فقاتلهم، فنصر عليه أهل الحصن، و أسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه، فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار و ألف أسير، فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك.

(١) tsemutpircsrequs تقريب. p. c. ni، يسير. a. b.

(٢) الدولة. a. b.

(٣-٥) باجر. p. c.

(٤) ان. a. b.

(٦) الأمراء. a. b.

(٧) المطوبان. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٥

ذكر ما فعله الفرنج

فى هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجى، صاحب أنطاكية، و كان قد أسره، و قد تقدّم ذكر ذلك، و أخذ منه مائة ألف دينار، و شرط عليه إطلاق ابنة باغى «١» سيان الذى كان صاحب أنطاكية، و كانت فى أسره.

و لما خلاص بيمند من أسره عاد إلى أنطاكية، فقويت نفوس أهلها به، و لم يستقرّ حتى أرسل إلى أهل العواصم و قنّسرين و ما جاورها يطالبهم بالإتاوة، فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التى بناها الدانشمند.

و فيها سار صنجيل إلى حصن الأكراد فحصره، فجمع جناح الدولة عسكره ليسيير إليه و يحسبه، فقتله باطنى بالمسجد الجامع، فقيل: إن الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله، فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد، و نازلها، و حصر أهلها، و ملك أعمالها.

و نزل القمّص على عكّة فى جمادى الآخرة، و ضيق عليها، و كاد يأخذها، و نصب عليها المنجنيقات و الأبراج، و كان له فى البحر ستّ عشرة قطعة، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل، و أتوا إلى منجنيقاتهم، و أبراجهم «٢»، فأحرقوها، و أحرقوا سفنهم أيضا، و كان ذلك نصرا عجيبا أذلّ الله به الكفار.

و فيها صار القمّص الفرنجى، صاحب الزها، إلى بيروت من ساحل الشام، و حصرها و ضايقها، و أطال المقام عليها، فلم ير فيها طمعا فرحل عنها.

و فيها، فى رجب، خرجت عساكر مصر إلى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية، فسمع بهم بردويل، صاحب القدس،

(١) باغى. C. p.

(٢) و ابراجتهم. a. b. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٦

فسار إليهم فى سبعمائة فارس، و قاتلهم، فنصر الله المسلمين، و انهزم الفرنج، و كثر القتل فيهم، و انهزم بردويل، فاخفى فى أجمه قصب، فأحرق تلك الأجمه، و لحقت النار بعض جسده «١»، و نجا منها إلى الزملة، فتبعه المسلمون، و أحاطوا به فتكر «٢»، و خرج منها إلى يافا، و كثر القتل و الأسر فى أصحابه.

ذكر عود قلعة خفتيدكان «٣» إلى سرخاب بن بدر

فى هذه السنة عادت قلعة خفتيدكان «٤» إلى الأمير سرخاب بن بدر بن مهلهل.

و كان سبب أخذها منه أن القرابلى، و هو من قبيل من «٥» التركمان يقال لهم سلغر، كان قد أتى إلى بلد سرخاب، فمنعه من المراعى، و قتل جماعة من أصحابه، فمضى قرابلى إلى التركمان، و استجاش بهم، و جاء فى عسكر كثير، فلقبه سرخاب و قاتله، فقتل قرابلى من أصحابه الأكراد قريبا من ألفى رجل، و انهزم سرخاب إلى بعض جباله فى عشرين رجلا.

فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيدكان ذلك، و كانا رجلين حدّتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها، و كان بها ذخائره، و أمواله، و قدرها يزيد على ألفى ألف دينار، فتملكاها، و اجتاز بها السلطان بركيارق، فأنفذ إليه مائتى ألف دينار، و استولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر، سوى دقوقا و شهرزور، فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر، و أرسل

(١) جنده. b.

(٢) فسار. a. b.

(٣) حقييدكان. b، حقييدكان. a.

(٤) anisitcnupenis.

(٥) a. b. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٧

إلى سرخاب يطلب منه الأمان ليسلم إليه القلعة، فأمنه على نفسه، و على ما حصل بيده من أموالها، فسلمها إليه و وفى [١] له.

ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد إلى بغداد و عوده «١» إلى خراسان، فلما وصل إلى نيسابور خطب لأخيه محمد بخراسان جميعها، ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر، صاحب سمرقند، في خراسان لبعده عنها، و جمع عساكر تملأ الأرض، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون و كفار، و قصد بلاد سنجر.

و كان أمير من أمراء سنجر، اسمه كندغدي، قد كاتب قدرخان بالأخبار، و أعلمه مرض سنجر، بعد عوده إلى بلاده، و أنه قد أشفى على الهلاك، و قوَى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق و محمد، و بشدة [٢] عداوة بركيارق لسنجر، و أشار عليه بالسرعة مهما «٢» الاختلاف واقع، و أنه متى أسرع ملك خراسان و العراق. فبادر قدرخان و أقدم، و قصد البلاد، فبلغ السلطان «٣» سنجر الخبر، و كان قد عوفى، فبادر و سار نحوه قاصدا قتاله و منعه عن البلاد، و كان من جملة من معه كندغدي «٤» المذكور، و هو لا يتهمه بشيء مما فعل، فوصل إلى بلخ في ستة آلاف فارس، فبقى بينه و بين قدرخان

[١] و وفا.

[٢] و لشدّة.

(١) و عود سنجر. a. b.

(٢) فادام. b.

(٣) p. c. mo.

(٤) كون طوغدي. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٨

نحو خمسة أيام، فهرب كندغدي إلى قدرخان، و حلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق و المناصحة، و سار من عنده إلى ترمذ، فملكها. و كان الباعث لكندغدي على ما فعل حسده للأمير «١» بزغش على منزلته.

ثم تقدّم قدرخان، فلما تدانى «٢» [١] العسكران أرسل سنجر يذكّر قدرخان اليهود و الموثيق القديمة، فلم يصغ إلى قوله، و أذكى سنجر العيون و الجواسيس على قدرخان، فكان لا يخفى عنه شيء من خبره، فأتاه من أخبره أنه نزل بالقرب من بلخ، و أنه خرج متصيّدا في ثلاثمائة فارس، فندب سنجر، عند ذلك، الأمير بزغش لقصده، فسار إليه، فلحقه و هو على تلك الحال، فقاتله، فلم يصبر من مع قدرخان، فانهزموا، و أسر كندغدي و قدرخان، و أحضرهما عند سنجر، فأما قدرخان فإنه قبل الأرض و اعتذر، فقال له سنجر: إن خدمتنا، أو لم تخدمنا، فما جزاؤك إلّا السيف، ثم أمر به فقتل.

فلما سمع كندغدي الخبر نجا بنفسه، و نزل في قنّاء، و مشى فيها فرسخين تحت الأرض، على ما به من النقرس، و قتل فيها حيتين عظيمتين، و سبق أصحابه إلى مخرجها، و سار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنه. و قيل: بل جمع سنجر عساكر كثيرة، و التقى هو و قدرخان، و جرى بينهما مصاف، و قتال عظيم، أكثر فيه القتل فيهم، فانهزم قدرخان «٣» و عسكره، و حمل أسيرا إلى سنجر، فقتله، و حصر ترمذ، و بها كندغدي، فطلب الأمان، فأمنه سنجر، و نزل إليه، و سلّم ترمذ، فأمره سنجر بمفارقة بلاده، فسار إلى غزنه، فلما وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة، و حلّ عنده المحلّ الكبير.

[١] تدانى.

(١) الأمير. a. b.

(٢) تراءى. a. b.

(٣) mo. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٤٩

و اتفق أن صاحب غزنه عزم على قصد أوتان «١»، وهي جبال منيعه، على أربعين فرسخا من غزنه، و قد عصى عليه فيها قوم، و تحصينوا بمعقلها، و و عور مسالكها، فقاتلهم عسكر «٢» علاء الدوله، فلم يظفروا منهم بطائل، فتقدم كندغدى منفردا عنهم، فأبلى بلاء حسنا، و نصر عليهم، و أخذ غنائمهم، و حملها إلى علاء الدوله، فلم يقبل منها شيئا، و قرها عليه، فغضب العسكر، و حسدوه على ذلك، و على قربه من صاحبهم، و نفاقه عليه، فأشاروا بقبضه، و قالوا: إنا لا نأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل في أمر الدوله ما لا يمكن تلافيه. فقال: قد تحققت قصدكم، و لكن بمن أقبض عليه؟ فإني أخاف أن آمركم بالقبض عليه، فينالكم منه ما تفتضحون به. فقالوا: الصواب أن توليه ولاية و يقبض «٣» عليه إذا سار إليها. فولما حصنين جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه، فسار إليهما.

فلما قاربهما عرف ما يراد منه، فأحرق جميع ماله، و نحر جماله، و سار جريده، و كان في مدّه مقامه بغزنه يسأل عن الطرق و تشعبها «٤»، فإنه ندم على قصد تلك الجهه، فلما سار سأل راعيا عن الطريق التي يريد، فدلّه، فأخذه معه خوفا أن يكون قد غره، و لم يزل سائرا إلى أن وصل إلى قريب هراه، فمات هناك، و هو من مماليك تتش «٥» بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملك شاه، و سجنه بتكرت، و قد تقدم ذكر حادثته «٦».

(١) أوبان. a. c. p.

(٢) mo. c. p.

(٣) و تقبض. a.

(٤) و شعبها. a. a.

(٥) تكش. a. b.

(٦) حديثه. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٠

ذكر ملك محمد خان سمرقند

في هذه السنه أحضر السلطان «١» سنجر محمدا أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان، من مرو، و ملكه سمرقند، بعد قتل قدرخان، و كان محمد خان هذا من أولاد الخاتيه بما وراء النهر، و أمه ابنه السلطان ملك شاه، فدفع «٢» عن ملك آباءه، فقصد مرو، و أقام بها إلى الآن.

فلما قتل قدرخان ولما سنجر أعماله، و سير معه العساكر الكثيره، فعبروا النهر، فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها، و عظم شأنه، و كثرت جموعه، إلما أنه انتصب له أمير اسمه هاغوبك، و زاحمه في الملك، فطمع فيه، فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجد بعساكر سنجر، على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى.

ولما ملك محمد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصيه من سنجر، و حقن الدماء، و صار بابه مقصدا، و جنبه ملجأ.

ذكر عدّه حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأول، خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا إلى الحلة السيفية، مستجيرا بسيف الدولة صدقة.

و سبب ذلك أن الوزير الأعزّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب إليه أنه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمد، فسار خائفاً، واعتزل خاله أمين

(١) p. c. mo.

(٢) فرقع. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥١

الدولة الديوان، و جلس في داره، فلما قتل الوزير الأعزّ، على ما ذكرنا، عاد تاج الرؤساء من الحلة إلى بغداد، و عاد خاله إلى منصبه. و في ربيع الأول أيضا ورد العميد المهذب أبو المجد، أخو الوزير الأعزّ، إلى بغداد، نائبا عن أخيه، ظنا منه أن يبلغزي لا يخالفهم، حيث كان بركيارق و محمد قد اتفقا، كما ذكرناه، فقبض عليه يبلغزي، و لم يتغير عن طاعة محمد.

و فيها، في جمادى الأولى، ورد إلى بغداد ابن تكش بن ألب أرسلان، و كان قد استولى على الموصل، فخدعه من كان بها، حتى سار عنها إلى بغداد، فلما وصل إليها زوجته يبلغزي بن أرتق ابنته.

و فيها، في شهر رمضان، استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق، و لقب عضد الدين.

و فيها، في صفر، قتل الربيعون «١» [١] بهيت قاضي البلد أبا علي بن المثنى، و كان ورعا، فقيها، حنفيًا، من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدماغاني، و كان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول «٢» بين القبائل، فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم، فقتله أحدهم، فندم الباقر على قتله و قد فات الأمر.

و فيها بنى [٢] سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين، و سكنها، و إنما كان يسكن هو و آباؤه قبله في البيوت العريية.

[١] الربيعون.

[٢] بنا.

(١) .sitcnupenis. p. c. te. b.

(٢) القبول. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٢

و في جمادى الأولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بنى عقيل، قتله بنو نمير عند هيت قصاصا. و فيها توفى القاضي البندنجي الضريير، الفقيه الشافعي، انتقل إلى مكة، فجاور بها أربعين سنة يدرّس الفقه، و يسمع الحديث، و يشتغل بالعبادة.

و فيها توفى أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري بأصبهان، و كان يدرّس فقه الشافعي «١» بالمدرسة النظامية، و قد جاوز تسعين سنة، و هو من أصحاب أبي إسحاق.

و فيها توفى الأمير منظور بن عمارة الحسيني، أمير المدينة، على ساكنها السلام، و قام ولده مقامه، و هو من ولد المهنا، و قد كان قتل المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن عليّ و العباس، رضى الله عنهما، و كان من أهل قم، فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد أن آمنه، و كان قد هرب منه إلى مكة، فأرسل إليه بأمانه.

(١) p. c. mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٣

٤٩٦ ثم دخلت سنة ست و تسعين و أربعمائئة**ذكر استيلاء يئال على الرّي و أخذها منه و وصوله إلى بغداد**

كانت الخطبة بالرّي للسلطان بركيارق، فلما خرج السلطان محمّد من أصبهان، على ما ذكرناه، و معه يئال بن أنوشتكين الحسامي، استأذنه في قصد الرّي و إقامة الخطبة له بها، فأذن له، فسار هو و أخوه عليّ بن أنوشتكين، فوصلا إليها في صفر، فأطاع من بها من نواب بركيارق، و خطب لمحمّد بالرّي، و استولى «١» يئال على البلد، و عسف أهله، و صادرهم بمائتي ألف دينار، و أقام بها إلى النصف من ربيع الأوّل، فورد إليه الأمير برسق «٢» بن برسق «٣» من عند السلطان بركيارق، فوقع القتال بينهم على باب الرّي، فانهزم يئال و أخوه عليّ.

فأما عليّ فعاد إلى ولايته قزوین، و سلك يئال الجبال، فقتل من أصحابه كثير، و تشتتوا، فأتى «٤» إلى بغداد في سبعمائة رجل، فأكرمه الخليفة، و اجتمع هو و إيلغازي و سقمان ابنا أرتق بمشهد أبي حنيفة، و تحالفوا على مناصحة السلطان محمّد، و ساروا إلى سيف الدولة صدقة، فحلف لهم أيضا على ذلك، و عادوا.

(١) b. mo.

(٢-٣) برشق. a. b.

(٤) فأتوا. ddoc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٤

ذكر ما فعله يئال بالعراق

قد ذكرنا وصول يئال بن أنوشتكين إلى بغداد قبل. فلما استقرّ ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا، و صادرهم، و استطال أصحابه على العامة بالضرب و القتل و التقييط، و صادر العمال.

فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانّي ينهاه عن ذلك، و يقبح عنده ما يرتكبه من الظلم و العدوان، و تردّد أيضا إلى إيلغازي، و كان يئال قد تزوج هذه الأيام بأخته، و هي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش، حتّى توسط الأمر معه، فمضوا إليه «١»، و حلفوه على الطاعة، و ترك ظلم الرعيّة، و كفّ أصحابه، و منعهم، فحلف، و لم يقف على اليمين، و نكث و دام على الظلم و سوء السيرة.

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة، و عرفه ما يفعله يئال من نهب الأموال، و سفك الدماء، و طلب منه أن يحضر بنفسه ليكفّ يئال، فسار من حلته في رمضان، و وصل بغداد رابع شوال، و ضرب خيامه بالنجمي، و اجتمع هو و يئال، و إيلغازي، و نواب ديوان الخليفة، و تقرّرت القواعد على مال يأخذه و يرحل عن العراق، فطلب يئال المهلة، فعاد صدقة عاشر شوال إلى حلته، و ترك ولده دببسا ببغداد ليمنعه من الظلم و التعديّ عمّا استقرّ الأمر عليه، فبقي يئال إلى مستهلّ ذي القعدة، و سار إلى أوانا، فنهب، و قطع الطريق، و عسف الناس، و بالغ في الفعل القبيح، و أقطع القرى لأصحابه، فأرسل الخليفة إلى صدقة في ذلك، فأرسل ألف فارس، و ساروا إليه

و معهم جماعة من أصحاب الخليفة، و إيلغازى، شحنة بغداد، فلما سمع ينال

(١) b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٥

بقربهم منه عبر دجلة، و سار إلى باجسرى «١» و شعثها، و قصد شهرابان، فمنعه أهلها، فقاتلهم، فقتل بينهم قتلى، و رحل عنهم، و سار إلى أذربيجان قاصدا إلى السلطان محمد، و عاد ديبس بن صدقة، و إيلغازى، شحنة بغداد «٢»، إلى مواضعهم.

ذكر وصول كمشتكين القيصرى شحنة إلى بغداد و الفتنة بينه و بين إيلغازى و سقمان و صدقة

فى هذه السنة، منتصف ربيع الأول، ورد كمشتكين القيصرى إلى بغداد، شحنة، أرسله إليها السلطان بركيارق، و قد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من «٣» أصبهان إلى همدان، فلما وصلها أرسل إلى بغداد كمشتكين شحنة، فلما سمع إيلغازى، و هو شحنة ببغداد، للسلطان محمد، أرسل إلى أخيه سقمان ابن أرتق، صاحب حصن كيفا، يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه، و سار إلى سيف الدولة صدقة بالحلة، و اجتمع به، و سأله تجديد عهد فى دفع من يقصده من جهة بركيارق، فأجابه إلى ذلك و حلف له، فعاد إيلغازى.

و ورد سقمان فى عساكر، و نهب فى طريقه تكريت، و سبب تمكنه منها أنه أرسل جماعة من التركمان إلى تكريت، معهم أحمال جين، و سمن، و عسل، فباعوا ما معهم، و أظهروا أن سقمان قد عاد عن الانحدار، فاطمأن أهل البلد، و وثب التركمان، تلك الليلة، على الحراس فقتلوه، و فتحوا الأبواب، و ورد إليها سقمان، و دخلها و نهبها، و لما وصل إلى بغداد نزل بالزملة.

(١) باحسروا. b. ناخسرى. a.

(٢) p. c. mo.

(٣) على. a. dda.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٦

و أما كمشتكين فوصل، أول ربيع الأول، إلى قرميسين، و أرسل إلى من له هوى مع بركيارق، و أعلمهم بقربه منهم، فخرج إليه جماعة منهم، فلقوه بالبندنجين، و أعلموه الأحوال، و أشاروا عليه بالمعاجلة، فأسرع السير، فوصل إلى بغداد منتصف ربيع الأول، ففارق إيلغازى داره، و اجتمع بأخيه سقمان، و أصدعا من الرملة، و نهب بعض قرى دجيل، فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما، ثم عادوا عنهما، و خطب للسلطان بركيارق ببغداد، فأرسل كمشتكين القيصرى إلى سيف الدولة صدقة، و معه حاجب من ديوان الخليفة، فى طاعة بركيارق، فلم يجب إلى ذلك، و كشف القناع ببغداد «١» فى مخالفته، و سار من الحلة إلى جسر صرصر، فخطبت خطبة بركيارق ببغداد، و لم يذكر على منابرها أحد من السلاطين، و اقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير.

و لما وصل سيف الدولة إلى صرصر أرسل إلى إيلغازى و سقمان، و كانا بحربى، يعزفهما أنه قد أتى لنصرتهم، فعادا و نهب دجيلا، و لم يبقيا على قرية كبيرة و لا صغيرة، و أخذت الأموال، و افتضت الأبقار، و نهب العرب و الأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك، إلا أنهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء و الفساد معهن، لكنهم استقصوا فى أخذ الأموال بالضرب و الإحراق «٢»، و بطلت معاش الناس، و غلت الأسعار، فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط، فصار ثلاثة أرطال بقيراط، و جميع الأشياء كذلك.

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة فى الإصلاح، فلم تستقر قاعدة، و عاد إيلغازى و سقمان و معهما ديبس بن سيف الدولة صدقة من دجيل، فخيّموا بالرملة، فقصدهم جماعة كثيرة من العامة، فقاتلوه، فقتل من

(١) p. c. mo.

(٢) و الاخرق. a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٧

العامة أربعة نفر، و أخذ منهم جماعة، فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم، و ازداد الأمر شدة على الناس، فأرسل الخليفة قاضى القضاء أبا الحسن بن الداغاني، و تاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره «١» بالكف عن الأمر الذى هو ملابسه، و يعرّفه ما الناس فيه، و يعظّم الأمر عليه، فأظهر طاعة الخليفة، إن أخرج القيصرى من بغداد، و إلّا فليس غير السيف، و أرعد و أبرق.

فلما عاد الرسول استقرّ الأمر على إخراج القيصرى من بغداد، ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر، و سار إلى النهروان، و عاد سيف الدولة إلى بلده، و أعيدت خطبة السلطان محمّد ببغداد، و سار القيصرى إلى واسط، فخاف الناس منه، و أرادوا الانحدار منها «٢» ليأمنوا، فمنعهم القيصرى، و خطب لبركيارق بواسط، و نهبوا كثيرا من سوادها.

فلما سمع صدقة ذلك سار إلى واسط، فدخلها، و عدل فى أهلها، و كفّ عسكره عن أذاهم، و وصل إليه إيلغازى بواسط، و فارقها القيصرى، و نزل متحصّيا بدجله، فقبل لسيف الدولة: إنّ هناك مخاضة، فسار إليها بعسكره و قد لبسوا السلاح، فلما رأهم عسكر القيصرى تفزقوا عنه، و بقى فى خواص أصحابه، فطلب الأمان من سيف الدولة، فأمنه، فحضر عنده، فأكرمه، و قال له: قد سمت، قال: و تركتنا نسمن؟ أخرجتنا من بغداد، ثم من واسط، و نحن لا نعقل.

ثم بذل صدقة الأمان لجميع عسكر واسط، و من كان مع القيصرى، سوى رجلين، فعادا إليه فأمنهما [١]، و عاد القيصرى إلى بركيارق، و أعيدت خطبة السلطان محمّد بواسط، و خطب بعده لسيف الدولة و إيلغازى، و استتاب كل

[١] فعادوا إليه فأمنهم.

(١) يأمرونه. a. b.

(٢) منه. c. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٨

واحد منهما فيها ولده، و عادا عنها فى العشرين من جمادى الأولى، و أمن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه. فأمر إيلغازى فأمنه أصعد إلى بغداد، و أما سيف الدولة صدقة فأمنه عاد إلى الحلّة، و أرسل ولده الأصغر منصورا مع إيلغازى إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه، فأمنه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة، فوصل إلى بغداد، و خاطب فى ذلك، فأجيب إليه.

ذكر استيلاء صدقة على هيت

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش «١»، أقطعه إياها السلطان ألب أرسلان، و لم تزل معه حتى قتل، فنظر فيها عمدا بغداد إلى أن مات السلطان ملك شاه، ثم أخذها أخوه تتش بن ألب أرسلان. فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهب «٢» بن وهيب، و أقام هو و جماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة، و كانا متصافيين «٣»، و كان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا.

و كان سبب ذلك أنّ صدقة زوج بنتا له من ابن عمه، و كان ثروان قد خطبها، فلم يجبه إلى ذلك، فتحالفت عقيل، و هم فى حلّة سيف الدولة، أن يكونوا يدا واحدة عليه، فأنكر صدقة ذلك، و حجّ ثروان عقيب ذلك و عاد مريضا، فوكلّ به صدقة، و قال: لا بدّ من

هيت، فأرسل ثروان حاجبه، و كتب خطه بتسليم البلد إليه.

(١) فراس.a.

(٢) b. a. mo.

(٣) متضامين.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٥٩

و كان بهيت حينئذ «١» محمّد بن رافع بن رافع «٢» بن ضبيعة بن مالك بن مقلد ابن جعفر، و أرسل صدقة ابنه ديسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم إليه محمّد، فعاد ديس إلى أبيه، فلما أخذ صدقة واسطا، هذه النوبة، أصعد في عسكره إلى هيت، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان، و معه جماعة من أصحابه، فلقوا سيف الدولة، و حاربوه ساعة من النهار. ثم إن جماعة من الرّبعتين «٣» فتحوا لسيف الدولة البلد، فدخله أصحابه، فلما رأى ذلك منصور و من معه سلموا البلد إليه، فملكه يوم نزوله، و خلع على منصور و جماعة من وجوه «٤» أصحابه، و عاد إلى حلتته، و استخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل.

ذكر الحرب بين بركيارق و محمّد

في هذه السنة، ثامن جمادى الآخرة، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركيارق و السلطان محمّد. و كانت كنجة و بلاد أران جميعها للسلطان محمّد، و بها عسكره، و مقدّمهم الأمير غزغلي، فلما طال مقام محمّد بأصبهان محصورا توجه غزغلي و الأمير منصور بن نظام الملك و ابن أخيه محمّد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته، ليراهم بعين الطاعة. و كان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمّد زنجان ممّا يلي أذربيجان، فوصلوا إلى الرّي في العشرين من ذي الحجة سنة خمس و تسعين [و أربعمائة]، ففارقه

(١) b. mo.

(٢) b. mo، نفاع.c.

(٣) الديسين.b. a.

(٤) p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٠

عسكر بركيارق، و دخلوه و أقاموا «١» به ثلاثة أيام.

و وصلهم الخبر بخروج السلطان محمّد من أصبهان، و أنه وصل إلى ساوة، فساروا إليه، و لحقوه بهمدان و معه يتال و عليّ ابنا أنوشتكين الحساميّ، فبلغ عددهم [١] ستّة آلاف فارس، فأقاموا بها إلى أواخر المحرم، فأتاهم الخبر بأن السلطان بركيارق قد أتاهم، فتلّونوا في رأيهم، فسار يتال و عليّ ابنا أنوشتكين إلى الرّي، على ما ذكرناه، و عزم السلطان محمّد على التوجه إلى شروان، فوصل إلى أردبيل، فأرسل إليه الملك «٢» مودود بن إسماعيل بن ياقوتي، صاحب بعض أذربيجان، و كانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتي، و هو خال السلطان بركيارق، و كانت أخته زوجة السلطان محمّد، و هو مطالب السلطان بركيارق بثأر أبيه، و قد تقدّم مقتله أول دولة بركيارق، و قال له: ينبغى أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك، و قتال خصمنا، فسار إليه مجداً، و تصيد في طريقه بين أردبيل و بيلقان، و انفرد عن عسكره، فوثب عليه نمر، و هو غافل، فجرح السلطان محمّد في عضده، فأخذ سكّينا و شقّ بها جوف النمر فألقاه عن فرسه و نجا.

ثم إن مودود بن إسماعيل توفى فى النصف من ربيع الأول، و عمره اثنتان و عشرون [٢] سنة، و لما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد و الملك مودود سار غير متوقف، فوصل بعد موت مودود، و كان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد، و حلفوا له، و فيهم سكران القبطى، و محمد بن باغى سيان «٣»، الذى كان أبوه صاحب أنطاكية، و قزل أرسلان بن السبع الأحمر،

[١] عنهم.

[٢] اثنتين و عشرين.

(١) و دخله عسكر محمد و أقام. a. b.

(٢) الأمير. c. p.

(٣) ياغى سبان. a.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦١

فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس، و دامت إلى العشاء الآخرة. فاتفق أن الأمير أياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين، و حمل بهم، و قد أعيى العسكر من الجهتين، على عسكر السلطان محمد، فكسروهم «١»، و ولوا الأدبار لا يلقى أحد على أحد.

فأما السلطان بركيارق فإنه قصد جبلا بين مراغة و تبريز، كثير العشب و الماء «٢»، فأقام به أياما، و سار إلى زنجان. و أما السلطان محمد فإنه سار مع جماعته من أصحابه إلى أرجيش، من بلاد أرمينية، على أربعين فرسخا من الوقعة، و هى من أعمال خلاط، من جملة أقطاع الأمير سكران القبطى، و سار منها إلى خلاط، و اتصل به الأمير على صاحب أرزن الروم، و توجه إلى آنى، و صاحبها منوهر أخو فضلون الروادى، و منها سار إلى تبريز من أذربيجان «٣». و سذكر باقى أخبارهم سنة سبع و تسعين [و أربعمائة] عند صلحهم إن شاء الله.

و كان الأمير محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة، فمّر منهزما، و دخل ديار بكر، و انحدر منها إلى جزيرة ابن عمر، و سار منها إلى بغداد، و كان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة، فأتصلت الشكاوى منه إلى أبيه، فكتب إلى كوهرائين بالقبض «٤» عليه، فاستجار بدار الخلافة، و توجه سنة اثنتين و تسعين [و أربعمائة] إلى مجد الملك البلاسانى، و والده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد، قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة، و توجه بعد قتل «٥» مجد الملك إلى والده، و قد صار وزير السلطان محمد، و خطب

(١) فهزمهم. b، فهزمهم. a.

(٢) p. c. mo.

(٣) p. c. mo.

(٤) ليقبض. C. C.

(٥) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٢

لمحمد بالسلطنة، و بقى بعد قتل والده، و اتصل بالسلطان محمد، و حضر معه هذه الحرب فانهزم.

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة و نظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة

في هذه السنة، منتصف رجب، قبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي، وزير الخليفة، وحبس في دار بدار الخلافة، و كان أهله قد وردوا عليه من أصبهان، فنقلوا إليه، و كان محبسه جميلا.
و سبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة، فإنه قضى [١] عمره في أعمال السلاطين، و ليس لهم هذه القواعد، و لما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان.

و من عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيام أن سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جهير، و جلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي، فأنشدوا أبياتا ارتجلها:
سديد الملك سدت، و خضت بحرا عميق اللج، فاحفظ فيه روحك
و أحي معالم الخيرات، و اجعل لسان الصدق في الدنيا فتوحك
و في الماضين معتبر، فأسرج مروحك في السلامة، أو جموحك ثم قال سديد الملك: من شرب من مرقه السلطان احترقت شفتاه، و لو

[١] قضا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٣

بعد زمان، ثم أشار إلى الدار و قرأ: وَ سَيَكُنُّم فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ «١»، فقبض على الوزير بعد أيام.

ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة

في هذه السنة، في شعبان، ملك الملك دقاق بن تتش، صاحب دمشق، مدينة الرحبة، و كانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان، فلما قتل كربوقا استولى عليها، فسار دقاق و طغتكين أتاكه إليه، و حصراه بها، ثم رحل عنه.
و توفي قايماز هذه السنة في صفر، و قام مقامه غلام تركي اسمه حسن، فأبعد عنه كثيرا من جنده، و خطب لنفسه، و خاف من دقاق، فاستظهر، و أخذ جماعة من السالارية الذين يخافهم، فقبض عليهم، و قتل جماعة من أعيان البلد، و حبس آخرين و صادرهم. فتوجه دقاق إليه و حصره، فسلم العامة البلد إليه، و اعتصم حسن بالقلعة، فأمنه دقاق، فسلم القلعة إليه، فأقطعه إقطاعا كثيرا بالشام، و قرّر أمر الرحبة، و أحسن إلى أهلها، و جعل فيها من يحفظها، و رحل عنها إلى دمشق.

(١).FOC، ١٤، SV.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٤

ذكر أخبار الفرنج بالشام

كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لأبيه، لقبه سعد الدولة، و يعرف بالطواشي «١»، إلى الشام لحرب الفرنج، فلقبهم بين الرملة و يافا، و مقدم الفرنج يعرف ببغدوين، لعنه الله تعالى، و تصافوا و اقتتلوا، فحملت الفرنج حملة صادقة، فانهمز المسلمون.
و كان المنجمون يقولون لسعد الدولة: إنك تموت مترديا، فكان يحذر من ركوب الخيل، حتى إنه ولى بيروت و أرضها مفروشة بالبلاط، فقلعه خوفا أن يزلق به فرسه، أو يعثر، فلم ينفعه الحذر عند نزول «٢» القدر، فلما كانت هذه الوقعة انهزم، فتردى به فرسه، فسقط ميتا، و ملك الفرنج خيمه و جميع ما للمسلمين.

فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالى فى جمع كثير، فالتقوا هم و الفرنج بيازوز، بقرب الرملة، فانهزم الفرنج، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و عاد من سلم منهم مغلولين، فلما رأى بغدوين شدة الأمر، و خاف القتل و الأسر، ألقى نفسه فى الحشيش و اختفى فيه، فلما أبعده المسلمون خرج منه إلى الرملة.

و سار شرف المعالى بن الأفضل من المعركة، و نزل على قصر بالرملة، و به سبعمائة من أعيان الفرنج، و فيهم بغدوين، فخرج متخفياً إلى يافا، و قاتل ابن الأفضل من بقى خمسة عشر يوماً، ثم أخذهم «٣»، فقتل منهم أربعمائة صبوا، و أسر ثلاثمائة إلى مصر. ثم اختلف أصحابه فى مقصدهم، فقال قوم: نقصد البيت المقدس

(١) بالقواسى .b.

(٢) حلول .b.

(٣) .b. a. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٥

و تملكه، و قال قوم: نقصد يافا و نملكها [١].

فبينما هم فى هذا الاختلاف، إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير فى البحر، قاصدين زيارة البيت المقدس، فندبهم بغدوين للغزو معه، فساروا إلى عسقلان، و بها شرف المعالى، فلم يكن يقوى بحربهم، فلفظ الله تعالى بالمسلمين، فرأى الفرنج البحرية حصانه عسقلان، و خافوا البيات، فرحلوا إلى يافا، و عاد ولد الأفضل إلى أبيه، فسير رجلا يقال له تاج العجم فى البر، و هو «١» من أكبر «٢» مماليك أبيه، و جهز معه أربعة آلاف فارس، و سير فى البحر رجلا يقال له القاضى ابن قادوس، فى الأسطول، فنزل الأسطول على يافا، و نزل تاج العجم على عسقلان، فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتفقا على حرب الفرنج، فقال تاج العجم: ما يمكنى أن أنزل إليك إلّا بأمر الأفضل، و لم يحضر عنده، و لا أعانه، فأرسل القادوسى إلى قاضى عسقلان، و شهودها، و أعيانها، و أخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوماً، و استدعى تاج العجم، فلم يأت، و لا أرسل رجلا، فلما وقف الأفضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم، و أرسل رجلا، لقبه جمال الملك، فأسكنه عسقلان، و جعله متقدّم العساكر الشامية.

و خرجت هذه السنة و بيد الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدس، و فلسطين، ما عدا عسقلان، و لهم أيضا يافا، و أرسوف، و قيسارية، و حيفا، و طبرية، و اللاذقية [٢]، و أنطاكية، و لهم بالجزيرة الرها، و سروج.

و كان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام، و المواد تأتيها، و بها فخر الملك

[١] و نملكه.

[٢] و لاذقية.

(١) .b. mo.

(٢) .b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٦

ابن عمّار، و كان يرسل أصحابه فى المراكب يغيرون على البلاد التى بيد الفرنج، و يقتلون من وجدوا، و قصد بذلك أن يخلو السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، سادس المحرم، توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله، التي كانت زوجة السلطان طغرلبك، و كانت موصوفة بالدين، و كثرة الصدقة، و كان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها، لأنه أبلغ عنها أنها تسعى في إزاله دولته. و فيها، في شعبان أيضا، استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم ابن جهير، و استقدمه من الحلّة من عند سيف الدولة صدقة، و قد ذكرنا في السنة المتقدمة «١» سبب مسيره إليها، فلما قدم إلى بغداد خرج كلّ أرباب الدولة فاستقبلوه، و خلع عليه الخلع التامة، و أجلس «٢» في الديوان و لقب قوام الدين. و فيه «٣» أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندی بالزّي، و كان يعظ الناس، فقتله رجل علويّ حين نزل من كرسيه، و قتل العلويّ و دفن الخجندی بالجامع، و أصل بيت الخجندی من مدينة خجندة، بما وراء النهر، و ينسبون إلى المهلب بن أبي صفرة، و كان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمّد ابن ثابت الخجندی يعظ بمرو، فأعجبه كلامه، و عرف محلّه من الفقه و العلم، فحمّله إلى أصبهان، و صار مدرّسا بمدرسته بها، فنال جاهها عريضا،

(١) .p. c. mo

(٢) و جلس .b. a.

(٣) و فيها .b. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٧

و دنيا واسعة، و كان نظام الملك يتردد إليه و يزوره.

و فيها جمع ساغربك «١»، بما وراء النهر، جموعا كثيرة، و هو من أولاد الخاتية، و قصد محمّد خان الّذي ملكه السلطان سنجر سمرقند، و نازعه في ملكها، فضعف محمّد خان عنه، فأرسل إلى السلطان سنجر يستنجده، فسار إلى سمرقند، فأبعد عنه ساغربك «٢»، و خافه، و احتمي منه، و أرسل يطلب الأمان من سنجر، و العفو، فأجابه إلى ما طلب، و حضر ساغربك «٣» عنده، و قرّر الصّح بينه و بين محمّد خان، و حلف كلّ واحد منهما لصاحبه، و عاد إلى خراسان، فوصل إلى مرو في ربيع الأوّل سنة سبع و تسعين و أربعمائة. و فيها توفي أبو المعالي «٤» الصالح، ساكن باب الطاق، و كان مقلّا من الدنيا، له كرامات ظاهرة.

(١) ساغونك .b. ساغوبك .a.

(٢-٣) ساغوبك .b. a.

(٤) الرجل .b. a. dda.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٨

٤٩٧ ثم دخلت سنة سبع و تسعين و أربعمائة

ذكر ملك بلك بن بهرام بن أرتق مدينة عانة

في هذه السنة، في المحرم، استولى بلك بن بهرام بن أرتق، و هو ابن أخى إيلغازي بن أرتق، على مدينة عانة، و الحديثه، و كان له مدينة سروج، فأخذها الفرنج منه، فسار عنها إلى عانة و أخذها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط، فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد، و معهم مشايخهم، فسألوه الإصعاد إليها، و أن يتسلّمها منهم، ففعل و أصعد معهم. فرحل التركمان و بهرام عنها، و أخذ صدقة رهائتهم، و عاد إلى حلته، فرجع بلك إليها و معه ألفا رجل من التركمان، فمانعه أصحابه

قليلا، و استدلل على المخاضة إليها، فخاضها و عبر، و ملكهم و نهيم، و سى [١] جميع حرمهم و انحدر طالبا هيت من الجانب الشامى، فبلغ إلى قريب منها، ثم رجع من يومه، و لما سمع صدقة جهز العساكر، ثم أعادهم عند عود بلوك.

[١] و سبا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٦٩

ذكر غارة الفرنج على الرقة و قلعة جعبر

فى هذه السنة، فى صفر، أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة و قلعة جعبر، و كانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين، و أبعدوا يوما واحدا تكون الغارة على البلدين فيه، ففعلوا ما استقر بينهم، و أغاروا، و استاقوا المواشى، و أسروا من وقع بأيديهم من المسلمين، فكانت القلعة «١» و الرقة لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها إليه السلطان ملك شاه سنة تسع «٢» و سبعين [و أربعمائه]، و قد ذكرناه فيها.

ذكر الصلح بين السلطان بركيارق و محمد

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، وقع الصلح بين السلطانين بركيارق و محمد ابنى ملك شاه. و كان سببه أن الحروب تطاولت بينهما، و عم الفساد، فصارت الأموال منهوبة، و الدماء مسفوكة، و البلاد مخربة، و القرى محرقة، و السلطنة مطموعا «٣» [١] فيها، محكوما عليها، و أصبح الملوك مهورين، بعد أن كانوا قاهرين، و كان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك و يختارونه [٢] ليدوم تحكّمهم، و انبساطهم، و إدلالهم.

[١] مطموعة.

[٢] و يخترونه.

(١) قلعة جعبر. b، الوقعة. c. p.

(٢) سبع. b.

(٣) مطموعا. a. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٠

و كان السلطان بركيارق حينئذ بالرئى و الخطبة له بها، و بالجبل، و طبرستان، و خوزستان، و فارس، و ديار بكر، و الجزيرة، و بالحرمين الشريفيين.

و كان السلطان محمد بأذربيجان، و الخطبة له فيها [١]، و ببلاد أرائية، و أرمينية، و أصبهان، و العراق، كلها ما عدا تكريت.

و أما أعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق، و ببعضها لمحمد.

و أما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا.

و أما خراسان فإن السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها، و هى من حدود جرجان إلى ما وراء النهر، و لأخيه السلطان محمد.

فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما، و الطمع من العسكر زائدا، أرسل القاضى أبا المظفر الجرجانى الحنفى، و أبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى، المعروف بصاحب قراتكين، إلى أخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح، فسارا إليه، و هو بالقرب من

مراغة، فذكرا له ما أرسل فيه، ورغباه في الصلح وفضيلته، و ما شمل البلاد من الخراب، و طمع عدو الإسلام في أطراف الأرض. فأجاب إلى ذلك، و أرسل فيه رسلا، و استقرّ الأمر، و حلف كل واحد منهما لصاحبه، و تقررت القاعدة: أن السلطان بركيارق لا يعترض [٢] أخاه محمّدا في الطبل، و أن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له، و أن لا يكتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبه من الوزيرين، و لا يعارض أحد من العسكر في قصد أيهما شاء، و أن يكون للسلطان محمّد من النهر المعروف بإسيذروذ، إلى باب الأبواب، و ديار بكر، و الجزيرة، و الموصل، و الشام، و يكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة.

[١] فيه.

[٢] يتعرض.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧١

فأجاب بركيارق إلى هذا، و زال الخلف، و الشغب، و أرسل السلطان محمّد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد، و تسليمه إلى أصحاب أخيه، و سار السلطان بركيارق إلى أصبهان، فلما سلمها [١] إليه أصحاب أخيه «١» دعاهم إلى أن يكونوا معه، و في خدمته، فامتنعوا، و رأوا لزوم خدمه أصحابهم، فسأهم أهل العسكرين جميعا: أهل الوفاء، و توجهوا من أصبهان، و معهم حريم السلطان محمّد، إليه، و أكرمهم بركيارق، و حمل لأهل أخيه المال الكثير، و من الدواب ثلاثمائة جمل، و مائة و عشرين بغلا، تحمل الثقل، و سير معهم العساكر يخدمونهم.

و لما وصلت رسل السلطان بركيارق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصّيح، و ما استقرت القواعد عليه، حضر إيلغازي بالديوان، و سأل في إقامة الخطبة لبركيارق، فأجيب إلى ذلك، و خطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى، و خطب له، من الغد، بالجوامع، و خطب له أيضا بواسطة.

و لما خطب إيلغازي ببغداد لبركيارق، و صار في جملة، أرسل الأمير صدقة إلى الخليفة يقول: كان أمير المؤمنين ينسب إلى «٢» كل ما [٢] يتجدد من إيلغازي من إخلال «٣» بواجب الخدمة، و شرط الطاعة، و من أطراح المراقبة، و الآن، فقد أبدى [٣] صفحته للسلطان «٤» الذي استنابه، و أنا غير صابر على ذلك، بل أسير لإخراجه عن بغداد.

[١] سلمه.

[٢] كلما.

[٣] أبدا.

(١) b. a. mo.

(٢) p. c.

(٣) إخلاله. b. a.

(٤) لسلطانه. b. a.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٢

فلما سمع إيلغازي ذلك شرع في جمع التركمان، و ورد صدقة بغداد، فنزل مقابل التاج، و قبل الأرض، و نزل في مخيمه بالجانب الغربي، ففارق إيلغازي بغداد إلى بعقوبا، و أرسل إلى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع، و أن إقطاعه حلوان و غيرها في جملة بلاده، و أن بغداد التي هو شحنة فيها قد صارت له، فذلك الذي أدخله في طاعته. فرضى عنه صدقة، و عاد إلى الحلّة.

و فى ذى القعدة سيّرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق، و للأمير أياز، و لوزير بركيارق، و هو الخطير، و العهد بالسلطنة، و حلفوا جميعهم للخليفة و عادوا.

ذكر ملك الفرنج جبيل و عكا من الشام

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاذقية [١]، فيها التجار، و الأجناد، و الحجاج، و غير ذلك، و استعان «١» بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس، فحصرها معه بزا و بحرا، و ضايقوها، و قاتلوا أيتاما، فلم يروا فيها مطمعا، فرحلوا عنها إلى مدينة جبيل، فحصرها، و قاتلوا عليها «٢» قتالا شديدا. فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا، و سلّموا البلد إليهم، فلم تف «٣» الفرنج لهم بالأمان، و أخذوا أموالهم، و استنقذوها «٤» بالعقوبات و أنواع العذاب.

[١] لاذقية.

(١) و استغاث.a.

(٢) أهلها.b.

(٣) أهلها.a.

(٤) و استقدموا أحوالهم.p.c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٣

فلما فرغوا من جبيل ساروا إلى مدينة عكا، استنجدهم الملك بغدوين، ملك الفرنج «١»، صاحب القدس على حصارها، فنازلوها، و حصرها فى البرّ و البحر.

و كان الوالى بها اسمه بنا، و يعرف بزهر الدولة الجيوشى، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، فقاتلهم أشدّ قتال، فزحفوا إليه غير مرّة، فعجز عن حفظ البلد، فخرج منه، و ملك الفرنج البلد بالسيف قهرا، و فعلوا بأهله الأفعال الشنيعة، و سار الوالى به إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد إلى مصر، و اعتذر إلى الأفضل فقبل عذره.

ذكر غزو سقمان و جكرمش الفرنج

لما استطال الفرنج، خذلهم الله تعالى، بما ملكوه من بلاد الإسلام، و اتفق لهم اشتغال عساكر الإسلام، و ملوكه، بقتال بعضهم بعضا، تفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء، و اختلفت الأهواء، و تمزقت الأموال.

و كانت حرّان لمملوك من مماليك ملك شاه اسمه قراجه «٢»، فاستخلف عليها إنسانا يقال له محمّد الأصبهانى، و خرج فى العام الماضى، فعصى الأصبهانى على قراجه، و أعانه أهل البلد لظلم قراجه.

و كان الأصبهانى جلدا، شهما، فلم يترك بحرّان من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى، و جعله أصفهسلار العسكر، و أنس به، فجلس معه يوما للشرب، فاتفق جاولى مع خادم له «٣» على قتله فقتلاه و هو سكران.

(١) p.c.mo.

(٢) repmes قراجا.a.b.

(٣) b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٤

فعند ذلك سار الفرنج إلى حرّان وحصروها.

فلَمَّا سمع معين الدولة سقمان، وشمس الدولة جكرمش ذلك، و كان بينهما حرب، و سقمان يطالبه بقتل ابن أخيه، و كلّ منهما يستعدّ للقاء صاحبه، و أنا أذكر سبب قتل جكرمش له، إن شاء الله تعالى، أرسل [١] كلّ منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حرّان، و يعلمه أنّه قد بذل نفسه لله تعالى، و ثوابه، فكلّ واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه، و سارا، فاجتمعا على الخابور، و تحالفا، و سارا إلى لقاء الفرنج.

و كان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان، و مع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك، و العرب، و الأكراد، فالتقوا على نهر البليخ، و كان المصافّ بينهم هناك، فاقتلوا، فأظهر المسلمون الانهزام، فتبعهم الفرنج نحو فرسخين، فعاد عليهم المسلمون فقتلواهم كيف شاءوا، و امتلأت أيدي التركمان من الغنائم، و وصلوا إلى الأموال العظيمة، لأنّ سواد الفرنج كان قريبا، و كان يميند، صاحب أنطاكية، و طنكري «١»، صاحب الساحل، قد انفردا [٢] وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدّت الحرب، فلَمَّا خرجا رأيا الفرنج منهزمين، و سوادهم منهبًا، فأقاما إلى الليل، و هربا، فتبعهما المسلمون، و قتلوا من أصحابهما كثيرا، و أسروا كذلك، و أفلتا في ستّة فرسان.

و كان القمّص بردويل، صاحب الرّها، قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم، و خاضوا نهر البليخ، فوحت خيولهم، فجاء تركمانيّ [٣] من أصحاب سقمان

[١] فأرسل.

[٢] انفرد.

[٣] تركمان.

(١) و تنكري. a. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٥

فأخذهم «١»، و حمل بردويل إلى خيم صاحبه، و قد سار فيمن معه لاتباع يميند، فرأى أصحاب جكرمش أنّ أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج، و يرجعون هم من الغنيمة بغير طائل، فقالوا لجكرمش: أيّ منزلة تكون لنا عند الناس، و عند التركمان إذا انصرفوا «٢» بالغنائم دوننا؟ و حسبنوا له أخذ القمّص، فأنفذ فأخذ القمّص من خيم سقمان، فلَمَّا عاد سقمان شقّ عليه الأمر، و ركب أصحابه للقتال، فردّهم، و قال لهم: لا- يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمّهم باختلافنا، و لا- أوثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين.

و رحل لوقته، و أخذ سلاح الفرنج، و راياتهم، و ألبس أصحابه لبسهم، و أركبهم خيلهم، و جعل يأتي حصون شيحان «٣»، و بها الفرنج، فيخرجون ظنًا منهم أنّ أصحابهم نصرُوا، فيقتلهم و يأخذ الحصن منهم، فعل ذلك بعدّة حصون. و أمّا جكرمش فإنّه سار إلى حرّان، فتسلّمها، و استخلف بها صاحبه، و سار إلى الرّها، فحصرها خمسة عشر يوما، و عاد إلى الموصل و معه القمّص الّذي أخذه من خيام سقمان، ففاداه بخمسة و ثلاثين دينارًا، و مائة و ستين أسيرا من المسلمين، و كان عدّة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر ألف قتيل.

ذكر وفاة دقاق و ملك ولده

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، توفى الملك دقاق بن تش بن ألب أرسلان، صاحب دمشق، وخطب أتابكه طغتكين لولد له صغير، له سنة

(١) فأخلدوهم. ddoc.

(٢) أفردوا. b.

(٣) سنحان، b. سنحمل. c. p

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٦

واحدة، وجعل اسم المملكة فيه، ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش «١» بن تش، عم هذا الطفل، فى ذى الحجة، و له من العمر اثنتا عشرة [١] سنة.

ثم إن طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة، فخرج إليها فملكها و عاد، فمنعه طغتكين من دخول البلد، فمضى إلى حصون له، و أعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق «٢».

وقيل إن سبب استيحاء بكتاش من طغتكين أن والدته خوفته منه، و قالت:

إنه زوج والده دقاق، و هى لا تتركه حتى تقتلك و يستقيم الملك لولدها، فخاف، ثم إنه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق، و قصد بعلبك، و جمع الرجال، و الاستنجد بالفرنج، و العود إلى دمشق، و أخذها من طغتكين، فخرج من دمشق سراً فى صفر سنة ثمان و تسعين [و أربعمئة]، و لحقه الأمير أيتكين الحلبي، و هو من جملة من قرّر مع بكتاش ذلك، و هو صاحب بصرى، فعانثا فى نواحي «٣» حوران، و لحق بهما [٢] كل من يريد الفساد، و راسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك، و سار إليهما «٤» فاجتمعا به، و قررا القواعد معه، و أقاما عنده مدة، فلم يريا منه «٥» غير التحريض على الإفساد فى أعمال دمشق، و تخريبها، فلما يسأ من نصره عادا من عنده، و توجهها فى البرية إلى الرحبة، فملكها بكتاش و عاد عنها.

[١] عشر.

[٢] بها.

(١) بكاش، بكاش، يلياس: ircsedniedtairav sinimonarurp ليلناس. a. b.

(٢)

sitipacmenifdacn iheauq atacollocsitnbed ccearpsitipacmut ix. da. p. cnirutnuuqeseuqs u

. (٣) ناحيه. a. b.

(٤) إليه. a. b.

(٥) عنده. c. p.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٧

و استقام أمر طغتكين بدمشق و استبد بالأمر، و أحسن إلى الناس، و بثّ فيهم العدل، فسروا به سرورا كثيرا.

ذكر استيلاء صدقة على واسط

فى هذه السنة، فى سؤال، انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة إلى واسط فى عسكر كثير، و أمر فنودى بها فى الأتراك: من

أقام فقد برئت منه الذمّة، فسار جماعة منهم إلى بركيارق، و جماعة إلى بغداد، و صار مع صدقة جماعة منهم، ثم إنّه أحضر مهذب الدولة بن أبي الجبر «١»، صاحب البطيحة، فضمّنه البلد لمدّة، آخرها آخر السنة، بخمسين ألف دينار، و عاد إلى الحلّة، و أقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذى القعدة، و انحدر «٢» إلى بلده.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، أطلق سديد الملك أبو المعالى من الاعتقال، و هو الذى كان وزير الخليفة، و لما أطلق هرب إلى الحلّة السيفيّة، و منها إلى السلطان بركيارق، فولّاه الإشراف على ممالكة.

و فيها توفّى أمين الدولة أبو سعد العلاء «٣» بن الحسن بن الموصلايا، فجاءه، و كان قد أضرب، و كان بليغا فصيحاً، و كان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة

(١). الخير. a.

(٢). و عاد منحدرًا. a. b.

(٣). p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٨

اثنتين و ثلاثين و أربعمئة، خدم الخلفاء خمساً [١] و ستين سنة، كلّ يوم تزداد منزلته، حتّى تاب عن الوزارة، و كان نصرانيّاً، فأسلم سنة أربع و ثمانين [و أربعمئة]، و كان كثير الصدقة، جميل المحضر، صالح التية، و وقف أملاكه على أبواب البرّ، و مكاتباته مشهورة حسنة، و لما مات خلع على ابن أخته أبى نصر، و لقب نظام الحضرتين، و قلّد ديوان الإنشاء. و فيها كانت ببغداد بين العامّة فتن كثيرة، و انتشر العيارون.

و فيها قتل أبو نعيم بن ساوة «١» الطبيب الواسطى، و كان من الحدّاق فى الطبّ، و له فيه إصابات «٢» حسنة.

و فيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائى، و سبب ذلك أنّ الأمير بزغش، و هو أصفهسلار العسكر السنجرى، ألقى إليه ملطّف فيه: لا- يتمّ لك أمر مع هذا السلطان، و وقع إلى سنجر، لا يتمّ لك أمر مع الأمير بزغش، مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، و عرض عليهم الملطّفين، فاتفقوا على كاتب الطغرائى، و ظهرت عليه فقتل «٣»، و قبض سنجر على الطغرائى، و أراد قتله، فمنعه بزغش، و قال له: حقّ خدمته، فأبعده إلى غزنه. و فيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خراسان، و أتاه «٤» كثير من المتطوّعة، و سار إلى قتال الإسماعيلية، فقصّد طبس، و هى لهم، فخرّبها و ما جاورها من القلاع و القرى، و أكثر فيهم القتل، و النهب، و السبى، و فعل بهم الأفعال العظيمة، ثم إنّ أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمّنوا «٥»، و يشرط عليهم أنّهم لا يبنون حصناً، و لا يشترون سلاحاً، و لا يدعون أحداً

[١] خمس.

(١). رساده. a. b.

(٢). اختيارات. b.

(٣). فقبل و ضمن. a.

(٤). p. c.

(٥). یرموا. b، یرینوا. a

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٧٩

إلى عقائدهم، فسخط كثير من الناس هذا الأمان، وهذا الصلح، و نقموه على سنجر، ثم إن بزغش، بعد عوده من هذه الغزاة، توفي، و كانت خاتمة أمره «١» الجهاد، رحمه الله.

و في هذه السنة توفي أبو بكر علي بن أحمد بن زكريا الطريثي، و كان صوفيا محدثا مشهورا.

و في رجب توفي القاضي أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفي، قاضي الكوفة، و مولده في ربيع الأول سنة اثنتين و عشرين و أربعمائه، و هو من ولد عروة ابن مسعود، و من تلاميذ القاضي الدامغاني، و ولي القضاء بعده ابنه أبو البركات.

و في ربيع الآخر توفي أبو عبد الله الحسين بن علي بن البصري البندار «٢»، المحدث، و مولده سنة أربع و أربعمائه.

(١). أعماله. a. b

(٢). a. b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٠

٤٩٨ ثم دخلت سنة ثمان و تسعين و أربعمائه

ذكر وفاة السلطان بركيارق

في هذه السنة، ثاني شهر ربيع الآخر، توفي السلطان بركيارق بن ملك شاه، و كان قد مرض بأصبهان بالسل، و البواسير، فسار منها في محفة طالبها بغداد، فلما وصل إلى بروجرد ضعف عن الحركة، فأقام بها أربعين يوما، فاشتد مرضه، فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملك شاه، و عمره حينئذ أربع سنين و ثمانية أشهر، و خلع على الأمير أياز، و أحضر جماعة الأمراء، و أعلمهم أنه قد جعل ابنه ولي عهد في السلطنة، و جعل الأمير أياز أتابكه، و أمرهم بالطاعة لهما، و مساعدتهما على حفظ السلطنة لولده، و الذب عنها، فأجابوا كلهم بالسمع و الطاعة، و بذل النفوس و الأموال في حفظ ولده و سلطنته عليه، و استحلفهم على ذلك، فحلفوا، و أمرهم بالمسير إلى بغداد، فساروا، فلما كانوا على اثني عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته، و كان بركيارق قد تخلف على عزم العود إلى أصبهان فعاجلته ميتته.

فلما سمع الأمير أياز بموته أمر وزيره الخطير الميبدى و غيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان، فحمل إليها، و دفن في تربة جددها له سرية، ثم ماتت بعد أيام، فدفنت بإزائه، و أحضر أياز السراذقات، و الخيام، و الجتر، و الشمسة، و جميع ما يحتاج إليه السلطان، فجعله برسم ولده ملك شاه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨١

ذكر عمره و شيء من سيرته

لما توفي بركيارق كان عمره خمسا [١] و عشرين سنة، و مدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتي عشرة [٢] سنة و أربعة أشهر، و قاسى من الحروب و اختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد، و اختلفت به الأحوال بين رخاء و شدة، و ملك و زواله، و أشرف، في عدة نوب، بعد إسلام «١» النعمة، على ذهاب المهجة «٢».

و لما قوى أمره، في هذا الوقت، و أطاعه المخالفون، و انقادوا له، أدركته ميتته، و لم يهزم في حروبه غير مرة واحدة، و كان أمرؤه قد

طمعوا فيه للاختلاف الواقع، حتى إنهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم، فلا يمكنه الدفع عنهم، و كان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء، و وقفت المعاش و المكاسب، و كان أهلها مع ذلك يحبونه، و يختارون سلطانه.

و قد ذكرنا من تغلب الأحوال به ما وقفت عليه، و من أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش، فمكّنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه، فاتفق أن أخاه محمودا مات، فاضطروا إلى أن يملكوه، و هذا من أحسن الفرج بعد الشدة.

و كان حليما، كريما، صبورا، عاقلا، كثير المداراة [٣]، حسن القدرة، لا يبالغ في العقوبة، و كان عفوه أكثر من عقوبته.

[١] خمس.

[٢] عشر.

[٣] المداراة.

(١). اسلاب. a. b

(٢). المنجه. a. b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٢

ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق

في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر، و خطب له بجوامع بغداد «١» من الغد، يوم الجمعة. و كان سبب ذلك أن إيلغازي، شحنة بغداد، سار في المحرم إلى السلطان بركيارق، و هو بأصبهان، يحثه على الوصول إلى بغداد، و رحل مع بركيارق، فلما مات بركيارق سار مع ولده ملك شاه و الأمير أياز إلى بغداد، فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر، و لقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله، بحيث أنهم لم يقدروا على الماء لجموده. الكامل في التاريخ ج ١٠ ٣٨٢ ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق ص: ٣٨٢

و خرج الوزير أبو القاسم علي بن جهير، فلقبهم من ديالى، و كانوا خمسة آلاف فارس، و حضر إيلغازي، و الأمير طغايرك، بالديوان، و خاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق، فأجيب إليها، و خطب له، و لقب باللقاب جدّه ملك شاه، و هي جلال الدولة، و غيره من الألقاب، و نثرت الدنانير عند الخطبة له.

ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل

لما اصطاح السلطان بركيارق و السلطان محمد، كما ذكرناه في السنة الخالية، و سلم محمد مدينة أصبهان إلى بركيارق، و سار إليها، أقام محمد بتبريز من أذربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان، فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره [الذى] كان في حفظ أصبهان، و أقام إلى صفر من

(١). ببغداد. P. C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٣

هذه السنة، و سار إلى مراغة، ثم إلى إربل يريد قصد جكرمش، صاحب الموصل، ليأخذ بلاده.

فلما سمع جكرمش بمسيره إليه جدّد سور الموصل، و رمّ ما احتاج إلى إصلاح، و أمر أهل السواد بدخول البلد، و أذن لأصحابه في

نهب من لم يدخل.

وحصر محمد المدينة، وأرسل إلى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه، وأن فى جملة ما استقر أن تكون الموصل «١» وبلاد الجزيرة له، و عرض عليه الكتب من بريكارق إليه بذلك، والأيمان على تسليمها إليه، وقال له: إن أطعت فأنا لا آخذها منك، بل أقرها بيدك، وتكون الخطبة لى بها. فقال جكرمش:

إن كتب السلطان وردت إلى، بعد الصلح، تأمرنى أن لا أسلم البلد إلى غيره.

فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال، وزحف إليه بالقبائين، والدبابات، وقاتل أهل البلد أشد قتال، وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم، فأمر جكرمش ففتح فى السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون، فكانوا يكثرون القتل فى العسكر، ثم زحف محمد مرة، فنقب فى السور أصحابه، وأدر كههم الليل، فأصبحوا وقد عمره أهل البلد، وشحنوه بالمقاتلة، وكانت الأسعار عندهم رخيصة فى الحصار: كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا بدينار، والشعير [كل] خمسين مكوكا بدينار «٢».

و كان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر، فكانوا يغيرون [١] على أطراف العسكر، و يمنعون الميرة عنهم، فدام القتال عليهم إلى عاشر جمادى الأولى، فوصل الخبر إلى جكرمش بوفاء السلطان بريكارق، فأحضر أهل

[١] يغرون.

(١). و ديار بكر. a. dda.

(٢). b. a. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٤

البلد، واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان، فقالوا: أموالنا وأرواحنا بين يديك، وأنت أعرف بشأنك، فاستشر الجند، فهم أعرف بذلك.

فاستشار أمراءه، فقالوا: لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع، ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا، و حيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا، و الدخول تحت طاعته أولى.

فأرسل إلى محمد يبذل الطاعة، و يطلب وزيره سعد الملك ليدخل إليه، فحضر الوزير عنده، و أخذ بيده، و قال: المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان، فإنه لا يخالفك فى جميع ما تلتسمه، و أخذ بيده و قام، فسار معه جكرمش، فلما رآه أهل الموصل قد توجه إلى السلطان، جعلوا يبكون، و يضحجون، و يثنون التراب على رءوسهم، فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه، و أكرمه، و عانقه، و لم يمكنه من الجلوس، و قال: ارجع إلى رعيتك، فإن قلوبهم إليك، و هم متطلعون إلى عودك، فقبل الأرض و عاد و معه جماعة من خواص السلطان، و سأل السلطان من الغد أن يدخل البلد ليزين له، فامتنع من ذلك، فعمل سماطا، بظاهر الموصل، عظيما، و حمل إلى السلطان من الهدايا و التحف و لوزيره أشياء جليلة المقدار.

ذكر وصول السلطان إلى بغداد و صلحه مع ابن أخيه و الأمير أياز

لما وصل خبر وفاة السلطان بريكارق إلى أخيه السلطان محمد، و هو يحاصر الموصل، جلس للعزاء، و أصلح جكرمش، صاحب الموصل، كما ذكرناه، و سار إلى بغداد و معه سكران القطبى، و هو ينسب إلى قطب الدولة إسماعيل

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٥

ابن ياقوتى بن داود، و إسماعيل ابن عم ملك شاه، و سار معه جكرمش و غيرهما من الأمراء.

و كان سيف الدولة صدقة، صاحب الحلة، قد جمع خلقا كثيرا من العساكر، فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس، و عشرة آلاف راجل، و أرسل ولديه بدران و ديبسا إلى السلطان محمد يستحثه على المجيء إلى بغداد، فاستصحبهما معه إلى بغداد. فلما سمع الأمير أياز بمسيره إليه خرج هو و العسكر الذي معه من الدور، و نصبوا الخيام بالزاهر، خارج بغداد، و جمع الأمراء، و استشارهم فيما يفعل، فبدلوا له الطاعة و اليمين على قتاله و حربته، و منعه عن السلطنة، و الاتفاق معه على طاعة ملك شاه بن بركيارق. و كان أشدهم في ذلك يئال و صباوة، فإنهما بالغا [١] في الإطماع في السلطان محمد، و المنع له عن السلطنة «١»، فلما تفرقوا قال له وزيره الصفی «٢» أبو المحاسن:

يا مولانا إن حياتي مقرونة بثبات نعمتك و دولتك، و أنا أكثر التزاما بك من هؤلاء، و ليس الرأي ما أشاروا به، فإن كلامهم يقصد أن يسلك طريقا، و أن يقيم سوقا لنفسه بك، و أكثرهم يناوئك في المنزلة، و إنما يقعد بهم عن منازعتك قلبه العدد و المال، و الصواب مصالحة السلطان محمد و طاعته، و هو يقرك على إقطاعك، و يزيدك عليه مهما أردت. فتردد رأى الأمير أياز بين الصلح و المباينة، إلّا أن حركته في المباينة ظاهرة، و جمع السفن التي ببغداد عنده، و ضبط المشاريع من متطرق إلى عسكره و إلى البلد.

[١] فإنهم بالغوا.

(١). mo. b

(٢). a. الصفی.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٦

و وصل السلطان محمد إلى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى، و نزل عند الجانب الغربي «١» بأعلى بغداد، و خطب له بالجانب الغربي، و لملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقي، و أما جامع المنصور فإن الخطيب قال فيه: اللهم أصلح سلطان العالم! و سكت.

و خاف الناس من امتداد الشر و النهب، فركب أياز في عسكره، و هم عازمون على الحرب «٢»، و سار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمد، و عاد إلى مخيمه، فدعا الأمراء إلى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه، فأجاب البعض، و توقف البعض، و قالوا: قد حلفنا مرة، و لا فائدة في إعادة اليمين، لأننا إن وينا بالأولى و فينا بالثانية، و إن لم نف بالأولى فلا نفى [١] بالثانية.

فأمر أياز حينئذ وزيره الصفی أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمد في الصلح، و تسليم السلطنة إليه، و ترك منازعته فيها، فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمد، و اجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد، فعرفه ما جاء فيه، فحضرا عند السلطان محمد، و أدى الصفی رساله صاحبه أياز، و اعتذاره [٢] عما كان منه أيام بركيارق، فأجابه محمد جوابا لطيفا سکن به قلبه و طيب نفسه، و أجاب إلى ما التمس منه من اليمين.

فلما كان الغد حضر قاضي القضاة، و النقبان، و الصفی وزير أياز، عند السلطان محمد، فقال له وزيره سعد الملك: إن أياز يخاف لما تقدم منه،

[١] نف.

[٢] و اعتذار.

(١). عند بيعة و زنا. a. b. dda

(٢)

mutixeesseirbilm urevcihteredercr otceltusunamtidi ddaaila
ebrevr utnugelarfnieauq .a .docsinif،

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٧

و هو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك، و لنفسه، و للأمراء الذين معه. فقال السلطان: أما ملك شاه فإنه ولدى، و لا فرق بينى و بين أخى، و أميا أياز و الأمراء فأحلف لهم، إلما ينال الحسامى و صباوة، فاستحلفه الكيا الهزاس، مدرّس النظامية، على ذلك، و حضر الجماعة اليمين. فلما كان من الغد حضر الأمير أياز عند السلطان محمّد، فلقبه وزير السلطان، و الناس كافة [١]، و وصل سيف الدولة صدقة، ذلك الوقت، و دخلا جميعا إلى السلطان، فأكرمهما، و أحسن إليهما، و قيل بل ركب السلطان و لقيهما، و وقف أحدهما عن يمينه، و الآخر عن يساره [٢]، و أقام السلطان ببغداد إلى شعبان، و سار إلى أصبهان، و فعل فيها ما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل الأمير أياز

فى هذه السنة، ثالث عشر جمادى الآخرة، قتل الأمير أياز، قتله السلطان محمّد. و سبب ذلك أن أياز لما سلّم السلطنة إلى السلطان محمّد صار فى جملة، و استحلفه لنفسه، فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة فى داره، و هى دار كوهرائين، و دعا السلطان إليها، و قدّم له شيئا كثيرا من جملة الحبل [٣] البلخش الذى أخذ من تركه مؤيد الملك بن نظام الملك، و قد تقدّم ذكر ذلك، و حضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد.

[١] و كافة الناس.

[٢] ايساره.

[٣] الجبل.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٨

و كان من الاتفاق الردىء أن أياز تقدّم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزائنه، ليعرضهم على السلطان، فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم، و يضحكون منه، مع كونه يتصوّف، فقالوا له: لا بدّ من أن [١] نلبسك درعا و نعرضك، فألبسوه الدرع تحت قميصه، و تناولوه بأيديهم، و هو يسألهم أن يكفّوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدّه ما فعلوا به هرب منهم، و دخل بين خواصّ السلطان معتصما بهم، فرآه السلطان مذعورا، و عليه لباس عظيم، فاستراب به، فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير أن يعلم أحد، ففعل، فرأى الدرع تحت قميصه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر، و قال: إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد! و قوى استشعاره لكونه فى داره، و فى قبضته، فنهض و فارق الدار و عاد إلى داره.

فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة، و أياز، و جكرمش، و غيرهم من الأمراء، فلما حضروا أرسل إليهم: إنّه بلغنا أن قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش قصد ديار بكر ليملكها، و سيّر منها إلى الجزيرة، و ينبغى أن تجتمع آراؤهم على من يسير إليه ليمنعه و يقاتله. فقال الجماعة: ليس لهذا غير الأمير أياز، فقال أياز: ينبغى أن نجتمع أنا و سيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الأمر، و الدّفْع لهذا القاصد، فقيل ذلك للسلطان، فأعاد الجواب يستدعى أياز، و صدقة، و الوزير سعد الملك «١» ليحرّر الأمر فى حضرته، فنهضوا ليدخلوا إليه.

و كان قد أعدّ جماعة من خواصّه ليقتلوا أياز إذا دخل إليه، فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه. فأما صدقة فغطّى وجهه بكمّه، و أما

(١). بهما. B

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٨٩
 الوزير فإنه غشى عليه، ولفّ أياز في مسح و ألقى على الطريق عند دار المملكة، و ركب عسكر أياز، فنهبوا ما قدروا عليه من داره، فأرسل السلطان من حماها من النهب، و تفرّق أصحابه من يومهم، و كان زوال تلك النعمة العظيمة، و الدولة الكبيرة، في لحظة، بسبب هزل و مزاح. فلما كان من الغد كفّنه قوم من المتطوّعة، و دفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة، رحمه الله.
 و كان عمره قد جاوز أربعين سنة، و هو من جملة مماليك السلطان ملك شاه، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر، فاتّخذ ولدًا، و كان غزير المروّة، شجاعًا، حسن الرأي في الحرب.
 و أمّا وزيره الصفي فإنه اختفى، ثم أخذ و حمل إلى دار الوزير سعد الملك، ثم قتل في رمضان و عمره ستّ و ثلاثون [١] سنة، و كان من بيت رئاسة بهمدان.

ذكر وفاة سقمان بن أرتق

كان فخر الملك بن عمّار، صاحب طرابلس، قد كاتب سقمان يستدعيه إلى نصرته على الفرنج، و بذل له المعونة بالمال و الرجال، فبينما هو يتجهّز للمسير أتاه كتاب طغتكين، صاحب دمشق، يخبره أنّه مريض قد أشفى على الموت، و أنّه يخاف إن مات، و ليس بدمشق من يحميها، أن يملكها الفرنج، و يستدعيه ليوصى إليه، و بما يعتمده في حفظ البلد. فلما رأى ذلك أسرع في

[١] و ثلاثين.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٠

السير عازما على أخذ دمشق، و قصد الفرنج في طرابلس، و إبعادهم عنها، فوصل إلى القريتين.
 و اتّصل خبره بطغتكين، فخاف عاقبه ما صنع، و لقوة فكره زاد مرضه.
 و لأمه أصحابه على ما فرط في تدبيره و خوفه عاقبه ما فعل «١»، و قالوا له:
 قد رأيت سيّدك تاج الدولة لما استدعاه إلى دمشق ليمنعه «٢» كيف قتله حين وقعت عينه عليه.
 فبينما هم يديرون الرأي بأيّ حيلة يرّدونه أتاها الخبر بأنّه وصل القريتين، و مات، و حمله أصحابه و عادوا به، فأتاها فرج لم يحسبوه [١]، و كان مرضه الذي مات به الخوانيق، يعتره «٣» دائما، فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كيفا، فامتنع، و قال: بل أسير، فإن عوفيت تمت ما عزمت عليه، و لا- يراني الله تشاقلت عن قتال الكفّار خوفا من الموت، و إن أدركني أجلى كنت شهيدا سائرا في جهاد. فساروا، فاعتقل لسانه يومين، و مات في صفر، و بقي ابنه إبراهيم في أصحابه، و جعل في تابوت و حمل إلى الحصن، و كان حازما داهيا، ذا رأي، كثير الخير، و قد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا.
 و أمّا ملكه ماردین، فإنّ كربوقا خرج من الموصل، فقصد آمد، و حارب صاحبها، فاستنجد صاحبها، و هو تركمانيّ، بسقمان، فحضر عنده، و صافّ كربوقا.

و كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر، حينئذ، صبيّا قد حضر مع كربوقا.
 و معه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه، فلما اشتدّ القتال ظهر سقمان، فألقى

[١] يحسبونه.

(١). أمره. b.

(٢). mo. b.

(٣) mungisiibud tnsatpircsrepus٢٢ibu و كانت تعتريه. C. p.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩١

أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل، و قالوا: قاتلوا عن ابن صاحبكم! فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا، فانهزم سقمان، و أسروا ابن أخيه ياقوتى بن أرتق، فسجنه كربوقا بقلعة ماردین، و كان صاحبها إنسانا «١» مغنيا للسلطان بركيارق، فطلب منه ماردین و أعمالها، فأقطعه إياها، فبقى ياقوتى فى حبسه مدّة، فمضت زوجته أرتق إلى كربوقا و سألته «٢» إطلاقه، فأطلقه، فنزل عند ماردین، و كانت قد أعجبتة، فأقام ليعمل فى تملكها و الاستيلاء عليها.

و كان من عند ماردین من الأكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى، و أغاروا على أعمال ماردین عدّة دفعات، فراسله ياقوتى يقول: قد صار بيننا مودّة و صداقة، و أريد أن أعمّر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد، و أغير «٣» على الأماكن، و آخذ الأموال أنفقها فى بلدك و أقيم فى الریض، فأذن له فى ذلك، فجعل يغير «٤» من باب خلاط إلى بغداد، فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة، طلبا للكسب، و هو يكرمهم، و لا يعترضهم، فأمنوا إليه.

فاتفق أن فى بعض الأوقات نزل معه «٥» أكثرهم، فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم و تقييدهم، و سبقهم إلى القلعة، و نادى من بها من أهليهم: إن فتحتم الباب، و إلّا ضربت أعناقهم، فامتنعوا، فقتل إنسانا منهم، فسلم القلعة من بها إليه و بقى بها. ثم إنّه جمع جمعا و سار إلى نصيبين، و أغار على بلد جزيرة ابن عمر، و هى لجكرمش، فلما عاد أصحابه بالغنيمه أتاهاهم جكرمش، و كان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح، و ركوب الخيل، محمّل إلى فرسه

(١). P. c. mo.

(٢). فى. b. dda.

(٣). و أعبّر. b.

(٤)؟ معبر. b.

(٥). b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٢

فركبه، و أصابه سهم فسقط منه، فأتاه جكرمش، و هو وجود [١] بنفسه، فبكى عليه، و قال له: ما حملك على ما صنعت يا ياقوتى؟ فلم يجبه، فمات، و مضت زوجته أرتق إلى ابنها سقمان، و جمعت التركمان، و طلبت بثأر ابن ابنها، و حصر سقمان نصيبين، و هى لجكرمش، فسير جكرمش إلى سقمان مالا كثيرا سرا، فأخذه و رضى، و قال: إنّه قتل فى الحرب، و لا يعرف قاتله. و ملك ماردین بعد ياقوتى أخوه على، و صار فى طاعة جكرمش، و استخلف بها أميرا اسمه على أيضا، فأرسل على الوالى بماردين إلى سقمان يقول له:

ابن أخيك يريد أن يسلم ماردین إلى جكرمش، فسار سقمان بنفسه و تسلّمها، فجاء إليه على ابن أخيه و طلب إعادة القلعة إليه، فقال: إنّا أخذتها لئلا يخرب البيت، فأقطعه جبل جور، و نقله إليه.

و كان جكرمش يعطى عليا كلّ سنة عشرين ألف دينار، فلما أخذ عمه سقمان ماردین منه، أرسل على إلى جكرمش يطلب منه المال، فقال: إنّا كنت أعطيتك احتراما لماردین، و خوفا من مجاورتك، و الآن فاصنع ما أنت صانع، فلا قدرة لك على.

ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان

في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيلية من طريث، عن بعض أعمال بيهق، و شاعت [٢] الغارة في تلك النواحي، و أكثروا القتل في أهلها،

[١] موجود.

[٢] و ساعت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٣

و النهب لأموالهم، و السبي لنسائهم، و لم يقفوا على الهدنة المتقدمة.

و في هذه السنة اشتد أمرهم، و قويت شوكتهم، و لم يكفوا أيديهم عمّن يريدون قتله، لاشتغال السلاطين عنهم. فمن جملة فعلهم: أن قفل الحاجّ تجمّع، هذه السنة، ممّا وراء النهر، و خراسان، و الهند، و غيرها من البلاد، فوصلوا إلى خوار الرّي، فأتاهم الباطنية وقت السحر، فوضعوا فيهم السيف، و قتلوهم كيف شاءوا، و غنموا أموالهم و دوابهم، و لم يتركوا شيئاً. و قتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط، و هو من شيوخ الشافعية، أخذ الفقه عن الخجندی، و كان يدرّس بالرّي، و يعظ الناس، فلما نزل من كرسيه أتاه باطنى فقتله.

ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة، في شعبان، كانت وقعة بين طنكرى «١» الفرنجى، صاحب أنطاكية، و بين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان.

و سببها أن طنكرى حصر حصن أرتاح، و به نائب الملك رضوان، فضيق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرّفه ما هو فيه من الحصر الذى أضعف نفسه «٢» و يطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، و سبعة آلاف من الرجال، منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة، فساروا حتى وصلوا إلى قسرين، و بينهم و بين الفرنج قليل، فلما رأى طنكرى كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أصبهذ صباوة، و كان قد قصده، و صار معه بعد قتل أياز، فامتنع من الصلح،

(١) euqibu تفكرى. b.

(٢) .mo. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٤

و اصطفوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود و نحمل عليهم حملة واحدة، فإن كانت لنا، و إلّا انهزمتنا، فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، و انهزموا، و قتل منهم و أسر كثير.

و أمّا الرجال فإنهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، و لم ينج إلّا الشريد فأخذ أسيرا، و هرب من في أرتاح إلى حلب، و ملكه الفرنج، لعنهم الله تعالى، و هرب أصبهذ صباوة إلى طغتكين أتابك بدمشق، فصار معه و من أصحابه «١».

ذكر حرب الفرنج و المصريين

في ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء.

و سببها أن الأفضل، وزير صاحب مصر، كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية إلى الفرنج، فقهرهم، وأخذ الرملة منهم، ثم اختلف المصريون والعرب، وادعى كل واحد منهما أن الفتح له، فأتاهم سرية الفرنج، فتقاعد كل فريق منهما بالآخر، حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم، فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر، فنقذ ولده الآخر، وهو سناء الملك حسين، في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك، النائب بعسقلان للمصريين، وأرسلوا إلى طغتكين أتابك بدمشق يطلبون منه عسكرياً، فأرسل إليهم أصبهيد صباوة ومعها ألف و ثلاثمائة فارس.

و كان المصريون في خمسة آلاف، وقصدهم بغدوين الفرنجي، صاحب

(١). mO. B

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٥

القدس، و عكة، و يافا، في ألف و ثلاثمائة فارس، و ثمانية آلاف راجل، فوقع المصاف بينهم بين عسقلان و يافا، فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى، فقتل من المسلمين ألف و مائتان، و من الفرنج مثلهم، و قتل جمال الملك، أمير عسقلان. فلما رأى المسلمون أنهم قد تكافأوا في النكاية قطعوا الحرب و عادوا إلى عسقلان، و عاد صباوة إلى دمشق، و كان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش «١» بن تتش، و كان طغتكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دقاق، و هو طفل، و قد ذكرناه، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج، و الكون معهم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من أعمال العراق، و قد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال، و يقطعون الطريق، إلا أنهم عندهم مراقبة.

فلما كانت هذه السنة أطرحوا المراقبة، و عملوا الأعمال الشنيعة، فاستعمل إيلغازي بن أرتق، و هو شحنة العراق، على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام ابن أرتق، و أمره بحفظه و حياطته، و منع الفساد عنه، فقام في ذلك القيام «٢» المرضي، و حمى [١] البلاد، و كف الأيدي المتطاولة، و سار بلك إلى حصن خانيجار، و هو من أعمال سرخاب بن بدر، فحصره و ملكه. و فيها، في شعبان، جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة

[١] و حما.

(١). بلتاش tcnupeniste .p .c

(٢). المقام .b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٦

بالعراق، و كان موصوفاً بالخير، و الدين، و حسن العهد، لم يفارق محمداً في حروبه كلها.

و فيها أقطع السلطان محمد الكوفة للأمير قايماز، و أوصى «١» صدقة أن يحمي أصحابه من خفاجه، فأجاب إلى ذلك.

و فيها، في شهر رمضان، وصل السلطان محمد إلى أصبهان، فأمن أهلها، و وثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط، و العسف، و المصادرة، و شتان بين خروجه منها هاربا متخفياً، و عوده إليها سلطاناً متمكناً، و عدل في أهلها، و أزال عنهم ما يكرهون، و كف

الأيدى المتطرقة إليهم من الجند وغيرهم، فصارت [١] كلمة العامي أقوى من كلمة الجندی، و يد الجندی قاصرة عن العامي من هيبه السلطان و عدله.

و فيها كثر الجدرى فى كثير من البلدان، لا- سيما العراق، فإنه كان به كله، و مات به من الصبيان ما لا يحصى، و تبعه و باء كثير، و موت عظيم.

و توفى فى هذه السنة، فى شوال، أحمد بن «٢» محمد بن أحمد أبو عليّ البردانيّ، الحافظ، و مولده سنة ستّ و عشرين و أربعمائه، سمع ابن غيلان، و البرمكيّ، و العشاريّ و غيرهم.

و توفى أبو المعالى ثابت بن بندار «٣» بن إبراهيم البقال، و مولده سنة ستّ عشرة و أربعمائه، سمع أبا بكر البرقانيّ، و أبا عليّ بن شاذان، و كانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

و فى رابع جمادى الأولى توفى أبو الحسن محمد بن عليّ بن أبي الصقر،

[١] فصار.

(١). السلطان محمد. dda .b

(٢). c .mo

(٣). مدار. b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٧

الفقيه الشافعيّ، و مولده سنة تسع و أربعمائه، و كان أديبا، شاعرا، فمن قوله:

من قال لى جاه، ولى حشمة، ولى قبول عند مولانا

و لم يعد ذاك [١] بنفع على صديقه، لا كان من كانا و فيها أيضا توفى أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا، و كان كاتباً للخليفة جيد الكتابة، و كان عمره سبعين سنة، و لم يخلف وارثاً لأنه أسلم، و أهله نصارى، فلم يرثوه، و كان يبخل، إلا أنه كان كثير الصدقة، و أبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنويّ، كان واعظاً، شاعراً، كاتباً، قدم بغداد، و وعظ بها، و نصر مذهب الأشعريّ، و كان له قبول عظيم، و خرج منها، فمات بأسفرايين.

[١] ذلك.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٨

٤٩٩ ثم دخلت سنة تسع و تسعين و أربعمائه

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد

فى هذه السنة، فى المحرم، أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس «١» بن ألب أرسلان، و هو ابن عم السلطان محمد، العصيان للسلطان محمد و الخلاف عليه.

و سبب ذلك: أنه كان مقيماً بأصبهان، فلحقته ضائقة شديدة، و انقطعت المواد عنه، فخرج منها و سار إلى نهاوند، فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر، و ظاهره على أمره جماعة من الأمراء، و تغلب على نهاوند، و خطب لنفسه بها، و كاتب الأمراء بنى برسق يدعوهم

إلى طاعته و نصرته.

و كان السلطان محمد قد قبض على زنكى بن برسق «٢»، فكاتب زنكى إخوته، و حذرهم من طاعة منكبرس، و ما فيها من الأذى و الخطر، و أمرهم بتدبير الأمر فى القبض عليه.

فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة و الموافقة، فسار إليهم، و ساروا إليه، فاجتمعوا به، و قبضوا عليه بالقرب من أعمالهم، و هى بلد خوزستان، و تفرق أصحابه، و أخذوا منكبرس إلى أصبهان، فاعتقله السلطان مع بنى عمه تكش، و أخرج زنكى بن برسق، و أعاده إلى مرتبه، و استنزله و إخوته عن أقطاعهم، و هى ليشت «٣»، و سابور خواست

(١). بورى برس. b.

(٢). b.mo.

(٣). الإصر. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٣٩٩

و غيرهما، ما بين الأهواز و همدان، و أقطعهم عوضها الدينور و غيرها.

و اتفق أن ظهر بنهاوند أيضا، فى هذه السنة، رجل من السواد ادعى النبوة، فأطاعه خلق كثير من السوادية، و اتبعوه، و باعوا أملاكهم و دفعوا إليه اثمانها، فكان يخرج ذلك جميعه، و سُمى أربعة من أصحابه: أبا بكر، و عمر، و عثمان، و عليا، و قتل بنهاوند، فكان أهلها يقولون: ظهر عندنا، فى مدة شهرين، اثنان ادعى أحدهما النبوة، و الآخر المملكة، فلم يتم لواحد منهما أمره.

ذكر الحرب بين طغتكين و الفرنج

فى هذه السنة، فى صفر، كانت وقعة بين طغتكين أتابك، صاحب دمشق، و بين قمص كبير «١» من قمامصة الفرنج.

و سبب ذلك: أنه تكررت الحروب، و المغاورات، بين عسكر دمشق و بغدوين، فتارة لهؤلاء [و تارة له]، ففى آخر الأمر بنى [١] بغدوين حصنا بينه و بين دمشق «٢» نحو يومين، فخاف طغتكين من عاقبة ذلك، و ما يحدث به من الضرر، فجمع عسكره و خرج إلى مقاتلتهم، فسار بغدوين ملك القدس، و عكا، و غيرهما، إلى هذا القمص ليعاضده، و يساعده على المسلمين، فعرفه القمص غناه عنه، و أنه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه، فعاد بغدوين إلى عكا.

[١] بنا.

(١). P.c.mo.

(٢). b.mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٠

و تقدم طغتكين إلى الفرنج، و اقتتلوا، و اشتد القتال، فانهزم أميران من عسكر دمشق، فتبعهما طغتكين و قتلها، و انهزم الفرنج إلى حصنهم، فاحتموا به، فقال طغتكين: من [١] أحسن قتالهم و طلب منى أمرا فعلته معه، و من أتانى بحجر «١» من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير. فبذل الرجاله نفوسهم، و صعدوا إلى الحصن و خرّبوه، و حملوا حجارته إلى طغتكين، فوفى [٢] لهم بما وعدهم، و أمر بإلقاء الحجارة فى الوادى، و أسروا من الحصن، فأمر بهم فقتلوا كلهم، و استبقى الفرسان أسراء، و كانوا مائتى فارس، و لم ينج ممن كان فى الحصن إلا القليل.

و عاد طغتكين إلى دمشق منصوراً، فزین البلد أربعة أيام. و خرج منها إلى رقتية، و هو من حصون الشام، و قد تغلب عليه الفرنج، و صاحبه ابن أخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس، فحصره طغتكين، و ملكه، و قتل به خمسمائة رجل من الفرنج.

ذكر الحرب بين عبادة و خفاجة

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة و خفاجة.

و سببها: أن رجلاً من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين، فجاء إليهم و طالبهم بهما [٣]، فلم يعطوه شيئاً، فأخذ منهم غارة [٢] أحد [٣] عشر بعيراً، فلحقته

[١] ممن.

[٢] فوفا.

[٣] بها.

(١). c.mo.

(٢) عبادة. b.

(٣). أربعة. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠١

خفاجة، و قتلوا من أصحابه رجلاً، و قطعوا يد آخر، و كان ذلك بالموقف من الحلة السيفية، ففرق [١] بينهم أهلها. فسمعت عبادة الخبر، فتواعدت، و انحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها، و ساروا مع جماعة من أمرائهم، فبلغت عدتهم سبعمائة فارس، و كانت خفاجة دون هذه العدة، فراسلتهم خفاجة يبذلون الدية و يصطلحون، فلم تجبهم إلى ذلك عبادة، و أشار به سيف الدولة صدقة، فلم تقبل عبادة، فالتقوا و اقتتلوا بالقرب من الكوفة، و مع عبادة الإبل و الغنم بين البيوت، فكمنت لهم خفاجة ثلاثمائة فارس، و قاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال، فداموا كذلك ثلاثة أيام، ثم إنهم اشتد بينهم القتال، و اختلطوا، حتى تركوا الرماح، و تضاربوا بالسيوف.

فبينما هم كذلك، و قد أعيا الفريقان من القتال، إذ طلع كمين خفاجة، و هم مستريحون [١]، فانهزمت عبادة، و انتصرت عليهم خفاجة، و قتل من وجوه عبادة اثنا [٢] عشر رجلاً، و من خفاجة جماعة، و غنمت خفاجة الأموال من الخيل، و الإبل، و الغنم، و العبيد، و الإماء.

و كان الأمير صدقة بن يزيد قد أعان خفاجة سراً، فلما وصل المنهزمون إليه هنأهم [٣] صدقة بالسلامة، فقال له [٤] بعضهم: ما زلت أقاتل، و أضارب، و أنا طامع فى الظفر بهم، حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم، فعلمت أنهم

[١] مستريحون.

[٢] اثنى.

[٣] فهنأهم.

[٤] لهم.

(١). ففارق. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٢

أجلبوا علينا بخيلك ورجلك، و أننا لا طاقة لنا بهم، فنصروا علينا بمعونتك، و فلونا بحدك. فلم يجبه صدقة «١».

ذكر ملك صدقة البصرة

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، انحدر سيف الدولة من الحلة إلى البصرة فملكها.

وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن إسماعيل بن أرسلانجق من البصرة و نواحيها، و أقام بها عشر سنين نافذ الأمر، و ازداد قوة و تمكننا بالاختلاف الواقع بين السلاطين، و أخذ الأموال السلطانية، و كان قد راسل صدقة، و أظهر له أنه فى طاعته و موافقته. فلما استقر الأمر للسلطان محمد أراد أن يرسل إلى البصرة مقطعا يأخذها من إسماعيل، فخاطب صدقة فى معناه، حتى أقرت البصرة عليه، فأنفذ السلطان عميدا إليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك، فمنعه إسماعيل، و لم يمكنه [١] من عمله، و فعل ما خرج به عن حد المجاملة، فأمر السلطان صدقة بقصده، و أخذ البصرة منه، فتحرك لذلك.

فاتفق ظهور منكبرس، و خلافه على السلطان، و أنه على قصد واسط، فسرى إسماعيل بذلك، و زاد انبساطه، و أرسل صدقة حاجبا له، و كان قبله قد خدم أباه و جدّه، إلى إسماعيل يأمره بتسليم الشرطة و أعمالها إلى مهذب الدولة ابن أبى الجبر «٢» لأنها كانت فى ضمانه، فوصل إلى الشرطة، و أخذ منها أربعمائه

[١] تمكنه.

(١). يجبه صدقة إلى ذلك. b.

(٢) الخير. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٣

دينار، فأحضره إسماعيل و حبسه، و أخذ الدنانير منه، فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته، و أظهر أنه يريد قصد الرحبة، ثم جد السير إلى البصرة، فلم يشعر إسماعيل إلا بقربه منه، ففرق أصحابه فى القلاع التى استجدّها بمطارا و نهر معقل، و غيرهما، و اعتقل وجوه العباسيين، و العلويين، و قاضى البصرة، و مدرّسها، و أعيان أهلها.

و نازلهم صدقة، فجرى قتال بين طائفة من عسكره، و طائفة من البصريين، قتل فيه أبو النجم بن أبى القاسم الوزامى، و هو ابن خال سيف الدولة صدقة، فمما مدح به سيف الدولة، و رثى به أبو النجم بن أبى القاسم، قول بعضهم:

تهنّ، يا خير من يحمى حريم حمى، فتحا أغثت به الدنيا مع الدين

ركبت للبصرة [١] الغزاء فى نخب غز، كجيش على يوم صفين

هوى أبو النجم كالنجم المنير بها، لكنّه كان رجما للشياطين و أقام صدقة محاصرا لإسماعيل بالبصرة، فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها، و أعلموه أنهم لا يظفرون بطائل، فأشار عليهم بالمقام، و قالوا: إن رحلنا كانت كسرة، و كان رأى سيف الدولة المقام، و قال: إن تعذر على فتح البصرة لم يطعنى أحد، و استعجزنى الناس.

ثم إن إسماعيل خرج من البلد، و قاتل صدقة، فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد، و دخلوه، و قتلوا من السوادية، الذين جمعهم إسماعيل، خلقا كثيرا، و انهزم إسماعيل إلى قلعة بالجزيرة، فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة و أراد قتله، ففداه [٢]

أحد غلمانة بنفسه، فوعدت الضربة فيه فأثنته، فنهبت البصرة، و غنم من معه من عرب البرّ، و غيرهم، ما

[١] البصرة.

[٢] فغداه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٤

فيها، و لم يسلم منهم إلا المحلّة المجاورة لقبر طلحة و المربد، فإنّ العباسيين دخلوا المدرسة النظامية و امتنعوا بها، و حموا المربد، و عمّت المصيبة لأهل البلد، سوى من ذكرنا، و امتنع إسماعيل بقلعته.

فاتفق أنّ المهذب بن أبي الجبر «١» انحدر في سفن كثيرة، و أخذ القلعة التي لإسماعيل بمطارا، و قتل بها خلقا من أصحاب إسماعيل، و حمل إلى صدقة كثيرا فأطلقهم.

فلما علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه، و أهله، و أمواله، فأجابه إلى ذلك، و أجله سبعة أيام، فأخذ كلّ ما [١] يمكنه حمله ممّا يعزّ عليه، و ما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء و غيره، و نزل إلى سيف الدولة، و أمّن سيف الدولة أهل البصرة من كلّ أذى، و ربّ عندهم شحنة، و عاد إلى الحلّة ثالث جمادى الآخرة، و كان مقامه بالبصرة سنّة عشر يوما.

و أمّا إسماعيل فإنّه لمّا سار صدقة إلى الحلّة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب، و سار نحو فارس، و صار يتعنّت أصحابه، و زوجته، و قبض على جماعة من خواصّه و قال لهم: أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السمّ حتّى مات! و كان قد مات في صفر من هذه السنّة، ففارقه كثير منهم، حتّى زوجته فارقته و سارت إلى بغداد.

و أخذته الحمى، و قويت عليه، فلما بلغ رامهرمز انفرد في خيمته، و لم يظهر لأصحابه يوما و ليلة، فظهر لهم موته، فنهبوا ماله و تفرّقوا، فأرسل الأمير برامهرمز فردّههم و أخذ ما معهم من أمواله، و دفن بالقرب من

[١] كَلِّما.

(١). الخير. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٥

إيدج، و كان عمره قد جاوز خمسين سنه، و كانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيرا.

ذكر حصر رضوان نصيبين و عوده عنها

في هذه السنّة، في شهر رمضان، حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين.

و سبب ذلك: أنّه عزم على حرب الفرنج، و اجتمع معه من الأمراء:

إيلغازي بن أرتق، الذي كان شحنة بغداد، و أصبهذ صباوة، و ألبى ابن أرسلان تاش، صاحب سنجار، و هو صهر جكرمش، صاحب الموصل، فقال إيلغازي: الرأى أنّنا نقصد بلاد جكرمش، و ما والاها، فنملكها، و نتكثّر بعسكرها و الأموال. و وافقه ألبى، فسار إلى نصيبين في عشرة آلاف فارس، مستهلّ رمضان، و كان قد جعل فيها أميرين من أصحابه في عسكر، فتحصّنوا بالبلد، و قاتلوا من وراء السور، فرمى ألبى بن أرسلان تاش بنشابه، فجرح جرحا شديدا، فعاد إلى سنجار.

و أمّا جكرمش فإنّه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين، و هو بالحامة «١»، التي بالقرب من طنزة، يتداوى بمائها من «٢» مرضه، فرحل «٣» إلى الموصل، و قد أجفل إليها أهل السواد، فخيم على باب البلد، عازما على حرب رضوان، و استعمل المخادعة، فكاتب أعيان عسكر رضوان، و رغّبهم، حتّى أفسد نيّاتهم، و تقدّم إلى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان، و بإخراج الإقامات إليه مع الاحتراز «٤»

منه، و أرسل إلى رضوان يبذل له خدمته، و الدخول في

(١). بالجايبة. b

(٢). بجامتها. p.c.

(٣) فدخل. b

(٤) الاحتراس. p.c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٦

طاعته، و يقول له: إنّ السلطان محمداً قد حصرني، و لم يبلغ مني غرضاً، فترحل عن صلح، و إن قبضت على إيلغازي الذي قد عرفت أنت و غيرك فساده و شرّه فأنا معك، و معينك بالرجال و الأموال و السلاح.

فاتفق هذا، و رضوان قد تغيّرت نيته «١» مع إيلغازي، فازداد تغيراً، و عزم على قبضه، فاستدعاه يوماً، و قال له: هذه بلاد ممتنعة، و ربّما استولى الفرنج على حلب، و المصلحة مصالحة جكرمش، و استصحابه معنا، فإنّه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل، و نعود «٢» إلى قتال الفرنج، فإن ذلك ممّا يعود باجتماع شمل المسلمين. فقال له إيلغازي: إنك جئت بحكمك، و أنت الآن بحكمي لا أمكنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد، فإن أقت، و إلّا بدأت بقتالك.

و كان إيلغازي قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان، و كان الملك رضوان قد واعد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه، فلما جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه و قيده، فلما سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف و الامتعاض، ففارقوا «٣» رضوان و التجئوا إلى سور المدينة، و أصدع إيلغازي إلى قلعته، و خرج من بنصيبين من العسكر فأعانوه، فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا، و نهبوا ما قدروا عليه من المواشي و غيرها، و رحل رضوان من وقته و سار إلى حلب.

و كان جكرمش قد رحل من الموصل قاصداً لحرب القوم، فلما بلغ تلّ يعفر أتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف و افتراق، فرحل عند ذلك إلى سنجار، و وصلت إليه رسل رضوان «٤» تستدعي منه النجدة، و يعتدّ عليه ما فعل بإيلغازي، فأجابه مغالطة، و لم يف له بما وعده، و نازل سنجار ليشفي غيظه من صهره ألبى بن أرسلان تاش بما أعتده من معاداته، و مظاهره

(١). تغيير. p.c.

(٢). و يعود. p.c.

(٣). و ما ملوا. b

(٤). سنجار. p.c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٧

أعدائه، و كان ألبى على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيبين، فلما نزل جكرمش عليها أمر ألبى أصحابه أن يحملوه إليه، فحملوه في محفة، فحضر عنده، و أخذ يعتذر ممّا كان منه، و قال: جئت مذنباً، فافعل بي ما تراه. فرّق له و أعاده إلى بلده، فلما عاد قضى [١] نجه، فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار، و تمسكوا بالبلد، فقاتلهم [٢] بقيه رمضان، و شوالاً، و لم يظفر منهم بشيء، فجاء تيمرك أخو أرسلان تاش، عمّ ألبى، فأصلح حاله مع جكرمش، و بذل له الخدمة، فعاد إلى الموصل.

ذكر ملك طغتكين بصرى

قد ذكرنا سنة سبع و تسعين [و أربعمئة] حال بكتاش «١» بن تتش، و خروجه من دمشق، و اتّصاله بالفرنج، و معه أيتكين الحلبي،

صاحب بصرى، و سيرهما إلى الرّحبة، و عودهما عنها، فلمّا ضعفت أحوالهم سار طغتكين إلى بصرى فحصرها، و بها أصحاب أيتكين، فراسلوا طغتكين، و بذلوا له التسليم إليه، بعد أجل قرروه بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فرحل عنهم إلى دمشق، فلمّا انقضى الأجل، هذه السنّة، تسلّمها، و أحسن إلى من بها، و وفى [٣] لهم بما وعدهم، و بالغ فى إكرامهم، و كثر الثناء عليه، و الدعاء له، و مالت النفوس إليه، و أحبّوه.

[١] قضا.

[٢] فقائله.

[٣] و وفا.

(١). B. sitcnpupenis، ؟ تلتاش. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٨

ذكر ملك الفرنج حصن أفامية

فى هذه السنّة ملك الفرنج حصن أفامية من بلد الشام.

و سبب ذلك: أن خلف بن ملاعب الكلابى كان متغلباً على حمص، و كان الضرر به عظيماً، و رجاله يقطعون الطريق، فكثرت الحرامية عنده، فأخذها منه تتش بن ألب أرسلان و أبعده عنها، فتقلّبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر، فلم يلتفت إليه من بها، فأقام بها. و اتفق أن المتولّى لأفامية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر، و كان يميل إلى مذهبهم، يستدعى منهم من يسلم إليه الحصن، و هو من أمنع الحصون، و طلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به، و قال: إننى أرغب فى قتال الفرنج، و أوتر الجهاد. فسلموه إليه، و أخذوا رهائنه، فلمّا ملكه خلع طاعتهم و لم يرع حقهم، فأرسلوا إليه يتهدّدونه بما يفعلونه بولده الذى عندهم. فأعاد الجواب: إننى لا أنزل من مكاني، و ابعثوا إلىّ ببعض أعضاء ولدى حتى آكله، فأيسوا من رجوعه إلى الطاعة، و أقام بأفامية يخيف السيل، و يقطع الطريق، و اجتمع عنده كثير من المفسدين، فكثرت أمواله.

ثم إنّ الفرنج ملكوا سرمين، و هى من أعمال حلب، و أهلها [١] غلاة فى التشيع، فلمّا ملكها [٢] الفرنج تفرّق أهلها [٣]، فتوجّه القاضى الذى بها [٤] إلى ابن ملاعب و أقام عنده، فأكرمه، و أحبّه، و وثق به، فأعمل القاضى الحيلة عليه، و كتب

[١] و أهله.

[٢] ملكه.

[٣] أهله.

[٤] به.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٠٩

إلى أبى طاهر، المعروف بالصانع، و هو من أعيان أصحاب الملك رضوان، و وجوه الباطنية و دعاتهم، و وافقهم على الفتك بابن ملاعب، و أن يسلم أفامية إلى الملك رضوان، فظهر شىء من هذا، فأتى إلى ابن ملاعب أولاده، و كانوا قد تسلّوا إليه من مصر، و قالوا له: قد بلغنا عن هذا القاضى كذا و كذا، و الرأى أن تعاجله، و تحتاط لنفسك، فإن الأمر قد اشتهر و ظهر.

فأحضره ابن ملاعب، فأتاه فى كمّه مصحف، لأنّه رأى أمارات الشرّ، فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه «١»، فقال له: أيها الأمير، قد علم

كلّ أحد أنى أتيتك خائفاً جائعاً، فأمنتني، وأغنيتني، وعزّزتنى، فصرت ذا مال وجاه، فإن كان بعض من حسدنى على منزلتى منك، وما غمرنى من نعمتك سعى بى إليك، فأسألك أن تأخذ جميع ما معى، وأخرج كما جئت. وحلف له على الوفاء والنصح، فقبل عذره وأمنه.

و عاود القاضى مكاتبه أبى طاهر بن «٢» الصائغ، وأشار عليه أن يوافق رضوان على إنفاذ ثلاثمائة رجل من أهل سرمين، و ينفذ معهم خيلاً من خيول الفرنج، و سلاحاً من أسلحتهم، و رءوساً من رءوس الفرنج، و يأتوا [١] إلى ابن ملاعب و يظهرها [٢] أنهم غزاه و يشكوا [٣] من سوء معاملته الملك رضوان و أصحابه لهم، و أنهم فارقوه، فلقبهم طائفة من الفرنج، فظفروا بهم، و يحملوا [٤] جميع ما معهم إليه، فإذا أذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على إعمال الحيلة عليه، ففعل ابن «٣»

[١] و يأتون.

[٢] و يظهرهم.

[٣] و يشكون.

[٤] و يحملون.

(١). pc.mo

(٢-٣). b.mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٠

الصائغ ذلك، و وصل القوم إلى أفامية، و قدموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل و غيرها، فقبل ذلك منهم، و أمرهم بالمقام عنده، و أنزلهم فى ريبض أفامية.

فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة، فقام القاضى و من بالحصن من أهل سرمين، و دلّوا الحبال و أصدعوا أولئك القادمين جميعهم، و قصدوا أولاد ابن ملاعب، و بنى عمه، و أصحابه، فقتلوه، و أتى القاضى و جماعة معه إلى ابن ملاعب، و هو مع امرأته، فأحسّ بهم، فقال: من أنت؟ فقال:

ملك الموت جئت لقبض روحك! فناشده الله، فلم يرجع عنه، و جرحه «١»، و قتله، و قتل أصحابه، و هرب ابنه، فقتل أحدهما، و التحق الآخر بأبى الحسن ابن منقذ، صاحب شيزر، فحفظه لعهد كان بينهما.

و لمّا سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها، و هو لا يشكّ أنها له، فقال له القاضى: إن وافقتنى، و أقمت معى، فبالرحب و السّعة، و نحن بحكمك، و إلّا فارجع من حيث جئت. فأيس ابن الصائغ منه، و كان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين، غضبان على أبيه، فولّاه طغتكين حصناً، و ضمن على نفسه حفظ الطريق، فلم يفعل، و قطع الطريق، و أخذ القوافل، فاستغاثوا إلى طغتكين منه، فأرسل إليه من طلبه، فهرب إلى الفرنج، و استدعاهم إلى حصن أفامية، و قال: ليس فيه غير قوت شهر، فأقاموا عليه يحاصرونه، فجاع أهله، و ملكه الفرنج، و قتلوا القاضى المتغلب عليه، و أخذوا الصائغ فقتلوه، و كان هو الذى أظهر مذهب الباطنية بالشام.

هكذا ذكر بعضهم أن أبى طاهر الصائغ قتله الفرنج بأفامية، و قد قيل إن ابن بديع، رئيس حلب، قتله سنة سبع و خمسمائة، بعد وفاة رضوان، و قد ذكرناه هناك، و الله أعلم «٢».

(١). و ضربه.

(٢). p.c.mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١١

ذكر نهب العرب البصرة

قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة، و أنه استتاب بها مملوكا كان لجده ديبس بن مزيد، اسمه التونتاش، و جعل معه مائة و عشرين فارسا.

فاجتمعت ربيعة و المنتفق و من انضم إليها من العرب، و قصدوا البصرة فى جمع كثير، فقاتلهم التونتاش، فأسروه، و انهزم أصحابه، و لم يقدر من بها على حفظها، فدخلوها بالسيف أواخر ذى القعدة، و أحرقوا الأسواق، و الدور الحسان، و نهبوا ما قدروا عليه، و أقاموا ينهبون و يحرقون اثنين و ثلاثين يوما، و تشرّد «١» أهلها [١] فى السواد، و نهبت خزائنه كتب كانت موقوفة، وقفها القاضى أبو الفرج بن أبى البقاء.

و بلغ الخبر صدقة، فأرسل عسكرا، فوصلوا و قد فارقتها العرب. ثم إن السلطان محمدا أرسل شحنة و عميدا إلى البصرة، و أخذها من صدقة، و عاد أهلها إليها و شرعوا فى عمارتها.

ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج

كان صنجيل الفرنجى، لعنه الله، قد ملك مدينة جبله، و أقام على طرابلس يحصرها، فحيث لم يقدر أن يملكها، بنى [٢] بالقرب منها حصنا، و بنى [٢] تحته ريبضا،

[١] أهله.

[٢] بنا.

(١). و فسد. B

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٢

و أقام مراصدا لها، و منتظرا وجود فرصة فيها، فخرج فخر الملك أبو على ابن عمّار، صاحب طرابلس، فأحرق ريبضه، و وقف صنجيل على بعض سقوفه المتحرقة، و معه جماعة من القمامصة و الفرسان، فانخسف بهم، فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام و مات، و حمل إلى القدس فدفن فيه.

ثم إن ملك الروم أمر أصحابه باللذقية ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس، فحملوها فى البحر، فأخرج إليها فخر الملك بن عمّار أسطولا، فجرى بينهم و بين الروم قتال شديد، فظفر المسلمون بقطعة من الروم، فأخذوها، و أسروا من كان بها و عادوا.

و لم تزل الحرب بين أهل طرابلس و الفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت، فعدمت الأقوات به، و خاف أهله على نفوسهم و أولادهم و حرمهم، فجلا الفقراء، و افتقر الأغنياء، و ظهر من ابن عمّار صبر عظيم، و شجاعة، و رأى سديد.

و مّيا أضرّ بالمسلمين فيها أن صاحبها استنجد سقمان بن أرتق، فجمع العساكر و سار إليه، فمات فى الطريق، على ما ذكرناه، و إذا أراد الله أمرا هيا أسبابه.

و أجرى ابن عمّار الجرايات على الجند و الضّعفى، فلما قلت الأموال عنده شرع يقسّط على الناس ما يخرجهم فى باب الجهاد، فأخذ من رجلين من الأغنياء مالا مع غيرهما، فخرج الرجلان إلى الفرنج و قالوا: إن صاحبنا صادرنا، فخرجنا إليكم لنكون معكم، و ذكرا لهم أنه

تأتيه الميرة من عرقه و الجبل، فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد، فأرسل ابن عمّار و بذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين إليه، فلم يفعلوا، فوضع عليهما من قتلتهما غيلة «١».

(١). عندهم لعنهم الله. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٣

و كانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام و أكثرها تجمّلا و ثروة، فباع أهلها من الحلبي، و الأواني الغربية، ما لا حدّ عليه، حتّى بيع كلّ مائة درهم نقره دينار. و شتان بين هذه الحالة و بين حال الروم أيام السلطان ألب أرسلان، و قد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث و ستين و أربعمئة، و قد كان بعض أصحابه، و هو كمشتكين دواتي، عميد الملك، هرب منه خوفا لئلا يقبض على صاحبه عميد الملك، و سار إلى الرقة فملكها، و صار معه كثير من التركمان، فيهم: الأفشين، و أحمد شاه، فقتلاه، و أرسل أمواله إلى ألب أرسلان، و دخل الأفشين بلاد الروم، و قاتل الفردوس «١»، صاحب أنطاكية، فهزّمه، و قتل من الروم خلقا كثيرا.

و سار ملك الروم من القسطنطينية إلى ملطية، فدخل الأفشين بلاده، و وصل إلى عمورية، و قتل في غزاته مائة ألف آدمي، و لَمّا عاد إلى بلاد الإسلام و تفرّق من معه خرج عليه عسكر الرّها، و هي حينئذ للروم، و معهم بنو نمير من العرب، فقاتلهم، و معه مائتا فارس، فهزّمهم و نهبهم، و نهب بلاد الروم، فأرسل ملك الروم رسولا إلى القائم بأمر الله يسأله الصلح، فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك، فصالح الروم على مائة ألف دينار، و أربعة آلاف ثوب أصنافا [١]، و ثلاثمئة رأس بغالا [٢]. فشتان بين الحاليتين. و أقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استعجزهم، و بين حال الناس في زماننا هذا، و هو سنة ست عشرة «٢» و ستمائة مع الفرنج أيضا و التتر، و سترى ذلك مشروحا، إن شاء الله تعالى، لتعلم الفرق، نسأل الله تعالى أن

[١] أصناف.

[٢] بغال.

(١). الفروردس. b.

(٢). خمس و عشرين. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٤

يبسر للإسلام و أهله قائما يقوم بنصرهم، و أن يدفع عنهم بمن أحبّ من خلقه، و ما ذلك على الله بعزير [١].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد إلى بغداد إنسان من الملتّمين، ملوك الغرب، قاصدا إلى دار الخلافة، فأكرم، و كان معه إنسان يقال له الفقيه، من الملتّمين أيضا، فوعظ الفقيه في جامع القصر «١»، و اجتمع له العالم العظيم، و كان يعظ و هو متلّم لا يظهر منه غير عينيه، و كان هذا الملتّم قد حضر مع ابن الأفضل، أمير الجيوش بمصر، و وقته مع الفرنج، و أبلى بلاء حسنا.

و كان سبب مجيئه إلى بغداد: أنّ المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين، أصحاب مصر، الاعتقاد القبيح، فكانوا، إذا أرادوا الحجّ، يعدلون عن مصر، و كان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه، و لا قاربوه، فأمر بقتل من ظفر به منهم، فلَمّا ولى ابنه الأفضل أحسن إليهم، و استعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج، و كان هذا من جملة من قاتل معه، فلَمّا خالط المصريين خاف العود إلى بلاده، فقدم بغداد، ثم عاد إلى دمشق، و لم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلّا و شهدها، فقتل في بعضها شهيدا، و

كان شجاعاً فتأكا مقداما.

و فيها، فى ربيع الآخر، ظهر كوكب فى السماء له ذؤابة، كقوس قرح،

[١] العزيز.

(١) الذى بناء المنصور. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٥

آخذة من المغرب إلى وسط السماء، و كان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا، و بقى يظهر عدّة ليال، ثم غاب.

و فيها وصل الملك قلعج أرسلان بن سليمان بن قتلش، صاحب بلاد الروم، إلى الزها ليحصرها، و بها الفرنج، فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحرّان ليسلّموها إليه، فسار إليهم و تسلّم البلد، و فرح به الناس لأجل جهاد الفرنج، فأقام بحرّان أياما، و مرض مرضا شديدا، أوجب عوده إلى ملطية، فعاد مريضا، و بقى أصحابه بحرّان.

و فى هذه السنة توفى الشيخ أبو منصور الخياط المقرئ، إمام مسجد ابن جرّدة، و كان خيرا صالحا.

و فيها قتل القاضى أبو العلاء صاعد بن أبى محمّد النيسابورى الحنفى بجامع أصبهان، قتله باطنى.

و فيها توفى أبو الفوارس الحسين بن على بن الحسين بن الخازن «١»، صاحب الخطّ الجيّد، و عمره سبعون [١] سنة، قيل إنّه كتب خمسمائة ختمة.

و فيها، فى المحرم، توفى القاضى أبو الفرج عبيد الله بن الحسن، قاضى البصرة، و له ثلاث و ثمانون سنة، و كان من الفقهاء الشافعية المشهورين، تفقه على الماوردى، و أبى إسحاق، و أخذ النحو عن الرقى، و الدهان، و ابن برهان، و كان عفيفا، مقدّما عند الخلفاء و السلاطين.

و فيها، فى المحرم، توفى سهل بن أحمد بن على الأريغى، أبو الفتح الحاكم، تفقه على الجوينى، و برّز، ثم ترك المناظرة، و بنى رباطا، و اشتغل

[١] سبعين.

(١) الحارث. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٦

بالعبادة و قراءة القرآن.

و فيها، فى صفر، توفى الأمير مهارش بن مجلى «١» و له نحو ثمانين سنة، و هو الذى كان الخليفة القائم عنده بالحديث، و كان كثير الصلاة و الصوم، يحبّ الخير و أهله، و لما توفى ملك الحديث بعده ابنه سليمان «٢».

(١) بن عكنب. b. dda.

(٢) b. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٧

٥٠٠ ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين و ملك ابنه على

فى هذه السنة توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ملك الغرب و الأندلس، و كان حسن السيرة، خيرا، عادلا، يميل إلى أهل الدين و العلم، و يكرمهم، و يصدر عن رأيهم، و لما ملك الأندلس، على ما ذكرناه، جمع الفقهاء و أحسن إليهم، فقالوا له: ينبغى أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة، فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله، أمير المؤمنين، رسولا و معه هدية كثيرة، و كتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، و ما أعتمده من نصره الإسلام، و يطلب تقليدا بولاية البلاد، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد، و لقب أمير المسلمين، و سيرت إليه الخلع، فسرى بذلك سرورا كثيرا، و هو الذى بنى [١] مدينة مراكش للمرابطين، و بقى على ملكه إلى سنة خمس مائة، فتوفى و ملك بعده البلاد ولده على بن يوسف، و تلقب أيضا أمير المسلمين، فازداد فى إكرام العلماء و الوقوف عند إشارتهم، و كان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، و لان قلبه لها، و ظهر ذلك عليه. و كان يوسف بن تاشفين حلما، كريما، دينا، خيرا، يحب أهل العلم و الدين، و يحكمهم فى بلاده، و كان يحب العفو و الصفح عن الذنوب العظام، فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا، فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها، و تمنى

[١] بنا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٨

الآخر عملا يعمل [١] فيه لأمر المسلمين، و تمنى الآخر زوجته النفزاوية «١»، و كانت من أحسن النساء، و لها الحكم فى بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم، و أعطى متمنى المال ألف دينار، و استعمل الآخر، و قال للذى تمنى زوجته: يا جاهل! ما حملك على هذا الذى لا تصل إليه؟ ثم أرسله إليها، فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كل يوم طعاما واحدا، ثم أحضرته و قالت له: ما أكلت هذه الأيام؟ قال: طعاما واحدا، فقالت: كل النساء شىء واحد. و أمرت له بمال و كسوة و أطلقتته.

ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك

فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك، يوم عاشوراء، و كان أكبر أولاده، و قد ذكرنا سنة ثمان و ثمانين و أربع مائة وزارته للسلطان بركيارق، فلما فارق وزارته قصد نيسابور، و أقام عند الملك سنجر بن ملك شاه، و وزير له، و أصبح يوم عاشوراء صائما، و قال لأصحابه: رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على، عليه السلام، و هو يقول: عجل إلينا، و ليكن إفطارك عندنا، و قد اشتغل فكرى به، و لا محيد عن قضاء الله و قدره! و قالوا له: يحميك [٢] الله، و الصواب أن لا تخرج اليوم و الليلة من دارك، فأقام يومه يصلى، و يقرأ القرآن، و تصدق بشىء كثير «٢».

[١] يعمله.

[٢] يحثيك.

(١) b. sitcnpenis، النصراوته. p. c.

(٢) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤١٩

فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء، فسمع صياح متظلم، شديد الحرقة، و هو يقول: ذهب المسلمون،

فلم يبق من يكشف مظلمة، ولا- يأخذ بيد ملهوف! فأحضره عنده، رحمه له، فحضر فقال: ما حالك؟ فمدف إليه رقعة، فبينما فخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين ففضى عليه، فمات، فحمل الباطني إلى سنجر، فقرره، فأقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا، و قال: إنهم وضعوني على قتله، و أراد أن يقتل بيده و سعائته، فقتل من ذكر، و كان مكذوبا عليهم، ثم قتل الباطني بعدهم، و كان عمر فخر الملك ستا [١] و ستين سنة.

ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت

في هذه السنة، في صفر، تسلّم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت، و قد ذكرنا فيما تقدّم أنّها كانت لبني مقن العقيليين، و كانت إلى آخر سنة سبع و عشرين و أربعمائه بيد رافع بن الحسين بن مقن، فمات، و وليها ابن أخيه أبو منعه خميس بن تغلب بن حماد، و وجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ، و توفي سنة خمس و ثلاثين و أربعمائه، و وليها ولده أبو غشام. فلما كان سنة أربع و أربعين [و أربعمائه] وثب عليه عيسى فحبسه، و ملك القلعة و الأموال، فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان و أربعين [و أربعمائه] صالحه على بعض المال فرحل عنه.

[١] ست.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٠

و خافت زوجته أميرة، بعد موته، أن يعود أبو غشام فيملك القلعة «١»، فقتلته، و كان قد بقى في الحبس أربع سنين، و استنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان، فسلّمها إلى أصحاب السلطان طغرلبك، فسارت إلى الموصل، فقتلها ابن أبي غشام بأبيه، و أخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها، و ردّ طغرلبك أمر القلعة إلى إنسان يعرف بأبي العباس الرازي، فمات بها بعد ستّة أشهر، فملكها المهرباط، و هو أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر، فأقام بها إحدى و عشرين سنة و مات، و وليها ابنه ستين، و أخذتها منه ترکان خاتون، و وليها لها كوهرائين.

ثم ملكها بعد وفاة ملك شاه قسيم الدولة آقسنقر، صاحب حلب، فلما قتل صارت للأمير كمشتكين الجاندار، فجعل فيها رجلا يعرف بأبي المصارع، ثم عادت إلى كوهرائين إقطاعا، ثم أخذها منه مجد الملك البلاساني، فولّى فيها كيقباز بن هزارسب الديلمي، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، فظلم أهلها، و أساء السيرة، فلما اجتاز به سقمان بن أرتق سنة ستّ و تسعين [و أربعمائه] و نهبها، كان كيقباز ينهبها ليلا، و سقمان ينهبها نهارا.

فلما استقرّ السلطان محمّد بعد موت أخيه بركيارق أقطعها للأمير آقسنقر البرسقي، شحنه بغداد، فسار إليها و حصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر، حتّى ضاق على كيقباز الأمر، فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها إليه، فسار إليها في صفر هذه السنة و تسلّمها منه، و انحدر البرسقي و لم يملكها.

و مات كيقباز بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام، و كان عمره ستين سنة، و استناب صدقة بها ورام بن أبي فراس بن ورام، و كان كيقباز ينسب إلى الباطنية، و كان موته من سعادة صدقة، فإنّه أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس في اعتقاده و مذهبه «٢».

(١) b. mo

(٢) p. c. mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢١

ذكر الحرب بين عبادة و خفاجة

فى هذه السنة، فى ربيع الأول، كانت حرب بين عبادة و خفاجة، فظفرت عبادة، و أخذت بثأرها من خفاجة. و كان سبب ذلك أن سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران فى جيش إلى طرف «١» بلاده ممّا يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لأنهم يؤذون أهل تلك النواحي، فقبروا منه، و تهدّدوا أهل البلاد، فكتب إلى أبيه يشكو منهم، و يعرّفه حالهم، فأحضر عبادة، و كانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ما ذكرناه، فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهّزوا مع عسكره ليأخذوا بثأرهم من خفاجة، فساروا فى مقدّم عسكره «٢»، فأدرکوا حلّة من خفاجة من بنى كليب ليلا، و هم غارون، لم يشعروا بهم، فقالوا: من أنتم؟ فقالت عبادة: نحن «٣» أصحاب لديون، فعلموا أنهم عبادة، فقاتلوهم، و صبرت خفاجة، فبينما هم فى القتال إذ سمع طبل الجيش، فانهزموا، و قتلت منهم عبادة جماعة، و كان فيهم عشرة من وجوههم، و تركوا حرمهم [١]، فأمر صدقة بحراستهم و حمايتهم، و أمر العسكر أن يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة، خلفا لهم عمّا أخذ منهم فى العام الماضى. و أصاب خفاجة من مفارقة بلادها، و نهب أموالها، و قتل رجالها، أمر عظيم، و انتزحت إلى نواحي البصرة، و أقامت عبادة فى بلاد خفاجة.

و لما انهزمت خفاجة و تفرقت و نهبت أموالها، جاءت امرأة منهم إلى الأمير

[١] حرمتهم.

(١) أطراف.b

(٢) mo.b

(٣) mo.c.p

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٢

صدقة، فقالت له: إنك سيبتنا، و سلبتنا قوتنا، و غزبتنا «١»، و أضعت حرمتنا، قابلك الله فى نفسك، و جعل صورة أهلك كصورتنا. فكظم الغيظ و احتمل لها ذلك، و أعطها أربعين جملا، و لم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه و أولاده، فإن دعاء الملهوف عند الله بمكان.

ذكر مسير جاولى سقاو إلى الموصل و أسر صاحبها جكرمش

فى هذه السنة، فى المحرم، أقطع السلطان محمّد جاولى سقاو الموصل، و الأعمال التى بيد جكرمش، و كان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان و فارس، و أقام بها سنين، و عمر قلاعها و حصنها، و أساء السيرة فى أهلها، و قطع أيديهم و جدع أنوفهم و سمل أعينهم.

فلما تمكّن السلطان محمّد من السلطنة خافه جاولى، و أرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين، فتحصّن منه جاولى، و حصره مودود ثمانية أشهر، فأرسل جاولى إلى السلطان: إننى لا أنزل إلى مودود، فإن أرسلت غيره نزلت.

فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر، فنزل جاولى، و حضر الخدمة بأصبهان، فرأى من السلطان ما يحبّ، و أمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم، و أقطعه الموصل و ديار بكر «٢» و الجزيرة كلّها «٣».

و كان جكرمش لما عاد من عند السلطان إلى بلاده، كما ذكرناه، و عد من نفسه الخدمة، و حمل المال، فلما استقرّ ببلاد له لم يف بما

قال، و تناقل فى الخدمة و حمل المال، فأقطع بلاده لجاولى، فجاء «٤» إلى بغداد، و أقام بها إلى

(١) عذبتنا. C. p.

(٢) p. c. mo.

(٣) b. mo.

(٤) فسار. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٣

أول ربيع الأول، و سار إلى الموصل، و جعل طريقه على البوازيج، فملكها و نهبها أربعة أيام، بعد أن آمن أهلها، و حلف لهم أنه يحميهم، فلما ملكها سار إلى «١» إربل.

و أميا جكرمش فإنه لَمَّا بلغه مسيره إلى بلاده كتب فى جمع العساكر، فأتاه «٢» كتاب أبى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى، صاحب إربل، يذكر استيلاء جاولى على البوازيج، و يقول له: إن لم تعجل المجيء لنجتمع عليه و نمنعه، و إلّا اضطرتت إلى موافقته و المصير معه. فبادر جكرمش و عبر إلى شرقى دجلة، و سار فى عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره، و أرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده، فاجتمعوا بقرية باكلبا «٣» من أعمال إربل.

و وافاهم جاولى و هو فى ألف فارس، و كان جكرمش فى ألفى فارس، و لا يشك أنه يأخذ جاولى باليد، فلما اصطفوا للحرب حمل جاولى من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه، و بقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به، فهو لا يقدر [أن] يركب «٤»، و إنما يحمل فى محفة، فلما انهزم أصحابه «٥» قاتل عنه ركابى أسود قتالا عظيما، فقتل، و قاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود، اسمه أحمد، فقاتل بين يديه، فطعن فجرح و انهزم، فمات بالموصل، و لم يقدر أصحاب جاولى على الوصول إلى «٦» جكرمش، حتى قتل الركابى الأسود فحينئذ أخذوه أسيرا و أحضروه عند جاولى، فأمر بحفظه و حراسته. و كانت عساكر جكرمش التى استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومين، فساروا جرائد ليدر كوا الحرب، فلقبهم المنهزمون ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

(١) نحو. b.

(٢) p. c. ni. cal.

(٣) .sitcnupenis. b.

(٤) b. mo.

(٥) صاحبه. C. p.

(٦) p. c. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٤

ذكر حصر جاولى سقاو الموصل و موت جكرمش

لما انهزم العسكر، و أسر جكرمش، وصل الخبر إلى الموصل، فأعدوا فى الأمر زكى بن جكرمش، و هو صبى عمره إحدى عشرة سنة، و خطبوا له، و أحضروا أعيان البلد، و التمسوا منهم المساعدة، فأجابوا إلى ذلك.

و كان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلى «١»، فقام فى ذلك المقام المرضى، و فزق الأموال التى جمعها جكرمش، و

الخيول، و غير ذلك على الجند، و كاتب سيف الدولة صدقته، و قلع أرسلان، و البرسقي، شحنه بغداد، بالمبادرة إليهم، و منع جاولي عنهم، و وعدوا كلاً منهم أن يسلموا البلد إليه.

فأما صدقة فلم يجبههم إلى ذلك، و رأى طاعة السلطان، و أما البرسقي و قلع أرسلان فنذكر حالهما.

ثم إن جاولي حصر الموصل، و معه كرماوى «٢» بن خراسان التركمانى، و غيره من الأمراء، و كثر جمعه، و أمر أن يحمل جكرمش كل يوم على بغل و ينادى [١] أصحابه بالموصل ليسلموا البلد و يخلصوا صاحبهم ممّا هو فيه، و يأمرهم هو بذلك، فلا يسمعون منه، و كان يسجنه فى جبّ، و يوكل به من يحفظه لئلا يسرق، فأخرج فى بعض الأيام ميتاً، و عمره نحو ستين سنة، و كان شأنه قد علا، و منزلته قد عظمت، و كان قد شيد سور الموصل و قوّاه، و بنى عليها فصيلاً، و حفر خندقها، و حصنها غاية ما يقدر عليه.

و كان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن

[١] و ينادون.

(١) قزغلى.b.

(٢) طرماوى.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٥

كسيرات «١»، و بنو كسيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها، و كان أبو طالب قد تقدّم عند جكرمش، و ارتفعت منزلته، و استولى على أموره، و حضر معه الحرب، فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب إلى إربل، و كان أولاد أبى الهيجاء، صاحب إربل، قد حضروا الحرب مع جكرمش، و أسرهم جاولي، فأرسل إلى أبى الهيجاء يطلب ابن كسيرات، فأطلقه و سيّره إليه، فأطلق جاولي ابن أبى الهيجاء، فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل و بلاد جكرمش، و تحصيل الأموال، فاعتقله اعتقالاً جميلاً.

و كان قاضى الموصل أبو القاسم بن ودعان «٢» عدوّاً لأبى طالب، فأرسل إلى جاولي يقول له: إن قتلت أباً طالب سلّمت الموصل إليك. فقتله و أرسل رأسه إليه، فأظهر الشماتة به، و أخذ كثيراً من أمواله و ودائعها، فثار به الأتراك غضباً لأبى طالب و لتفردّه بما أخذ من أمواله، فقتلوه، و كان بينهما شهر واحد، و قد رأينا كثيراً، و سمعنا ما لا نحصىه [من] قرب وفاة أحد المتعاضدين بعد صاحبه.

ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية و الفرنج

فى هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم، صاحب القسطنطينية، و بين بيمند الفرنجى، فسار بيمند إلى بلد ملك الروم و نهبه، و عزم على قصده، فأرسل ملك الروم إلى الملك قلع أرسلان بن سليمان، صاحب قوتية و أقصرا و غيرهما من تلك البلاد، يستنجده، فأمدّه بجمع من عسكره، فقوى بهم، و توجه إلى بيمند، فالتقوا و تصافوا و اقتتلوا، و صبر الفرنج بشجاعتهم، و صبر الروم و من معهم لكثرتهم، و دامت الحرب، ثم أجلت الوقعة عن هزيمة

(١) p. c. mo.

(٢) ودعات.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٦

الفرنج، و أتى القتل على أكثرهم، و أسر كثير منهم، و الذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام، و عاد عسكر قلع أرسلان إلى بلادهم عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة، فأتاهم خبر قتله، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فتركوا الحركة و أقاموا.

ذكر ملك قلع أرسلان الموصل

قد ذكرنا أن أصحاب جكرمش كتبوا إلى الأمير صدقته، و قسيم الدولة البرسقي، و الملك قلع أرسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي، صاحب بلاد الروم، يستدعون كلاً منهم إليهم ليسلموا البلد إليه. فأما صدقته فامتنع، و رأى طاعة السلطان «١»، و أمياً قلع أرسلان فإنه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاوو بوصوله إلى نصيبين رحل عن الموصل، و أمّا البرسقي فإنه كان شحنة بغداد، فسار منها إلى الموصل، فوصلها بعد رحيل جاولي عنها، فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد إليه، و لا أرسلوا إليه كلمة واحدة، فعاد في باقى «٢» يومه.

ثم إن قلع أرسلان لما وصل إلى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه، فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سنجار، و أودع رحله بها، و اتصل به الأمير إيلغازى بن أرتق و جماعة من عسكر جكرمش، فصار معه أربعة آلاف فارس. فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام، و يقول له:

إن الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم، فسار إلى الرّحبة.

و أرسل أهل الموصل و عسكر جكرمش إلى قلع أرسلان، و هو بنصيبين،

(١) الخليفة. b.

(٢) p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٧

فاستحلفوه لهم، فحلف، و استحلفهم على الطاعة له و المناصحة، و سار معهم إلى الموصل، فملكها في الخامس و العشرين من رجب، و نزل بالمعركة «١»، و خرج إليه ولد جكرمش و أصحابه، فخلع عليهم، و جلس على التّخت، و أسقط السلطان محمّداً، و خطب لنفسه بعد الخليفة، و أحسن إلى العسكر «٢»، و أخذ القلعة من غزغلي «٣»، مملوك جكرمش، و جعل له فيها دزدارا، و رفع الرسوم المحدثّة في الظلم، و عدل في الناس و تألفهم، و قال: من سعى إلى [١] بأحد قتلته، فلم يسع أحد بأحد، و أقرّ القاضي أبا محمّد عبد الله بن القاسم ابن الشهرزورى على القضاء بالموصل، و جعل الرئاسة لأبى البركات محمّد بن محمّد بن خميس، و هو والد شيخنا أبى الربيع سليمان.

و كان في جملة قلع أرسلان الأمير إبراهيم بن ينال التركمانى، صاحب آمد، و محمّد بن جبج التركمانى، صاحب حصن زياد، و هو خرتبرت.

فأما إبراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أن تاج الدولة تتش، حين ملك ديار بكر، سلّمها إليه، فبقيت بيده، و أمّا محمّد بن جبج فكان سبب ملكه لحصن زياد أن هذا الحصن «٤» كان بيد الفلادروس «٥» الرومى، ترجمان ملك الروم، و كانت الرّها و أنطاكية من أعماله، فلما ملك سليمان ابن قتلمش، والد قلع أرسلان هذا «٦»، أنطاكية، و ملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر، ضعف الفلادروس عن إقامة ما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة و الإقامة، فأخذه جبج، و أسلم الفلادروس على يد السلطان ملك شاه، و أمره على الرّها، فلم يزل عليها حتى مات و أخذها الأمير بزبان «٧» بعده.

[١] إليه.

(٢) mo.b.

(٣) فرعلى.b.

(٤) mo.b.

(٥) e uqibusitcnpenis .ddoc

(٦) p.c.mo

(٧) نزان.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٨

و كان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه افرنجي «١»، و كان يقطع الطريق، و يكثر قتل المسلمين، فأرسل إليه جبج هدية، و خطب إليه مودته، و أن يعين كل واحد منهما صاحبه، فأجابه إلى ذلك، فكان جبج يعين افرنجي على قطع الطريق و غيره، و كذلك افرنجي يعين جبج، فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل إليه جبج: إني أريد قصد بعض الأماكن، و طلب أن يرسل إليه أصحابه، فأرسلهم إليه، فلما «٢» ساروا معه في الطريق تقدّم بكتفهم، و حملهم إلى قلعة افرنجي، و قال لأهلهم «٣»: و الله لئن لم تسلّموا إلى افرنجي لأضربن أعناقهم، و لأخذن الحصن عنوة، و لأقتلنكم على دم واحد.

ففتحوا له الحصن، و سلّموا إليه افرنجي، فسلخه، و أخذ أمواله و سلاحه، و كان عظيما، و مات جبج، فولى بعده ابنه محمّد.

ذكر قتل قلع أرسلان و ملك جاولي الموصل

قد ذكرنا أنّ قلع أرسلان لما وصل إلى نصيبين سار جاولي عن الموصل إلى سنجار، ثم إلى الرّحبة، فوصلها في رجب، و حصرها إلى الرابع و العشرين من شهر رمضان، و كان صاحبها حينئذ يعرف بمحمّد بن السباق، و هو من بني شيبان، ربّته بها الملك دقاق لما فتحها، و أخذ ولده رهينة، و حمله معه إلى دمشق، فلما توفّي أرسل هذا الشيبانيّ قوما سرقوا ولده و حملوه إليه، فلما وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيين، و خطب في بعض الأوقات لقلع أرسلان. فلما وصل إليها جاولي و حصرها، أرسل إلى الملك رضوان يعرفه أنّه على الاجتماع به و مساعدته على من يحاربه، و يشرط «٤» عليه أنّه إذا

(١) فرنجي.b.

(٢) p.cni.cal

(٣) لأعيانهم.b.

(٤) و شرط.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٢٩

تسلّم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده، فلما استقرت القاعدّة بينهما حضر عنده رضوان، فاشتدّ الحصار على أهل البلد، و ضاقت عليهم الأمور.

و اتفق جماعة كانوا بأحد الأبراج، و أرسلوا إلى جاولي، و استخلفوه على حفظهم و حراستهم، و أمره أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل، ففعل ذلك، فرفع من في البرج أصحابه إليهم في الجبال، فضربوا بوقاتهم و طولهم، فخذل من في البلد، و دخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع و العشرين من شهر رمضان، و نهبوه إلى الظهر، ثم أمر برفع النهب، و نزل إليه محمّد الشيبانيّ صاحب البلد، و أطاعه، و صار معه.

ثم إن قلع أرسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جاولي سقاو و ليحاربه، و جعل ابنه ملك شاه في دار الإمارة، و عمره إحدى

عشرة سنة، و معه أمير يدبره، و جماعة من العسكر، و كانت عدّة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدّة الكاملة و الخيل الجيدة. و سمع العسكر بقوة جاولى، فاختلفوا، و كان أول من خالف عليه إبراهيم ابن نبال، صاحب آمد، فإنه فارق خيامه و أثقاله و عاد من الخابور إلى بلده، و كذلك غيره، و عمل قلعج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى و كثرة جموعه، و أرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج، كما ذكرناه، فلما وصل إلى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف (١). و كان مع جاولى أربعة آلاف، من جملتهم الملك رضوان، و جماعة من عسكره، إلا أن شجاعانه أكثر، و اغتنم جاولى قلة عسكر قلعج أرسلان، فقاتله قبل وصول عساكره إليه، فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة، فحمل قلعج أرسلان

(١) mo.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٠

على القوم بنفسه، حتى خالطهم، فضرب يد صاحب العلم فأبانها، و وصل إلى جاولى بنفسه، فضربه بالسيف، فقطع الكراغند و لم يصل إلى بدنه، و حمل أصحاب جاولى على أصحابه فهزمهم، و استباحوا ثقلهم و سوادهم، فلما رأى قلعج أرسلان انهزام عسكره علم أنه إن أسر فعل به فعل من لم يترك للصالح موضعا، لا سيما و قد نازع السلطان فى بلاده، و اسم السلطنة، فألقى نفسه فى الخابور، و حمى نفسه من أصحاب جاولى (١) بالنشاب، فأنحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق، و ظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية (٢) و هى من قرى الخابور.

و سار جاولى إلى الموصل، و لما وصل إليها فتح أهلها له بابها، و لم يتمكن من بها من أصحاب قلعج أرسلان من منعهم، و نزل بظاهر البلد، و أخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذين حضروا الوقعة (٣) مع قلعج أرسلان إلى جهة (٤). فلما ملك جاولى الموصل أعاد خطبة السلطان محمّد، و صادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش، و سار إلى جزيرة ابن عمر، و بها حبشى بن جكرمش، و معه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلى (٥)، فحصره مدة، ثم إنهم صالحوه، و حملوا إليه ستة آلاف دينار، و غيرها من الدواب و الثياب، و رحل عنهم إلى الموصل، و أرسل ملك شاه بن قلعج أرسلان إلى السلطان محمّد.

ذكر أحوال الباطنية بأصبهان و قتل ابن عطاش (٦)

فى هذه السنة ملك السلطان محمّد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان، و اسمها شاهدز، و قتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش،

(١) mo.b.

(٢) بالسمسانية.ddoc.

(٣) حصروا القلعة.b.

(٤) أخيه يأمن فيها.b.

(٥) فرعلى.b.

(٦) عطاش.b.eupibu.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣١

و ولده، و كانت هذه القلعة قد بناها ملك شاه، و استولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش. و سبب ذلك أنه اتصل بدردار كان لها، فلما مات استولى أحمد عليها، و كان الباطنية بأصبهان قد ألبسوه تاجا، و جمعوا له أموالا، و

إنما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم، فإنه كان أدبيا بليغا، حسن الخط، سريع البديهة، عفيفا، وابتلى بحب هذا المذهب، و كان ابنه أحمد هذا جاهلا لا يعرف شيئا، وقيل لابن الصباح، صاحب قلعة الموت: لما ذا تعظم ابن عطاء مع جهله؟ قال: لمكان أبيه، لأنه كان أستاذى.

و صار لابن عطاء عدد كثير، و بأس شديد «١»، و استفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق، و أخذ الأموال، و قتل من قدروا على قتله «٢»، فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن إحصاؤهم، و جعلوا له على القرى السلطانية و أملاك الناس ضرائب يأخذونها «٣» ليكفوا عنها الأذى، فتعد ذلك انتفاع السلطان بقراه، و الناس بأملأكهم، و تمشى لهم الأمر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق و محمّد.

فلما صفت السلطنة لمحمّد، و لم يبق له منازع، لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية و حربهم، و الانتصاف للمسلمين من جورهم و عسفهم، فرأى البداية بقلعة أصبهان التى بأيديهم، لأن الأذى بها أكثر، و هى متسلطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان.

و كان قد عزم على الخروج أوّل رجب، فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر، فأرجفوا أن قلع أرسلان بن سليمان قد ورد بغداد و ملكها، و افتعلوا فى ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أن خلا قد تجدد بخراسان، فتوقف «٤»

(١) p. c. mo.

(٢) عليه. b.

(٣) أخذوا منهم. b.

(٤) فتركه. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٢

السلطان لتحقيق الأمر، فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله، و قصد حربهم، و صعد جبلا [١] يقابل القلعة من غربيها، و نصب له التخت فى أعلاه، و اجتمع له من أصبهان و سوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها، و أحاطوا بجيل القلعة و دوره أربعة فراسخ، و رتب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كل يوم أمير، فضاقت الأمور بهم، و اشتد الحصار عليهم، و تعدرت عندهم القوات. فلما اشتد الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أنمة الدين [٢] فى قوم يؤمنون بالله و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و إن ما جاء به محمّد، صلى الله عليه و سلم، حق و صدق، و إنما يخالفون فى الإمام: هل يجوز للسلطان مهادنتهم و موادعتهم، و أن يقبل طاعتهم، و يحرسهم من كل أذى؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، و توقف بعضهم، فجمعوا للمناظرة، و معهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجاني، و هو من شيوخ الشافعية، فقال، بمحضر من الناس، يجب قتالهم، و لا يجوز «١» إقرارهم بمكانهم، و لا ينفعهم التلطف بالشهادتين، فإنهم يقال لهم: أخبرونا عن إمامكم، إذا أباح لكم ما حظره الشرع، أو حظر عليكم ما أباحه الشرع أ تقبلون أمره؟ فإنهم يقولون نعم، و حينئذ تباح دماؤهم بالإجماع. و طالت المناظرة فى ذلك.

ثم إن الباطنية سألو السلطان أن يرسل إليهم من يناظرهم، و عيّنوا على أشخاص من العلماء منهم القاضى أبو العلاء صاعد بن يحيى، شيخ الحنفية بأصبهان، و قاضيها، و غيره، فصعدوا إليهم و ناظروهم، و عادوا كما صعدوا،

[١] جبل.

[٢] الذين.

(١) يجب .b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٣

و إنما كان قصدهم التعلل و المطاوله، فليج حينئذ السلطان في حصرهم، فلما رأوا عين المحاقه [١] أذعنوا إلى تسليم القلعه على أن يعطوا عوضا عنها قلعه خالنجان، و هي على سبعة فراسخ من أصبهان، و قالوا: إنا نخاف على دماننا و أموالنا من العاميه، فلا بد من مكان نحتمي به منهم، فأشير على السلطان بإجابتهم إلى ما طلبوا «١»، فسألوا أن يؤخرهم إلى «٢» النوروز ليرحلوا إلى خالنجان و يسلموا قلعتهم، و شرطوا أن لا يسمع قول متنصح «٣» فيهم، و إن قال أحد عنهم شيئا سلمه إليهم، و أن ما أتاه منهم رده إليهم، فأجابهم إليه، و طلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوما بيوم، فأجيبوا إليه في كل هذا، و قصدهم المطاوله انتظارا لفتق أو حادث يتجدد.

و رتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل إليهم كل يوم من الطعام و الفاكهه، و جميع ما يحتاجون إليه، فجعلوا هم يرسلون، و يتتاعون من الأطمه ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم، ثم إنهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ في قتالهم، فوثبوا عليه و جرحوه، و سلم منهم، فحينئذ أمر السلطان بإخرا ب «٤» قلعه خالنجان، و جدد الحصار عليهم، فطلبوا أن ينزل بعضهم، و يرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعه الناظر «٥» بأرجان، و هي لهم، و ينزل بعضهم، و يرسل معهم من يوصلهم إلى طيس «٦»، و أن يقيم البقيه منهم في ضرس من القلعه، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم، فيتزلون حينئذ، و يرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعه ألموت، فأجيبوا إلى ذلك، فنزل منهم إلى الناظر «٧»، و إلى طيس «٨»، و ساروا، و تسلّم

[١] المحاقه.

(١) لما سأله .b.

(٢) قرب .b. dda.

(٣) مستنصح .b.

(٤) بتخريب .b.

(٥-٧) الناطئه .b.

(٦-٨) بلس .b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٤

السلطان القلعه و خرّ بها.

ثم إن الذين ساروا إلى قلعه الناظر و طيس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم، فلم يسلم السن الذي بقي بيده، و رأى السلطان منه الغدر، و العود عن الذي قرره، فأمر بالزحف إليه، فزحف الناس عامه ثاني ذى القعدة، و كان قد قلّ عنده من يمنح و يقاتل، فظهر منهم صبر عظيم، و شجاعه زائده، و كان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم، فقال لهم: إني أدلكم على عوره لهم، فأتى بهم إلى جانب لذلك السن لهم لا يرام، فقال لهم: اصعدوا من هاهنا، فقيل إنهم قد ضبطوا هذا المكان و شحنوه بالرجال، فقال: إن الذي ترون أسلحه [١] و كزاعنات قد جعلوها كهيه الرجال لقلّتهم عندهم.

و كان جميع من بقي ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك، فصعدوا منه، و ملكوا الموضع، و قتل أكثر الباطنيه، و اختلط جماعة منهم مع من دخل، فخرجوا معهم، و أما ابن عطاش فإنه أخذ أسيرا، فترك أسبوعا، ثم إنّه أمر به فشهر في جميع البلد، و سلخ جلده، فتجلد حتى مات، و حشى جلده تبا، و قتل ولده، و حمل رأسهما إلى بغداد، و ألقّت زوجته نفسها [٢] من رأس القلعه فهلكت، و

كان معها جواهر نفيسه لم يوجد مثلها، فهلكت أيضا وضاعت، و كانت مدّة البلوى بابن عطّاش اثنتي عشرة سنة «١».

[١] أسحلة.

[٢] نفسه.

(١) mo.b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٥

ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة و مهذب الدولة صاحب البطيحة

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد، و مهذب الدولة السعيد ابن أبي الجبر «١»، صاحب البطيحة، و انضاف حماد بن أبي الجبر إلى صدقة، و أظهر معادة ابن عمه مهذب الدولة، ثم اتفقوا. و كان سبب ذلك أنّ صدقة لما أقطعها السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة، و استناب في الأعمال أولاده و أصحابه، فمدوا أيديهم في الأموال، و فرطوا فيها، و فرقوها، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال، و حبسه، ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة، و هو صهر مهذب الدولة، فأخرجه من الحبس و أعاده إلى بلده البطيحة. و ضمن حماد بن أبي الجبر واسط، فأنحل على مهذب الدولة كثير من امره، فآل الأمر إلى الاختلاف بعد الاتفاق، فإن المصطنع إسماعيل، جد حماد، و المختص محمدا، والد مهذب الدولة، أخوان، و هما ابنا أبي الجبر، و كانت إليهما رئاسة أهلها و جماعتهما «٢»، فهلك المصطنع، و قام ابنه أبو السيد المظفر، والد حماد، مقامه و هلك المختص محمد، و قام ابنه مهذب الدولة مقامه، و صارا يتنازعا ابن الهيثم، صاحب البطيحة، و يقاتلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة، أيام كوهرائين، و سلّمه إلى كوهرائين، فحملة إلى أصبهان، فهلك في طريقها. فعظم أمر مهذب الدولة، و صيره كوهرائين أمير البطيحة، فصار ابن عمه و جماعة تحت حكمه.

(١) الخبير b.eupibu

(٢) عنهما p.c

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٦

و كان حماد شابا، فأكرمه مهذب الدولة، و زوجه بنتا له، و زاد في إقطاعه، فكثرت ماله، فصار يحسد مهذب الدولة «١»، و يضمّر بغضه، و ربّما ظهر في بعض الأوقات، و كان مهذب الدولة يداريه بجهد، فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة، و أظهر «٢» ما في نفسه، فاجتهد مهذب الدولة في إعادته إلى ما كان، فلم يفعل، فسكت عنه، فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا و قصد حمادا، فهرب منه إلى سيف الدولة بالحلة، فأعاده صدقة و معه جماعة من الجند، فحشد مهذب الدولة، فأرسل حماد إلى صدقة يعرفه ذلك، فأرسل إليه كثيرا من الجند، فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظنّ به العجز، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته، فلم يفعل، و سير سفنه و أصحابه في الأنهر، فجعل حماد و أخوه له الكمّاء، و اندفعوا من بين أيديهم، فطمع أصحاب مهذب الدولة و تبعوهم، فخرج عليهم الكمّاء، فلم يسلم منهم إلّا من لم يحضر أجله، فقتل منهم و أسر خلق كثير، فقوى طمع حماد، و أرسل إلى صدقة يستنجد، فأرسل إليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري، و غيره من المقدمين، و جمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة، فرأوا أمرا محكما، فلم يمكنهم الدخول إليه.

و كان حماد بخيلا، و مهذب الدولة جوادا، فأرسل إلى سعيد بن حميد الإقامات الوافرة، و الصلات الكثيرة، و استماله، فمال إليه، و

اجتمع به، و تقرّر الأمر على أن أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة، فرضى عنه، و أصلح بينهم و بين حماد ابن عمهم، و عادوا إلى حال حسنة من الاتفاق، و كان صلحهم فى ذى الحجة سنة خمس مائة.

(١) mo.b.

(٢) بعض. b. dda.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٧

ذكر قتل وزير السلطان و وزارة أحمد بن نظام الملك

فى سؤال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبى المحاسن، و أخذ ماله، و صلبه على باب أصبهان، و صلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه و المنتمين إليه، أما الوزير فنسب إلى خيانة السلطان، و أما الأربعة فنسبوا إلى اعتقاد الباطنية، و كانت مدة وزارته سنتين و تسعة أشهر، و كان فى ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبى الغنائم، و تعطل بعده، ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك، فجعله على ديوان الاستيفاء، و خدم السلطان محمد لما حصره أخوه السلطان بركيارق بأصبهان خدمة حسنة، و لما فارقتها محمد حفظها الحفظ التام، و قام المقام العظيم، فاستوزره محمد، و وسع له فى الإقطاع، و حكمه فى دولته، ثم نكبه، و هذا آخر خدمة الملوک، و ما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان: أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه، و زوجة ترضيه، و لا يعرف أبوابنا هذه الخبيثة فتؤذيه.

و لما قبض الوزير استشار السلطان فى من يجعله وزيرا، فذكر له جماعة، فقال السلطان: إن آبائي درّوا [١] على نظام الملك البركة، و لهم عليه [٢] الحق الكثير، و أولاده أغذياء [٣] نعمتنا، و لا معدل عنهم. فأمر لأبى نصر أحمد هذا بالوزارة، و لقب ألقاب أبيه: قوام الدين، نظام الملك، صدر الإسلام.

و كان سبب قدومه إلى باب السلطان أنه لما «١» رأى انقراض دولة أهل بيته

[١] رأوا.

[٢] و له عليهم.

[٣] أغذياء.

(١) كلما. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٨

لزم داره بهمدان، فاتفق أن رئيس همدان، و هو الشريف أبو هاشم، آذاه، فسار إلى السلطان شاكيا منه و متظلما، فقبض السلطان على الوزير، و أحمد هذا فى الطريق، فلتريا وصل إليه ذكره، و خلع عليه خلع الوزارة، و حكمه و مكّنه «١»، و قوى أمره، و هذا من الفرج بعد الشدة، فإنه حضر شاكيا، فصار حاكما.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى صفر، عزل الوزير أبو القاسم على بن جهير، وزير الخليفة، فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد «٢» ملتجئا إليها، و كانت ملجأ لكل ملهوف «٣»، فأرسل إليه صدقة من أخذه إليه إلى الحلّة، و كانت وزارته ثلاث سنين و خمسة أشهر و أياما، و أمر

الخليفة بنقض داره التي بباب العامية، وفيها عبرة، فإن أباه أبا نصر بن جهير بناها بأنقاض أملاك الناس، وأخذ، بسببها، أكثر ما «٤» دخل فيها، فخربت عن قريب.

ولما عزل استتيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانى، ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب، وخلع عليه فيه.

وفيها، في شوال، توفي الأمير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل، المعروف بابن أبي الشوك الكردي، وكانت له أموال كثيرة، وخيول لا تحصى، وولى الإمرة بعده أبو منصور بن بدر، وقام مقامه، وبقيت الإمارة في بيته مائة و ثلاثين سنة، وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية.

b.mo(٢-١)

p.c.mo(٣)

b.mo(٤)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٣٩

وفي هذه السنة توفي أبو الفتح «١» أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد «٢» الأصبهاني ابن أخت عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منددة، ومولده سنة ثمان وأربعمائة، وكان مكثرا من الحديث، مشهورا بالرواية.

وفيها توفي أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادى في صفر، وهو مكثر من الرواية، وله تصانيف حسنة، وأشعار لطيفة، وهو من أعيان الزمان، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازى، الفقيه، ولى التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وكان يروى الحديث أيضا، وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى المعروف بابن الطيورى البغدادى، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا، وأبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد ابن يعقوب النحوى، سمع الحديث من أبي الطيب الطبرى، والجوهري، وغيرهما، وكان إماما في النحو واللغة.

b.mo(١) الفتوح

b.mo(٢)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٠

٥٠١ ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

ذكر قتل صدقة بن مزيد

في هذه السنة، في رجب، قتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس بن مزيد الأسدى، أمير العرب، وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق، وكان قد عظم شأنه، وعلا قدره، واتسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم، فأجارهم.

وكان كثير العناية بأمر السلطان محمد، والتقوية ليد، والشدة منه على أخيه بركيارق، حتى إنه جاهر بركيارق بالعداوة، ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد، وزاده محمد إقطاعا من جملته مدينة واسط، وأذن له فى أخذ البصرة. ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخى، وقال «١» فى جملة ما قال عنه: إن صدقة قد عظم أمره، وزاد حاله، وكثر إدلاله، ويسط فى الدولة حمايته على كل من يفر إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده و

أمواله.

ثم إنه تعدى ذلك حتى طعن في اعتقاده، ونسبه و أهل بلده إلى مذهب الباطنية، وكذب «٢»، وإنما كان مذهبه التشيع لا غير، و وافق أرغون السعدى أبا جعفر العميد و انتهى ذلك إلى صدقة، و كانت زوجة أرغون بالحلة و أهله،

(١) و كان.b.

(٢) mo.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤١

فلم يؤاخذهم بشيء مما كان له أيضا هناك [من] بقايا خراج بلده، فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه «١» بأجمعه [١] و يسلم إلى زوجته.

و أما سبب قتله فإن صدقة كان، كما ذكرنا، يستجير به كل خائف من خليفه و سلطان و غيرهما، و كان السلطان محمد قد سخط على أبي دلف سرخاب بن كيخسرو، صاحب ساوة و آبه «٢»، فهرب منه و قصد صدقة فاستجار به، فأجاره، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلمه إلى نوابه، فلم يفعل، و أجاب: إننى لا أمكن منه بل أحامى عنه، و أقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله، صلى الله عليه و سلم:

و نسلمه، حتى نصرع حوله، و نذهل عن أبنائنا و الحلائل و ظهر منه أمور أنكرها السلطان، فتوجه إلى العراق ليتلافى هذا الأمر، فلما سمع صدقة استشار أصحابه فى الذى يفعله، فأشار عليه ابنه ديبس بأن ينفذه إلى السلطان و معه الأموال، و الخيل، و التحف، ليستعطف له السلطان، و أشار سعيد بن حميد، صاحب جيش صدقة، بالمحاربة، و جمع الجند، و تفرق «٣» المال فيهم، و استطال فى القول، فمال صدقة إلى قوله، و جمع العساكر، و اجتمع إليه عشرون ألف فارس، و ثلاثون ألف راجل، فأرسل إليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره، و ينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان، و يعرض له توسط الحال، فأجاب صدقة: إننى على طاعة السلطان، لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به، و كان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى.

[١] بأجمع.

(١) p.c.mo.

(٢) و آوة.b.

(٣) mo.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٢

ثم أرسل السلطان أفضى القضاء أبا سعيد الهروى إلى صدقة يطيب قلبه، و يزيل خوفه، و يأمره بالانبساط على عادته، و يعرفه عزمه على قصد الفرنج، و يأمره بالتجهز للغزاة معه. فأجاب: إن السلطان قد أفسد أصحابه قلبه على، و غيروا حالى معه، و زال ما كان عليه فى حقى من الإنعام، و ذكر سالف خدمته و مناصحته، و قال سعيد بن حميد، صاحب جيشه: لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع، و لترون «١» خيولنا بحلوان «٢»، و امتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان.

و وصل السلطان إلى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر، و معه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك، و سير البرسقى، شحنة بغداد، فى جماعة من الأمراء إلى صرصر، فنزلوا عليها.

و كان وصول السلطان، جريده، لا يبلغ عسكره ألفى فارس، فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة، أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه،

و الجّد في السير، و تعجيل ذلك، فوردوا إليه من كلّ جانب.

ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة، في جمادى الأولى، يذكر أنه واقف عند ما يرسم له و يقرّر من حاله مع السلطان، و مهما أمرته «٣» من ذلك امتثله، فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان، فقال السلطان: أنا ممثّل ما يأمر به الخليفة، و لا مخالفة عندي. فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرّفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه، و يأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له، و يحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه. فعاد صدقة عن ذلك الرأي، و قال: إذا رحل السلطان عن بغداد «٤» أمددته بالمال و الرجال، و ما يحتاج إليه في الجهاد، و أمّا الآن، و هو ببغداد، و عسكره بنهر

(١) otidda yongis و لرنس. ddoc.

(٢) محلون. ddoc.

(٣) أمر به. b.

(٤) otidda yongis الجواب بأن السلطان إذا صار بالموصل. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٣

الملك، فما عندي مال و لا غيره، و إنّ جاولي سقاوو، و إيلغازي بن أرتق، قد أرسلوا إليّ بالطاعة لي و الموافقة معي على محاربة السلطان و غيره، و متى أردتهما وصلا إليّ في عساكرهما.

و ورد إلى «١» السلطان قرواش بن شرف الدولة، و كراموي بن خراسان التركمانيّ، و أبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائيّ، و آباؤه كانوا أصحاب اللقاء و البيت المقدّس منهم: حسان بن المفرج الهمدانيّ مدحه التهاميّ، و كان فضل تارة مع الفرنج، و تارة مع المصريّين، فلما رآه طغتكين أتاك على هذه الحال طرده من الشام، فلما طرده التجأ إلى صدقة و عاقده، فأكرمه صدقة، و أهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا «٢».

فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة و السلطان سار في الطلائع، ثم هرب إلى السلطان، فلما وصل خلع عليه و على أصحابه، و أنزله بدار صدقة ببغداد، فلما سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك، فأذن له، فعبر بالأنبار و كان آخر العهد به.

و أنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمّد بن بوقا التركمانيّ، فأخرج عنها نائب صدقة، و أمّن الناس كلّهم، إلّا أصحاب صدقة، فتمزقوا، و لم ينهب أحد، و أنفذ خيله إلى بلد قوسان، و هو من أعمال صدقة، فنهب أقبح نهب، و أقام عدّة أيام، فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان، و هو ابن عمّ صدقة، و معه عسكر، فلما وصلوا إليها خرج منها الأتراك، و أقام ثابت بها، و بينه و بينهم دجلة.

ثم إنّ ابن بوقا عبّر جماعة من الجند ارتضاهم، و عرف شجاعتهم، فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم، يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً،

(١) b. mo.

(٢) p. c. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٤

فقصدتهم ثابت و عسكره فلم يقدرُوا أن يقربوا الترك من النشاب، و المدد يأتيهم من ابن بوقا، و جرح ثابت في وجهه، و كثرت الجراح في أصحابه، فانهمز هو و من معه، و تبعهم الأتراك، فقتلوا منهم و أسروا، و نهب طائفة من الترك مدينة واسط، و اختلط بهم

رجالته ثابت، فنهبت معهم، فسمع ابن بوقا الخبر، فركب إليهم و منعهم، وقد نهبوا بعض البلد، و نادى فى الناس بالأمان، و أقطع السلطان، أواخر جمادى الأولى، مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى و أمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة و نهبه، فنهبوا فيه ما لا يحدد. و أما السلطان محمّد فإنه سار عن بغداد إلى الرّعفرائية، ثانى جمادى الآخرة «١»، فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب يأمره بالتوقف، و ترك العجلة خوفا على الرعية من القتل و النهب، و أشار قاضى أصبهان بذلك، و أتباع أمر الخليفة، فأجاب السلطان إلى ذلك، فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء على بن طراد، و جمال الدولة مختصا الخادم، فسارا إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان، و ينهاه عن المخالفة، فاعتذر صدقة، و قال:

ما خالفت الطاعة، و لا قطعت الخطبة فى بلدى. و جهز ابنه ديبسا ليسيير معهما إلى السلطان.

فبينما الرسل «٢» و صدقة فى هذا الحديث، إذ ورد الخبر أن طائفة من عسكر «٣» السلطان قد عبروا من مطيراباذ، و أن الحرب بينهم و بين أصحاب صدقة قائمه على ساق، فتجلد صدقة لأجل الرسل، و هو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفا عليهم، و كان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدموا إلى العسكر، عند عبورهم عليهم، أنه لا يتعرض أحد منهم إلى حرب، حتى نعود «٤»، فإن الصلح قد قارب. فقال صدقة للرسول: كيف أتق أرسل ولدى

(١) الأولى.b.

(٢) p. c. mo.

(٣) أصحاب.b.

(٤) نعودوا.b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٢٤٥

الآن، و كيف آمن عليه، و قد جرى ما ترون؟ فإن تكلمتم [١] برده إلى أنفذته.

فلم يتجاسروا على كفالته، فكتب «١» إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى.

و كان سبب هذه الوقعة أن عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح، فقال بعضهم: الرأى أننا نهب شيئا قبل الصلح، فأجاب البعض و امتنع البعض، فعبّر من أجاب النهر، و لم يتأخر من لم يجب لثلا ينسب إلى خور و جبن، و لثلا يتم على من عبّر وهن، فيكون عاره و أذاه عليهم، فعبّروا بعدهم أيضا، فأتاهم أصحاب صدقة و قاتلوهم، فكانت الهزيمة على الأتراك، و قتل منهم جماعة كثيرة، و أسر جماعة من أعيانهم، و كثير من غيرهم، و غرق جماعة منهم: الأمير محمّد بن باغى «٢» سيان الذى كان أبوه صاحب أنطاكية، و كان عمره ثيفا و عشرين سنة، و كان محبا للعلماء و أهل الدين «٣»، و بنى [٢] بإقطاعه من أذربيجان عدّة مدارس. و لم يجسر «٤» الأتراك على أن يعرّفوا السلطان بما أخذ منهم من الأموال و الدواب خوفا منه، حيث فعلوا ذلك بغير أمره.

و طمع العرب بهذه الهزيمة، و ظهر منهم الفخر و التيه و الطمع، و أظهروا أنهم باعوا كل أسير بدينار، و أن ثلاثة باعوا أسيرا بخمسة قراريط و أكلوا بها خبزا و هريسة، و جعلوا ينادون: من يتعدى بأسير، و يتعشى بآخر؟ و ظهر من الأتراك اضطراب عظيم.

و أعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح، فأجاب أنه لا يخالف

[١] تكلمتم.

[٢] و بنا.

(١) فأرسل.b.

(٢) باغى. ddoc.

(٣) للعلم و الدين. b.

(٤) يتجاسر. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٦

ما يؤمر به، و كتب صدقته أيضا إلى السلطان يعتذر مميًا نقل عنه، و من الحرب التى كانت بين أصحابه و بين الأتراك، و أن جند السلطان عبرت إلى «١» أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه، و أنه لم يحضر الحرب، و لم ينزع يدا من طاعة، و لا قطع خطبته من بلده.

و لم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب، فأرسل الخليفة نقيب النقباء، و أبا سعد الهروى إلى صدقة، فقصد السلطان أولا، و أخذ يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة، فلما وصلا إلى صدقة «٢» و قال له عن الخليفة: إن إصلاح قلب السلطان موقوف على إطلاق الأسرى، و ردّ جميع ما أخذ من العسكر المنهزم، فأجاب أولا بالخضوع و الطاعة، ثم قال: لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت، لكن ورائي من ظهري، و ظهر أبى و جدى، ثلاثمائة امرأة، و لا يحملهنّ مكان، و لو علمت أنّي إذا جئت السلطان مستسلما قبلنى و استخدمنى لفعلت، لكننى أخاف أنه لا يقبل عترتى «٣»، و لا يعفو عن زلتى.

و أما ما نهب فإن الخلق كثير، و عندى من لا أعرفه، و قد نهبوا و دخلوا البرّ، فلا طاقة لى عليهم، و لكن إن كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدي، و لا فيمن أجرته، و أن يقتر سرخاب بن كيوخسرو على إقطاعه بساوة، و أن يتقدم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادى، و أن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بينى و بينه، فحينئذ أخدم بالمال، و أدوس بساطه بعد ذلك. فعادوا بهذا، و معهم أبو منصور بن معروف، رسول صدقة، فردّهم الخليفة، و أرسل السلطان معهم قاضى أصبهان أبا إسماعيل، فأما أبو إسماعيل

(١) عزوا. b.

(٢) p. c. mo.

(٣) عذرى. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٧

فلم يصل إليه، و عاد من الطريق، و أصرّ صدقة على القول الأول. فحينئذ سار السلطان، ثامن رجب، من الزعفرانية، و سار صدقة فى عساكره إلى قرية مطر، و أمر جنده بلبس السلاح، و استأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن علىّ ابن مزيد، و هو ابن عم صدقة، إلى السلطان محمّد، و كان يحسد صدقة، و هو الذى تقدّم ذكره أنه كان بواسط، فأكرمه السلطان، و أحسن إليه، و وعده الإقطاع. و وردت العساكر إلى السلطان منهم: بنو برسق، و علاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن علىّ بن فرامرز أبى جعفر بن كاكويه و آباؤه كانوا أصحاب أصبهان، و فرامرز «١» هو الذى سلّمها إلى طغرلبك، و قتل أبوه مع تتش. الكامل فى التاريخ ج ١٠ ٤٤٧ ذكر قتل صدقة بن مزيد ص: ٤٤٠

و عبر عسكر السلطان دجلة، و لم يعبر هو، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة، بينهما نهر، و التقوا تاسع عشر رجب، و كانت الريح فى وجوه أصحاب السلطان، فلما التقوا صارت فى ظهورهم، و فى وجوه أصحاب صدقة، ثم إن الأتراك رموا بالنشاب، فكان يخرج فى كلّ رشقة عشرة آلاف نشابة، فلم يقع سهم إلّا فى فرس أو فارس، و كان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك و النشاب، و من عبر منهم لم يرجع، و تقاعدت عبادة و خفاجة، و جعل صدقة ينادى: يا آل خزيمه، يا آل ناشره، يا آل عوف، و وعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم، و كان راكبا على فرسه المهلوب «٢»، و لم يكن لأحد مثله، فجرح الفرس

ثلاث «٣» جراحات، و أخذه الأمير أحمد بن محمد «٤» بعد قتل صدقة، فسّره إلى بغداد في سفينة، فمات في الطريق. و كان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاعه، فلما رأى

(١) b. mo

(٢) المهلوف b.

(٣) b. mo

(٤) أحمد بك b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٨

الناس و قد غشوا صدقة هرب عليه، فناداه صدقة، فلم يجبه، و حمل صدقة على الأتراك، و ضربه غلام منهم على وجهه فشوّهه، و جعل يقول: أنا ملك العرب، أنا صدقة! فأصابه سهم في ظهره، و أدركه غلام اسمه بزغش، كان أشل، فتعلق به، و هو لا يعرفه، و جذبه عن فرسه، فسقط إلى الأرض هو و الغلام، فعرفه صدقة، فقال: يا بزغش ارفق، فضربه بالسيف فقتله، و أخذ رأسه و حمله إلى البرسقي، فحمله إلى السلطان، فلما رآه عانقه «١»، و أمر لبزغش بصله.

و بقي صدقة طريحا إلى أن سار السلطان، فدفنه إنسان من المدائن. و كان عمره تسعا [١] و خمسين سنة، و كانت إمارته إحدى و عشرين سنة، و حمل رأسه إلى بغداد، و قتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس، فيهم جماعة من أهل بيته، و قتل من بني شيان خمسة [٢] و تسعون رجلا، و أسر ابنه ديبس بن صدقة، و سرخاب بن كيخسروا الديلمي الذي كانت هذه الحرب بسببه، فأحضر بين يدي السلطان، فطلب الأمان، فقال: قد عاهدت الله أنني لا أقتل أسيرا، فإن ثبت عليك أنك باطنى قتلتك، و أسر سعيد بن حميد العمري، صاحب جيش صدقة، و هرب بدران بن صدقة إلى «٢» الحلّة، فأخذ من المال و غيره ما أمكنه، و سّير أمه و نساءه إلى البطيحة إلى مهذب الدولة أبي العباس أحمد ابن أبي الجبر، و كان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته، و نهب من الأموال ما لا حدّ عليه.

و كان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير، ألوف مجلّدت، و كان

[١] تسع.

[٢] خمس.

(١) p. c. mo

(٢) من b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٤٩

يحسن يقرأ، و لا يكتب، و كان جوادا، حليما، صدوقا، كثير البرّ و الإحسان، ما برح ملجأ لكلّ ملهوف، يلقي من يقصده بالبرّ و التفضّل، و يبسط قاصديه، و يزورهم، و كان عادلا، و الرعايا معه في أمن و دعة، و كان عفيفا لم يتزوج على امرأته، و لا تسرى عليها، فما ظنك بغير هذا؟ و لم يصادر أحدا من نوابه، و لا أخذهم بإساءة قديمة، و كان أصحابه يودعون أموالهم [١] في خزائنه، و يدلّون عليه إدلال الولد على الوالد، و لم يسمع برعيّة أحبّت أميرها كحبّ رعيّته له «١».

و كان متواضعا، محتملا، بحفظ الأشعار، و يبادر إلى النادرة، رحمه الله، لقد كان من محاسن الدنيا.

و عاد السلطان إلى بغداد، و لم يصل إلى الحلّة، و أرسل إلى البطيحة أمانا لزوجته صدقة، و أمرها بالظهور فأصعدت إلى بغداد، فأطلق

السلطان ابنها ديبسا، و أنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها، فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا، ولما وصلت إلى بغداد أحضرها السلطان، و اعتذر من قتل زوجها، و قال: وددت أنه حمل إليّ حتى كنت أفعل معه ما يعجب الناس به من الجميل و الإحسان، لكن الأقدار غلبتني. و استحلف ابنها ديبسا أنه لا يسعى بفساد.

ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية و ولأيه ابنه يحيى

في هذه السنة، في رجب، توفي تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، و كان شهما، شجاعا، ذكيا، له معرفة حسنة، و كان حليما، كثير العفو عن

[١] أمواله.

(١) مثله. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٠

الجرائم العظيمة، و له شعر حسن، فمنه أنه وقعت حرب بين طائفتين من العرب، و هم عدى، و رباح، فقتل رجل من رباح، ثم اصطلحوا، و أهدروا دمه، و كان صلحهم ممّا يضرّه و يبلاده، فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه، و هي:

متى كانت دماؤكم تطلّ أما فيكم بثأر مستقلّ

أغانم ثمّ سالم إن فشلتهم، فما كانت أوائلكم تذللّ

و نمتم عن طلاب الثأر، حتى كأنّ العزّ فيكم مضمحلّ

و ما كسرتم فيه العوالي، و لا بيض تفلّ، و لا تسلّ فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى، و اشتدّ بينهم القتال، و كثرت القتلى، حتى أخرجوا بنى عدى من إفريقية.

قيل: إنّه اشترى جارية بثمن كثير، فبلغه أنّ مولاها الّذى باعها ذهب عقله و أسف على فراقها، فأحضره تميم إلى بين يديه، و أرسل الجارية إلى داره، و معها من الكسوات، و الأواني الفضة، و غيرها، و من الطيب، و غيره، شىء كثير، ثم أمر مولاها بالانصراف، و هو لا يعلم بذلك، فلما وصل إلى داره و رآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره، ثم أفاق. فلما كان الغد أخذ الثمن، و جميع ما كان معها، و حملة إلى دار تميم، فانتهره، و أمره بإعادة جميع ذلك إلى داره.

و كان له في البلاد أصحاب أخبار يجرى عليهم أرزاقا سيّئة ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس، فكان بالقيروان تاجر له مال و ثروة، فذكر في بعض الأيام التاجر تميما، و دعوا له، و ذلك التاجر حاضر، فترحم على أبيه المعزّ، و لم يذكره، فرفع ذلك إلى تميم، فأحضره إلى قصره و سأله:

هل ظلمتك؟ فقال: لا! قال: فهل ظلمك بعض أصحابي؟ قال: لا! قال:

فلم أطلقت لسانك أمس بدمي؟ فسكت، فقال: لو لا أن يقال شره في

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥١

ماله لقتلتك، ثم أمر به فصنع في حضرته قليلا «١»، ثم أطلقه فخرج، و أصحابه ينتظرونه، فسألوه عن خبره، فقال: أسرار الملوكة لا تداع، فصارت بإفريقية مثلا.

ولما توفي كان عمره تسعا [١] و سبعين سنة، و كانت ولايته ستا [٢] و أربعين سنة و عشرة أشهر و عشرين يوما، و خلف من الذكور ما يزيد على مائة، و من البنات ستين بنتا، و لمّا توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم، و كانت ولادته بالمهدية لأربع بقين من ذى

الحجّة سنة سبع وخمسين وأربعمائه، وكان عمره حين ولي ثلاثا [٣] وأربعين سنة و ستّة أشهر وعشرين يوما، ولما ولي فرّق أموالا جزيلة، وأحسن السيرة في الرعيّة.

ذكر ملك يحيى قلعة قليبية

لَمَّا ملك يحيى بن تميم بعد أبيه، جرّد عسكريا كثيفا إلى قلعة قليبية، وهي من أحصن قلاع إفريقية، فنزل عليها، وحصرها حصارا شديدا، ولم يبرح حتّى فتحها وحصّنها، وكان أبوه تميم قد رام فتحها، فلم يقدر على ذلك، ولم يزل مظفّرا، منصورا، لم يهزم له جيش.

[١] تسع.

[٢] ست.

[٣] ثلاث.

(١) b.mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٢

ذكر قدوم ابن عمّار بغداد مستنقرا

في هذه السنة، في شهر رمضان، ورد القاضي فخر الملك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس الشام، إلى بغداد، قاصدا باب السلطان محمّد، مستنقرا «١» على الفرنج، طالبا تسيير العساكر لإزاحتهم، والذي حثّه على ذلك أنّه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس، على ما ذكرناه، ضاقت عليه الأقوات وقلّت، واشتدّ الأمر عليه وعلى أهل البلد، فمنّ الله عليهم، سنة خمسّمائة، بميرة في البحر من جزيرة قبرس، وأنطاكية، وجزائر البنادقة، فاشتدّت قلوبهم وقووا على حفظ البلد، بعد أن كانوا استسلموا.

فلَمَّا بلغ فخر الملك انتظام الأمور للسلطان محمّد وزوال كلّ مخالف رأى لنفسه ولل المسلمين قصده والانتصار «٢» به، فاستتاب بطرابلس ابن عمّه ذا المناقب، وأمره بالمقام بها، ورّتب معه الأجناد بڑا وبحرا، وأعطاهم جامكية سنّة أشهر سلفا، وجعل كلّ موضع إلى من يقوم بحفظه، بحيث أنّ ابن عمّه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك، و سار إلى دمشق، فأظهر ابن عمّه الخلاف له، والعصيان عليه، و نادى بشعار المصرتين، فلَمَّا عرف فخر الملك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه «٣»، وحمله إلى حصن الخوابي «٤»، ففعلوا ما أمرهم.

و كان ابن عمّار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة، والخيل الرائقة، فلَمَّا وصلها لقيه عسكريا، وطغتكين أتاك، وخيم على ظاهر البلد، وسأله طغتكين الدخول إليه، فدخل يوما واحدا إلى الطعام، وأدخله حمّامه، و سار عنها ومعها ولد طغتكين يشيّهه.

(١) b.mo

(٢) والاستنصار. b.

(٣-٤) b.mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٣

فلما وصل إلى بغداد أمر السلطان الأمراء كافة [١] بتلقيه وإكرامه، وأرسل إليه شبارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها، فلما نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان، فقال له من بها من خواص السلطان: قد أمرنا أن يكون جلوسك في دست السلطان، فلما دخل على السلطان أجلسه، وأكرمه، وأقبل عليه بحديثه «١».

وسير الخليفة خواصه، وجماعه أرباب المناصب، فلقوه، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة، وكذلك أيضا فعل السلطان، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله، وهذا جميعه ثمره الجهاد في الدنيا، ولأجر الآخرة أكبر. ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته، وسأله السلطان عن حاله، وما يعانیه في مجاهدة الكفار، ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم، فذكر له حاله، وقوة عدوه، وطول حصره، وطلب النجدة «٢»، وضمن أنه إذا سيرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه، فوعده السلطان بذلك، وحضر دار الخلافة، وذكر أيضا نحوه مذكره عند السلطان، وحمل هدية جميلة نفيسة، وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداد في سؤال، فأحضره عنده بالنهران، وقد تقدم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين ليسيير معه العساكر التي سيرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولي سقاوو، ليمضوا معه إلى الشام، وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة، وأعطاه شيئا كثيرا، ودّعه، وسار معه الأمير حسين فلم يجد ذلك نفعاً، وكان ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى.

[١] كافة الأمراء.

(١) بخدمته. b.

(٢) mo. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٤

ثم إن فخر الملك بن عمار عاد إلى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمس مائة، فأقام بها أياماً، وتوجه منها مع عسكر من دمشق إلى جبلة، فدخلها وأطاعه أهلها [١].

وأما أهل طرابلس فإنهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم، ومعهم الميرة في البحر، فسير إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب واليا، ومعهم الغلة وغيرها مما تحتاج إليه البلاد في الحصار، فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه، وأخذ ما وجد من ذخائره وآلاته وغير ذلك، وحمل الجميع إلى مصر في البحر.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، أطلق السلطان محمد الضراب والمكوس «١»، ودار البيع، والاجتيازات، وغير ذلك مما يناسبه بالعراق، وكتبت به الألواح، وجعلت في الأسواق.

وفيها، في شهر رمضان، ولي القاضي أبو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد. وفيه أيضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك، ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان «٢»، وشرط عليه شروطا منها: العدل، وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحدا من أهل الذمة.

[١] أهله.

(١) p. c. mo.

(٢) محمد. b. dda.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٥

و فيها عاد أصهبذ صباؤه من دمشق، و كان هرب عند قتل أياز، فلما قدم أكرمه السلطان، و أقطعه رحبة مالك بن طوق.
و فيها، سابع سؤال، خرج السلطان إلى ظاهر بغداد، عازما على العود «١» إلى أصبهان، و كان مقامه هذه المرة خمسة أشهر و سبعة عشر يوما.

و فيها، فى ذى الحجة، احترقت خرابة ابن جرذة، فهلك فيها كثير من الناس، و أما الأمتعة، و الأموال، و أثاث البيوت، فهلك ما لا حدّ عليه، و خلص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلّة إلى مقبرة باب أبرز «٢»، و كان بها جماعة من اليهود، فلم ينقلوا شيئا لتمسكهم بسبتهم، و كان بعض أهله قد عبروا إلى الجانب الغربى للفرجة، على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت، و أهلهم قد احترقوا، و أموالهم قد هلكت.

ثم تبع ذلك حريق فى عدّة أماكن منها: درب القيتار، و قراح ابن رزين [١]، فارتاع الناس لذلك، و بطلوا معاشهم، و أقاموا ليلا و نهارا يحرسون بيوتهم فى الدروب، و على السطوح، و جعلوا عندهم الماء المعدّ لإطفاء النار، فظهر أن سبب هذا الحريق أن جارية أحبّت رجلا، فوافقتة على المبيت عندها فى دار مولاهما سّرا، و أعدت له ما يسرقه إذا خرج، و يأخذها هى أيضا معه، فلما أخذها طرحا النار فى الدار، فخرجا، فأظهر الله عليهما، و عجل الفضيحة لهما، فأخذا و حبسا.

و فيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره و قصد مدينة صور و حصرها، و أمر ببناء حصن عندها، على تلّ المعشوفة، و أقام شهرا محاصرا لها، فصانعه

[١] زرين.

(١) الغزو. b.

(٢) يازائه. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٦

و اليها على سبعة آلاف دينار، فأخذها و رحل عن المدينة، و قصد مدينة صيدا، فحصرها بّرا و بحرا و نصب عليها البرج الخشب، و وصل الأسطول المصرى فى الدفع عنها، و الحماية لمن فيها، فقاتلهم أسطول الفرنج، فظهر المسلمون عليهم، فاتّصل بالفرنج «١» مسير عسكر دمشق نجدة لأهل صيدا، فرحلوا عنها بغير فائدة.

و فيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب، فبقى لىالى [١] كثيرة ثم غاب.

توفى فى هذه السنة، فى شعبان، إبراهيم بن مّياس بن مهدي أبو إسحاق القشيرى الدمشقى، سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدازى و غيره.

و توفى فى ذى القعدة أبو سعيد «٢» إسماعيل بن عمرو بن محمّد التّيسابورى المحدث، كان يقرأ الحديث للغرباء، قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى عشرين مرّة.

[١] ليال.

(١) فظهر للفرنج. p. c.

(٢) سعد. C. P.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٧

٥٠٢ ثم دخلت سنة اثنتين و خمسمائة**ذكر استيلاء مودود و عسكر السلطان على الموصل و ولاية مودود «١»**

في هذه السنة، في صفر، استولى مودود، و العسكر الذى أرسله السلطان معه، على مدينة الموصل، و أخذوها من أصحاب جاولى سقاوو، و قد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها، و ما جرى بينه و بين جكرمش و الملك قليج أرسلان، و هلاكهما على يده، و صار معه بعد ذلك العسكر الكثير، و العدة التامة، و الأموال الكثيرة، و كان السلطان محمّد قد جعل إليه ولاية كل بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد و الأموال.

و كان سبب أخذ البلاد منه: أنه لما استولى عليها، و على الأموال الكثيرة منها، لم يحمل إلى السلطان منها شيئاً، فلما وصل السلطان إلى بغداد «٢»، لقصده بلاد سيف الدولة صدقة، أرسل إلى جاولى يستدعيه إليه بالعساكر، و كزر الرسل إليه، فلم يحضر، و غالط في الانحذار إليه، و أظهر أنه يخاف أن يجتمع به، و لم يقنع بذلك، حتى كاتب صدقة، و أظهر له أنه «٣» معه، و مساعدته على حرب السلطان، و أطمعه في الخلاف و العصيان.

فلما فرغ السلطان من أمر صدقة، و قتله، كما ذكرناه، تقدّم إلى الأمراء بنى برسق، و سكرمان القطبي، و مودود بن التونكين، و آفسنقر البرسقي، و نصر

(١) p. c. mo.

(٢-٣) b. mo.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٨

ابن مهلهل بن أبى الشوك الكردي، و أبى الهيجاء، صاحب إربل، بالمسير إلى الموصل، و بلاد جاولى، و أخذها منه، فتوجهوا نحو الموصل، فوجدوا جاولى عاصياً قد شيد سور الموصل، و أحكم ما بناه جكرمش، و أعد الميرة و الأقوات و الآلات، و استظهر على الأعيان بالموصل، فحبسهم، و أخرج من أحداثها ما يزيد على عشرين ألفاً، و نادى: متى اجتمع عامتان على الحديث في هذا الأمر قتلتهما، و خرج عن البلد، و نهب السواد.

و ترك بالبلد زوجته ابنة برسق، و أسكنها القلعة، و معها ألف و خمسمائة فارس من الأتراك، سوى غيرهم، و سوى الرجال، و نزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى و خمسمائة، و صادرت زوجته من بقى بالبلد، و عسفت نساء الخارجين عنه، و بالغت في الاحتراز عليهم، فأوحشهم ذلك، و دعاهم إلى الانحراف عنها، و قوتل أهل البلد قتالاً متتابعاً «١»، فتمادى الحصار بأهلها من خارج، و الظلم من داخل إلى آخر المحرم، و الجند بها يمنعون عامياً من القرب من السور.

فلما طال الأمر على الناس، اتفق نفر من الجصاصين، و مقدمهم جصاص يعرف بسعدى، على تسليم البلد، و تحالفوا على التساعد «٢»، و أتوا وقت صلاة الجمعة، و الناس بالجامع، و صعدوا برجاً، و أغلقوا أبوابه، و قتلوا من به من الجند، و كانوا نياماً، فلم يشعروا بشيء، حتى قتلوا، و أخذوا سلاحهم، و ألقوهم إلى الأرض، و ملكوا برجاً آخر.

و وقعت الصيحة، و قصدهم مائتا فارس من العسكر، و رموهم بالشباب، و هم يقاتلون، و ينادون بشعار السلطان، فزحف عسكر السلطان إليهم، و دخلوا البلد من ناحيتهم، و ملكوه، و دخله الأمير مودود، و نودى بالسكون و الأمن، و أن يعود الناس إلى دورهم و

أملاكهم، و أقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية

(١) شديدا. b.

(٢) المساعدة. p. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٥٩

أيام، و راسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها، و أن يحلف لها على الصيانة و الحراسة، فحلف، و خرجت إلى أخيها برسق بن «١» برسق، و معها أموالها و ما استولت عليه، و ولي مودود الموصل و ما يضاف إليها «٢».

ذكر حال جاولي مدة الحصار

و أميا جاولي فإنه لما وصل «٣» عسكر السلطان إلى الموصل، و حصرها، سار عنها، و أخذ معه القمص، صاحب الزها، الذي كان قد أسره سقمان و أخذه منه جكرمش، و قد ذكرنا ذلك، و سار إلى نصيبين، و هي حينئذ للأمير إيلغازي بن أرتق، و راسله، و سأله الاجتماع به، و استدعاه إلى معاضدته، و أن يكونا يدا واحدة، و أعلمه أن خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه. فلم يجبه إيلغازي إلى ذلك، و رحل عن نصيبين، و رتب بها ولده، و أمره بحفظها من جاولي، و أن يقاتله إن قصده، و سار إلى ماردين.

فلما سمع جاولي ذلك عدل عن نصيبين، و قصد دارا، و أرسل إلى إيلغازي ثانيا في المعاني، و سار بعد الرسول، فبينما رسوله عند إيلغازي بماردين، لم يشعر إلا و جاولي معه في القلعة وحده، و قصد أن يتألفه و يستميله، فلما رآه إيلغازي قام إليه و خدمه، و لما رأى جاولي محسنا للظن فيه، غير مستشعر منه، لم يجد إلى دفعه سيلا، فنزل معه، و عسكرا بظاهر نصيبين، و سارا منها إلى سنجار، و حاصراها مدة، فلم يجبهما صاحبها إلى صلح، فتركا و سارا نحو الرحبة، و إيلغازي يظهر لجاولي المساعدة، و يبطن الخلاف، و ينتظر فرصة

(١) mo. c. p.

(٢) mo. c. p.

(٣) قصد. C. p.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٠

لينصرف عنه، فلما وصلا إلى عرابان، من الخابور، هرب إيلغازي ليلا و قصد نصيبين.

ذكر إطلاق جاولي للقمص الفرنجي

لما هرب إيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرحبة، فلما وصل إلى ماكسين أطلق القمص الفرنجي، الذي كان أسيرا بالموصل، و أخذه معه، و اسمه بردويل، و كان صاحب الزها و سروج و غيرهما، و بقي في الحبس إلى الآن، و بذل الأموال الكثيرة، فلم يطلق، فلما كان الآن أطلقه جاولي، و خلع عليه، و كان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين، و قرر عليه أن يفدى نفسه بمال، و أن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه، و أن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه و عسكره و ماله.

فلما اتفقا على ذلك سير القمص إلى قلعة جعبر، و سلمه إلى صاحبها سالم بن مالك، حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين، و هو من فرسان الفرنج و شجعانها، و هو صاحب تلّ باشر و غيره، و كان أسر مع القمص في تلك الوقعة، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار، فلما

وصل جوسلين إلى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص، و أطلق القمص، و سار إلى أنطاكية، و أخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه، و أخذ عوضه أخا زوجته، و أخا زوجة القمص، و سيره إلى القمص ليقوى به، و ليحثه على إطلاق الأسرى، و إنفاذ المال و ما ضمنه، فلما وصل جوسلين إلى منبج أغار عليها و نهبها، و كان معه جماعة من أصحاب جاولي، فأنكروا عليه ذلك، و نسبوه إلى الغدر، فقال:

إن هذه المدينة ليست لكم.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦١

ذكر ما جرى بين هذا القمص و بين صاحب أنطاكية

لما أطلق القمص و سار إلى أنطاكية أعطاه طنكري «١» صاحبها ثلاثين ألف دينار، و خيلا، و سلاحا، و ثيابا، و غير ذلك، و كان طنكري قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسره، فخاطبه الآن في ردها عليه، فلم يفعل، فخرج من عنده إلى تلّ باشر، فلما قدم عليه جوسلين، و قد أطلقه جاولي، سرّه ذلك، و فرح به.

و سار إليهما طنكري، صاحب أنطاكية، بعساكره ليحاربهما، قبل أن يقوى أمرهما، و يجمعاً عسكرياً، و يلتحق بهما جاولي و ينجدهما، فكانوا يقتتلون، فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا و أكل بعضهم مع بعض و تحادثوا.

و أطلق القمص من الأسرى المسلمين مائة و ستين أسيراً كلهم من سواد حلب، و كساهم و سيرهم.

و عاد طنكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرها، فسار القمص و جوسلين و أغاروا على حصون طنكري، صاحب أنطاكية، و التجأ إلى ولاية كواسيل، و هو رجل أرمني، و معه خلق كثير من المرتدين و غيرهم، و هو صاحب رعبان «٢»، و كيسوم، و غيرهما «٣» من القلاع، شمالي حلب، فأنجد القمص بألف فارس من المرتدين، و ألفي راجل، فقصدهم طنكري، فتنازعوا في أمر الرها، فتوسّط بينهم البطرک «٤» المذى لهم، و هو عندهم كالإمام المذى للمسلمين، لا- يخالف أمره، و شهد جماعة من المطارنة «٥» و القسيسين:

أنّ يميند خال طنكري قال له، لما أراد ركوب البحر، و العود إلى بلاده،

(١) تنكري .upibu .b

(٢) .p .c .mo

(٣) و غيرها .p .c .b

(٤) التبرک .b

(٥) البطارقة .b

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٢

ليعيد الرها إلى القمص، إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه طنكري تاسع صفر، و عبر القمص الفرات، ليسلم إلى أصحاب جاولي المال، و الأسرى، فأطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الأسرى من حرّان و غيرها.

و كان بسروج ثلاثمائة مسلم ضعفى، فعمر أصحاب جاولي مساجدهم، و كان رئيس سروج مسلماً قد ارتدّ، فسمعه أصحاب جاولي يقول في الإسلام قولاً- شنيعاً، فضربوه، و جرى بينهم و بين الفرنج بسببه نزاع، فذكر ذلك للقمص، فقال: هذا لا- يصلح لنا و لا للمسلمين، فقتله.

ذكر حال جاولي بعد إطلاق القمص

لما أطلق جاولي القمص بماكسين سار إلى الرّحبة، فأتاه أبو النجم بدران، و أبو كامل منصور، ابنا سيف الدولة صدقة، و كانا [١]، بعد قتل أبيهما بقلعة جعبر، عند سالم بن مالك، فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة، و وعدهما أنه يسير معهما إلى الحلّة، و عزموا أن يقدّموا عليهم بكتاش «١» بن تكش بن ألب أرسلان. فوصل إليهم، و هم على هذا العزم، أصهبذ صباوة، و كان قد قصد السلطان فأقطع الرّحبة و قد ذكرناه، فاجتمع بجاولي، و أشار عليه أن يقصد الشام، فإنّ بلاده خالية من الأجناد، و الفرنج قد استولوا على كثير منها، و عرّفه أنه متى قصد العراق، و السلطان بها، أو قريبا منها، لم يأمن شرّا يصل إليه. فقبل قوله، و أصعد عن الرّحبة، فوصل إليه رسل سالم بن مالك، صاحب

[١] و كان.

(١) b. itcnpenis. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٣

قلعة جعبر، يستغيث به من بنى نمير، و كانت الرّقة بيد ولده عليّ بن سالم، فوثب جوشن النّميرى، و معه جماعة من بنى نمير، فقتل عليّا و ملك الرّقة.

فبلغ ذلك الملك رضوان، فسار من حلب إلى صفين، فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص، صاحب الرّها، قد سيره إلى جاولي، فأخذه، و أسر «١» عددا منهم، و أتى الرّقة، فصالحه بنو نمير على مال، فرحل عنهم «٢» إلى حلب، فاستنجد سالم بن مالك جاولي، و سأله أن يرسل إلى الرّقة و يأخذها، و وعده بما يحتاج إليه. فقصد الرّقة، و حصرها سبعين يوما، فضمن له بنو نمير مالا و خيلا، فأرسل إلى سالم: إننى فى أمر أهمّ من هذا، و أنا بإزاء عدوّ، و يجب التشاغل [١] به دون غيره، و أنا عازم على الانحدار إلى العراق، فإن تمّ أمرى فالرّقة و غيرها لك، و لا أشتغل عن هذا المهمّ بحصار خمسة نفر من بنى نمير.

و وصل إلى جاولي الأمير حسين بن أتابك «٣» قتلغ تكين، و كان أبوه أتابك السلطان محمّد، فقتله، و تقدّم ولده هذا عند السلطان، و اختصّ به، فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمّار ليصلح الحال مع جاولي، و يأمر العساكر بالمسير مع ابن عمّار إلى جهاد الكفّار، فحضر عند جاولي، و أمر «٤» بتسليم البلاد، و طيب قلبه عن السلطان، و ضمن الجميل، إذا سلّم البلاد، و أظهر الطاعة و العبوديّة، فقال جاولي: أنا مملوك السلطان، و فى طاعته، و حمل إليه مالا و ثيابا لها مقدار جليل، و قال له: سر إلى الموصل و رحّل العسكر عنها، فإننى أرسل معك من يسلم ولدى إليك رهينة، و ينفذ السلطان إليها من يتولّى أمرها

[١] الشاغل.

(١) و أسروا. b.

b. (٣-٢)

(٤) tebah. p. c. mo. يأمروه. odomiup.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٤

و جباية أموالها، ففعل حسين ذلك، و سار و معه صاحب جاولي، فلمّا وصلا إلى العسكر الّذى على الموصل، و كانوا لم يفتحوها بعد، أمرهم حسين بالرحيل، فكلّهم أجاب، إلّا الأمير مردود فإنه قال: لا أرحل إلّا بأمر السلطان، و قبض على صاحب جاولي، و أقام

على الموصل (١)، حتى فتحها كما ذكرناه.

وعاد حسين بن قتلىغ تكين إلى السلطان، فأحسن النياية عن جاولى عنده، و سار جاولى إلى مدينة بالس، فوصلها ثالث عشر صفر، فاحتفى أهلها منه، و هرب من بها من أصحاب الملك رضوان، صاحب حلب، فحصرها خمسة أيام، و ملكها بعد أن نقب برجا من أبراجها، فوقع على النقبين (٢)، فقتل منهم جماعة، و ملك البلد، و صلب جماعة من أعيانه عند النقب، و أحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن إلياس فقتله، و كان فقيها صالحا، و نهب البلد، و أخذ منه مالا كثيرا.

ذكر الحرب بين جاولى و الفرنج

و فى هذه السنة، فى صفر، كان المصاف بين جاولى سقاوو و بين طنكرى الفرنجى، صاحب أنطاكية. و سبب ذلك أن الملك رضوان كتب إلى طنكرى، صاحب أنطاكية، يعرفه ما هو جاولى عليه من الغدر، و المكر، و الخداع، و يحذره منه، و يعلمه أنه على قصد حلب، و أنه إن ملكها لا- يبقى للفرنج معه بالشام مقام، و طلب منه النصرة، و الاتفاق على منعه. فأجاب طنكرى إلى منعه و برز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستمائة فارس، فلما سمع جاولى الخبر أرسل إلى القمص،

(١) بالموصل .P.C.

(٢) من نقب .b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٥

صاحب الزها، يستدعيه إلى مساعدته، و أطلق له ما بقى عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولى فلقق به، و هو على منبج، فوصل الخبر إليه، و هو على هذه الحال، بأن الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان، و ملكوا خزائنه و أمواله، فاشتد ذلك عليه، و فارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكى بن آقسنقر، و بكتاش النهاوندى، و بقى جاولى فى ألف فارس، و انضم إليه خلق من المطوعة، فنزل بتل باشر.

و قاربهم طنكرى، و هو فى ألف و خمسمائة فارس (١) من الفرنج، و ستمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرجال، فجعل جاولى فى ميمته الأمير أقيان، و الأمير التونتاش الابرى (٢)، و غيرهما، و فى الميسرة الأمير بدران ابن صدقة، و أصبهذ صباوة، و سنقر دراز، و فى القلب القمص بغدوين، و جوسلين الفرنجيين، و وقعت الحرب، فحمل أصحاب أنطاكية على القمص، صاحب الزها، و اشتد القتال، فأزاح طنكرى القلب عن موضعه، و حملت ميسرة جاولى على رجاله صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقا كثيرا، و لم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذ عمد أصحاب جاولى إلى جنائب القمص، و جوسلين، و غيرهما من الفرنج، فركبوا و انهزموا، فمضى [١] جاولى (٣) وراءهم ليردهم، فلم يرجعوا، و كانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه، فلما رأى أنهم لا يعودون معه أهّمته نفسه، و خاف من المقام، فانهزم، و انهزم باقى عسكره.

فأما أصبهذ صباوة فسار نحو الشام، و أما بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جعبر، و أما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر، و أما جاولى

[١] فمضا.

(٣) إلى .dda.b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٦

فقصد الرّحبة، وقتل من المسلمين خلق كثير، ونهب صاحب أنطاكية أموالهم و أثقالهم، و عظم البلاء عليهم من الفرنج، و هرب القمّص و جوسلين إلى تلّ باشر و التجأ إليهما خلق كثير من المسلمين، ففعلا معهم الجميل، و داويا الجرحى، و كسوا العراء، و سيّراهم إلى بلادهم.

ذكر عود جاوولي إلى السلطان

لما انهزم جاوولي سقاو و قصد الرّحبة، فلما قاربها بات دونها في عدّة فوارس، فاتّفق أنّ طائفة من عسكر الأمير مودود، الذين [١] أخذوا الموصل منه، أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرّحبة، فقاربوا جاوولي و لا يشعرون به، و لو علموا لأخذوه. فلما رأى الحال كذلك، علم أنّه لا يقدر [أن] يقيم بالجزيرة، و لا بالشام، و لا يقدر على شيء يحفظ به نفسه، و يرجع إليه، و يداوى به مرضه، غير قصد باب السلطان محمّد عن رغبة و اختيار، و كان واثقا بالأمر حسين بن قتلغ تكين، فرحل من مكانه و هو خائف حذر، قد أخفى شخصه و كتم أمره، و سار إلى عسكر السلطان، و كان بالقرب من أصبهان، فوصل إليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجده في السير، فلما وصل المعسكر قصد الأمير حسينا [٢]، فحملة إلى السلطان، فدخل إليه و كفته تحت يده، فأمنه، و أتاه الأمراء يهتونه بذلك، و طلب منه السلطان الملك «١» بكتاش «٢» بن تكش، فسلمه إليه، فاعتقله بأصبهان.

[١] الذي.

[٢] حسين.

(١) b.

(٢) بكتاش .ddoc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٧

ذكر الحرب بين طغتكين و الفرنج و الهدنة بعدها

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك و الفرنج، و سببها أنّ طغتكين سار إلى طبرية، و قد وصل إليها ابن أخت بغدادين الفرنجي، ملك القدس، فتحاربا و اقتتلا، و كان طغتكين في ألفى فارس، و كثير من الرّجاله، و كان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمئة فارس، و ألفى راجل.

فلما اشتد القتال انهزم المسلمون، فترجّل طغتكين، و نادى بالمسلمين، و شجّعهم، فعاودوا الحرب «١»، و كسروا الفرنج، و أسروا ابن أخت الملك، و حمل إلى طغتكين، فعرض طغتكين عليه الإسلام، فامتنع منه، و بذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار، و إطلاق خمسمائة أسير، فلم يقنع طغتكين منه بغير الإسلام، فلما لم يجب قتله بيده، و أرسل إلى الخليفة و السلطان الأسرى، ثم اصطاح طغتكين و بغدادين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين، و كان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين، و لو لا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين، بعد الهزيمة الآتى ذكرها، أمرا عظيما.

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

في هذه السنة، في شعبان، انهزم أتابك طغتكين من الفرنج.

و سبب ذلك أن حصن عرقه، و هو من أعمال طرابلس، كان بيد غلام للقاضي فخر الملك أبي علي بن عمّار، صاحب طرابلس، و هو من الحصون

(١) فعادوا الحرب. b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٨

المنيعة، فعصى [١] على مولاه، فضاق به القوت، و انقطعت عنه الميرة، لطول مكث الفرنج في نواحيه، فأرسل إلى أتابك طغتكين، صاحب دمشق، و قال له: أرسل من يتسلم هذا الحصن مني، قد عجزت عن حفظه، و لأن يأخذه المسلمون خير لي دنيا و آخرة من أن يأخذه الفرنج. فبعث إليه طغتكين صاحباً له، اسمه إسرائيل، في ثلاثمائة رجل، فتسلم الحصن، فلما نزل غلام ابن عمّار منه رماه إسرائيل، في الأخلاط، بسهم فقتله، و كان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال.

و أراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه، و تقويته بالعساكر، و الأقوات، و آلات الحرب، فنزل الغيث و الثلج مدّة شهرين، ليلاً و نهاراً، فمنعه، فلما زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس، ففتح حصونا للفرنج، منها حصن الأكمة «١». فلما سمع السردانيّ الفرنجيّ بمجيء طغتكين «٢»، و هو على حصار طرابلس، توجه في ثلاثمائة فارس، فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا، و خلّوا ثقلهم و رحالهم و دوابهم للفرنج، فغنموا، و قووا به، و زاد في تجملهم «٣».

و وصل المسلمون إلى حمص، على أقبح حال من التقطع، و لم يقتل منهم أحد لأنه لم تجر حرب، و قصد السردانيّ إلى عرقه، فلما نازلها طلب من كان بها الأمان، فأمنهم على نفوسهم، و تسلّم الحصن، فلما خرج من فيه قبض على إسرائيل، و قال: لا أطلقه [٢] إلّا بإطلاق فلان، و هو أسير كان بدمشق من الفرنج، منذ سبع سنين، ففودى به و أطلقا معا.

[١] فعصا.

[٢] أطلق عنه.

(١) p. c. mo.

(٢) بطغتكين. p. C.

(٣) تحكّمهم. B.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٦٩

و لَمّا وصل طغتكين إلى دمشق، بعد الهزيمة، أرسل إليه ملك القدس يقول له: لا- تظنّ أنّي أنقض الهدنة للذي تمّ عليك من الهزيمة، فالملوك ينالهم أكثر ممّا نالك، ثم تعود أمورهم إلى الانتظام و الاستقامة، و كان طغتكين خائفاً أن يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد.

ذكر صلح السنّة و الشيعة ببغداد

في هذه السنة، في شعبان «١»، اصطاح عامّة بغداد السنّة و الشيعة، و كان الشرّ منهم على طول الزمان، و قد اجتهد الخلفاء، و السلاطين، و الشّحن في إصلاح الحال، فتعدّر عليهم ذلك، إلى أن أذن الله تعالى فيه، و كان بغير واسطة.

و كان السبب في ذلك أن السلطان محمداً لما قتل ملك العرب صدقة، كما ذكرناه، خاف الشيعة ببغداد، أهل الكرخ و غيرهم، لأنّ

صدقة كان يتشيع هو و أهل بيته، فشنع أهل السنيّة عليهم بأنهم نالهم غمّ و همّ لقتله، فخاف الشيعة، و أغضوا على سماع هذا، و لم يزلوا خائفين إلى شعبان، فلما دخل شعبان تجهّز السنيّة لزيارة قبر مصعب بن الزبير، و كانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة، و منعوا منه لتقطع الفتن الحادثة بسببه.

فلما تجهّزوا للمسير، اتفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرخ، فأظهروا ذلك، فاتفق رأى «٢» أهل الكرخ على ترك معارضتهم، و أنّهم لا يمنعونهم، فصارت السنيّة تسيّر أهل كلّ محلّة منفردين، و معهم من الزينة و السلاح شيء كثير، و جاء أهل باب المراتب، و معهم فيل قد عمل من خشب، و عليه الرجال بالسلاح، و قصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه، فاستقبلهم أهله بالبخور

(١).mo.b.

(٢).b.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٠

و الطيب، و الماء المبرّد، و السلاح الكثير، و أظهروا بهم السرور، و شيعوهم حتّى خرجوا من المحلّة. و خرج الشيعة، ليلّة النصف منه، إلى مشهد موسى بن جعفر و غيره، فلم يعترضهم أحد من السنيّة، فعجب الناس لذلك، و لما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح و السرور، فاتفق أنّ أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب، فقرأ لهم قوم: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ «١» إلى آخر السورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن يزيد إلى باب السلطان، فتقبله و أكرمه، و كان قد هرب، بعد قتل والده، إلى الآن، و التحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل، فأكرمه و أحسن صحبته. و فيها، في نيسان، زادت دجلة زيادة عظيمة، و تقطعت الطرق، و غرقت الغلات الشتويّة و الصيفيّة، و حدث غلاء عظيم بالعراق، بلغت كارّة الدقيق الخشكار عشرة دنائير إماميّة، و عدم الخبز رأساً، و أكل الناس التمر و الباقلاء الخضراء [١]، و أمّا أهل السواد فإنّهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان، و نصف شوال، سوى الحشيش و التوت. و فيها، في رجب، عزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، و وزر

[١] الأخصر.

(١).foC.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧١

له أبو القاسم عليّ بن أبي نصر بن جهير.

و فيها، في شعبان، تزوّج الخليفة المستظهر بالله ابنه السلطان ملك شاه، و هي أخت السلطان محمّد، و كان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد ابن محمّد التيسابوريّ، الحنفيّ، و كان المتولّي لقبول العقد نظام الملك أحمد ابن نظام الملك، وزير السلطان، بوكالة من الخليفة، و كان الصداق مائة ألف دينار، و نثرت الجواهر و الدنانير، و كان العقد بأصبهان.

و فيها تولّى مجاهد الدين بهروز شحنكيه بغداد، و كان سبب ذلك أنّ السلطان محمّداً [١] كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد، صاحب المخزن، و على أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، و اعتقلهما عنده، ثم أطلقهما الآن، و قرّر عليهما مالا يحملانه إليه،

فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال، وأمره السلطان بعمارة دار المملكة، ففعل ذلك، وعمر الدار، وأحسن إلى الناس، فلما قدم السلطان إلى بغداد ولّاه شحنكية العراق جميعه، وخلع على سعيد بن حميد العمرى، صاحب جيش صدقة، وولّاه الحلة السيفية، وكان صارما، حازما، ذا رأى و جلد.

و فيها، فى شؤال، ملك الأمير سكرمان القطبى، صاحب خلط، مدينه ميافارقين بالأمان، بعد أن حصرها و ضيق على أهلها عدّه شهور، فعدمت الأتوات بها، و اشتدّ الجوع بأهلها فسلموها.

و فى هذه السنه، فى صفر، قتل قاضى أصبهان عبيد الله بن علىّ الخطيبى بهمدان، و كان قد تجرد، فى أمر الباطية، تجردا عظيما، و صار يلبس درعا حذرا منهم، و يحتاط، و يحترز «١»، فقصدته إنسان عجمى، يوم جمعة،

[١] محمد.

(١) b. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٢

و دخل بينه و بين أصحابه فقتله، و قتل صاعد بن محمّد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضى نيسابور، يوم عيد الفطر، قتله باطنى، و قتل الباطنى، و مولده سنه ثمان و أربعين و أربعمائه، و سمع الحديث، و كان حنفى المذهب «١».

و فى هذه السنه سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى ملك الفرنج، فسار إليه و عارضه فى البرّ، و أخذ كلّ من فيه، و لم يسلم منهم إلّا القليل، و من سلم أخذه العرب.

و فيها «٢»، فى فصح النصارى، ثار جماعة من الباطية فى حصن شيزر على حين غفلة من أهله فى مائة رجل، فملكوه، و أخرجوا من كان فيه، و أغلقوا بابه، و صعّدوا إلى القلعة فملكوها، و كان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى، و كانوا قد أحسنوا، إلى هؤلاء الذين أفسدوا، كلّ الإحسان، فبادر أهل المدينة الباشورة، فأصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات، و صاروا معهم، و أدركهم الأمراء بنو منقذ، أصحاب الحصن، فصعدوا إليهم، فكبروا عليهم و قاتلوهم «٣»، فانخذل الباطية، و أخذهم السيف من كلّ جانب، فلم يفلت منهم أحد، و قتل من كان على مثل رأيهم فى البلد.

و فيها وصل إلى المهديّة «٤» ثلاثة نفر «٥» غرباء، فكتبوا إلى أميرها «٦» يحيى ابن تميم يقولون: إنهم يعملون الكيمياء، فأحضرهم عنده، و أمرهم أن يعملوا شيئا يراه من صناعتهم، فقالوا: نعمل النقرة، فأحضر لهم ما طلبوا من آله و غيرها «٧»، و قعد معهم هو و الشريف أبو الحسن «٨»، و قائد جيشه و اسمه إبراهيم، و كانا يختصان به «٩»، فلما رأى الكيماوية «١٠» المكان خاليا من جمع «١١»

(١-٢) .atalerv.5munnada .p .cn ioitarransneupes

(٣) و قاتلوا. p. c.

(٤) من إفريقيا. p. c. dda.

(٥) قوم. p. c.

(٦-٧) p. c. mo

(٨) ابن حسن. p. c.

(٩) و كان أصحاب الكيمياء أيضا ثلاثة. p. c. dda.

(١٠) رأوا. p. c.

(١١) b.mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٣

ثاروا بهم، فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه، فوعدت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئا، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره، و دخل يحيى بابا و أغلقه على نفسه، فضرب الثانى الشريف فقتله، و أخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية «١»، و وقع الصوت، فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا الكيماوية، و كان زيهم زى أهل الأندلس، فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم، و قيل للأمير يحيى: إن هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفه، و اتفق أن الأمير أبا الفتوح بن تميم، أخا يحيى «٢»، وصل تلك الساعة إلى القصر فى أصحابه و قد لبسوا السلاح، فممنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أن ذلك بوضع منهما، فأحضر المقدم بن خليفه، و أمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا، لأنه قتل أباهم، و أخرج الأمير أبا الفتوح و زوجته بلارة بنت القاسم بن تميم، و هى ابنة عمه، و وكل بهما فى قصر زياد بين المهديّة و سفاقس، فبقى هناك إلى أن مات يحيى، و ملك بعده ابنه على «٣» سنة تسع و خمسمائة، فسير أبا الفتوح و زوجته بلارة إلى ديار مصر فى البحر، فوصلا إلى إسكندريّة، على ما نذكره إن شاء الله.

و فيها، فى المحرم، قتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى، الفقيه الشافعى، مولده سنة خمس عشرة و أربعمائه، و كان حافظا للمذهب، و يقول: لو احترقت كتب الشافعى لأمليتها من قلبى. و فيها، فى جمادى الآخرة، توفى الخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى، الشيبانى، اللغوى، صاحب التصانيف المشهورة، و له شعر ليس بالجد.

و فيها، فى رجب، توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى، العلوى، رئيس

(١) الكيماوية. p. c.

(٢) p. c. mo

(٣) p. c. يحيى

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٤

همذان، و كان نافذ الحكم، ماضى الأمر، و كانت مدّة رئاسته لها سبعا [١] و أربعين سنة، و جدّه لأمه صاحب أبو القاسم «١» بن عباد، و كان عظيم المال جدا، فمن ذلك أنه أخذ منه السلطان محمّد فى دفعه واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبع لأجلها ملكا و لا استدان دينارا «٢»، و أقام بعد ذلك بالسلطان «٣» محمّد، عدّة شهور، فى جميع ما يريد، و كان قليل المعروف. و فيها، فى ذى الحجة، توفى أبو الفوارس الحسن بن على الخازن، الكاتب المشهور بجودة الخط، و له شعر منه:

عنت الدنيا لظالبها، و استراح الزاهد الفطن

عرف الدنيا، فلم يرها و سواه [٢] حظّه الفتن

كلّ ملك نال زخرفها حظّه ممّا حوى كفن

يقتنى مالا، و يتركه، فى كلا [٣] الحالين مفتتن

أملى كونى على ثقة من لقاء الله مرتهن

أكره الدنيا، و كيف بها، و الذى تسخو به و سن

لم تدم قلبى على أحد، فلما ذا الهمّ و الحزن؟ و قيل توفى سنة تسع و تسعين و أربعمائه، و قد ذكر هناك «٤».

[٢] سواه.

[٣] كلى.

(١) p. c. mo

(٢) دينا. b.

(٣) عند السلطان. b.

(٤) p. c. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٥

٥٠٣ ثم دخلت سنة ثلاث و خمسمائة**ذكر ملك الفرنج طرابلس و بيروت من الشام**

فى هذه السنة، حادى عشر ذى الحجة، ملك الفرنج طرابلس.

و سبب ذلك: أن طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر و نائبة فيها، و المدد يأتى إليها منه، و قد ذكرنا ذلك سنة إحدى و خمسمائة. فلما كانت هذه السنة، أول شعبان، وصل أسطول كبير من بلد الفرنج فى البحر، و مقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل و مراكبه مشحونة بالرجال، و السلاح، و الميرة، فنزل على طرابلس، و كان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل، و ليس بابن أخت ريمند هذا، بل هو قمص آخر، فجرى بينهما فتنة أدت إلى الشر و القتال، فوصل طنكرى صاحب أنطاكية إليها، معونة للسردانى، و وصل الملك بغدوين، صاحب القدس، فى عسكره، فأصلح بينهم، و نزل الفرنج جميعهم على طرابلس، و شرعوا فى قتالها، و مضايقة أهلها، من أول شعبان، و ألقوا أبراجهم بسورها، فلما رأى الجند و أهل البلد ذلك سقط فى أيديهم، و ذلت نفوسهم، و زادهم ضعفا تأخر الأسطول المصرى عنهم بالميرة و النجدة.

و كان سبب تأخره: أنه فرغ منه، و الحث «١» عليه، و اختلفوا فيه أكثر

(١) و ارتجت. b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٦

من «١» سنة، و سار، فردته الريح، فتعدّر عليهم الوصول إلى طرابلس ليُقضى الله أمراً كان مفعولاً.

و مدّ الفرنج القتال عليها من الأبراج و الزحف، فهجموا على البلد و ملكوه عنوة و قهرا يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة، و نهبوا ما فيها، و أسروا الرجال، و سبوا النساء و الأطفال، و نهبوا الأموال، و غنموا من أهلها من الأموال، و الأمتعة، و كتب دور العلم الموقوفة، ما لا يحدّ و لا يحصى، فإن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا و تجارة، و سلم الوالى الذى كان بها، و جماعة من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها، فوصلوا إلى دمشق، و عاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات، و أخذت دفائنهم و ذخائرهم فى مكائهم.

ذكر ملك الفرنج جبيل و بانياس «٢»

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى، صاحب أنطاكية، إلى بانياس، و حصرها، و افتتحها، و أمن أهلها، و نزل مدينة جبيل، و فيها

فخر الملك ابن عمّار، الذى كان صاحب طرابلس، و كان القوت فيها قليلا، فقَاتلها إلى أن ملكها فى الثانى و العشرين من ذى الحجة من السنة بالأمان، و خرج فخر الملك بن عمّار سالما.

و وصل، عقيب ملك طرابلس، الأسطول المصرى بالرجال «٣»، و المال، و الغلال، و غيرها، ما يكفيهم سنة، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيام

(١) كل .b.dda

(٢) .p.c.mo

(٣) .b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٧

للقضاء النازل بأهلها، و فرقت الغلال التى فيه و الذخائر فى الجهات المنفذة إليها صور، و صيدا، و بيروت.

و أما فخر الملك بن عمّار فإنه قصد شيزر، فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن على بن منقذ الكنانى، و احترامه، و سأله أن يقيم عنده، فلم يفعل، و سار إلى دمشق، فأنزله طغتكين صاحبها، و أجزل له فى الحمل و العطيّة، و أقطعه أعمال الزبدانى، و هو عمل كبير «١» من أعمال دمشق، و كان «٢» ذلك فى المحرم سنة اثنتين و خمسمائة.

ذكر الحرب بين محمد خان و ساغريك «٣»

فى هذه السنة عاد ساغريك و جمع العساكر الكثيرة من الأتراك و غيرهم و قصد أعمال محمد خان بسمرقند و غيرها، فأرسل محمد خان إلى سنجر يستنجده، فسير إليه الجنود، و اجتمع معه أيضا كثير من العساكر، و سار إلى ساغريك فالتقوا بنواحي الخشب و اقتتلوا فانهمز ساغريك و عساكره و أخذت السيوف منهم مأخذها و كثر الأسر فيهم و النهب، فلما فرغوا من حربهم و أمن محمد خان من شر ساغريك عاد العسكر السنجرى إلى خراسان فعبروا النهر إلى بلخ.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى المحرم، سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك إلى قلعه ألموت لقتال الحسن بن الصّباح و من معه من الإسماعيلية،

(١) .b.mo

(٢) .p.c.mo

(٣) ساغويك .b.eupibu

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٨

فحصروهم، و هجم الشتاء عليهم فعادوا و لم يبلغوا منه غرضا.

و فيها، فى ربيع الآخر، قدم السلطان إلى بغداد، و عاد عنها فى شوال من السنة أيضا.

و فيها، فى شعبان، توجه الوزير نظام الملك إلى الجامع، فوثب به الباطية، فضربوه بالسكاكين، و جرح فى رقبته، فبقى مريضا مدّة، ثم برأ، و أخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر، ثم سئل عن أصحابه، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونية، فأخذوا و قتلوا.

و فيها عزل وزير الخليفة، و هو أبو المعالى بن المطلب، و وزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير، فخرج ابن المطلب من دار الخليفة

مستترا هو و أولاده و استجار بدار السلطان «١».

و فيها جهّز يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، خمسة عشر شيتيا و سيرها إلى بلاد الروم، فلقبها أسطول الروم، و هو كبير، فقَاتلوهم، و أخذوا ستّ قطع من شوانى المسلمين، و لم يهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر و البرّ.

و سير ابنه أبا الفتوح إلى مدينة سفاقس واليا عليها، فثار به أهلها، فنهبوا قصره، و همّوا بقتله، فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم، حتّى فرّق كلمتهم، و بدّد شملهم، و ملك رقابهم فسجنهم، و عفا عن دمائهم و ذنوبهم.

و فيها توفّى الأمير إبراهيم بنّال، صاحب آمد، و كان قبيح السيرة، مشهورا بالظلم، فجلا كثير من أهلها لجوره، و ملك بعده ولده، و كان أصلح حالا منه.

و فيها، فى ثامن ذى القعدة، ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدّة إلى القبلة، و بقى يطلع إلى آخر ذى الحجّة، ثم غاب.

(١).p. c. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٧٩

٥٠٤ ثم دخلت سنة أربع و خمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، ملك الفرنج مدينة صيدا، من ساحل الشام.

و سبب ذلك: أنّه وصل فى البحر إلى الشام ستّون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال و الذخائر مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس و ليغزو بزعمه المسلمين «١»، فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس، و تقوّرت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام، فرحلوا [١] من القدس، و نزلوا [٢] مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة، و ضايقوها بزّا و بحرا.

و كان الأسطول المصرىّ مقيما على صور، فلم يقدر على إنجاد صيدا، فعمل الفرنج برجا من الخشب، و أحكموه، و جعلوا عليه ما يمنع النار عنه و الحجارة، و زحفوا به، فلمّا عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم، و أشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت، فأرسلوا قاضيها و معه جماعة من شيوخها إلى الفرنج، و طلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أنفسهم، و أموالهم،

[١] فرحلا.

[٢] و نزلا.

(١).P. C. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٠

و العسكر المذى عندهم، و من أراد المقام بها [١] عندهم أمّنوه، و من أراد المسير عنهم لم يمنعه، و حلف لهم على ذلك، فخرج الموالى، و جماعة كثيرة من أعيان أهل البلد، فى العشرين من جمادى الأولى إلى دمشق، و أقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان، و كانت مدّة الحصار سبعة و أربعين يوما.

و رحل بغدوين عنها إلى القدس، ثم عاد إلى صيدا، بعد مدّة يسيرة، فقرّر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار، فأفقرهم، و استغرق أموالهم «١».

ذكر استيلاء المصريين على عسقلان

كانت عسقلان للعلويين المصريين، ثم إن الخليفة الأمر بأحكام الله استعمل عليها إنسانا يعرف بشمس الخلافة، فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام، و هادنه، و أهدى إليه مالا و عروضاً، فامتنع به من أحكام المصريين عليه، إلّا فيما يريد من غير مجاهرةً بذلك فوصلت الأخبار بذلك إلى الأمر بأحكام الله، صاحب مصر، و إلى وزيره الأفضل «٢»، أمير الجيوش، فعظم الأمر عليهما، و جهّزا عسكرياً و سيّراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قوّاده، و أظهرها أنّه يريد الغزاة، و نصدّا إلى القائد سرّاً أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم، و يقيم هو عوضه بعسقلان أميراً. فسار العسكر، فعرف شمس الخلافة الحال، فامتنع من الحضور عند

[١] به.

(١). mo. b

(٢). ابن. b. dda

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨١

العسكر المصري، و جاهر بالعصيان، و أخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم. فلما عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان إلى الفرنج، فأرسل إليه و طيب قلبه، و سكنه، و أقره على عمله، و أعاد عليه إقطاعه بمصر.

ثم إن شمس الخلافة خاف أهل عسقلان، فأحضر جماعةً من الأرمن و اتخذهم جنداً، و لم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع و خمسمائة، فأنكر الأمر أهل البلد، فوثب به قوم من أعيانه، و هو راكب، فجرحوه، فانهزم منهم إلى داره، فتبعوه و قتلوه، و نهبوا داره و جميع ما فيها، و نهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحجة، و أرسلوا إلى مصر بجليّة الحال إلى الأمر و الأفضل، فسراً بذلك، و أحسنا إلى الواصلين بالبشارة، و أرسلوا إليه و اليا يقيم به، و يستعمل مع أهل البلد الإحسان و حسن السيرة، فتمّ ذلك، و زال ما كانوا يخافونه.

ذكر ملك الفرنج حصن الأتارب و غيره

في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج، و حشد الفارس و الراجل، و سار نحو حصن الأتارب، و هو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ، و حصره، و منع عنه الميرة، فضاق الأمر على من به من المسلمين، فنقبوا من القلعة نقبا، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه، فلمّا فعلوا ذلك و قربوا من خيمته استأمن إليه صبيّ أرمنيّ، فعزّفه الحال، فاحتاط، و احترز منهم، و جدّ في قتالهم، حتّى ملك الحصن قهراً و عنوة، و قتل من أهله ألفى رجل، و سبى [١] و أسر الباقين.

[١] و سبا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٢

ثم سار إلى حصن زردنا، فحصره، و ففتحته، و فعل بأهله مثل الأتارب، فلمّا سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج، و كذلك أهل بالس، و قصد الفرنج البلدين فرأوهما و ليس بهما أنيس، فعادوا عنهما [١]. و سار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا، فطلب أهلها منهم الأمان، فأمنوهم و تسلّموا البلد، فعظم خوف المسلمين منهم، و بلغت

القلوب الحناجر، و أيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامى له و المانع عنه، فشرع أصحاب البلاد الإسلاميه بالشام فى الهدنة معهم، فامتنع الفرنج من الإجابة إلا على قطيعة يأخذونها إلى مدّة يسيرة، فصالحهم الملك رضوان، صاحب حلب، على اثنين و ثلاثين ألف دينار، و غيرها من الخيول و الثياب، و صالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار، و صالحهم ابن منقذ، صاحب شيزر، على أربعة آلاف دينار، و صالحهم على الكردي، صاحب حماة، على ألفى دينار، و كانت مدّة الهدنة إلى وقت إدراك الغلّة و حصادها.

ثم إنّ مراكب أفلعت من ديار مصر، فيها التجار و معهم الأمتعة الكثيرة، فوقع عليها مراكب الفرنج، فأخذوها، و غنموا ما مع التجار، و أسروهم، فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد، مستنفرين على الفرنج. فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء و غيرهم فقصدوا جامع «١» السلطان، و استغاثوا، و منعوا من الصلاة، و كسروا المنبر، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهد، و سير من دار الخلافة منبرا إلى جامع السلطان. فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة، و معهم أهل بغداد، فمنعهم حاجب الباب من الدخول، فغلبوه على ذلك، و دخلوا الجامع، و كسروا شباك المقصورة،

[١] عنها.

B.mO.(١)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٣

و هجموا «١» إلى المنبر فكسروه، و بطلت الجمعة أيضا، فأرسل الخليفة إلى السلطان فى المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق و رتقه [١]، فتقدّم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم، و التجهز للجهد، و سير ولده الملك مسعودا [٢] مع الأمير مودود، صاحب الموصل، و تقدّموا إلى الموصل ليلحق بهم الأمراء و يسيروا [٣] إلى قتال الفرنج، و انقضت السنة، و ساروا فى سنة خمس و خمسمائة، و كان ما نذكره إن شاء الله تعالى «٢».

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان، و وزر بعده الخطير محمّد بن الحسين الميبدى. و فيها ورد رسول ملك الروم إلى السلطان «٣» يستنفره على الفرنج، و يحثّه على قتالهم و دفعهم عن البلاد، و كان وصوله قبل وصول أهل حلب، و كان أهل حلب يقولون للسلطان: أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حميّة منك للإسلام، حتّى قد أرسل إليك فى جهادهم! و فيها، فى رمضان، زفت ابنة السلطان ملك شاه إلى الخليفة، و زينت

[١] و رفعه.

[٢] مسعود.

[٣] و يسرون.

(١). و دخلوا. b.

b.mo.(٣-٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٤

بغداد و غلقت [١]، و كان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها.

و فيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا، و أخذت بأنفاس الناس، و لم يقدر أحد [أن] يفتح عينيه، و من فتحهما [٢] لا يبصر يده، و نزل على الناس رمل، و يئس الناس من الحياة، و أيقنوا بالهلاك، ثم تجلّى [٣] قليلا، و عاد إلى الصفوة، و كان ذلك من أول وقت العصر إلى بعد المغرب «١».

و فيها، في المحرم «٢»، توفي الكيا الهزاس الطبري و اسمه أبو الحسن «٣» علي بن محمد بن علي، و كان من أعيان الفقهاء الشافعية، أخذ الفقه عن إمام الحرمين الجويني، و درّس بعده في النظامية ببغداد، و توفي بها، و دفن عند تربة الشيخ أبي إسحاق، و درّس بعده في النظامية الإمام أبو بكر الشاشي.

و فيها توفي أبو الحسين إدريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، و علي الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، و دخل خراسان، و ولي التدريس بسمرقند، فتوفي بها.

[١] و غلقت.

[٢] فتحها.

[٣] تجلّا.

(١-٢-٣). P.C.mO.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٥

٥٠٥ ثم دخلت سنة خمس و خمسمائة

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج، فكانوا: الأمير مودود، صاحب الموصل، و الأمير سكرمان القطبي، صاحب تبريز و بعض ديار بكر، و الأميرين [١] إيلبكي و زنكي ابني [٢] برسق، و لهما همذان و ما جاورها، و الأمير أحمد ديل، و له مراغة، و كوتب الأمير أبو الهيجاء، صاحب إربل، و الأمير إيلغازي، صاحب ماردين، و الأمراء البكجية، باللاحق بالملك مسعود، و مودود، فاجتمعوا، ما عدا الأمير إيلغازي فإنه سير ولده أياز و أقام هو، فلما اجتمعوا ساروا إلى بلد سنجان «١»، ففتحوا عدّة حصون للفرنج، و قتل من بها منهم، و حصروا مدينة الرّها مدّة، ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها. و كان سبب رحيلهم عنها أن الفرنج اجتمعت جميعها، فارسها و راجلها، و ساروا إلى الفرات ليعبروه ليمنعوا الرّها من المسلمين، فلما وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين، فلم يقدموا عليه، و أقاموا على الفرات، فلما رأى

[١] و الأمير.

[٢] ابنا.

(١). الساحل.P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٦

المسلمون ذلك رحلوا عن الزها إلى حزان ليطمع الفرنج و يعبروا الفرات إليهم و يقاتلوهم. فلما رحلوا عنها جاء الفرنج، و معهم الميرة و الذخائر، إلى الزها، فجعلوا فيها كل ما [١] يحتاجون إليه، بعد أن كانت قليلة الميرة، و قد أشرفت على أن تؤخذ [٢]، و أخذوا كل من فيه عجز و ضعف و فقر، و عادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشامي، و طرقوا أعمال حلب، فأفسدوا ما فيها، و نهبوا، و قتلوا فيها و أسروا، و سبوا خلقا كثيرا.

و كان سبب ذلك أن الفرنج لما عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان، صاحب حلب، إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها، فاستعاد بعضه، و نهب منهم و قتل، فلما عادوا و عبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا.

و أما العسكر السلطاني فلما سمعوا بعود الفرنج و عبورهم الفرات، رحلوا إلى الزها و حصروها، فأرأوا أمرا محكما، قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم، و بكثرة المقاتلين عنهم، و لم يجدوا فيها مطمعا، فرحلوا عنها «١»، و عبروا الفرات، فحاصروا قلعة تلّ باشر خمسة و أربعين يوما، و رحلوا عنها و لم يبلغوا غرضا.

و وصلوا إلى حلب، فأغلق الملك رضوان أبواب البلد، و لم يجتمع بهم، ثم مرض هناك الأمير سكرمان القطبي، فعاد مريضا، فتوفى في بالس، فجعله أصحابه في تابوت، و حملوه عائدين إلى بلاده، فقصدتهم إيلغازي ليأخذهم، و يغنم ما معهم، فجعلوا تابوته في القلب، و قاتلوا بين يديه، فانهزم إيلغازي، و غنموا ما معه، و ساروا إلى بلادهم.

[١] كلما.

[٢] يؤخذوا.

(١). و كان سبب الخ aedni .P .C .mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٧

و لما أغلق الملك رضوان أبواب حلب، و لم يجتمع بالعساكر السلطانية، رحلوا إلى معزة النعمان، و اجتمع بهم طغتكين، صاحب دمشق، و نزل على الأمير مودود، فأطلع من الأمراء على نيات فاسدة في حقه، فخاف أن تؤخذ منه دمشق، فشرع في مهادنة الفرنج سرا و كانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين، فلم يتم ذلك، و تفرقت العساكر.

و كان سبب تفرقهم أن الأمير برسق بن «١» برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نقرس، فهو يحمل في محفة، و مات سكرمان القطبي، كما ذكرنا، و أراد الأمير أحمد ديل، صاحب مراغة، العود «٢»، ليطلب من السلطان أن يقطعه ما كان لسكرمان من البلاد، و أتاك طغتكين، صاحب دمشق، خاف الأمراء على نفسه، فلم ينصحهم، إنما أنه حصل بينه و بين مودود، صاحب الموصل، مودة و صداقة، فتفرقوا لهذه الأسباب، و بقي مودود و طغتكين بالمعزة، فساروا منها، و نزلوا على نهر العاصي.

و لما سمع الفرنج بتفرق عساكر الإسلام طمعوا، و كانوا قد اجتمعوا كلهم «٣»، بعد الاختلاف و التباين، و ساروا إلى أفامية [١]، فسمع بهم سلطان بن منقذ، صاحب شيزر، فسار إلى مودود و طغتكين، و هوّن عليهما أمر الفرنج، و حرضهما على الجهاد، فرحلوا إلى شيزر، و نزلوا عليها، و نزل الفرنج بالقرب منهم، فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة، و لزوهم [٢] بالقتال، و الفرنج يحفظون نفوسهم، و لا يعطون مصافا، فلما رأوا قوة المسلمين عادوا إلى

[١] فامية.

[٢] و لذوهم.

(١). P.c.mo.

(٢). الغدر. b.

(٣). b.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٨

أفامية [١] و تبعهم المسلمون، فتخطفوا من أدر كوه فى ساقتهم و عادوا إلى شيزر فى ربيع الأول.

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور و حصرها، فساروا إليها مع الملك بغدوين «١»، صاحب القدس، و حشدوا، و جمعوا، و نازلوها و حصروها فى الخامس و العشرين من جمادى الأولى، و عملوا عليها ثلاثة أبراج خشب، علو البرج سبعون ذراعاً، و فى كل برج ألف رجل، و نصبوا عليها المجانيق، و ألقوا أحدها إلى «٢» سور البلد، و أدخلوه من الرجال. و كانت صور للآمر بأحكام الله العلوى و نائبة بها عز الملك الأعز، فأحضر أهل البلد، و استشارهم فى حيلة يدفعون بها شر الأبراج عنهم، فقام شيخ من أهل طرابلس و ضمن على نفسه إحراقها، و أخذ معه ألف رجل بالسلح التام، و مع كل رجل منهم حزمه حطب، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة، فألقى الحطب من جهاته، و ألقى فيه النار، ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين فى البرج «٣» بإطفاء النار، و يتخلصوا، فرماهم بجرب [٢] كان قد أعدّها، مملوءة من العذرة، فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها و بما نالهم من سوء الرائحة و التلويث، فتمكنت النار منه، فهلك كل من به، إلّا

[١] فامية.

[٢] بجراب.

(١). بردوين P.c.mo، بردويل b.

(٢-٣). b.mo.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٨٩

القليل، و أخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلايب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، و ترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط، و الزفت، و الكتان، و الكبريت، و رماهم بسبعين [١] سلّة، و أحرق البرجين الآخرين. ثم إن أهل صور حفروا سرايب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، و لينخسف برج إن عملوه و سيروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، و أعلموهم بما عملوه، فحذروا منها. و أرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين، صاحب دمشق، يستجدونه، و يطلبونه ليسلموا البلد إليه، فسار فى عساكره إلى نواحي بانياس، و سير إليهم نجدة مائتى فارس، فدخلوا البلد، فامتنع من فيه بهم، و اشتد قتال الفرنج خوفاً من اتصال النجدات، ففنى نشاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، و فنى النفط، فظفروا بسرب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه.

ثم إن عز الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من «١» الرجال، و يقصدهم ليملك البلد، فأرسل طغتكين طائراً فيه رقعة ليعلمه وصول المال، و يأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجىء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم و فرنجى، فقال الفرنجى: نطقه «٢» لعل فيه فرجا لهم، فلم يمكنه المسلم، و حمله إلى الملك بغدوين، فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذى ذكره طغتكين، و فيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلموهم بالعريّة، فلم

ينكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أسرى، و حملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم

[١] سبعين.

(١). تجنيد. b. dda

(٢). نرسله. b

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٠

و طمعوا فى أهل صور، فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، و قصد حصن الحبيس فى السواد، من أعمال دمشق، و هو للفرنج، فحصره، و ملكه بالسيف، و قتل كل من فيه، و عاد إلى الفرنج الذين على صور. و كان يقطع الميرة عنهم فى البر، فأحضرها فى البحر، و خندقوا عليهم، و لم يخرجوا إليه، فسار إلى صيدا، و أغار على ظاهرها، فقتل جماعة من البحرية، و أحرق نحو عشرين مركبا على الساحل، و هو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر و الفرنج يلازمون قتالهم، و قاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة، فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات، فخاف الفرنج أن طغتكين يستولى على غلات «١» بلادهم، فساروا عن البلد، عاشر شوال، إلى عكة، و عاد عسكر طغتكين إليه، و أعطاهم أهل صور الأموال و غيرها، ثم أصلحوا ما تشعث من سورها و خندقها، و كان الفرنج قد طمّوه.

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

فى هذه السنة خرج أذفونش الفرنجى، صاحب طليطلة بالأندلس، إلى بلاد الإسلام بها، يطلب ملكها، و الاستيلاء عليها، و جمع و حشد فأكثر، و كان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر، فسار إليه فى عساكره [١] و جموعه، فلقى، فاقتلوا، و اشتد القتال، و كان الظفر للمسلمين، و انهزم

[١] عساكرها.

(١). غلال. B.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩١

الفرنج، و قتلوا قتلا ذريعا، و أسر منهم بشر كثير، و سبى منهم، و غنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء، فخافه الفرنج، بعد ذلك، و امتنعوا من قصد بلاده، و ذلّ أذفونش حينئذ و علم أن فى البلاد حاميا لها، و ذابا عنها. و فى هذه السنة، فى جمادى الآخرة «١»، توفى الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الإمام المشهور.

(١). B. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٢

٥٠٦ ثم دخلت سنة ست و خمسمائة

فى هذه السنة، فى المحرم «١»، سار مودود، صاحب الموصل، إلى الرها، فنزل عليها، و رعى [١] عسكره زروعها، و رحل عنها إلى

سروج، و فعل بها كذلك و أهمل الفرنج، و لم يحترز منهم، فلم يشعر إلّا و جوسلين، صاحب تلّ باشر، قد كبسهم، و كانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى، فأخذ الفرنج كثيرا منها، و قتلوا كثيرا من العسكر، فلمّا تأهب المسلمون للقائه، عاد عنهم إلى سروج. و فيها رحل السلطان محمّد من بغداد، و كان مقامه هذه المرّة خمسة أشهر، فلمّا وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القمّي، و سلّمه إلى الأمير كاميار لعداوة بينهما، فلمّا وصل إلى الرّي أركبه كاميار على دابّة بمركب ذهب، و أظهر أنّ السلطان خلع عليه على مال قرّره عليه، فحصيل بذلك مالا كثيرا من أهل القمّي، ثم صلبه، و كان سبب قبضه أنّه كان يكثر الطعن على الخليفة و السلطان.

و فيها كان ببغداد رجل مغربيّ يعمل الكيمياء، بزعمه، اسمه أبو عليّ، فحمل إلى دار الخلافة، و كان آخر العهد به. و فيها ورد إلى بغداد يوسف بن أيّوب الهمدانيّ، الواعظ، و كان من الزهّاد

[١] ورعا.

B.mO.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٣

العابدين، فوعظ الناس بها، فقام إليه رجل متفقّه، يقال له ابن السّقاء، فأذاه في مسألة، و عاوده، فقال له: اجلس، فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر، و لعلّك تموت على غير دين الإسلام، فاتفق بعد مديدة أنّ ابن السّقاء خرج إلى بلاد الروم، و تنصّر. و فيها، في ذى القعدة، سمع ببغداد صوت هدّة عظيمة، و لم يكن بالسّماء غيم حتّى يظنّ أنّه صوت رعد، و لم يعلم أحد أيّ صوت كان.

و فيها توفّي بسيل «١» الأرمنيّ، صاحب الدروب، ببلاد «٢» ابن لاون، فسار طنكري، صاحب أنطاكية، أوّل جمادى الآخرة، إلى بلاده طمعا في أن يملكها، فمرض في طريقه، فعاد إلى أنطاكية، فمات ثامن جمادى [الآخرة] و ملكها بعده ابن أخته سرخالة «٣»، و استقام الأمر فيها، بعد أن جرى بين الفرنج خلف «٤» بسببه، فأصلح بينهم القسوس و الزّهبان.

و فيها توفّي قراجه «٥»، صاحب حمص، و كان ظالما، و قام ولده قرجان «٦» مكانه، و كان مثله [١] في قبح السيرة. و في هذه السنّة توفّي المعمر بن عليّ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغداديّ، و مولده سنّة تسع و عشرين و أربعمئة، و كان له خاطر حادّ، و مجون حسن، و كان الغالب على وعظه أخبار الصالحين «٧».

و توفّي أحمد بن الفرّج بن عمر الدّينوريّ، والد شهدة، و كان يروى

[١] قبله.

(١). الأمير. b.

(٢). البلاد. p.c.

(٣). سر خال. b.

(٤). p.c.mo.

(٥). قراجا. b. Idobte.

(٦). p.c.fc. a. ٨٠٥. tret. pac. ١٥. ate. tret. pac. ١٥. tlu. حبر خان. Idob. حبر خان. b. حبر خان. p.c.

b.mo.(٧)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٤

عن أبي يعلى بن الفراء، و ابن المأمون، و ابن المهتدي، و ابن النفور، و غيرهم، و كان حسن السيرة متزهداً.
و توفي أبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، الخطيب التيسابوري، و كان من أعيان الفقهاء، و ولي قضاء خوارزم، و كان يروي الحديث.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٥

٥٠٧ ثم دخلت سنة سبع و خمسمائة

ذكر قتال الفرنج و انهزامهم و قتل مودود

في هذه السنة، في المحرم، اجتمع المسلمون، و فيهم الأمير مودود بن التونتكين، صاحب الموصل، و تميرك، صاحب سنجار، و الأمير أياز بن يلغازي، و طغتكين، صاحب دمشق «١».

و كان سبب اجتماع المسلمين «٢» أن ملك الفرنج بغدوين «٣» تابع الغارات على بلد دمشق، و نهبه، و خربه «٤»، أواخر سنة ست و خمسمائة، و انقطعت المواد عن دمشق «٥»، فغلت الأسعار فيها، و قلت الأوقات «٦»، فأرسل طغتكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال، و يستنجد «٧»، و يحثه على سرعة «٨» الوصول إليه، فجمع عسكرا «٩»، و سار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست و خمسمائة، فخافه الفرنج.

و سمع طغتكين خبره، فسار إليه، و لقيه بسلميئة، و اتفق رأيهم على

(١) و دخلوا بلاد الفرنج مع مودود و جمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس و جوسلين صاحب جيشهم و غيرهما من المقدمين. dda

.bcih

(٢). اجتماعهم. p.c.

(٣). ملك القدس. b.

(٤-٥). b.mo.

(٦). بدمشق. b.

(٧). p.c.mo.

(٨). b.

(٩). ticilpxe .b .doccih.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٦

قصد بغدوين، ملك القدس، فساروا إلى الأردن، فنزل المسلمون عند الأقحوانة و نزل الفرنج مع ملكهم بغدوين و جوسلين، صاحب جيشهم، و غيرهما من المقدمين، و الفرسان المشهورين، و دخلوا بلاد الفرنج مع مودود، و جمع الفرنج، فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم، و اشتد القتال، و صبر الفريقان، ثم إن الفرنج انهزموا، و كثر القتل فيهم و الأسر، و ممن أسر ملكهم بغدوين، فلم يعرف، فأخذ سلاحه و أطلق فنجاً، و غرق منهم في بحيرة طبرية و نهر الأردن كثير، و غنم المسلمون أموالهم و سلاحهم، و وصل الفرنج إلى مضيق دون طبرية، فلقبهم عسكر طرابلس و أنطاكية، فقويت نفوسهم بهم، و عاودوا الحرب، فأحاط بهم المسلمون من كل ناحية، و

صعد الفرنج إلى جبل غرب طبرية، فأقاموا به ستّة وعشرين يوماً، والمسلمون يازأئهم يرمونهم بالنشاب فيصيرون من يقرب منهم، و منعوا «١» الميرة عنهم لعلهم يخرجون إلى قتالهم، فلم يخرج منهم أحد، فسار المسلمون إلى بيسان، و نهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس، و خزّبوها، و قتلوا من ظفروا به من النصارى، و انقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم، فعادوا و نزلوا [١] بمرج الصّفر. و أذن الأمير مودود للعساكر في العود و الاستراحة، ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة، و بقى في خواصّه، و دخل دمشق في الحادى و العشرين من ربيع الأوّل ليقم عند طغتكين إلى الربيع. فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأوّل، ليصلّى فيه و طغتكين، فلما فرغوا من الصلاة، و خرج إلى صحن «٢»

[١] و نزل.

(١). منعه. doc

(٢). حصن. doc

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٧

الجامع، و يده في يد طغتكين، و ثب [١] عليه باطنى فضربه فجرحه أربع جراحات و قتل الباطنى، و أخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأحرق. و كان صائما، فحمل إلى دار طغتكين، و اجتهد به ليفطر، فلم يفعل، و قال: لا لقيت الله إلّا صائما، فمات من يومه، رحمه الله، فقيل إن الباطنية بالشام خافوه و قتلوه، و قيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله. و كان خيرا، عادلا، كثير الخير، حدّثنى والدى قال: كتب ملك الفرنج إلى طغتكين، بعد قتل مودود، كتابا من فصوله [٢]: أن أمة قتلت عميدها.

يوم عيدها. في بيت معبودها. لتحقيق على الله أن يبديها.

و لمّا قتل تسلّم تيمرك، صاحب سنجار، ما معه من الخزائن و السلاح و حملها إلى السلطان، و دفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها، و حمل بعد ذلك إلى بغداد، فدفن في جوار أبى حنيفه، ثم حمل إلى أصبهان.

ذكر الخلف بين السلطان سنجر و محمّد خان و الصلح بينهما

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر: أن محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده إلى أموال الرعايا، و ظلمهم ظلما كثيرا، و أنّه خزّب البلاد بظلمه و شرّه، و أنّه قد صار يستخفّ [٣] بأوامر سنجر، و لا يلتفت إلى شىء منها، فتجهّز سنجر و جمع عساكره و سار يريد قصده بما وراء النهر، فخاف

[١] فوثب.

[٢] فضوله.

[٣] استخف.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٨

محمّد خان، فأرسل إلى الأمير قماج، و هو أكبر أمير مع سنجر، يسأله أن يصلح الحال بينه و بين سنجر، و أرسل أيضا إلى خوارزم شاه بمثل ذلك، و سألهما في إرضاء السلطان عنه، و اعترف بأنّه أخطأ، فأجاب سنجر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده و يطأ بساطه، فأرسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه، و لكنّه يحضر الخدمة، و يخدم السلطان، و بينهما نهر جيحون، ثم يعاود بعد ذلك

الحضور عنده، و الدخول إليه، فحسّوا الإجابة إلى ذلك، و الاشتغال بغيره، فامتنع، ثم أجاب.
و كان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي، و جاء محمّد خان إلى الجانب الشرقي، فترجّل و قُبل الأرض و سنجر راكب، و عاد كلّ واحد منهما إلى خيامه، و رجعوا إلى بلادهم، و سكنت الفتنة بينهما.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى بغدادين ملك الفرنج، فسار إليه، و عارضه في البرّ، فأخذهم أجمعين، و لم ينج منهم إلّا القليل، و من سلم أخذه [١] العرب «١».
و في هذه السنة توفّي الوزير أبو القاسم عليّ بن محمّد بن جهير، وزير الخليفة المستظهر بالله، و وزر بعده الريب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمّد ابن الحسين وزير السلطان.

[١] أخذ.

(١). ٥٠٢. div. ma

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٤٩٩

و فيها توفّي الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان، صاحب حلب، و قام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس، و عمره ستّ عشرة سنة، و كانت أمور رضوان غير محمودّة: قتل أخويه أبا طالب و بهرام، و كان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلّة دينه، و لما ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم، و لم يكن للأخرس معه إلّا اسم السلطنة، و معناه للؤلؤ، و لم يكن ألب أرسلان أخرس، و إنّما في لسانه حبسة و تمتمة، و أمّه بنت باغي «١» سيان الذي كان صاحب أنطاكية، و قتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملك شاه، و هو من أبيه و أمّه، و اسم الآخر مبارك شاه، و هو من أبيه، و كان أبوه فعل مثله، فلما توفّي قتل ولداه، مكافأة لما أعتده مع أخويه.

و كان الباطنية قد كثروا بحلب في أيامه، حتّى خافهم ابن بديع رئيسها، و أعيان أهلها، فلما توفّي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم و الإيقاع بهم، فأمره بذلك، فقبض على مقدّمهم أبي طاهر الصانع، و على جميع أصحابه، فقتل أبا طاهر و جماعة من أعيانهم، و أخذ أموال الباقين و أطلقهم، فممنهم من قصد الفرنج، و تفرّقوا في البلاد.

و في هذه السنة توفّي ببغداد أبو بكر أحمد بن عليّ بن بدران الحلوانيّ الزاهد، منتصف جمادى الأولى، روى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبري، و أبي محمّد الجوهري، و أبي طالب العشاري و غيرهم، و روى عنه خلق كثير، و من آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسي، خطيب الموصل.

و إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ بن عليّ بن أبي بكر البيهقيّ الإمام ابن الإمام، و مولده سنة ثمان و عشرين و أربعمئة، و توفّي بمدينة بيهق، و لوالده تصانيف كثيرة مشهورة.

(١). ياغي. doC.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٠

و شجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهليّ الحافظ، و مولده سنة ثلاثين و أربعمئة، و روى عن أبيه، و أبي القاسم، و ابن المهديّ و الجوهريّ و غيرهم.

و الأديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر المشهور، و له ديوان حسن، و من شعره:

تنكر لى دهرى، و لم يدر أننى أعزّ، و أحداث الزمان تهون

و ظلّ يرينى الخطب كيف اعتداؤوه بتّ أريه الصبر كيف يكون و له أيضا:

ركبت طرفى، فأذرى دمعى أسفاعد انصرافى منهم، مضمير الياس

و قال: حتّام تؤذينى، فإن سنحت [١] حوائج لك، فاركنى إلى الناس و كانت وفاته بأصبهان، و هو من ولد عنبسّ بن أبى سفيان بن حرب الأموىّ.

و توفى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشىّ، الإمام الفقيه الشافعىّ، فى شوال، مولده سنه سيع و عشرين و أربعمائه، سمع أبا بكر الخطيب، و أبا يعلى بن الفراء، و غيرهما [٢]، و تفقه على أبى عبد الله محمّد بن الكازرونىّ بديار بكر، و على أبى إسحاق الشيرازىّ ببغداد، و على أبى نصر بن الصّبّاغ.

و فيها توفى أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجىّ، الحافظ المقدسىّ، و مولده سنه خمس و أربعين و أربعمائه، و كان مكثرا من الحديث، و تفقه على أبى إسحاق، و كان ثقة.

[١] سبخت.

[٢] و غيرهم.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠١

٥٠٨ ثم دخلت سنه ثمان و خمسمائه

ذكر مسير آقسنقر البرسقى إلى الشام لحرب الفرنج

فى هذه السنه سىّر السلطان محمد الأمير آقسنقر البرسقى إلى الموصل و أعمالها، واليا عليها، لما بلغه قتل مودود، و سىّر معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف، و أمره بقتال الفرنج، و كتب إلى سائر الأمراء بطاعته، فوصل إلى الموصل، و اتّصلت به عساكرها، و فيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر، الذى ملك هو و أولاده الموصل بعد ذلك، و كان له الشجاعة فى الغاية.

و اتّصل به أيضا تيمرك صاحب سنجار و غيرهما، فسار البرسقى إلى جزيرة ابن عمر، فسلمها إليه نائب مودود بها، و سار معه إلى ماردين، فنازلها البرسقى، حتى أذن له إيلغازى صاحبها، و سىّر معه عسكرا مع ولده أياز، فسار عنه البرسقى إلى الزها فى خمسة عشر ألف فارس، فنازلها فى ذى الحجة، و قاتلها، و صبر له الفرنج، و أصابوا من بعض المسلمين غزّة، فأخذوا منهم تسعة رجال و صلبوهم على سورها، فاشتدّ القتال حينئذ، و حمى المسلمون، و قاتلوا، فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم، و أقام عليها شهرين و أيّاما. و ضاقت الميرة على المسلمين، فرحلوا من الزها إلى سميساط، بعد أن خرّبوها بلد الزها و بلد سروج و بلد سميساط و أطاعه صاحب مرعش على ما

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٢

نذكره، ثم عاد إلى شحنان «١»، فقبض على أياز بن إيلغازى، حيث لم يحضر أبوه، و نهب سواد ماردين.

ذكر طاعة صاحب مرعش و غيرها البرسقى

فى هذه السنه توفى بعض كنود الفرنج، و يعرف بكواسيل، و هو صاحب مرعش، و كيسوم، و رعبان و غيرها، فاستولت زوجته على

المملكة، و تحصّنت من الفرنج، و أحسنت إلى الأجناد، و راسلت آقسنقر البرسقيّ، و هو على الرّها، و استدعت منه بعض أصحابه لتطيعه [١]، فسّير إليها الأمير سنقر دزدار، صاحب الخابور، فلما وصل إليها أكرمته، و حملت إليه مالا كثيرا. و بينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج، فواقعا أصحابه، و هم نحو مائة فارس، و اقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج، و قتلوا منهم أكثرهم، و عاد سنقر دزدار، و قد أصحبه الهدايا للملك مسعود و البرسقيّ، و أذعت بالطاعة، و لمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها إلى أنطاكية.

ذكر الحرب بين البرسقيّ و إيلغازي و أسر إيلغازي

لمّا قبض البرسقيّ على أياز بن إيلغازي سار إلى حصن كيفا، و صاحبها الأمير ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان، فاستنجده، فسار معه في عسكره و أحضر

[١] لتطيعه.

(١). iiibudongisotidda.docati

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٣

خلقا كثيرا من التركمان، و سارا إلى البرسقيّ، فلقبه، أواخر السنة، و اقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه، فانهزم البرسقيّ و عسكره، و خلص أياز بن إيلغازي من الأسر، فأرسل السلطان إليه يتهدّده، فخافه، و سار إلى الشام إلى حميه [١] طغتكين، صاحب دمشق، فأقام عنده أيّاما.

و كان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لأنّه نسب إليه قتل مودود، فاتفقا على الامتناع، و الالتجاء إلى الفرنج، و الاحتماء بهم، فراسلا صاحب أنطاكية، و حالفاه، فحضر عندهما على بحيرة قدس، عند حمص، و جدّوا العهود، و عاد إلى أنطاكية، و عاد طغتكين إلى دمشق، و سار إيلغازي إلى الرّستن على عزم قصد ديار بكر، و جمع التركمان و العود، فنزل بالرّستن ليستريح، فقصده الأمير قرجان بن قراجه، صاحب حمص، و قد تفرّق عن إيلغازي أصحابه، فظفر به قرجان و أسره و معه جماعة من خواصّه، و أرسل إلى السلطان يعرّفه ذلك، و يسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على إيلغازي.

و لمّا بلغ طغتكين الخبر عاد إلى حمص، و أرسل في إطلاقه، فامتنع قرجان، و حلف: إن لم يعد طغتكين لنقتلن إيلغازي، فأرسل إيلغازي إلى طغتكين:

إنّ الملاجه [٢] تؤذيني، و تسفك دمي، و المصلحة عودك إلى دمشق. فعاد.

و انتظر قرجان وصول العساكر السلطانية، فتأخّرت عنه، فخاف أن ينخدع أصحابه لطغتكين، و يسلموا إليه حمص، فعدل إلى الصّليح مع إيلغازي على أن يطلقه، و يأخذ ابنه أياز رهينته، و يصاهره، و يمنعه من طغتكين و غيره، فأجابته إلى ذلك، فأطلقه، و تحالفا، و سلّم إليه ابنه أياز، و سار عن حمص

[١] حمية.

[٢] الملاجه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٤

إلى حلب، و جمع التركمان، و عاد إلى حمص، و طالب بولده أياز، و حصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانية، فعاد إيلغازي

على ما نذكره.

ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين و ملك ابنه و ما كان منه مع السلطان سنجر

فى هذه السنة، فى سؤال، توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى المظفر إبراهيم بن أبى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنه، بها، و ملك بعده ابنه أرسلان شاه، و أمه سلجوقية، و هى أخت السلطان ألب أرسلان بن داود، فقبض على إخوته و سجنهم، و هرب أخ له اسمه بهرام إلى خراسان، فوصل إلى السلطان سنجر بن ملك شاه، فأرسل إلى أرسلان شاه فى معناه، فلم يسمع منه، و لا أصغى إلى قوله، فتجهز سنجر للمسير إلى غزنه، و إقامة بهرام شاه فى الملك. فأرسل أرسلان شاه إلى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر، فأرسل السلطان إلى أخيه سنجر يأمره بمصالحة أرسلان شاه، و ترك التعرض له، و قال للرسول:

إن رأيت أخى و قد قصدهم، و سار نحوهم، أو قارب أن يسير، فلا تمنعه، و لا تبغ الرساله، فإن ذلك يفت فى عضده و يوهنه «١»، و لا يعود، و لأن يملك أخى الدنيا أحب إلى. فوصل الرسول إلى سنجر، و قد جهز العساكر إلى غزنه، و جعل على مقدمته الأمير أنر، متقدم عسكره، و معه الملك بهرام شاه، فساروا حتى بلغوا بست، و اتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف، صاحب سجستان.

(١). و يورهنه. A .te .P .C .ldoB.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٥

و سمع أرسلان شاه الخبر، فسار جيشا كثيفا، فهزماه، و نهباه، و عاد من سلم إلى غزنه على أسوأ حال، فخضع حينئذ أرسلان شاه و أرسل إلى الأمير أنر يضمن له الأموال الكثيره ليعود عنه، و يحسن للملك سنجر العود عنه، فلم يفعل. و تجهز السلطان سنجر، بعد أنر، للمسير بنفسه، فأرسل إليه أرسلان شاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح و العود عن قصده، و هى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق، و كان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها، و منعها من الخروج عن غزنه و تزوجها، فسيرها الآن أرسلان شاه، فلما وصلت إلى أخيه أوصلت «١» ما معها من الأموال و الهدايا، و كان معها مائتا ألف دينار، و غير ذلك، و طلب من سنجر أن يسلم أخاه بهرام إليه.

و كانت موغرة الصدر من أرسلان شاه، فهونت أمره على سنجر، و أطمعته فى البلاد، و سهلت الأمر عليه، و ذكرت له ما فعل بإخوته، و كان قتل بعضا و كحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة. فسار الملك سنجر، فلما وصل إلى بست أرسل خادما من خواصه إلى أرسلان شاه فى رساله، فقبض عليه فى بعض القلاع، فسار حينئذ سنجر مجدا، فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول، و وصل سنجر إلى غزنه، و وقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنه، بصحراء شهرباذ، و كان أرسلان شاه فى ثلاثين ألف فارس، و خلق كثير من الرجال، و معه مائتة و عشرون فيلا، على كل فيل أربعة نفر، فحملت الفيلة على القلب، و فيه سنجر، فكان من فيه ينهزمون، فقال سنجر لغلمانه الأتراك ليرموها بالنشاب، فتقدم ثلاثة آلاف غلام، فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا، فقتلوا منها عدده، فعدلت الفيلة عن القلب إلى الميسرة، و بها أبو الفضل صاحب سجستان، و جالت عليهم، فضعف من فى الميسرة، فشجعهم أبو الفضل،

(١). إليه. tnebah .Ate .P .Csibrevsihorp .ldoB.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٦

و خوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم، و ترجل عن فرسه بنفسه، و قصد كبير الفيلة و متقدمها، و دخل تحتها فشق بطنها، و قتل فيلين آخرين.

و رأى الأمير أنز، و هو فى اليمينه، ما فى الميسره من الحرب، فخاف عليها، فحمل من وراء عسكر غزنه، و قصد الميسره، و اختلط بهم، و أعانهم، فكانت الهزيمة على الغزنويه، و كان ركاب الفيله قد شدوا أنفسهم عليها بالسلاسل، فلما عصتهم الحرب، و عمل فيهم السيف، ألقوا أنفسهم، فبقوا معلقين عليها.

و دخل السلطان سنجر غزنه فى العشرين من شوال سنه عشر و خمسمائه، و معه بهرام شاه. فأما القلعه الكبيره المشتمله على الأموال، و بينها و بين البلد تسعه فراسخ، و هى عظيمه، فلا [١] مطمع فيها، و لا طريق عليها.

و كان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهرا [٢] الخازن، و هو صاحب بهرام شاه، و اعتقل بها أيضا زوجة بهرام شاه، فلما انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها، فبذل له و للأجناد الزيادات، فسلموا القلعه إلى الملك سنجر.

و أما قلعه البلد فإن أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر، فلما أطلقه بقى غلامانه بها، فسلموا القلعه أيضا بغير قتال.

و كان قد تقرّر بين بهرام شاه و بين سنجر أن يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده، و أن تكون [٣] الخطبه بغزنه للخليفه، و للسلطان محمّد، و للملك سنجر، و بعدهم لبهرامشاه. فلما دخلوا غزنه كان سنجر راجلا، و بهرام شاه بين يديه راجلا، حتى جاء السرير، فصعد بهرام شاه فجلس

[١] لا.

[٢] طاهر.

[٣] يكون.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٧

عليه، و رجع سنجر، و كان يخطب له بالملك، و لبهرامشاه بالسلطان، على عادة آبائه، فكان هذا من أعجب ما يسمع به.

و حصل لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحدد و لا يحصى من السلطان و الرعايا، و كان فى دور لملوكها عدّه دور على حيطانها ألواح الفضة، و سواقى المياه إلى البساتين من الفضة أيضا، فقلع من ذلك أكثره، و نهب، فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهده، و صلب جماعه حتى كف الناس.

و فى جمله ما حصل للملك سنجر خمسّه تيجان قيمه أحدها تزيد [١] على ألفى ألف دينار، و ألف و ثلاثمائه قطع مضاغه مرضيه، و سبعة عشر سريرا من الذهب و الفضة. و أقام بغزنه أربعين يوما، حتى استقرّ بهرام شاه، و عاد نحو خراسان، و لم يخطب بغزنه لسليجوتى قبل هذا الوقت، حتى إن السلطان ملك شاه مع تمكنه و كثرة ملكه لم يطمع فيه، و كان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك.

و أما أرسلانشاه فإنه لما انهزم قصد هندوستان و اجتمع عليه أصحابه، فقويت شوكته، فلما عاد سنجر إلى خراسان توجه إلى غزنه، فلما عرف بهرام شاه قصده إياه توجه إلى باميان، و أرسل إلى الملك سنجر يعلمه الحال، فأرسل إليه عسكريا.

و أقام أرسلانشاه بغزنه شهرا واحدا، و سار يطلب أخاه بهرام شاه، فبلغه وصول عسكر سنجر، فانهزم بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب أصحابه، و لحق بجبال أوغنان، فسار أخوه بهرام شاه و عسكر سنجر فى أثره، و خربوا البلاد التى هو فيها، و أرسلوا إلى أهلها يتهدّدونهم، فسلموه بعد المضايقه، فأخذه متقدّم جيش الملك سنجر، و أراد حمله إلى صاحبه، فخاف بهرام شاه

[١] يزيد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٨

من ذلك، فبذل له مالا، فسلمه إليه، فخنقه و دفنه بتربه أبيه بغزنه، و كان عمره سبعا [١] و عشرين سنه، و كان أحسن إخوته صوره، و

كان قتله في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة و خمسمائة، و إنما ذكرناه هاهنا لتتصل الحادثة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة، و الشام، و غيرها، فخربت كثيرا من الزها، و حران، و سميساط، و بالس و غيرها، و هلك خلق كثير تحت الهدم.
و فيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان، صاحب حلب، قتله غلمانه بقلعة حلب، و أقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان، و كان المستولى عليه لؤلؤ الخادم.
و فيها توفي الشريف النسب أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني، في ربيع الآخر، بدمشق.

[١] سبع.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٠٩

٥٠٩ ثم دخلت سنة تسع و خمسمائة

ذكر انهماز عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان إيلغازي و طغتكين على السلطان، و قوّة الفرنج، فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهّز عسكرا كثيرا، و جعل مقدّمهم الأمير برسق بن برسق، صاحب همذان، و معه الأمير جيوش بك و الأمير كنتغدي «١»، و عساكر الموصل و الجزيرة، و أمرهم بالبداية بقتال إيلغازي و طغتكين، فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج، و قاتلوهم، و حصروا بلادهم.
فساروا في رمضان من سنة ثمان و خمسمائة، و كان عسكرا كثير العدة، و عبروا الفرات، آخر السنة، عند الرقة، فلما قاربوا حلب راسلوا المتولّي لأمرها لؤلؤا [١] الخادم، و مقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواص، يأمرونهما بتسليم حلب، و عرضوا عليهما كتب السلطان بذلك، فغالطا [٢] في الجواب، و أرسلوا إلى إيلغازي و طغتكين يستنجدانهما، فسارا إليهم في ألفي فارس، و دخلا حلب، فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان، و أظهروا العصيان فسار الأمير

[١] لؤلؤ.

[٢] فغالطا.

(١). كسغدي. P.C.، كيدغدي. IdoB.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٠

برسق بن برسق إلى مدينة حماة، و هي في طاعة طغتكين، و بها ثقله، فحصرها، و فتحها عنوة، و نهبا ثلاثة أيام، و سلّمها إلى الأمير قرجان، صاحب حمص.

و كان السلطان قد أمر أن يسلم إليه كلّ بلد يفتحونه [١]، فلما رأى الأمراء ذلك فشلوا و ضعفت نيّاتهم في القتال، بحيث تؤخذ البلاد و تسلّم إلى قرجان، فلما سلّموا حماة إلى قرجان سلّم إليهم أياز بن إيلغازي، و كان قد سار إيلغازي، و طغتكين، و شمس الخواص، إلى أنطاكية و استجاروا بصاحبها روجيل «١»، و سألوه أن يساعدهم على حفظ مدينة حماة و لم يكن بلغهم [٢] فتحها.

و وصل إليهم بأنطاكية بغدوين، صاحب القدس، و صاحب طرابلس، و غيرهما من شياطين الفرنج، و اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين، و قالوا إنهم عند هجوم الشتاء يتفرقون، و اجتمعوا بقلعة أرامية، و أقاموا نحو شهرين، فلما انتصف أيلول، و رأوا عزم المسلمين على المقام، تفرقوا، فعاد إيلغازي إلى ماردين، و طغتكين إلى دمشق، و الفرنج إلى بلادها.

و كانت أرامية و كفرطاب للفرنج، فقصد المسلمون كفرطاب و حصروها، فلما اشتد الحصر على الفرنج، و رأوا الهلاك، قتلوا أولادهم و نساءهم و أحرقوا أموالهم، و دخل المسلمون البلد عنوة و قهرا، و أسروا صاحبه، و قتلوا من بقى فيه من الفرنج، و ساروا إلى قلعة أرامية، فرأوها حصينة، فعادوا عنها إلى المعزة، و هى للفرنج أيضا، و فارقهم الأمير جيوش بك إلى وادى بزاعة فملكه.

و سارت العساكر عن المعزة إلى حلب، و تقدمهم ثقلهم و دوابهم،

[١] تفتحونه.

[٢] فلا بلغهم.

(١). و رحيل.P.C

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١١

على جارى العادة، و العساكر فى أثره متلاحقة، و هم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم.

و كان روجيل «١»، صاحب أنطاكية، لما بلغه حصر كفرطاب، سار فى خمسمائة فارس و ألفى راجل للمنعم، فوصل إلى المكان الذى ضربت فيه خيام المسلمين، على غير علم بها، فرآها خالية من الرجال المقاتلة، لأنهم لم يصلوا إليها، فنهب جميع ما هناك، و قتل كثيرا من السوقية، و غلمان العسكر، و وصلت العساكر متفرقة، فكان الفرنج يقتلون كل من وصل إليهم.

و وصل الأمير برسق فى نحو مائة فارس، فرأى الحال، فصعد تلمها هناك، و معه أخوه زكى، و أحاط بهم من السوقية و الغلمان، و احتموا بهم، و منعوا الأمير برسق من النزول، فأشار عليه أخوه و من معه بالنزول و النجاة بنفسه، فقال: لا أفعل، بل أقتل فى سبيل الله، و أكون فداء المسلمين، فغلبوه على رأيه، فجا هو و من معه، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ، ثم عادوا و تمموا الغنيمه و القتل، و أحرقوا كثيرا من الناس. و تفرق العسكر، و أخذ كل واحد جهة.

و لمّا سمع الموكلون بالأسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلهم، و كذلك فعل الموكل بإياز بن إيلغازي قتله أيضا، و خاف أهل حلب و غيرها من بلاد المسلمين التى بالشام، فإنهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر، فأتاهم ما لم يكن فى الحساب، و عادت العساكر عنهم [١] إلى بلادها.

و أما برسق و أخوه زكى فإنهما توفيا فى سنة عشر و خمسمائة، و كان برسق خيرا، دينا، و قد ندم على الهزيمة، و هو يتجهز للعود إلى الغزاة، فأتاه أجله.

[١] منهم.

(١). و رحيل.ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٢

ذكر ملك الفرنج رنية و أخذها منهم

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، ملك الفرنج رفيه من أرض الشام، و هي لطغتكين، صاحب دمشق، و قوّوها بالرجال و الذخائر، و بالغوا في تحصينها، فاهتمّ طغتكين لذلك، و قوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها و التخريب، فأتاه الخبر عن رفته بخلوها من [١] عسكر يمنع عنها، و ليس هناك إلّا الفرنج الذين رتبوا لحفظها، فسار إليها جريده، فلم يشعر من بها إلّا و قد هجم عليهم البلد فدخله عنوة و قهرا، و أخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا، فقتل البعض، و ترك البعض، و غنم المسلمون من سوادهم، و كراعهم، و ذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم، و عادوا إلى بلادهم سالمين.

ذكر وفاة يحيى بن تميم و ولاية ابنه علي

في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، صاحب إفريقيه، يوم عيد الأضحى، فجاءه، و كان منجم قد قال له في منستير مولده إن عليه قطعا في هذا اليوم، فلا يركب [٢]، فلم يركب، و خرج أولاده و أهل دولته إلى المصلّى، فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه و تهنئته، و قرأ القراء، و أنشد الشعراء، و انصرفوا إلى الطعام، فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام، فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا، و كان ولده

[١] لخلوها عن.

[٢] تركب.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٣

علي بمدينة سفاقس، فأحضر و عقدت له الولاية، و دفن يحيى بالقصر، ثم نقل إلى التربة بمنستير، و كان عمره اثنتين و خمسين سنة و خمسة عشر يوما، و كانت ولايته ثمانى سنين و خمسة أشهر و خمسة و عشرين يوما، و خلف ثلاثين ولدا، فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلّي يرثيه و يهني ابنه عليا بالملك:

ما أغمد العضب إلّا جرّد الذّكر، و لا اختفى قمر حتى بدا قمر

بموت يحيى أميت الناس كلّهم، حتى إذا ما عليّ جاءهم نشروا

إن يبعثوا بسرور من تملكه فمن متيه يحيى بالأسى قبروا «١»

أوفى عليّ، فسّن الملك ضاحكة، و عينها من أبيه دمعها همر

شقت جيوب المعالي بالأسى فبكت في كلّ أفق عليه الأنجم الزهر

و قلّ لابن تميم حزن «٢» ما دهما «٣» [١]، فكلّ حزن عظيم فيه محتقر

قام الدليل و يحيى لا حياة له، إن المتية لا تبقى، و لا تذر و كان يحيى عادلا في رعيتته، ضابطا لأموار دولته، مدبرا لجميع أحواله، رحيفا بالضعفاء و الفقراء، يكثر الصدقة عليهم، و يقرب أهل العلم و الفضل، و كان عالما بالأخبار، و أيام الناس، و الطّب، و كان حسن الوجه، أشهل العين، إلى الطول ما هو.

و لما استقرّ عليّ في الملك جهّز أسطولا إلى جزيرة جربة، و سببه أن

[١] بهما.

(٣). بها irama

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٤
أهلها كانوا [١] يقطعون الطريق، و يأخذون التجار، فحصرها، و ضيق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته]، و التزموا ترك الفساد، و
ضمنوا إصلاح الطريق. و كف عنهم عند ذلك، و صلح أمر البحر، و أمن المسافرون.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى رجب، قدم السلطان محمد بغداد، و وصل إليه أتابك طغتكين، صاحب دمشق، فى ذى القعدة، و سأل الرضا عنه،
فرضى عنه السلطان، و خلع عليه، و رده إلى دمشق.
و فيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البدرية، و هى منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله، و كانت من أحسن دور الخلفاء، و كان ينزلها
الراضى بالله، ثم تهدمت و صارت تلاً، فأمر القادر بالله أن يسور عليها سور، لأنها مع الدار الإمامية، ففعل ذلك، فلما كان الآن أمر
بيعها، فبيعت، و عمرها الناس.
و فيها، فى شعبان، وقعت الفتنة بين العامة، و سببها أن الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولاً، فاقتلوا، و قتل
بينهم جماعة، و عادت الفتنة بين أهل المحال كما كانت، ثم سكنت.
و فيها أقطع السلطان محمد الموصل و ما كان بيد آسنقر البرسقى للأمير جيوش بك، و سير ولده الملك مسعودا، و أقام البرسقى «١»
بالرحبة، و هى إقطاعه،

[١] كان.

(١). mO. IdoB

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٥
إلى أن توفى السلطان محمد، و كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.
و فيها توفى إسماعيل بن محمد بن أحمد بن مله الأصبهاني، أبو عثمان ابن أبى سعيد الواعظ، سمع الكثير، و حدث ببغداد و غيرها، و
عبد الله بن المبارك بن موسى السقطي، أبو البركات، له رحلة، و له تصانيف، و كان أديباً.
الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٦

٥١٠ ثم دخلت سنة عشر و خمسمائة

ذكر قتل أحمد بن وهسودان

فى هذه السنة، أول المحرم، حضر أتابك طغتكين، صاحب دمشق، دار السلطان محمد ببغداد، و حضر جماعة الأمراء، و معهم
أحمد بن إبراهيم ابن وهسودان الروادى، الكردي، صاحب مراغة و غيرها من أذربيجان، و هو جالس إلى جانب طغتكين، فأتاه
رجل متظلم، و بيده رقعته، و هو يبكى، و يسأله أن يوصلها إلى السلطان، فأخذها من يده، فضربه الرجل بسكين، فجذبه أحمد بن
تركة تحته، فوثب رفيق للباطنى و ضرب أحمد بن سكيناً أخرى، فأخذتها السيوف، و أقبل رفيق لهما و ضرب أحمد بن سكيناً أخرى،
فأخذتها السيوف، و أقبل رفيق لهما و ضرب أحمد بن سكيناً أخرى، ففعل الناس من إقدامه بعد قتل صاحبيه، و ظن طغتكين و

الحاضرون [١] أنّ طغتكين كان المقصود بالقتل، و أنّه بأمر السلطان، فلمّا علموا أنّهم باطنيّة زال هذا الوهم. الكامل في التاريخ ج ١٠
٥١٦ ذكر وفاة جاولي سقاوو و حال بلاد فارس معه ص : ٥١٦

ذكر وفاة جاولي سقاوو و حال بلاد فارس معه

في هذه السنة توفي جاولي سقاوو، و كان السلطان ببغداد عازما على المقام بها، فاضطرّ إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريبا من فارس، لئلا تختلف عليه،

[١] و الحاضرين.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٧

و قد ذكرنا حال جاولي بالموصل إلى أن ملكت منه و أخذها السلطان، فلمّا قصد السلطان و رضى عنه أقطعه بلاد فارس، فسار جاولي إليها، و معه ولد السلطان جغرى، و هو طفل له من العمر سنتان، و أمره بإصلاحها، و قمع المفسدين بها، فسار إليها، فأول ما أعتده فيها أنّه لم [١] يتوسّط بلاد الأمير بلدجى، و هو من كبار مماليك السلطان ملك شاه، و من جملة بلاده كليل و سرماه «١»، و كان متمكنا بتلك البلاد.

و راسله جاولي ليحضر خدمة جغرى، ولد السلطان، و علم جغرى أن يقول بالفارسيّة [٢] خذوه، فلمّا دخل بلدجى قال جغرى، على عادته: خذوه، فأخذ و قتل، و نهبت أمواله.

و كان لبلدجى، من جملة حصونه، قلعة إصطخر، و هي من أمنع القلاع و أحصنها، و كان بها أهله و ذخائره، و قد استناب في حفظها وزيراً له يعرف بالجهرمي، فعصى [٣] عليه، و أخرج إليه أهله و بعض المال، و لم تزل في يد الجهرمي حتّى وصل جاولي إلى فارس فأخذها منه، و جعل فيها أمواله.

و كان بفارس جماعة من أمراء الشوانكاره، و هم خلق كثير لا يحصون، و مقدّمهم الحسن بن المبارز، المعروف بخسرو، و له فسا و غيرها، فراسله جاولي ليحضر خدمة جغرى، فأجاب: إنني عبد السلطان، و في طاعته، فأما الحضور فلا سبيل إليه، لأنني قد عرفت عادتك مع بلدجى و غيره، و لكنني أحمل إلى السلطان ما يؤثّر. فلمّا سمع جاولي جوابه علم أنّه لا مقام

[١] لما.

[٢] بالفارسيّة.

[٣] فعصا.

(١). و سرماوه. IdoB

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٨

له بفارس معه، فأظهر العود إلى السلطان، و حمل أثقاله على الدواب، و سار كأنه يطلب السلطان، و رجع الرسول إلى خسرو فأخبره، فاغترّ و قعد للشرب، و أمن.

و أمّا جاولي فإنّه عاد من الطريق إلى خسرو جريدة في نفر يسير، فوصل إليه و هو مخمور نائم، فكبسه، فأنبهه أخوه فضلوه، فلم يستيقظ، فصبّ عليه الماء البارد، فأفاق، و ركب من وقته و انهزم، و تفرّق أصحابه، و نهب جاولي ثقله و أمواله، و أكثر القتل في أصحابه، و نجا خسرو إلى حصنه، و هو بين جبلين، يقال لأحدهما أنج.

و سار جاوولي إلى مدينة فسا فتسلمها، و نهب كثيرا من بلاد فارس منها [١] جهرم، و سار إلى خسرو، و حصره مدة، و ضيق عليه، فرأى من امتناع حصنه و قوته، و كثرة ذخائره ما علم [معه] أن المدة تطول عليه، فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس، و رحل عنه إلى شيراز، فأقام بها، ثم توجه إلى كازرون فملكها، و حصر أبا سعد محمد بن ماما في قلعته، و أقام عليها سنتين صيفا و شتاء، فراسله جاوولي في الصلح، فقتل الرسول، فأرسل إليه قوما من الصوفية، فأطعمهم الهريسة و القطائف، ثم أمر بهم فخيطة أديارهم و ألقوا في الشمس فهلكوا، ثم نفذ ما عند أبي سعد، فطلب الأمان فأمنه، و تسلّم الحصن.

ثم إن جاوولي أساء معاملته، فهرب، فقبض على أولاده، و بثّ الرجال في أثره، فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيئا، فقال: ما معك؟ فقال: زادي، ففتشه، فرأى دجاجا، و حلواء السكر، فقال: ما هذا من طعامك! فضربه، فأقر على أبي سعد، و أنه يحمل ذلك إليه، فقصدوه، و هو في شعب جبل، فأخذه الجندي و حمله إلى جاوولي فقتله.

[١] منهم.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥١٩

و سار إلى دارا بجرد، و صاحبها اسمه إبراهيم، فهرب صاحبها منه إلى كرمان خوفا منه، و كان بينه و بين صاحب كرمان صهر، و هو أرسلان شاه ابن كرمان شاه بن أرسلان بك بن قاورت، فقال له: لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاوولي، و طلب منه النجدة. و سار جاوولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رننه «١»، يعني مضيق رننه «٢»، و هو موضع لم يؤخذ قهرا قط، لأنه واد نحو فرسخين، و في صدره قلعة منيعة على جبل عال، و أهل دارابجرد يتحصنون به إذا خافوا، فأقاموا به، و حفظوا أعلاه.

فلما رأى جاوولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان، كاتما أمره، ثم رجع من طريق كرمان إلى دارابجرد، مظهرا أنه من عسكر الملك أرسلان شاه، صاحب كرمان، فلم يشك أهل الحصن أنهم مدد لهم مع صاحبهم، فأظهروا السرور، و أذنوا له في دخول [١] المضيق، فلما دخله وضع السيف فيمن هناك، فلم ينج غير القليل، و نهب أموال أهل دارابجرد و عاد إلى مكانه، و راسل خسرو «٣» يعلمه أنه عازم على التوجه إلى كرمان، و يدعوه إليه، فلم يجد بدا من موافقته، فنزل إليه طائعا، و سار معه إلى كرمان، و أرسل إلى صاحبها القاضي أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شيراز، يأمره بإعادة الشوانكاره لأنهم رعيتة السلطان، يقول: إنه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده، و إلا قصده، فأعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم، حيث استجاروا به. و لما وصل الرسول إلى جاوولي أحسن إليه، و أجزل له العطاء، و أفسده على

[١] الدخول.

(١). رسل ٢ رسه. p. c. Idob

(٢). رسه. p. c. Idob

(٣). خسره. doc

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٠

صاحبه، و جعله عينا له عليه، و قرّر معه إعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد و هم غازون، فلما عاد الرسول و بلغ السيرجان، و بها عساكر صاحب كرمان، و وزيره مقدم الجيش، أعلم الوزير ما عليه جاوولي من المقاربة، و أنه يفارق ما كرهوه، و أكثر من هذا النوع، و قال: لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان، و إن أعداء جاوولي طمعوا فيه بهذا العسكر، و الرأي أن تعاد العساكر إلى بلادها. فعاد الوزير و العساكر، و خلت السيرجان، و سار جاوولي في أثر الرسول، فنزل بفرج «١»، و هي الحد بين فارس و كرمان، فحاصرها،

فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول و أنكر عليه إعادة العسكر، فاعتذر إليه. و كان مع الرسول فراش لجاولي ليعود إليه بالأخبار، فارتاب به الوزير، فعاقبه، فأقرّ على الرسول، فصلب، و نهبت أمواله، و صلب الفزاش، و ندب العساكر إلى المسير إلى جاولي، فساروا في سنة آلاف فارس.

و كانت الولاية التي هي الحد بين فارس و كرمان بيد إنسان يسمّى موسى، و كان ذا رأى و مكر، فاجتمع بالعسكر، و أشار عليهم بترك الجادة المسلوكة، و قال: إن جاولي محتاط [١] منها، و سلك بهم طريقا غير مسلوكة، بين جبال و مضائق. و كان جاولي يحاصر فرج، و قد ضيق على من بها، و هو يد من الشرب، فسير أميرا في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان، فسار الأمير، فلم ير أحدا، فظن أنهم قد عادوا، فرجع إلى جاولي و قال: إن العسكر

[١] محتاط.

(١). euqibu. doC.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢١

كان قليلا، فعاد خوفا منا، فاطمأن حينئذ جاولي، و أدمن شرب الخمر.

و وصل عسكر كرمان إليه ليلا، و هو سكران، نائم، فأيقظه بعض أصحابه و أخبره، فقطع لسانه، فأتاه غيره و أيقظه و عرفه الحال، فاستيقظ و ركب و انهزم، و قد تفرق عسكره منهزمين، فقتل منهم و أسر كثير، و أدركه خسرو و ابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه، فسارا معه في أصحابهما، فالتفت، فلم ير معه أحدا من أصحابه الأتراك، فخاف على نفسه منهم، فقالا له: إنا لا نغدر بك، و لن ترى متا إلّا الخير و السلامة، و سارا معه، حتى وصل إلى مدينة فسا، و اتصل به المنهزمون من أصحابه، و أطلق صاحب كرمان الأسرى و جهّزهم، و كانت هذه الواقعة في شوال سنة ثمان و خمسمائة.

و بينما جاولي يدبر الأمر ليعاود كرمان، و يأخذ بثأره، توفى الملك جفرى ابن السلطان محمد، و عمره خمس سنين، و كانت وفاته في ذى الحجة سنة تسع و خمسمائة، ففت ذلك في عضده، فأرسل ملك كرمان رسولا إلى السلطان، و هو ببغداد، يطلب منه منع جاولي عنه، فأجابه السلطان أنه لا بدّ من إرضاء جاولي و تسليم فرج إليه، فعاد الرسول في ربيع الأول سنة عشر و خمسمائة، فتوفى جاولي، فأمنوا ما كانوا يخافونه «١»، فلما سمع السلطان سار عن بغداد إلى أصبهان، خوفا على فارس من صاحب كرمان.

ذكر فتح جبل و سلات و تونس

في هذه السنة حصر عسكر على بن يحيى، صاحب إفريقية، مدينة تونس، و بها أحمد بن خراسان، و ضيق على من بها، فصالحه صاحبها على ما أراد.

(١). ldoB.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٢

و فيها فتح أيضا جبل و سلات بإفريقية، و استولى عليه، و هو جبل منيع، و لم يزل أهله، طول الدهر، يفتكون بالناس، و يقطعون الطريق، فلما استمر ذلك منهم سير إليهم جيشا، فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش، و يقاتلون أشد قتال، فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن أنه يصعد منه، فلما صار في أعلاه، في طائفة من أصحابه، ثار إليه أهل الجبل، فصبر لهم، و قاتلهم فيمن معه أشد قتال، و تتابع الجيش في الصعود إليه، فانهزم أهل الجبل، و كثر القتل فيهم، و منهم من رمى [١]

نفسه فتكسّر، و منهم من أفلت، و احتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل، فلمّا أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل إليهم من يصلح حالهم، فأرسل إليهم جماعة من العرب و الجند، فثار بهم أولئك بالسلّاح، فقتلوا بعضهم، و طلع الباقيون إلى أعلى القصر، و نادوا أصحابهم من الجيش، فأتوهم و قاتلوهم: بعضهم من أعلى القصر، و بعضهم من أسفله، فألقى من فيه من أهل الجبل أيديهم، فقتلوا كلّهم.

ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنّة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطوس، في مشهد على ابن موسى الرضا عليه السلام. و سببها: أنّ علويًا خاصم، في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طوس، فأدى ذلك إلى مضاربه، و انقطعت الفتنة، ثم استعان [كلّ] منهما بحزبه [٢]، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس، و أحاطوا بالمشهد و خرّبوه، و قتلوا

[١] رما.

[٢] بخربة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٣

من وجدوا، فقتل بينهم جماعة و نهبت أموال جمّة، و افترقوا.

و ترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى [١] عليه عضد الدين فرامر بن عليّ سورا منيعا يحتمى به من بالمشهد على من يريد بسوء، و كان بناؤه سنة خمس عشرة و خمسمائة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنّة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد، فاحترقت الأخشاب التي بها، و اتّصل الحريق إلى درب السلسلة، و تطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدّة دور، و احترقت خزانه كتب النظامية، و سلمت الكتب، لأنّ الفقهاء لمّا أحسوا بالنار نقلوها.

و فيها توفّي عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول أبو محمّد الأندلسي، الشّرقيّ، و كان فقيها، فاضلا، ورد العراق نحو سنّة خمسمائة، و سار إلى خراسان، فسكن مروالزّود، فمات بها، و له شعر حسن، فمنه:

و مهفهف يختال في أبراده، مرح القضيّب اللدن تحت البارح

أبصرت في مرآة فكري خدّه، فحكيت فعل جفونه بجوارحي

ما كنت أحسب أنّ فعل توهمي يقوى تعدّيه، فيجرح جارحي

لا غرو إن جرح التّوهم خدّه، فالسّحر يعمل في البعيد النازح و فيها، في شعبان، توفّي أبو القاسم عليّ بن محمّد بن أحمد بن بيان «١»

[١] فبنا.

(١). بيان. IdoB. بسان. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٤

الزّراز، و مولده في صفر سنّة ثلاث عشرة و أربعمائة، و هو آخر من حدّث عن أبي الحسن بن مخلد، و أبي القاسم بن بشران.

و فيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، رئيس الشافعية، بمرو، و مولده سنة ست و أربعين «١» و أربعمئة، و سمع الحديث الكثير و صنّف فيه، و له فيه أمال [١] حسنة، و تكلم على الحديث، فأحسن ما شاء.

و فيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزاني أبو الخطاب الفقيه الحنيلي، و مولده سنة اثنتين و ثلاثين و أربعمئة، و تفقه على أبي يعلى بن الفراء.

[١] أمالي.

(١) و ثلاثين. gramni.doc .p.c

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٥

٥١١ ثم دخلت سنة إحدى عشرة و خمسمئة

ذكر وفاة السلطان محمد و ملك ابنه محمود

في هذه السنة، في الرابع و العشرين من ذي الحجة، توفي السلطان محمد ابن ملك شاه بن ألب أرسلان، و كان ابتداء مرضه في شعبان، و انقطع عن الركوب، و تزايد مرضه، و دام، و أرجف عليه بالموت، فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان، و حضر ولده السلطان محمود على السماط، فنهبه الناس، ثم أذن لهم فدخلوا إلى السلطان محمد، و قد تكلف القعود لهم، و بين يديه سماط كبير، فأكلوا و خرجوا. فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه، فأحضر ولده محمودا، و قبله، و بكى كل واحد منهما، و أمره أن يخرج و يجلس على تخت السلطنة، و ينظر في أمور الناس، و عمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة، فقال لوالده: إنّه يوم غير مبارك، يعني من طريق النجوم، فقال:

صدقت، و لكن على أبيك، و أما عليك فمبارك بالسلطنة. فخرج و جلس على التخت بالتاج و السوارين.

و في يوم الخميس الرابع و العشرين أحضر الأمراء و أعلموا بوفاته، و قرئت وصيته إلى ولده محمود يأمره بالعدل و الإحسان، و في الجمعة الخامس و العشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة.

و كان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع و سبعين و أربعمئة، و كان عمره سبعا [١] و ثلاثين سنة و أربعة أشهر و ستة أيام، و أول ما دعي له

[١] سبع.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٦

بالسلطنة، ببغداد، في ذي الحجة سنة اثنتين و تسعين [و أربعمئة]، و قطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه، و لقي من المشاق و الأخطار ما لا حد له [١]، فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة، و عظمت هيئته، و كثرت جيوشه و أمواله، و كان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة و ستة أشهر.

ذكر بعض سيرته

كان عادلا، حسن السيرة، شجاعا، فمن عدله أنه اشترى مماليك من بعض التجار، و أحالهم بالثمن على عامل خوزستان، فأعطاهم

البعض، و مظل بالباقي، فحضروا مجلس الحكم، و أخذوا معهم غلمان القاضي، فلما رأهم السلطان قال لحاجبه: انظر ما حال هؤلاء، فسألهم عن حالهم، فقالوا: لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم، فقال: من هو؟ قالوا: السلطان، و ذكروا قصيتهم، فأعلمه ذلك، فاشتد عليه و أكره، و أمر بإحضار العامل، و أمره بإيصال أموالهم، و جعل الثقل «١»، و نكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله، ثم إنّه كان يقول بعد ذلك: لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم، فيقتدى بي غيري، و لا يمتنع أحد عن الحضور فيه و أداء الحق.

فمن عدله: أنّه كان له خازن يعرف بأبي أحمد القزويني قتله الباطنية، فلما قتل أمر بعرض الخزانة، فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس، فقال: إنّ هذا الجوهر عرضه عليّ، منذ أيام، و هو في ملك أصحابه، و سلّمه

[١] عليه.

(١) العيل. P. C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٧

إلى خادم ليحفظه و ينظر من أصحابه فيسلم إليهم، فسأل عنهم، و كانوا تجارا غرباء، و قد تيقنوا ذهابه [١] و أيسوا منه، فسكتوا، فأحضرهم و سلّمه إليهم.

و من عدله: أنّه أطلق المكوس و الضرائب في جميع البلاد، و لم يعرف منه فعل قبيح، و علم الأمراء سيرته، فلم يقدم أحد منهم على الظلم، و كفوا عنه.

و من محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية على ما ذكره.

ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد

قد تقدّم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم، و نحن نذكر هاهنا زيادة اهتمامه بأمرهم، فإنّه، رحمه الله تعالى، لما علم أن مصالح البلاد و العباد منوطه بمحو آثارهم، و إخراج ديارهم، و ملك حصونهم و قلاعهم، جعل قصدهم دأبه.

و كان، في أيامه، المقدّم عليهم، و القيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازي، صاحب قلعة الموت، و كانت أيامه قد طالت، و له منذ ملك قلعة الموت ما يقارب ستا [٢] و عشرين سنة، و كان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم، و قتله و أسره رجالهم، و سبى نسائهم، فسيّر إليه السلطان العساكر، على ما ذكرناه، فعادت من غير بلوغ غرض. فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير، صاحب آبه، و ساؤه، و غيرهما، فملك منهم عدّة قلاع منها قلعة كلام، ملكها في جمادى الأولى سنة خمس و خمسمائة، و كان مقدّمها يعرف بعليّ بن موسى، فأمنه و من معه، و سيّرهم

[١] ذهابها لهم.

[٢] ست.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٨

إلى الموت، و ملك منهم أيضا قلعة بيّره، و هي على سبعة فراسخ من قزوين، و آمنهم، و سيّرهم إلى الموت أيضا. و سار إلى قلعة الموت فيمن معه من العساكر، و أمده السلطان بعدّة من الأمراء، فحصرهم، و كان هو، من بينهم، صاحب القريحة و البصيرة في قتالهم، مع جودة رأى و شجاعة، فبنى [١] عليها مساكن يسكنها هو و من معه، و عين لكل طائفة من الأمراء أشهرا

يقيمونها، فكانوا ينيون، و يحضرون، و هو ملازم الحصار، و كان السلطان ينقل إليه الميرة، و الذخائر، و الرجال، فضاق الأمر على الباطنية، و عدت عندهم الأوقات و غيرها، فلما اشتد عليهم الأمر نزلوا نساءهم و أبناءهم مستأمنين، و سألوا [٢] أن يفرج لهم و لرجالهم عن الطريق، و يؤمنوا، فلم يجابوا إلى ذلك، و أعادهم إلى القلعة، قصدا، ليموت الجميع جوعا. و كان ابن الصّباح يجرى لكلّ رجل منهم، في اليوم، رغيفا، و ثلاث جوزات، فلما بلغ بهم الأمر إلى الحدّ الذي لا مزيد عليه، بلغهم موت السلطان محمّد، فقويت نفوسهم، و طابت قلوبهم، و وصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم، و عزموا على الرحيل، فقال شيركير: إن رحلنا عنهم، و شاع الأمر، نزلوا إلينا، و أخذوا ما أعددناه من الأوقات و الذخائر، و رأى أن نقيم على قلعته حتى نفتحها، و إن لم يكن المقام، فلا بدّ من مقام ثلاثة أيام، حتى ينفذ [٣] ما نزلنا و ما أعددناه، و نحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو.

فلما سمعوا قوله علموا صدقه، فتعاهدوا على الاتّفاق و الاجتماع، فلما

[١] فبنا.

[٢] و سألوا.

[٣] ينفذ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٢٩

أمسوا رحلوا من غير مشاورة، و لم يبق غير شيركير، و نزل إليه الباطنية من القلعة، فدافعهم و قاتلهم و حمى [١] من تخلف من سوقة العسكر و أتباعه، و لحق بالعسكر «١»، فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم.

ذكر حصار قابس و المهديّة

في هذه السنّة جهّز عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، أسطولا في البحر إلى مدينة قابس، و حصرها. و سبب ذلك أنّ صاحبها رافع بن مكنّ الدهمانيّ أنشأ مركبا بساحلها ليحمل التّجار في البحر، و كان ذلك آخر أيام الأمير يحيى، فلم ينكر يحيى ذلك، جريا على عادته في المداراة، فلما ولي عليّ الأمر، بعد أبيه، أنف من ذلك و قال: لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتّجار، فلما خاف رافع أن يمنعه عليّ التّجأ إلى اللعين رجّار ملك الفرنج بصقلية، و اعتضد به، فوعده رجّار أن ينصره و يعينه على إجراء مركبه في البحر، و أنفذ في الحال أسطولا إلى قابس، فاجتازوا بالمهديّة، فحينئذ تحقّق عليّ اتّفاقهما، و كان يكذبّه.

فلما جاز أسطول رجّار بالمهديّة أخرج عليّ أسطوله في أثره، فتوافى الجميع إلى قابس، فلما رأى صاحبها أسطول الفرنج و المسلمين لم يخرج مركبه، فعاد أسطول الفرنج، و بقي أسطول عليّ يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها.

[١] و حما.

(١) محمّد إلى أصبهان فحبسوه بها إلى. [tavingisniyauq.atonsuirarbilm.com](http://www.tavingisniyauq.atonsuirarbilm.com) فأظهر الأمراء الذين كانوا معه أن كتب السلطان: [ninetneuques.p.ccih.naitnetnestires.com](http://www.ninetneuques.p.ccih.naitnetnestires.com).

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٠

ثم عادوا إلى المهديّة، و تمادى رافع في المخالفة لعليّ، و جمع قبائل العرب، و سار بهم، حتى نزل على المهديّة محاصرا لها، و خادع

علينا، وقال: إنني إنما جئت للدخول في الطاعة، و طلب من يسعى في الصلح، و أفعاله تكذب أقواله، فلم يجبه عن ذلك بحرف، و أخرج العساكر، و حملوا على رافع و من معه حملة منكراً، فألحقوهم بالبيوت، و وصل العسكر إلى البيوت، فلما رأى ذلك النساء صحن، و ولولن، فغارت العرب، و عاودت القتال، و اشتدّ حينئذ الأمر إلى المغرب، ثم افترقوا، و قد قتل من عسكر رافع بشر كثير، و لم يقتل من جند عليّ غير رجل واحد من الرّجاله.

ثم خرج عسكر عليّ مرّة أخرى، فاقتتلوا أشدّ من القتال الأوّل، كان الظهور فيه لعسكر عليّ، فلما رأى رافع أنّه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلاً إلى القيروان، فمنعه أهلها من دخولها، فقاتلهم أياماً قلائل، ثم دخلها، فأرسل عليّ إليه عسكراً من المهديّة، فحصره فيها إلى أن خرج عنها، و عاد إلى قابس، ثم إنّ جماعة من أعيان إفريقية، من العرب و غيرهم، سألوا عليّاً في الصلح، فامتنع، ثم أجاب إلى ذلك، و تعاهد عليه.

ذكر الوحشة بين رجار و الأمير عليّ

كان رجار، صاحب صقلية، بينه و بين الأمير عليّ، صاحب إفريقية، مودة و كيدة، إلى أن أعان رافعا كما تقدّم قبل، فاستوحش كلّ منهما من صاحبه، ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به، فتأكّدت الوحشة، فأرسل رجار رسالته فيها خشونة، فاحترز عليّ منه، و أمر بتجديد الأسطول، و إعداد الأهبة للقاء العدو، و كاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول إلى صقلية، فكف رجار عمّا كان يعتمده.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣١

ذكر قتل صاحب حلب و استيلاء إيلغازي عليها

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم، و كان قد استولى على قلعة حلب و أعمالها، بعد وفاة الملك رضوان، و ولي أتابكية ولده ألب أرسلان، فلما مات أقيم بعده في الملك سلطان شاه بن رضوان، و حكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه، فلما كانت هذه السنة سار منها إلى قلعة جعبر ليجتمع بالأمرير سالم بن مالك صاحبها، فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء، فقصد جماعة من أصحابه الأتراك، و صاحوا: أرنب، أرنب! أو هموا أنّهم يتصيّدون، و رموه بالنشاب، فقتل، فلما هلك [نهوا] خزائنه «١»، فخرج إليهم أهل حلب، فاستعادوا ما أخذوه.

و ولي أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواصّ ياروقتاش، فبقي شهراً، و عزلوه، و ولي بعده أبو المعالي بن الملحّيّ الدمشقيّ، ثم عزلوه و صادروه.

و قيل: كان سبب قتل لؤلؤ أنّه أراد قتل سلطان شاه، كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله، ففطن به أصحاب سلطان شاه، فقتلوه، و قيل كان قتله سنة عشر و خمسمائة، و الله أعلم.

ثم إنّ أهل حلب خافوا من الفرنج، فسلموا البلد إلى نجم الدين إيلغازي، فلما تسلّمه لم يجد فيه مالا، و لا ذخيرة، لأنّ الخادم كان قد فرّق الجميع، و كان الملك رضوان قد جمع فأكثر، فرزقه الله غير أولاده، فلما رأى إيلغازي خلوّ البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج، و هادنهم مدّة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين، و جمع العساكر و العود،

(١) atpircsreputonعراسه.p.c.ni

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٢

فلما تمّت الهدنة سار إلى ماردين، على هذا العزم، و استخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش.

ذكر عده حوادث

في هذه السنة، في رابع عشر صفر، انخسف القمر انخسافا كلياً.

وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ريبض حماة من الشام، وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل و عادوا.

وفيها، في يوم عرفة، كانت زلزلة بالعراق، و الجزيرة، و كثير من البلاد، و خربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي.

وفيها مات أحمد العربي ببغداد، و كان من عباد الله الصالحين، له كرامات، و قبره يزار بها.

وفي هذه السنة، في شوال، توفي أبو علي محمد بن سعد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب، و عمره مائة سنة، و كان عالي الإسناد، روى

عن أبي علي بن شاذان و غيره، و الحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضي، الحاسب، و كان واحد عصره في علم

الفرائض و الحساب، و سمع الحديث من أبي الحسين بن المهدي و غيره.

وفيها مات الكزايكس «١» ملك القسطنطينية، و ملك بعده ابنه يوحنا، و سلك سيرته.

وفيها مات دوقس أنطاكية، و كفى الله شره.

(١) Idob.الكرانس. p. c.الكرانس. Idob.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٣

ثم دخلت سنة اثنى عشره و خمسمائة

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق و ولاية البرسقي شحنيك بغداد

لما توفي السلطان محمد، و ملك بعده ابنه محمود، و دبر دولته الوزير الريب أبو منصور، أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداد، فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم، و كان شحنة بغداد بهروز.

ثم إن الأمير ديبس بن صدقه كان عند السلطان محمد، مذقت والده، على ما ذكرناه، فأحسن إليه، و أقطعه إقطاعاً كثيراً، فلما توفي

السلطان محمد خاطب السلطان محموداً في العود إلى بلده الحلة، فأذن له في ذلك، فعاد إليها، فاجتمع عليه خلق كثير من العرب، و

الأكراد، و غيرهم، و كان آقسنقر البرسقي مقيماً بالزحبة، و هي إقطاعه، و ليس بيده من الولايات شيء، فاستخلف عليها ابنه عز الدين

مسعود، و سار إلى السلطان محمد، قبل موته، عازماً على مخاطبته في زيادة إقطاعه، فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله إلى بغداد.

و سمع مجاهد الدين بهروز بقرعة من بغداد، فأرسل إليه يمنعه من دخولها، فسار إلى السلطان محمود، فلقبه توقيع السلطان بولاية

شحنيك بغداد، و هو بحلوان، و عزل بهروز.

و كان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقي، و يتعصبون له، و يكرهون

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٤

مجاهد الدين بهروز، و يحسدونه للقرب الذي كان له [١] عند السلطان محمد، و خافوا أن يزداد تقدماً عند السلطان محمود و حكماً.

فلما ولي البرسقي شحنيك بغداد هرب بهروز إلى تكريت، و كانت له.

ثم إن السلطان ولي شحنيك بغداد الأمير منكوبرس، و هو من أكابر الأمراء، و قد حكم في دولة السلطان محمود، فلما أعطى

الشحنيك سيرة إليها ربيبه الأمير حسين بن أربك، أحد الأمراء، الأتراك، و هو صاحب أسداباذ، لينوب عنه ببغداد و العراق، و فارق

السلطان من باب همدان، و اتصل به جماعة الأمراء البكجية و غيرهم.

فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف إلى أن يكاتب السلطان، و يفعل ما يرد به الأمر عليه، فأرسل إليه

الخليفة، فأجاب:

إن يرسم الخليفة بالعود عدت، وإلا فلا بدّ من دخول بغداد. فجمع البرسقى أصحابه و سار إليه، فالتقوا و اقتتلوا، فقتل أخ لحسين، و انهزم هو و من معه، و عادوا إلى عسكر السلطان، فكان ذلك فى شهر ربيع الأوّل، قبل وفاة المستظهر بالله بأيام.

ذكر وفاة المستظهر بالله

فى هذه السنّة، سادس عشر شهر ربيع الآخر، توفى المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله، و كان مرضه التراقي، و كان عمره إحدى و أربعين سنّة و سنّة أشهر و سنّة أيام، و خلافته أربعاً [٢] و عشرين سنّة و ثلاثة

[١] لقربه كان.

[٢] أربع.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٥

أشهر و أحد عشر يوماً، و وزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير، و سيد الملك أبو المعالى المفضل بن عبد الرزاق الأصبهاني، و زعيم الرؤساء أبو القاسم ابن جهير، و مجد الدين أبو المعالى هبة الله بن المطلب، و نظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد، و ناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا، و قاضى القضاة أبو الحسن على بن الدامغانى، و مضى [١]، فى أيامه، ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة، و هم: تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان، و السلطان بركيارق، و محمد ابنا ملك شاه. و من غريب الاتفاق أنّه لمّا توفى السلطان ألب أرسلان توفى بعده القائم بأمر الله، و لمّا توفى السلطان ملك شاه توفى بعده المقتدى بأمر الله، و لمّا توفى السلطان محمد توفى بعده المستظهر بالله.

ذكر بعض أخلاقه [٢] و سيرته

كان، رضى الله عنه، لئيم الجانب، كريم الأخلاق، يحبّ اصطناع الناس، و يفعل الخير، و يسارع إلى أعمال البرّ و المثوبات، مشكور المساعى لا يردّ مكرمة تطلب منه.

و كان كثير الوثوق بمن يولّيه، غير مصغ إلى سعاية ساع، و لا ملتفت إلى قوله، و لم يعرف منه تلون، و انحلال عزم، بأقوال أصحاب الأغراض.

و كانت أيامه أيام سرور للرعيّة، فكانت من حسنها أعياد، و كان إذا بلغه ذلك فرح به و سرّه، و إذا تعرّض سلطان أو نائب له لأذى أحد بالغ فى إنكار ذلك و الزجر عنه.

[١] و مضى.

[٢] الخلافة.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٦

و كان حسن الخطّ، جيّد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد، يدلّ على فضل غزير، و علم واسع، و لمّا توفى صلى عليه ابنه المسترشد بالله، و كبر أربعاً، و دفن فى حجرة له كان يألفها. و من شعره قوله:

أذاب حرّ الهوى فى القلب ما جمدا [١] لمّا مددت إلى رسم الوداع يدا
و كيف أسلك نهج الاصطبار و قد أرى طرائق فى مهوى الهوى قددا

قد أخلف الوعد بدر قد شعفت به، من بعد ما قد وفي [٢] دهري بما وعدا
إن كنت «١» أنقض عهد الحب في خلدي «٢» من بعد هذا، فلا عاينته أبدا

ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله

لما توفي المستظهر بالله بويغ ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله، وكان ولي عهد قد
خطب له ثلاثا وعشرين سنة، فبايعه [٣] أخواه ابنا المستظهر بالله، وهما أبو عبد الله محمّد، وأبو طالب العباس، وعمومته بنو
المقتدى بأمر الله، وغيرهم من الأمراء، والقضاة، والأئمة، والأعيان.
وكان المتولّي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغانى، وكان نائبا عن الوزارة، فأقرّه المسترشد بالله عليها، ولم يأخذ البيعة قاض
غير هذا، وأحمد

[١] جمده.

[٢] وفا.

[٣] فبايعاه.

(١) .idob .cnianucal .p

(٢) جلدی .idob

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٧

ابن أبي داود، فإنه أخذها للوائق بالله، والقاضي أبو علي إسماعيل بن إسحاق، أخذها للمعتضد بالله.
ثم إن المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الربيب أبي منصور، وزير السلطان محمود، وكان
والده خطب في معنى ولده، حتى استوزر، وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحرّزي.

ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله، ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة، ومعه ثلاثة نفر، وانحدر إلى المدائن، و
سار منها إلى ديبس بن صدقة بالحلة، فكرمه ديبس، وعلم منه وفاة المستظهر بالله، وأقام له الإقامات الكثيرة، فلما علم المسترشد بالله
خبره أهمه ذلك وأقلقه، وأرسل إلى ديبس يطلب منه إعادته، فأجاب بأنني عبد الخليفة، وواقف عند أمره، ومع هذا، فقد استندم
بي، ودخل منزلي، فلا أكرهه على أمر أبدا.

وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي [١]، فقصد الأمير أبا الحسن، وتحدث معه في عودته، وضمن له عن
الخليفة كل ما [٢] يريده، فأجاب إلى العود، وقال: إنني لم أفارق أخي لشراً أريده، وإنما الخوف حملني على مفارقتة، فإذا أمنتني
قصده. وتكفل ديبس بإصلاح الحال

[١] الزينبي.

[٢] كما.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٨

بنفسه، و المسير معه إلى بغداد، فعاد النقيب و أعلم الخليفة الحال، فأجاب إلى ما طلبه منه.

ثم حدث من أمر البرسقي و ديبس و منكوبرس ما ذكرناه، فتأخر الحال.

و أقام الأمير أبو الحسن عند ديبس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة و خمسمائة، ثم سار عن الحلة إلى واسط، و كثر جمعه [١] و قوى الإرجاف بقوته، و ملك مدينه واسط، و خيف جانبه، فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور، و عمره حينئذ اثنتا [٢] عشرة سنة، فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد، و كتب إلى البلاد بالخطبة له، و أرسل إلى ديبس بن مزيد في معنى الأمير أبي الحسن، و أنه الآن قد فارق جواره، و مدّ يده إلى بلاد الخليفة و ما يتعلق به، و أمره بقصده و معاجلته قبل قوته، فأرسل ديبس العساكر إليه، ففارق واسط، و قد تحير هو و أصحابه، فضلوا الطريق، و وصلت عساكر ديبس، فصادفهم عند الصلح، فنهبوا أثقاله، و هرب الأكراد من أصحابه، و الأتراك، و عاد الباقون إلى ديبس.

و بقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه و هو عطشان، و بينه و بين الماء خمسة فراسخ، و كان الزمان قيظا، فأيقن بالتلف، و تبعه بدويان، فأراد الهرب منهما، فلم يقدر، فأخذاه، و قد اشتد به العطش، فسقياه، و حملاه إلى ديبس، فسيره إلى بغداد، و حمله إلى الخليفة، بعد أن بذل له عشرين ألف دينار، فحمل إلى الدار العزیزة، و كان بين خروجه عنها و عوده إليها أحد عشر شهرا. و لما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه، و قبله المسترشد، و بكيا، و أنزله

[١] جمع.

[٢] اثنتي.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٣٩

دارا حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة، و حمل إليه الخلع، و التحف الكثيرة، و طيب نفسه و آمنه.

ذكر مسير الملك مسعود و جيوش بك إلى العراق و ما كان بينهما و بين البرسقي و ديبس

في هذه السنة، في جمادى الأولى، برز البرسقي، و نزل بأسفل الرقة في عسكره و من معه، و أظهر أنه على قصد الحلة و إجلاء ديبس بن صدقة عنها.

و جمع ديبس جموعا كثيرة من العرب و الأكراد، و فزق الأموال الكثيرة و السلاح.

و كان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع أتابكه أي أبه «١» جيوش بك، فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فإنه لا مانع دونه، فسارا في جيوش كثيرة، و مع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمّار، صاحب طرابلس، و قسيم الدولة زنكي بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل، و كان من الشجاعة في الغاية، و معهم أيضا صاحب سنجار، و أبو الهيجاء، صاحب إربل، و كرباوى بن خراسان التركمانى، صاحب البوازيج. فلما علم البرسقي قريهم خافهم.

و كان البرسقي قديما قد جعله السلطان محمد أتابك ولده مسعود، على ما ذكرناه، وإنما كان خوفه من جيوش بك، فلما قاربوا بغداد سار إليهم ليقاتلهم و يصدّهم، فلما علم مسعود و جيوش بك ذلك أرسل إليه الأمير

(١) أزمه. c. p. أي أنه. Idob.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٠

كرباوى في الصلح، و أعلمه أنهم إنما جاءوا نجدة له على ديبس، و اصطلحوا، و تعاهدوا، و اجتمعوا.

و وصل مسعود إلى بغداد، و نزل بدار المملكة، و وصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكبرس، المقدم ذكره، في جيش كثير،

فسار البرسقى عن بغداد نحو ليحاربه و يمنعه عنها، فلما علم به منكبرس قصد النعمانية، و عبر دجلة هناك، و اجتمع هو و ديبس بن صدقة.

و كان ديبس قد خاف من الملك مسعود و البرسقى، فبنى أمره على المحاجزة و الملاطفة، فأهدى لمسعود هدية حسنة، و للبرسقى، و جيوش بك، فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله، و استماله، و استحلفه، و اتفقا على التعاضد و التناصر، و اجتماعا، و كل واحد منهما قوى بصاحبه، فلما اجتمعا سار الملك مسعود، و البرسقى، و جيوش بك، و من معهم، إلى المدائن للقاء ديبس و منكبرس، فلما وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع معهما، فعاد البرسقى، و الملك مسعود، و عبرا نهر صرصر، و حفظا المخاضات عليه، و نهبت الطائفتان السواد نهبا فاحشا: نهر الملك، و نهر صرصر، و نهر عيسى، و بعض دجيل، و استباحوا النساء.

فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود و البرسقى ينكر هذه الحال، و يأمرهما بحقن الدماء، و ترك الفساد، و يأمر بالموادعة و المصالحة، و كان الرسل: سديد الدولة بن الأنبارى، و الإمام الأسعد الميهنى، مدرّس النظامية، فأنكر البرسقى أن يكون جرى منهما شىء من ذلك، و أجاب إلى العود إلى بغداد، فوصل من أخبره أنّ منكبرس و ديبس قد جهّزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخى ديبس، و الأمير حسين بن أذربك، ربيب منكبرس، و سيروهم، و عبروا [١] عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عند دىالى إلى بغداد، لخلوها من

[١] و سيراه، و عبر.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤١

عسكر يحميها و يمنع عنها.

فعاد البرسقى إلى بغداد، و عبر الجسر لثلا يخاف الناس، و لم يعلموا الخبر، و خلف ابنه عزّ الدين مسعودا [١] على عسكره بصرصر، و استصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر، فوصل إلى دىالى، و منع عسكر منكبرس من العبور، فأقام يومين، فأتاه كتاب ابنه عزّ الدين مسعود يخبره أنّ الصلح قد استقرّ بين الفريقين، فانكسر نشاطه، حيث جرى هذا الأمر و لم يعلم به، و عاد نحو بغداد، و عبر إلى الجانب الغربى، و عبر منصور و حسين فسارا فى عسكرهما خلفه، فوصلا [٢] بغداد عند نصف الليل، فنزلا عند جامع السلطان. و سار البرسقى إلى الملك مسعود فأخذ بركه و ماله و عاد إلى بغداد، فخيم عند القنطرة العتيقة، و أصعد الملك مسعود، و جيوش بك، فنزلا عند البيمارستان، و أصعد ديبس و منكبرس فخيمتا تحت الرقّة، و أقام عزّ الدين مسعود بن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه.

و كان سبب هذا الصلح أنّ جيوش بك كان قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له و للملك مسعود، فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنّه لقي من السلطان إحسانا كثيرا، و أنّه أقطعهما [٣] أذربيجان، فلما بلغه رحيلهما [٤] إلى بغداد اعتقد أنّهما قد عصياه [٥] عليه، فعاد عمّا كان استقرّ، و يقول إنّ السلطان قد جهّز عسكرا إلى الموصل. فوقع الكتاب بيد منكبرس، فأرسله إلى جيوش بك، و ضمن له إصلاح السلطان له و للملك مسعود، و كان منكبرس

[١] مسعود.

[٢] فوصلوا.

[٣] قطعهم.

[٤] رحيلكم.

[٥] أنكم قد عصيتم.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٢

متزوجاً بأم الملك مسعود، و اسمها سرجهان، و كان يؤثر مصلحته لذلك، و استقرّ الصلح، و خافا من البرسقي أن يمنع منه، فاتّفا على إرسال العسكر إلى درزيجان لينفذ في مقابلته البرسقي ليخلو العسكر منه، و يقع الاتفاق، فكان الأمر في مسيره على ما تقدّم. و كان البرسقي محبوباً لدى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم، فلما استقرّ الصلح، و وصلوا إلى بغداد، تفرّق عن البرسقي أصحابه و جموعه، و بطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان، و سار عن العراق إلى الملك مسعود، فأقام معه، و استقرّ منكبرس في شحكيه بغداد، و ودّعه ديبس بن صدقه، و عاد إلى الحلة، بعد أن طالب بدار أبيه بدر بن فيروز، و كانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد، فصولح عنها بمال.

و أقام منكبرس ببغداد يظلم، و يعسف الرعيه، و يصادرهم، فاخفى أرباب الأموال، و انتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، و بطلت معاش الناس، و أكثر أصحابه الفساد، حتّى إنّ بعض أهل بغداد زفّت إليه امرأة تزوّجها، فعلم بعض أصحاب منكبرس، فأتاه و كسر الباب و جرح الزوج عدّة جراحات، و ابنتى بزوجه، فكثرت الدعاء ليلاً و نهاراً، و استغاث الناس لهذه الحال، و أغلقوا الأسواق، فأخذ الجندي إلى دار الخلافة فاعتقل أيّما ثم أطلق.

و سمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد، فأرسل إليه يستدعيه، و يحثّه على اللحق به، و هو يغالط و يدافع، و كلّما طلبه السلطان لجّ في جمع الأموال و المصادرات. فلما علم أهل بغداد بتغيّر [١] السلطان عليه، و استدعاءه إياه، طمعوا فيه، فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفاً أن يثوروا به، و كفى الناس شراً، و ظهر من كان مستتراً.

[١] تغيّر.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٣

ذكر وفاة ملك الفرنج و ما كان بين الفرنج و بين المسلمين

في ذى الحجة من سنة إحدى عشرة و خمسمائة توفّي بغدوين ملك القدس، و كان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج، قاصداً ملكها و التغلب عليها، و قوى طمعه في الديار المصرية، و بلغ مقابل تيس، و سيج في النيل، فانتقض جرح كان به، فلما أحسّ بالموت عاد إلى القدس، فمات، و وصّى ببلاده للقمص صاحب الرها، و هو الذي كان أسره جكرمش، و أطلقه جاولي سقاوو، و اتفق أنّ هذا القمص كان قد سار إلى القدس يزور بيعة قمامة، فلما وصّى إليه بالملك قبله، و اجتمع له القدس و الرها.

و كان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج، فنزل بين دير أيوب و كفر بصل «١» باليرموك، فخفيت عنه وفاة بغدوين، حتّى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً، و بينهم نحو يومين، فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة، فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف، و الحنّانة «٢»، و الصلّت «٣»، و الغور، فلم يجب إلى ذلك، و أظهر القوة، فسار طغتكين إلى طبرية فنهباها و ما حولها، و سار منها نحو عسقلان.

و كانت للمصريين و بها عساكرهم، كانوا قد سيروها لِمَا عاد ملك القدس المتوفّي عن مصر، و كانوا سبعة آلاف فارس، فاجتمع بهم طغتكين، و أعلمه المقدم عليهم أنّ صاحبهم تقدّم إليه بالوقوف عند رأى طغتكين، و التصرف على ما يحكم به، فأقاموا بعسقلان نحو شهرين، و لم يؤثروا في الفرنج أثراً، فعاد طغتكين إلى دمشق، فأتاه الصريخ بأنّ مائة و ثلاثين فارساً من الفرنج أخذوا

(١) كفر بصل. Idob. tcnupenis. p. c.

(٢) حمل عوف و الحنّانة. Idob. الحنّانة. p. c.

(٣) و الصلب. Idob.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٤

حصنا من أعماله يعرف بالحبس، يعرف بحصن جلدك، سلمه إليهم المستحفظ به و قصدوا أذرعاً فنهبوا، فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين، فأنحازوا عنه إلى جبل هناك، فنازلهم، فأتاه أبوه ونهاه عنهم، فلم يفعل، و طمع فيهم، فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل، فنزلوا من الجبل و حملوا على المسلمين حملة صادقة هزمهم بها، و أسروا و قتلوا خلقاً كثيراً، و عاد الفل إلى دمشق على أسوأ حال.

فسار طغتكين إلى حلب، و بها إيلغازي، فاستنجده، و طلب منه التعاضد على الفرنج، فوعده بالمسير معه، فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأن الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق، فنهبوا و قتلوا و سبوا و عادوا، فاتفق رأى طغتكين و إيلغازي على عود طغتكين إلى دمشق، و حماية بلاده، و عود إيلغازي «١» إلى ماردين، و جمع العساكر، و الاجتماع على حرب الفرنج، فصالح إيلغازي من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره، و عبر إلى ماردين لجمع العساكر، و كان ما ذكره سنة ثلاث عشرة [و خمسمائة]، إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة انقطع الغيث، و عدمت الغلات في كثير من البلاد، و كان أشده بالعراق، فغلت الأسعار، و اجلى أهل السواد، و تقوت الناس بالنخالة، و عظم الأمر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم. و فيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختص به كل جور، و أمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة، و أطلق ضمان غزل الذهب، و كان

(١) Idob. mo. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٥

صناع السقلاطون، و الممزج، و غيرهم ممن يعمل منه، يلقون شدة من العمال عليها، و أذى عظيماً. و فيها تأخر مسير الحجاج تأخرًا أرجف بسببه بانقطاع الحج من العراق، فرتب الخليفة الأمير نظر، خادم أمير الجيوش يمن، و ولّاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش، و أعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه، و سيره، فأدر كوا الحج و ظهرت كفاية نظر. و فيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة و نجدة للفرنج بالشام، فغرقا، و كان الناس قد خافوا ممن فيهما.

و فيها وصل رسول إيلغازي، صاحب حلب و ماردين، إلى بغداد يستنفر على الفرنج، و يذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية، و أنهم ملكوا قلعة عند الرها، و قتلوا أميرها ابن عطير، فسيرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود.

و فيها نقل المستظهر إلى الرصافة، و جميع من كان مدفوناً بدار الخلافة، و فيهم جدّة المستظهر أم المقتدى، و كانت وفاتها بعد المستظهر، و رأت البطن الرابع من أولادها.

و فيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد، فعبر إليهم نائب الشحنة في خمسين غلاماً أتراكاً، فقاتلهم، فانهزم منهم، ثم عبر إليهم من الغد في مائتي غلام، فلم يظفر بهم، و نهب العيارون يومئذ قطفنا.

و في هذه السنة، في شعبان، توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنصاري من ولد جابر بن عبد الله، و هو من بلد بخارى، و كان من أعيان الفقهاء الحنيفة، حافظاً للمذهب. و توفي أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي، نقيب النقباء ببغداد، في صفر، و استقال من النقابة، فوليا أخوه طراد، و كان من أكابر

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٦

الحنفية، و روى الحديث الكثير.

و فيها، فى ذى الحجة، توفى أبو زكريا يحيى بن عبد الوهّاب بن مندة الأصبهانيّ، المحدث المشهور من بيت الحديث، و له فيه تصانيف حسنة.

و فيها توفى أبو الفضل أحمد بن الخازن، و كان أديبا، ظريفا، له شعر حسن، فمنه قوله، و قد قصد زيارة صديق له، فلم يره، فأدخله غلمايه إلى بستان فى الدار، و حمّام، فقال فى ذلك:

وافيت منزله، فلم أر صاحبا إلا تلقاني بوجه ضاحك

و البشر فى وجه الغلام نتيجة لمقدمات ضياء وجه المالك

و دخلت جنته، و زرت جحيمه فشكرت رضوانا و رافة مالك

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٧

٥١٣ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة و خمسمائة

ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود

كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان، و كان مولده سنة ثلاث و خمسمائة فى المحرم، و أقطعه والده، سنة أربع، ساوة و آوة و زنجان، و جعل أتابكه الأمير شيركير الذى تقدّم ذكره فى حصار قلاع الإسماعيلية، فزاد ملك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم، فأرسل إليه السلطان محمود الأمير كنتغدى ليكون أتابكا له، و مدبرا لأمره، و يحمله إليه، فلما وصل إليه حسن له مخالفته أخيه، و ترك المجيء إليه، و اتفقا على ذلك.

و سمع السلطان محمود الخبر، فأرسل شرف الدين أنوشروان بن خالد، و معه خلع و تحف و ثلاثون ألف دينار، و وعد أخاه بإقطاع كثير، زيادة على ما له، إذا قصده، و اجتمع به، فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع، و أجاب كنتغدى بأننا فى طاعة «١» السلطان، و أى جهة أراد قصدها، و معنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده.

فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس، جريده، فى جمادى الأولى، و كتم مقصده، و عزم على أن يكبس أخاه، و الأمير كنتغدى، فرأى أحد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل، فأعلم السلطان به، فقبض عليه، فعلم رفيق كان معه الحال، فسار عشرين

(١) نائبا عن السلطان. p. c. Idob.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٨

فرسخا فى ليلة، و وصل إلى الأمير كنتغدى، و هو سكران، فأيقظه بعد جهد، و أعلمه الحال، فقصد الملك طغرل، فعرفه ذلك، و أخذه متخفيا، و قصد قلعة سميران «١»، فضلا عن الطريق إلى قلعة سرجهان، و كانا قد فارقاها، و جمعا العساكر، و كان ضلالهما هداية لهما إلى السلامة، فإن السلطان محمودا [١] جعل طريقه على سميران، و قال: إنهما حصنهما الذى فيه الذخائر و الأموال، و إذا علما بوصولهما إليها سارا إليها، فربما صادفهما فى الطريق، فسلما منه بما ظنّاه عطا لهما.

و وصل السلطان إلى العسكر، فكبسه، و نهبه، و أخذ من خزائنه أخيه ثلاثمائة ألف دينار، و ذلك المال الذى أنفذه له، و أقام السلطان محمود بزنجان، و توجه منها إلى الرى، و نزل طغرل من سرجهان، و لحق هو و كنتغدى بكنجة و قصده أصحابه، فقويت شوكته، و

تمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود.

ذكر الحرب بين سنجر و السلطان محمود

في هذه السنة، في جمادى الأولى، كانت حرب شديدة بين سنجر و ابن أخيه السلطان محمود، و نحن نذكر سيقاة ذلك: قد ذكرنا سنة ثمان و خمسمائة مسير السلطان سنجر إلى غزنه، و فتحها و ما كان منه فيها، ثم عاد عنها إلى خراسان، فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد، و جلوس ولده السلطان محمود في السلطنة، و هو زوج ابنة سنجر، لحقه حزن عظيم

[١] محمود.

(١) شهران. I. h. I. dob. Ashmiran. p. c. doc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٤٩

لموت أخيه، و أظهر من الجزع و الحزن ما لم يسمع بمثله، و جلس للعزاء على الرماد، و أغلق البلد سبعة أيام، و تقدّم إلى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية، و إطلاق المكوس، و غير ذلك. و كان سنجر يلقب بناصر الدين، فلما توفي أخوه محمد تلقب بمعز الدين، و هو لقب أبيه ملك شاه، و عزم على قصد بلد الجبال و العراق و ما بيد محمود ابن أخيه، فندم على قتل وزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر ابن نظام الملك. و كان سبب قتله أنه و حش الأمراء، و استخف بهم، فأبغضوه و كرهوه، و شكوا منه إلى السلطان، و هو بغزنه، فأعلمهم أنه يؤثر قتله، و ليس يمكنه فعل ذلك بغزنه.

و كان سنجر قد تغير على وزيره لأسباب منها: أنه أشار عليه بقصد غزنه، فلما وصل إلى بست أرسل أرسلان شاه صاحبها إلى الوزير، و ضمن له خمسمائة ألف دينار ليشنى سنجر عن قصده، فأشار عليه بمصالحته و العود عنه، و فعل مثل ذلك بما وراء النهر، و منها: أنه نقل عنه أنه أخذ من غزنه أموالاً جليلاً عظيمة المقدار، و منها: ما ذكر من إباحة الأمراء و غير هذه الأسباب. فلما عاد إلى بلخ قبض عليه، و قتله و أخذ ماله، و كان له من الجواهر و الأموال ما لا حدّ عليه، و الذي وجد له من العين ألفا دينار، فلما قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن أخي نظام الملك، و يعرف بابن الفقيه، إلا أنه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس في علو المنزلة. فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنه كان يبلغ به من الأغراض و الملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه، و محلّه عندهم.

ثم إن السلطان محمود [١] أرسل إلى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان

[١] محمود.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٠

ابن خالد و فخر الدين طغايرك بن اليزن «١»، و معهما الهدايا و التحف، و بذل له النزول عن مازندران، و حمل مائتي ألف دينار كلّ سنة، فوصلا إليه و أبلغاه الرسالة، فتجهز ليسير إلى الرّي، فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال و الحرب، فكان جوابه في ذلك: أن ولد أخى صبي، و قد تحكّم عليه وزيره و الحاجب عليّ.

فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه، و وصول الأمير أنر في مقدمته إلى جرجان، تقدّم إلى الأمير عليّ بن عمر، و هو أمير حاجب السلطان محمد، و بعده صار أمير حاجب السلطان محمود، بالمسير، و ضمّ [١] إليه جمعا كثيرا من العساكر و الأمراء، فاجتمعوا

في عشرة آلاف فارس، فساروا إلى أن قاربوا مقدّمة سنجر التي عليها الأمير أنر، فراسله الأمير عليّ بن عمر يعزّفه وصيّهُ السلطان محمّد بتعظيم سنجر و الرجوع إلى أمره و نهيه، و القبول منه، و أنّه ظنّ أنّ سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود، و أخذ علينا بذلك العهود، فليس لنا أن نخالفه، و حيث جئتم إلى بلادنا لا نحتمل ذلك، و لا نغضى [٢] عليه، و قد علمت أنّ معك خمسة آلاف فارس، فأنا أرسل إليك أقلّ منهم لتعلم أنّكم لا تقاومونا، و لا تقوون بنا.

فلما سمع الأمير أنر ذلك عاد عن جرجان و لحقه بعض عسكر السلطان محمود، فأخذوا قطعة من سواده، و أسروا عدّة من أصحابه. و كان السلطان محمود قد وصل إلى الرّي، و هو بها، و عاد الأمير عليّ بن عمر إليه، فشكره على فعله، و أثنى عليه و على عسكره الذين معه.

[١] و ضمن.

[٢] نفضى.

(١) البزن. Idob، النيران. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥١

و أشير على السلطان محمود بملازمة الرّي، و المقام بها، و قيل: إنّ عساكر خراسان إذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم، و لا يتعدّون ولايتهم.

فلم يقبل ذلك و ضجر [من] المقام [١]، و سار إلى جرجان.

و وصل السلطان محمود و الأمير منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس، و الأمير منصور بن صدقه أخو ديبس، و الأمراء البكجيّة، و غيرهم، و سار محمود إلى همذان، و توفّى بها وزيره الريب، و استوزر أبا طالب السميرمي، و بلغه و وصول عمّه سنجر إلى الرّي، فسار نحوه قاصدا قتاله، فالتقى بالقرب من ساوة ثاني جمادى الأولى من السنة، و كان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدي عسكر سنجر، و هي ثمانية أيّام، فسبقوهم إلى الماء و ملكوه عليهم.

و كان العسكر الخراسانيّ في عشرين ألفا، و معهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو، و من الأمراء الكبار: ولد الأمير أبي الفضل، صاحب سجستان، و خوارزم شاه محمّد، و الأمير أنر، و الأمير قماج، و اتّصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه، صاحب يزد، و هو صهر السلطان محمّد و سنجر على أختهما، و كان أخصّ الناس بالسلطان محمّد، فلما تولّى السلطان محمود تأخّر [٢] عنه، فأقطع بلده لقراجه الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس، فسار حينئذ علاء الدولة إلى سنجر، و هو من ملوك الديلم، و عزّف سنجر الأحوال، و الطريق إلى قصد البلاد، و ما فعله الأمراء من أخذ الأموال، و ما هم عليه من اختلاف الأهواء، و حسن قصد البلاد. و كان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا، و من الأمراء الكبار: الأمير عليّ ابن عمر، أمير حاجب، و الأمير منكبرس، و أتابكه غزغلي، و بنو برسق،

[١] مقام.

[٢] فتأخّر.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٢

و سنقر البخاريّ، و قراجه الساقى، و معه تسعمائة حمل من السلاح.

و استهان عسكر محمود بعسكر عمّه بكثرتهم و شجاعتهم، و كثرة خيلهم، فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانيّة لما رأوا لهذا العسكر

من القوة والكثرة، فانهزمت ميمنة سنجر و ميسرته، و اختلط أصحابه، و اضطرب أمرهم، و ساروا منهزمين لا يلوون على شيء، و نهب من أقتالهم شيء كثير، و قتل أهل السواد كثيرا منهم.

و وقف سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه، و بإزائه السلطان محمود، و معه أتاكه غزغلي، فألجأت سنجر الضرورة، عند تعاضم الخطب عليه، أن يقدم الفيلة للحرب، و كان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة، فقال: إما النصر أو القتل، و أما الهزيمة فلا. فلما تقدمت الفيلة، و رآها خيل محمود، تراجع بأصحابها على أعقابها، فأشفق سنجر على السلطان محمود في تلك الحال، و قال لأصحابه: لا تفرعوا الصبي بحملات الفيلة، فكفوها عنهم، و انهزم السلطان محمود و من معه في القلب، و أسر أتاكه غزغلي، فكان يكتب السلطان، و يعده أنه يحمل إليه ابن أخيه، فعاتبه على ذلك، فاعتذر بالعجز، فقتله، و كان ظالما قد بالغ في ظلم أهل همذان، فعجل الله عقوبته.

و لما تم النصر و الظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه، و وصل الخبر إلى بغداد في عشرة أيام، فأرسل الأمير ديبس بن صدقة إلى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجر، فخطب له في السادس و العشرين من جمادى الأولى، و قطعت خطبة السلطان محمود.

و أما السلطان محمود فإنه سار من الكسرة إلى أصبهان، و معه وزيره أبو طالب السمرمي، و الأمير علي بن عمر، و قراجه. و أما سنجر فإنه سار إلى همذان، فرأى قلة عسكره، و اجتماع العساكر على ابن أخيه، فراسله في الصلح، و كانت والدته تشير عليه بذلك،

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٣

و تقول: قد استوليت على غزنة و أعمالها، و ما وراء النهر، و ملكت ما لا حدّ عليه، و قرّرت الجميع على أصحابه، فاجعل ولد أخيك كأحدهم.

و كانت والدة سنجر هي جدّة السلطان محمود، فأجاب إلى قولها، ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقي، و كان عند الملك مسعود بأذربيجان من حين خروجه عن بغداد إلى هذه الغاية، فقوى بهم. فعاد الرسول و أبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنهم لا يصلحونه حتى يعود إلى خراسان، فلم يجب إلى ذلك، و سار من همذان إلى كرج، و أعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح، و وعده أن يجعله وليّ عهده، فأجاب إلى ذلك، و استقرّ الأمر بينهما، و تحالفا عليه.

و سار السلطان محمود إلى عمّه سنجر في شعبان، فنزل على جدّته والدة سنجر، و أكرمه عمّه، و بالغ في ذلك، و حمل له السلطان محمود هدية عظيمة، فقبلها ظاهرا، و ردّها باطنا، و لم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربيّة، و كتب السلطان سنجر إلى سائر الأعمال التي بيده كخراسان و غزنة، و ما وراء النهر، و غيرها من الولايات، بأن يخطب للسلطان محمود بعده، و كتب إلى بغداد مثل ذلك، و أعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الزّي، و قصد بأخذها أن تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج.

ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزاعة و غيرها، و خربوا بلد حلب و نازلوها، و لم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا، و خافهم أهلها خوفا شديدا، و لو مكّونا من القتال لم يبق بها

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٤

أحد، لكنهم منعوا من ذلك، و صانع [١] الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم [٢] على أملا-كهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون، و يطلبون النجدة، فلم يغاثوا.

و كان الأمير إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردين يجمع العساكر و المتطوعة للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا، و كان معه أسامة

بن المبارك ابن شبل الكلابي، و الأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس و أرزن، و سار بهم إلى الشام، عازما على قتال الفرنج.

فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم، و كانوا ثلاثة آلاف فارس، و تسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريبا من الأثارب، بموضع يقال له تلّ عفرين، بين جبال ليس لها طريق إلّا من ثلاث جهات، و فى هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش. و ظنّ الفرنج أنّ أحدا لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخذوا إلى المطاولة، و كانت عادة لهم، إذا رأوا قوة من المسلمين، و راسلوا إيلغازى يقولون له: لا- تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك، فأعلم أصحابه بما قالوه، و استشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، و قصدهم، ففعل ذلك، و سار إليهم، و دخل الناس من الطرق الثلاثة، و لم تعتقد الفرنج أنّ أحدا يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم يشعروا إلّا و أوائل المسلمين قد غشيتهم [٣]، فحمل الفرنج حملة منكراً، فولّوا منهزمين، فلقوا باقى العسكر متتابعة، فعادوا معهم، و جرى بينهم حرب شديدة، و أحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، و أخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلت منهم غير نفر

[١] و صانعوا.

[٢] قاسموهم.

[٣] غشيتهم.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٥

يسير، و قتل الجميع، و أسروا.

و كان فى جملة الأسرى تيف و سبعون [١] فارسا من مقدّميهم، و حملوا إلى حلب، فبذلوا فى نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يقبل منهم، و غنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة.

و أما سير جال، صاحب أنطاكية، فإنه قتل و حمل رأسه، و كانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول، فمما مدح به إيلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمة:

قل ما تشاء، فقولك المقبول، و عليك بعد الخالق التّعويل

و استبشر القرآن حين نصرته، و بكى لفقد «١» [٢] رجاله الإنجيل ثم تجمّع من سلم من المعركة مع غيرهم، فلقبهم إيلغازى أيضا، فهزمهم، و فتح منهم حصن الأثارب، و زردنا «٢»، و عاد إلى حلب، و قرّر أمرها، و أصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردين.

ذكر وقعة أخرى مع الفرنج

فى هذه السنة سار جوسلين، صاحب تلّ باشر، فى جمع من الفرنج، نحو مائتى فارس، من طبرية، فكبس طائفة من طى يعرفون ببني خالد،

[١] و سبعين.

[٢] و بكا بفقد.

(١) الفقد.doc

(٢) و ودنا.doc

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٦

فأخذهم، وأخذ غنائمهم، وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة، فأخبروه أنهم من وراء الحزن، بوادي السلالة، بين دمشق و طبرية، فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه، و سار هو في خمسين فارسا على طريق آخر، و واعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة، فوصلهم الخبر بذلك، فأرادوا الرحيل، فمنعهم أميرهم من بني ربيعة، و كانوا في مائة و خمسين فارسا، فوصلهم المائة و خمسون من الفرنج، معتقدين أن جوسلين قد سبقهم، أو سيدركهم، فضل الطريق، و تساوت العدّتان، فاقتتلوا، و طعنت العرب خيولهم، فجعلوا أكثرهم رجالة، و ظهر من أميرهم شجاعه، و حسن تدبير، و جودة رأي، فقتل من الفرنج سبعون، و أسر اثنا عشر من مقدميهم، بذل كل واحد [منهم] في فداء نفسه مالا جزيلا و عدّه من الأسرى. و أما جوسلين فإنه ضلّ في الطريق، و بلغه خبر الواقعة، فسار إلى طرابلس، فجمع بها جمعا، و أسرى إلى عسقلان، فأغار على بلدها، فهزمه المسلمون هناك، فعاد مفلولا.

ذكر قتل منكوبرس

في هذه السنة قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد، و قد تقدّم حاله. و كان سبب قتله: أنه لما انهزم مع السلطان محمود و عاد إلى بغداد، نهب عدّه مواضع من طريق خراسان، و أراد دخول بغداد، فسير إليه ديبس ابن صدقة من منعه، فعاد و قد استقرّ الصلح بين السلطانين [١] سنجر و محمود،

[١] السلاطين.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٧

فقصد السلطان سنجر، فدخل إليه و معه سيف و كفن، فقال له: أنا لا-أؤخذ أحدا، و سلّمه إلى السلطان محمود، و قال: هذا مملوكك، فاصنع به ما تريد! فأخذه. و كان في نفسه منه غيظ شديد لأسباب منها: أنه لما توفّي السلطان محمّد أخذ سرّيته، و الدة الملك مسعود، قهرا، قبل انقضاء عدّتها، و منها: جرأته عليه، و استبداده بالأموار دونه، و مسيره إلى شحنة بغداد، و السلطان كاره لذلك لكنّه لم يقدر على منعه، و منها: ما فعله بالعراق من الظلم، إلى غير ذلك، فقتله صبورا، و أراح العباد و البلاد من شرّه.

ذكر قتل الأمير علي بن عمر

في هذه السنة أيضا قتل الأمير علي بن عمر، حاجب السلطان محمّد، و كان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود، و انقادت العساكر له، فحسده الأمراء، و أفسدوا حاله مع السلطان محمود، و حسيّنوا له قتله، فعلم، فهرب إلى قلعة برجين، و هي بين بروجرد و كرج، و كان بها أهله و ماله، و سار منها في مائتي فارس إلى خوزستان، و كانت بيد أقبوري بن برسق، و ابني أخويه: أرغلي بن يلبكي، و هندو بن زنكي، فأرسل إليهم و أخذ عهودهم بأمانه و حمايته. فلما سار إليهم أرسلوا عسكريا منعه من قصدهم، فلقوه على سته فراسخ من تستر، فاقتتلوا، فانهزم هو و أصحابه، فوقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فتشبّث ذيله بسرجه الأوّل، فأزاله، فعاود التعلّق، فأبطأ، فأدر كوه و أسروه، و كاتبوا السلطان محمودا في أمره، فأمرهم بقتله، فقتل و حمل رأسه إليه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٨

ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة

في هذه السنة، وقيل سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف و بين أهل قرطبة. وسببها: أن أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد، فلما كان يوم الأضحى خرج الناس متفرجين، فمدَّ عبد من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين، فأغاثوها، فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة، و دامت جميع النهار، و الحرب بينهم قائمة على ساق، فأدركهم الليل، فتفرقوا، فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر، فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان، فقالوا: المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة، فأنكر ذلك، و غضب منه، و أصبح من الغد، و أظهر السلاح و العدد يريد قتال أهل البلد، فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد، و قاتلوه فهزموه، و تحصن بالقصر، فحصره، و تسلقوا إليه، فهرب منهم بعد مشقة و تعب، فنهبوا القصر، و أحرقوا جميع دور المرابطين، و نهبوا أموالهم، و أخرجوهم من البلد على أقيح صورة. و اتصل الخبر بأمير المسلمين فكره [١] ذلك و استعظمه، و جمع العساكر من صنهاجة، و زناتة، و البربر، و غيرهم، فاجتمع له منهم جمع عظيم، فعبر إليهم سنة خمس عشرة و خمسمائة، و حصر مدينة قرطبة، فقاتله أهلها قتال من يريد [أن] يحمي دمه و حريمه و ماله، فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السيفراء بينهم، و سعوا في الصلح، فأجابهم إلى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم، و استقرت القاعدة على ذلك، و عاد عن قتالهم.

[١] فأكره.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٥٩

ذكر ملك علي بن سكران البصرة

في هذه السنة استولى علي بن سكران على البصرة. و سبب ذلك: أن السلطان محمدا [١] كان قد أقطع البصرة الأمير آقسنقر البخاري، فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتي، فأحسن السيرة إلى حد أن الماء بالبصرة ملح، فأقام سفنا و جرارا للضعفاء و السابلة، تحمل لهم الماء العذب. فلما توفي السلطان محمد عزم هذا الأمير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلي، مقدم الأتراك الإسماعيلية، و هو المذكور، و حجج بالناس على البصرة عدة سنين، و على أمير آخر اسمه سنقر ألب، و هو مقدم الأتراك البلديّة، فاجتمعا عليه، و قبضاه و قيدها، و أخذوا القلعة و ما وجداه له. ثم إن سنقر ألب أراد قتله، فمنعه غزغلي، فلم يقبل منه، فلما قتله و ثب غزغلي على سنقر ألب فقتله، و نادى في الناس بالسكون، و اطمأنوا.

و كان أمير الحاج من البصرة هذه السنة، أمير اسمه علي بن سكران أحد الأمراء البلديّة، و كان في نفس غزغلي عليه حقد، حيث تم الحج على يده، و لأنه خاف أن يأخذ بثأر سنقر ألب، إذ هو مقدم البلديّة، فأرسل غزغلي إلى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجّاج و نهبهم، فطمعوا بذلك، و قصدوا الحجّاج فقاتلوه، و حماهم ابن سكران، و أبلى بلاء حسنا، و جعل يقاتلهم و هو سائر نحو البصرة إلى أن بقي بينه و بين البصرة يومان، فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة، فقصد العونى، أسفل دجلة، هذا، و العرب يقاتلونه، فلما وصل إلى العونى حمل على العرب حملة صادقة، فهزمهم.

و سار غزغلي إلى علي بن سكران في عدد كثير، و كان علي في قلعة،

[١] محمّد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٠

فتحاربا، و اقتتلت الطائفان، فأصابت فرس غزغلى نشابة فسقط و قتل، و سار على إلى البصرة فدخلها، و ملك القلعة، و أقر عمال آقسنقر البخارى و نوابه، و كاتبه بالطاعة، و كان عند السلطان، و سأله أن يكون نائبا عنه بالبصرة، فلم يجبه آقسنقر إلى ذلك، فطرد حينئذ نواب آقسنقر، و استولى على البلد، و تصرّف تصرّف الأصحاب، مستبداً، و استقرّ فيه، و أحسن السيرة إلى سنة أربع عشرة [و خمسمائة]، فسير السلطان محمود الأمير آقسنقر البخارى فى عسكر إلى البصرة، فأخذها من على بن سكرمان.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين بهروز شحكيه العراق، و كان بها نائب ديبس بن صدقة، فعزل عنها. و فيها، فى ربيع الأول، توفى الوزير ريبب الدولة، وزير السلطان محمود، و وزر بعده الكمال السمرمى، و كان ولد ريبب الدولة، وزير المسترشد، فعزل، و استعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة، و لقب جلال الدين، و هذا الوزير، و هو عمّ الوزير جلال الدين أبى الرضا صدقة، الذى وزر للراشد، و الأتابك [١] زكى على ما نذكره. و فيها ظهر قبر إبراهيم الخليل، و قبرا ولديه إسحاق و يعقوب، عليهم السلام، بالقرب من البيت المقدس، و رأهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم، و عندهم فى المغارة قناديل من ذهب و فضة، هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمى فى تاريخه، و الله أعلم.

[١] و الأتابك.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦١

و فيها، فى المحرم، توفى قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى، و مولده فى رجب سنة تسع و أربعين و أربعمائه، و ولى القضاة بباب الطاق من بغداد إلى الموصل و له من العمر ستّ و عشرون سنة، و هذا شىء لم يكن لغيره، و لما توفى ولى قضاء القضاة الأكمل أبو القاسم على بن أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى، و خلع عليه ثالث صفر. و فيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه، و هذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين و مائتين. و فيها تأخر الحجّ، فاستغاث الناس، و أرادوا كسر المنبر بجامع القصر، فأرسل الخليفة إلى ديبس بن صدقة ليساعد الأمير نظر على تسيير [١] الحجّاج، فأجاب إلى ذلك، و كان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة، و توالى عليهم الأمطار إلى الكوفة. و فيها أرسل ديبس بن صدقة القاضى أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى، قاضى الكوفة، إلى إيلغازى بن أرتق بماردين، يخطب ابنته، فزوجها منه إيلغازى، و حملها الثقفى معه إلى الحلّة، و اجتاز بالموصل. و فيها، فى جمادى الأولى، توفى أبو الوفا على بن عقيل بن محمّد بن عقيل، شيخ الحنابلة، فى وقته، ببغداد، و كان حسن المناظرة، سريع الخاطر، و كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حدائته على أبى الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراب عدّة سنين، ثم أظهر التوبة حتى تمكّن من الظهور، و له مصنّفات من جملتها كتاب الفنون.

[١] تسيير.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٢

٥١٤ ثم دخلت سنة أربع عشرة و خمسمائة

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود و الحرب بينهما

فى هذه السنة، فى ربيع الأول، كان المصافى بين السلطان محمود و أخيه الملك مسعود، و مسعود حينئذ له الموصل و أذربيجان. و كان سبب ذلك أن ديبس بن صدقه كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود، يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود، و يعده المساعدة، و كان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه و علو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطانين [١] بركيارق و محمد ابني ملك شاه على ما ذكرناه.

و كان قسيم الدولة البرسقى، أتابك الملك مسعود، قد فارق شحكيه بغداد، و قد أقطعه مسعود مراغه، مضافه إلى الرحبه، و بينه و بين ديبس عداوة محكمة، فكاتب ديبس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقى، و ينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود، و بذل له مالا كثيرا على قبضه، فعلم البرسقى ذلك، ففارقهم إلى السلطان محمود، فأكرمه و أعلى محلّه و زاد فى تقديمه. و اتصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن على الأصبهاني الطغرائي [٢] بالملك مسعود،

[١] السلاطين.

[٢] الطغرائي.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٣

فكان ولده أبو المؤيد، محمد بن أبى إسماعيل، يكتب الطغراء مع الملك، فلما وصل والده استوزره مسعود، بعد أن عزل أبا على بن عمير، صاحب طرابلس، سنة ثلاث عشرة [و خمسمائة] باب خوي، فحسن ما كان ديبس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود و الخروج عن طاعته.

و ظهر ما هم عليه من ذلك، فبلغ السلطان محمودا [١] الخبر، فكتب إليهم يخوفهم إن خالفوه، و يعدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته و موافقته، فلم يصغوا إلى قوله، و أظهروا ما كانوا عليه، و ما يسرونه، و خطبوا للملك مسعود بالسلطنة، و ضربوا له النوب الخمس، و كان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود، فقوى طمعهم، و أسرعوا السير إليه ليلقوه و هو مخفف من العساكر، فاجتمع إليه خمسة عشر ألفا، فسار أيضا إليهم، فالتقوا عند عقبة أسداباذ، منتصف ربيع الأول، و اقتتلوا من بكرة إلى آخر النهار. و كان البرسقى فى مقدمه السلطان محمود، و أبلى يومئذ بلاء حسنا، فانهزم عسكر الملك مسعود، آخر النهار، و أسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم و مقدميهم، و أسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود، فأمر السلطان بقتله، و قال: قد ثبت عندى فساد دينه و اعتقاده، فكانت وزارته سنة و شهرا، و قد جاوز ستين سنة، و كان حسن الكتابة و الشعر، يميل إلى صنعة الكيمياء، و له فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا [٢] لا تحصى.

و أمّا الملك مسعود فإنه لما انهزم أصحابه و تفرقوا قصد جبلا بينه و بين الوقعة اثنا عشر فرسخا، فاخفى فيه و معه غلمان صغار، فأرسل ركايبه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان، فسار إلى السلطان محمود و أعلمه حال أخيه مسعود،

[١] محمود.

[٢] أصولا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٤

فرق له، و بذل له الأمان، و أمر آقسنقر البرسقى بالمسير إليه، و تطيب قلبه، و إعلامه بعفوه عنه، و إحضاره، فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه، و حسن له اللحاق بالموصل، و كانت له، و معها أذربيجان، و أشار عليه بمكاتبة ديبس بن صدقه ليجتمع به، و يكثر جمعه، و يعاود طلب السلطنة، فسار معه من مكانه.

و وصل البرسقى فلم يره، فأخبر بمسيره، فسار فى أثره، و عزم على طلبه و لو إلى الموصل، و جد فى السير، فأدركه على ثلاثين فرسخا

من مكانه ذلك، وعرّفه عفو أخيه عنه، وضمن له ما أراد، و أعاده إلى العسكر، فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله و تعظيمه، ففعلوا ذلك، و أمر السلطان أن ينزل عند والدته، و جلس له، و أحضره، و اعتنقا، و بكيا، و انعطف عليه محمود، و وفى [١] له بما بذله، و خلطه بنفسه فى كل أفعاله، فعّد ذلك من مكارم محمود، و كانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأذربيجان، و بلد الموصل، و الجزيرة، ثمانية و عشرين يوماً.

و أمّا أتابكه جيوش بك فإنّه سار إلى عقبه أسد اباد، و انتظر الملك مسعودا، فلم يره، و انتظره بمكان آخر، فلم يصل إليه، فلمّا آيس منه سار إلى الموصل، و نزل بظاهرها، و جمع الغلات من السواد إليها، و اجتمع إليه عسكره، فلمّا سمع بما فعله السلطان مع أخيه، و أنّه عنده، علم أنّه لا مقام له على هذا الحال، فسار كأنّه يريد الصيد، فوصل إلى الزاب، و قال لمن معه: إننى قد عزمت على قصد السلطان محمود، و أخاطر بنفسى، فسار إليه، فوصل و هو بهمدان، و دخل إليه، فطيب قلبه و أمنه، و أحسن إليه.

و أمّا ديبس فإنّه كان بالعراق، فلمّا بلغه خبر انهزام الملك مسعود

[١] و وفا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٥

نهب البلاد و خزبها، و فعل فيها الأفاعيل القبيحة، إلى أن أتاه رسول السلطان محمود، و طيب قلبه، فلم يلتفت.

ذكر حال ديبس و ما كان منه

لمّا كان منه ببغداد و سوادها من النهب و القتل و الفساد ما لم يجر مثله، أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه، و يأمره بالكفّ، فلم يفعل، فأرسل إليه السلطان و طيب قلبه، و أمره بمنع أصحابه عن الفساد، فلم يقبل، و سار بنفسه إلى بغداد، و ضرب سراقه يازاء دار الخلافة، و أظهر الضغائن التى فى نفسه، و كيف طيف برأس أبيه، و تهدّد الخليفة، و قال: إنك أرسلت تستدعى السلطان، فإن أعدتموه، و إلّا فعلت و صنعت. فأعيد جواب رسالته: أن عود السلطان، و قد سار عن همدان، غير ممكن، و لكننا نصلح حالك معه.

و كان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل، فكفّ على أن تسير الرسل فى الاتفاق بينه و بين السلطان، و عاد عن بغداد فى رجب. و وصل السلطان فى رجب إلى بغداد، فأرسل ديبس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير إليه، و معها مال كثير، و هدية نفيسة، و سأل الصنف عنه، فأجيب إلى ذلك على قاعدة امتنع منها، و لزم لجاجه، و نهب جشيرا للسلطان.

فسار السلطان عن بغداد، فى شوال، إلى قصد ديبس بالحلة، و استصحب ألف سفينة ليبر فيها، فلمّا علم ديبس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان، فأمنه، و كان قصده أن يغالطه ليتجهّز، فأرسل نساءه إلى البطيحة، و أخذ أمواله و سار عن الحلة، بعد أن نهبها، إلى إيلغازى ملتجئاً إليه، و وصل السلطان إلى الحلة، فلم ير أحداً، فبات بها ليلة واحدة و عاد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٦

و اقام ديبس عند إيلغازى، و تردد معه، ثم إنّه أرسل أخاه منصوراً [١] فى جيش من قلعة جعبر إلى العراق، فنظر الحلة، و الكوفة، و انحدر إلى البصرة، و أرسل إلى يرنقش الزكوى يسأله أن يصلح حاله مع السلطان، فلم يتمّ أمره، فأرسل إلى أخيه ديبس يعرّفه ذلك، و يدعوه إلى العراق، فسار من قلعة جعبر إلى الحلة سنة خمس عشرة [و خمسمائة]، فدخلها و ملكها، و أرسل إلى الخليفة و السلطان يعتذر، و يعد من نفسه الطاعة، فلم يجب إلى ذلك.

و سيرت إليه العساكر، فلمّا قاربوه فارق الحلة، و دخل إلى الأزير (!) «١»، و هو نهر سنداد، و وصل العسكر إليها و هى فارغة قد أجلي

أهلها عنها، و ليس بها إقامة، فكانت الميرة تنقل من بغداد، و كان مقدّم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوى، فترك بالحلة خمسمائة فارس، و بالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على ديبس، و أرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطحه، ففعلوا ذلك، و عبر عسكر السلطان إلى ديبس، فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع، فتراسل يرنقش و ديبس، و اتفقا على أن يرسل ديبس أخاه منصورا رهينه، و يلازم الطاعة، ففعل، و عاد العسكر إلى بغداد سنة ست عشرة [و خمسمائة].

[١] منصور.

(١) .sitcnupenis .p .c .ldob

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٧

ذكر خروج الكرج إلى بلاد الإسلام و ملك تفليس

في هذه السنة خرج الكرج، و هم الخزر [١]، إلى بلاد الإسلام، و كانوا [٢] قديما يغيرون، فامتنعوا أيام السلطان ملك شاه إلى آخر أيام السلطان محمّد، فلمّا كانت هذه السنة خرجوا و معهم قفجاق و غيرهم من الأمم المجاورة لهم، فتكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم، و اجتمعوا، منهم: الأمير إيلغازي، و ديبس بن صدقه، و كان عنده، و الملك طغرل بن محمّد، و أتاكه كنتغدي، و كان لطرغرل بلد أزان، و نقجوان إلى أرس، فاجتمعوا و ساروا إلى الكرج، فلمّا قاربوا تفليس، و كان المسلمون في عسكر كثير يبلغون [ثلاثين] ألفا، التقوا و اصطفت الطائفتان للقتال، فخرج من القفجاق مائتا رجل، فظنّ المسلمون أنّهم مستأمنون، فلم يحترزوا منهم، و دخلوا بينهم، و رموا بالنشاب، فاضطرب صفّ المسلمين، فظنّ من بعد أنّها هزيمة، فانهزموا، و تبع الناس بعضهم بعضا منهزمين، و لشدة الزحام صدم بعضهم بعضا، فقتل منهم عالم عظيم. و تبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون و يأسرون، فقتل أكثرهم، و أسروا أربعة آلاف رجل، و نجا الملك طغرل، و إيلغازي، و ديبس، و عاد الكرج فنهبوا بلاد الإسلام، و حصروا مدينة تفليس، و اشتدّ قتالهم لمن بها، و عظم الأمر، و تفاقم الخطب على أهلها، و دام الحصار إلى سنة خمس عشرة [و خمسمائة] فملكوها عنوة. و كان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها و خطيبها إلى الكرج في

[١] الجرز.

[٢] و كافوا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٨

طلب الأمان، فلم تصغ الكرج إليهما فأخرقوا بهما، و دخلوا البلد قهرا و غلبه، و استباحوه و نهبوه، و وصل المستنفرون منهم إلى بغداد مستصرخين و مستصرين سنة ست عشرة [و خمسمائة]، فبلغهم أنّ السلطان محمودا بهمدان، فقصدوه و استغاثوا به، فسار إلى أذربيجان، و أقام بمدينة تبريز شهر رمضان، و أنفذ عسكرا إلى الكرج، و سيرد ذكر ما كان منهم، إن شاء الله تعالى.

ذكر غزوات إيلغازي هذه السنة

في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الأنباري لنجم الدين إيلغازي، و شكره على ما يفعله من غزو الفرنج، و يأمره بإبعاد ديبس عنه، و سار أبو عليّ بن عمّار الذي كان صاحب طرابلس، مع ابن الأنباري إلى إيلغازي ليقم عنده، يعبر الأوقات بما

ينعم [١] به عليه، فاعتذر عن إبعاد «١» [٢] ديبس، و وعد به، ثم سار إلى الفرنج، و كان قد جمع لهم جمعا، فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل «٢» من أعمال حلب، فاقتتلوا، و اشتد القتال، و كان الظفر له.

ثم اجتمع إيلغازي و أتاكك طغتكين، صاحب دمشق، و حصروا الفرنج في معزة قنسرين يوما و ليلة، ثم أشار أتاكك طغتكين بالإفراج عنهم، كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا و يخرجوا إلى المسلمين، فربما ظفروا،

[١] ينقم.

[٢] بإبعاد.

(١) عن إبعاده. Idob.

(٢) ذانيث البفل. Idob. النفل. p. c.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٦٩

و كان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان، و جودة خيل الفرنج، فأفرج لهم إيلغازي، فساروا عن مكانهم و تخلصوا، و كان إيلغازي لا يطيل المقام في بلد الفرنج لأنه كان يجمع التركمان للطمع، فيحضر أحدهم و معه جراب فيه دقيق، و شاء، و يعدد الساعات لغنيمة يتعجلها، و يعود، فإذا طال مقامهم تفرقوا، و لم يكن له من الأموال ما يفرقها فيهم.

ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت و عبد المؤمن و ملكهما

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي، الحسني، و قبيلته من المصامدة، تعرف بهرغة في جبل السوس، من بلاد المغرب، نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير، و نذكر أمره و أمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لتتبع بعض الحادثة بعضا.

و كان ابن تومرت قد رحل في شببته إلى بلاد الشرق في طلب العلم، و كان فقيها، فاضلا، عالما بالشرعية، حافظا للحديث، عارفا [١] بأصولي الدين و الفقه، متحققا بعلم العربيّة، و كان ورعا، ناسكا، و وصل في سفره إلى العراق، و اجتمع بالغزالي، و الكيا، و اجتمع بأبي بكر الطرطوشي بالإسكندرية، و قيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك، فقال له الغزالي: إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد، و لا يمكن وقوعه لأمثالنا.

كذا قال بعض مؤرخي المغرب، و الصحيح أنه لم يجتمع به، فحج من هناك

[١] غارما.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٠

و عاد إلى المغرب، و لثريا ركب البحر من الإسكندرية، مغربا، غير المنكر في المركب، و ألزم من به بإقامة الصلاة، و قراءة القرآن، حتى انتهى إلى المهديّة، و سلطانها حينئذ يحيى بن تميم، سنة خمس و خمسمائة، فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت، و ليس له سوى ركوة، و عصاه، و تسامع به أهل البلد، فقصدوه يقرءون عليه أنواع العلوم، و كان إذا مرّ به منكر غيره و أزاله، فلمّا كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء، فلمّا رأى سمته و سمع كلامه أكرمه و احترامه، و سأله الدعاء.

و رحل عن المدينة و أقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين، مدّة، و سار إلى بجاية ففعل فيها مثل ذلك، فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة «١»، فلقبه بها عبد المؤمن بن علي، فرأى فيه من النجابة و النهضة ما تفرّس فيه التقدّم، و القيام بالأمر، فسأله

عن اسمه و قبيلته، فأخبره أنه من قيس عيلان، ثم من بنى سليم، فقال ابن تومرت: هذا الذي بشر به النبي، صلى الله عليه و سلم، حين قال: إن الله ينصر هذا الدين، في آخر الزمان، برجل من قيس، فقيل: من أى قيس؟ فقال: من بنى سليم.

فاستبشر بعبد المؤمن و سر بلقائه، و كان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرء، من أعمال تلمسان، و هو من عائد، قبيل من كومرة، نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين و مائة.

و لم يزل المهدي ملازماً للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين، فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه، فزاد في أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر، فكثر أتباعه، و حسنت ظنون الناس فيه، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها، و معها من الجوارى

(١) ملاية.doc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧١

الحسان عدّة كثيرة، و هنّ مسفرات، و كانت هذه عادة المثلثين يسفر نساؤهم [عن] وجوههنّ، و يتلثم الرجال، فحين رأى النساء كذلك أنكرو عليهنّ، و أمرهنّ بستر وجوههنّ و ضرب هو و أصحابه دوابهنّ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابّتها، فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، فأحضره، و أحضر الفقهاء لينظروه، فأخذ يعظه، و يخوّفه، فبكى أمير المسلمين، و أمر أن ينظره الفقهاء، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله.

و كان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب، فقال:

يا أمير المسلمين، إنّ هذا و الله لا يريد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، إنّما يريد إثارة فتنة، و الغلبة على بعض النواحي، فأقتله و قلّمني دمه. فلم يفعل ذلك، فقال: إن [١] لم تقتله فاحبسه، و خلّده [في] السجن، و إلّا أثار شرّاً لا يمكن تلافيه. فأراد حبسه، فمنعه رجل من أكابر المثلثين يسمّى بيان بن عثمان، فأمر بإخراجه من مراكش، فسار إلى أغمات، و لحق بالجبل، فسار فيه، حتّى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة و غيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة [و خمسمائة]، فأتوه، و اجتمعوا حوله.

و تسامع به أهل تلك النواحي، فوفدوا عليه، و حضر أعيانهم بين يديه، و جعل يعظهم، و يذكّرهم بأيام الله، و يذكر لهم شرائع الإسلام، و ما غير منها، و ما حدث من الظلم و الفساد، و أنّه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل، بل الواجب قتالهم، و منعهم عمّا هم فيه، فأقام على ذلك نحو سنه، و تابعته هرغة قبيلته، و سمى أتباعه الموحّدين، و أعلمهم أنّ النبي، صلى الله عليه و سلم، بشر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً، و أنّ مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال، أحدهم عبد المؤمن، فقالوا:

لا يوجد هذا إلّا فيك فأنت المهدي، فبايعوه على ذلك.

[١] إذ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٢

فانتهى خبره إلى أمير المسلمين، فجهّز جيشاً من أصحابه و سيّرههم إليه، فلّمّا قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لأصحابه: إنّ هؤلاء يريدونني، و أخاف عليكم منهم، فالرأى أن أخرج بنفسى إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم. فقال له ابن توفيان «١» من مشايخ هرغة: هل تخاف شيئاً من السماء؟ فقال: لا، بل من السماء تنصرون، فقال ابن توفيان «٢»: فليأتنا كلّ من في الأرض. و وافقه جميع قبيلته، فقال المهدي: أبشروا بالنصر و الظفر بهذه الشردمة، و بعد قليل تستأصلون دولتهم، و ترثون أرضهم. فنزلوا من الجبل، و لقوا جيش

أمير المسلمين، فهزمهم، وأخذوا أسلابهم، وقوى ظنهم في صدق المهدي، حيث ظفروا، كما ذكر لهم. وأقبلت إليه أفواج القبائل، من الحلال التي حوله، شرقا وغربا، و بايعوه، وأطاعته قبيلة هنتاته، و هي من أقوى القبائل، فأقبل عليهم، و اطمأن إليهم، و أتاه رسل أهل تين ملل «٣» بطاعتهم، و طلبوه إليهم، فتوجه إلى جبل تين مائل و استوطنه، و ألف لهم كتابا في التوحيد، و كتابا في العقيدة، و نهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض، و الاقتصار على القصير من الثياب، القليل الثمن، و هو يحرضهم على قتال عدوهم، و إخراج الأشرار من بين أظهرهم.

و أقام بتين ملل و بنى [١] له مسجدا خارج المدينة، فكان يصلّي فيه الصلوات هو و جمع ممن معه عنده، و يدخل البلد بعد العشاء الآخرة، فلما رأى كثرة أهل الجبل، و حصانة المدينة، خاف أن يرجعوا عنه، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح، ففعلوا ذلك عدّة أيام، ثم إنّه أمر أصحابه أن يقتلوهم، فخرجوا

[١] و بنا.

(١) توفيان. Idob. تومان. p. c.

(٢) توفان. Idob.

(٣) s itcnpupeniseupibu .docni.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٣

عليهم و هم غازون فقتلوهم في ذلك المسجد، ثم دخل المدينة فقتل فيها و أكثر، و سبى [١] الحرّيم، و نهب الأموال، فكان عدّة القتلى خمسة عشر ألفا، و قسم المساكن و الأرض بين أصحابه، و بنى [٢] على المدينة سورا، و قلعة على رأس جبل عال. و في جبل تين ملل أنهار جارية، و أشجار، و زروع، و الطريق إليه صعب، فلا جبل أحصن منه، و قيل: إنّه لما خاف أهل تين ملل نظر، فرأى كثيرا من أولادهم شقرا زرقا، و الذي يغلب على الآباء السمر، و كان لأمير المسلمين عدّة كثيرة من المماليك الفرنج و الروم، و يغلب على ألوانهم الشقرة، و كانوا يصعدون الجبل في كلّ عام مرّة، و يأخذون ما لهم فيه من الأموال المقررة لهم من جهة السلطان، فكانوا يسكنون بيوت أهله، و يخرجون أصحابها منها، فلما رأى المهدي أولادهم سألهم: ما لى أراكم سمر الألوان، و أرى أولادكم شقرا، زرقا؟ فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين، ففتح الصبر على هذا، و أزرى عليهم، و عظّم الأمر عندهم، فقالوا له: فكيف الحيلة في الخلاص منهم، و ليس لنا بهم قوة؟ فقال: إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد، و تفرقوا في مساكنهم، فليقم كلّ رجل منكم إلى نزله فيقتله، و احفظوا جبلكم، فإنّه لا- يرام و لا- يقدر عليه. فصبروا حتّى حضر أولئك العبيد، فقتلوهم على ما قرّر لهم المهدي، فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين، فامتنعوا في الجبل، و سدّوا ما فيه من طريق يسلك إليهم، فقويت نفس المهدي بذلك.

ثم إن أمير المسلمين أرسل إليهم جيشا قويا، فحصرهم في الجبل، و ضيقوا عليهم، و منعوا عنهم الميرة، فقلّت عند أصحاب المهدي الأوقات،

[١] و سبا.

[٢] و بنا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٤

حتّى صار الخبز معدوما عندهم، و كان يطبخ لهم كلّ يوم من الحساء ما يكفيهم، فكان قوت كلّ واحد منهم أن يغمس يده في ذلك

الحساء و يخرجها، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم، فاجتمع أعيان أهل تين ملل، و أرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت، و كان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشى «١»، يظهر البله، و عدم المعرفة بشيء من القرآن و العلم، و بزاقه يجرى على صدره، و هو كأنه معتوه، و مع هذا فالمهدي يقربه، و يكرمه، و يقول: إنَّ لله سرّاً فى هذا الرجل سوف يظهر. و كان الونشريشى يلزم الاشتغال بالقرآن و العلم فى السرّ بحيث لا يعلم أحد ذلك منه، فلما كان سنة تسع عشرة [و خمسمائة]، و خاف المهديّ من أهل الجبل، خرج يوماً لصلاة الصّبح، فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب، طيب الريح، فأظهر أنّه لا يعرفه، و قال: من هذا؟ فقال: أنا أبو عبد الله الونشريشى! فقال له المهديّ: إنَّ أمرك لعجب! ثم صلّى، فلما فرغ من صلاته نادى فى الناس فحضروا، فقال: إنَّ هذا الرجل يزعم أنّه الونشريشى، فانظروه، و حقّقوا أمره. فلما أضاء النهار [١] عرفوه، فقال له المهديّ: ما قصّتك؟ قال: إننى أتانى الليلة ملكك من السماء، فغسل قلبى، و علّمنى الله القرآن، و الموطّأ، و غيره من العلوم و الأحاديث. فبكى المهديّ بحضرة الناس، ثم قال له: نحن نمتحنك، فقال: افعل. و ابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أىّ موضع سئل، و كذلك الموطّأ، و غيره من كتب الفقه و الأصول، فعجب الناس من ذلك، و استعظموه.

ثم قال لهم: إنَّ الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنّة من أهل

[١] النهري.

(١) .doc\sitcnupenis

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٥

النار، و أمرهم أن تقتلوا أهل النار، و تتركوا أهل الجنّة، و قد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى.

فسار المهديّ، و الناس معه و هم يبكون، إلى تلك البئر، و صلّى المهديّ عند رأسها، و قال: يا ملائكة الله، إنَّ أباً عبد الله الونشريشى قد زعم كيت و كيت، فقال من بها: صدق! و كان قد وضع فيها رجالاً يشهدون بذلك، فلما قيل ذلك من البئر، قال المهديّ: إنَّ هذه مطهرة مقدّسة قد نزل إليها الملائكة، و المصلحة أن تطمّ لنا يقع فيها نجاسة، أو ما لا يجوز، فألقوا فيها من الحجارة و التراب ما طمّها، ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان، فحضروا للتمييز [١]، فكان الونشريشى يعمد إلى الرجل المذى يخاف ناحيته، فيقول: هذا من أهل النار، فيلقى من الجبل مقتولاً، و إلى الشاب الغرّ، و من لا يخشى، فيقول: هذا من أهل الجنّة، فيترك على يمينه، فكان عدّة القتلى سبعين ألفاً. فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه و أصحابه و استقام أمره.

هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز، و سمعت منهم من يقول: إنَّ ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشرّ و الفساد فى أهل الجبل، أحضر شيوخ القبائل، و قال لهم: إنكم لا يصحّ لكم دين، و لا يقوى إلّا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و إخراج المفسد من بينكم، فابحثوا عن كلّ من عندكم من أهل الشرّ و الفساد، فانهمهم عن ذلك، فإن انتهوا، و إلّا فاكتبوا أسماءهم و ارفعوها إلىّ لأنظر فى أمرهم. ففعلوا ذلك، و كتبوا له أسماءهم من كلّ قبيلة، ثم أمرهم بذلك مرّة ثانية، و ثالثة، ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الأسماء فأثبتها عنده، ثم جمع الناس قاطبة، و رفع الأسماء التى كتبها، و دفعها إلى الونشريشى المعروف بالبشير، و أمره أن يعرض القبائل، و يجعل أولئك المفسدين فى جهة الشمال، و من عداهم فى جهة اليمين،

[١] للتمييز.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٦

ففعل ذلك، وأمر أن يكتف من على شمال الونشريشي، فكتفوا، وقال:

إن هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم، وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم، فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز.

ولما فرغ ابن تومرت من التمييز، رأى أصحابه [١] الباقين على نيات صادقة، وقلوب متفقه على طاعته، فجهز منهم جيشا وسيرهم إلى جبال أغمات، وبها جمع من المرابطين، فقاتلوه، فانهزم أصحاب ابن تومرت، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشي، وقتل منهم كثير، وجرح عمر الهنتاتي «١»، وهو من أكبر أصحابه، وسكن حسه ونبضه، فقالوا: مات! فقال الونشريشي: أما إنه لم يموت، ولا يموت حتى يملك البلاد. فبعد ساعة فتح عينيه، وعادت قوته إليه، فافتتنوا به، وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت، فوعظهم، وشكرهم على صبرهم.

ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين، فإذا رأوا عسكريا تعلقوا بالجبل فأمّنوا. وكان المهدي قد رتب أصحابه مراتب، فالأولى يستمون أيت عشرة يعني أهل عشرة، وأولهم عبد المؤمن، ثم أبو حفص الهنتاتي، وغيرهما، وهم أشرف أصحابه، وأهل الثقة عنده، والسابقون إلى متابعتة، والثانية: أيت خمسين، يعني أهل خمسين، وهم دون تلك الطبقة، وهم جماعة من رؤساء القبائل، والثالثة: أيت سبعين، يعني أهل سبعين، وهم دون التي قبلها، وسمى عامة أصحابه والداخلين في طاعته موحدين، فإذا ذكر الموحدون في أخبارهم فإنما يعني أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده.

ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربع وعشرين [وخمسمائة]، فجهز

[١] أصحاب.

(١) هساني.doc.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٧

المهدي جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا، أكثرهم رجاله، وجعل عليهم الونشريشي، وسير معهم عبد المؤمن، فنزلوا و ساروا إلى مراكش فحاصروها، وضيّقوا عليها، وبها أمير المسلمين علي بن يوسف، فبقى الحصار عليها عشرين يوما، فأرسل أمير المسلمين إلى متولّي سجلماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش، فجمع جيشا كثيرا و سار، فلما قارب عسكر المهدي خرج أهل مراكش من غير الجهة التي أقبل منها، فاقتتلوا، واشتد القتال، وكثر القتل في أصحاب المهدي، فقتل الونشريشي أميرهم، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم.

ولم يزل القتال بينهم عامة النهار، وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف، الظهر والعصر، والحرب قائمة، ولم تصل بالمغرب قبل ذلك، فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين، وقوتهم، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك، والبستان يسمى عندهم البحيرة، فلهذا قيل وقعة البحيرة، و عام البحيرة، و صاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل، وقد قتل من المصامدة [١] أكثرهم، و حين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن، فطلبه المصامدة، فلم يروه في القتلى، فقالوا: رفعته الملائكة، ولما جهّم الليل سار عبد المؤمن و من سلم من القتلى إلى الجبل.

ذكر وفاة المهدي و ولاية عبد المؤمن

لما سير الجيش إلى حصار مراكش مرض مرضا شديدا، فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه، و سأل عن عبد المؤمن، فقيل: هو سالم، فقال: ما مات

[١] المصاعدة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٨

أحد، الأمر قائم، و هو الذي يفتح البلاد. و وصى أصحابه باتباعه، و تقديمه، و تسليم الأمر إليه، و الانقياد له، و لقبه أمير المؤمنين. ثم مات المهدي، و كان عمره إحدى و خمسين سنة، و قيل: خمسا [١] و خمسين سنة، و مدّة ولايته عشرين سنة، و عاد عبد المؤمن إلى تين ملل، و أقام بها يتألف القلوب، و يحسن إلى الناس، و كان جوادا مقداما في الحروب، ثابتا في الهزاهز، إلى أن دخلت سنة ثمان و عشرين و خمسمائة، فتجهّز و سار في جيش كثير، و جعل يمشى مع الجبل إلى أن وصل إلى تادله، فمانعه أهلها، و قاتلوه، فقهرهم، و فتحها و سائر البلاد التي تليها و مشى [٢] في الجبال يفتح ما امتنع عليه، و أطاعته صنهاجة الجبل. و كان أمير المسلمين قد جعل وليّ عهده ابنه سير، فمات، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس، و كان أميرا عليها، فلما حضر عنده جعله وليّ عهده سنة إحدى و ثلاثين [و خمسمائة]، و جعل معه جيشا، و صار يمشى في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال.

و في سنة اثنتين و ثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر، و هو جبل عال مشرف، و تاشفين في الوطأة، [و كان] يخرج من الطائفتين قوم يترامون و يتطاردون، و لم يكن بينهما لقاء، و يسمّى عام النواظر. و في سنة ثلاث و ثلاثين توجه عبد المؤمن، مع الجبل، في الشعراء، حتّى انتهى إلى جبل كرناط، فنزل في أرض صلبة، بين شجر، و نزل تاشفين قبالة، في الوطأة، في أرض لا نبات فيها، و كان الفصل شاتيا، فتوالت الأمطار أياما كثيرة لا تقلع [٣]، فصارت الأرض التي فيها تاشفين و أصحابه كثيرة

[١] خمس.

[٢] و مشا.

[٣] يقلع.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٧٩

الوحد، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها، و يعجز الرجل عن المشى فيها، و تقطعت الطرق عنهم، فأوقدوا رماحهم، و قرابيس سروجهم، و هلكوا جوعا و بردا و سوء حال.

و كان عبد المؤمن و أصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل، لا يبالون بشيء، و الميرة متصلة إليهم، و في ذلك الوقت سيّر عبد المؤمن جيشا إلى و جرة من أعمال تلمسان، و مقدّمهم أبو عبد الله محمّد بن رغو، و هو من أيت خمسين، فبلغ خبرهم إلى محمّد بن يحيى بن فانوا «١»، متولّي تلمسان، فخرج في جيش من المثلّمين، فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر، فهزمهم جيش عبد المؤمن، و قتل محمّد بن يحيى و كثير من أصحابه، و غنموا ما معهم و رجعوا، فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة، و أقام عندهم مدّة.

و ما برح يمشى في الجبال، و تاشفين يحاذيه في الصحارى، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمس و ثلاثين، فتوفّي أمير المسلمين عليّ بن يوسف بمراكش و ملك بعده ابنه تاشفين، فقوى طمع عبد المؤمن في البلاد، إلّا أنّه لم ينزل الصحراء.

و في سنة ثمان و ثلاثين توجه عبد المؤمن إلى تلمسان، فنازلها، و ضرب خيامه في جبل بأعلاها، و نزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد، و كان بينهم مناوشة، فبقوا كذلك إلى سنة تسع و ثلاثين، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تاجرة، و وجه جيشا مع عمر الهنتاتي إلى مدينة وهران، فهاجمها بغتة، و حصل هو و جيشه فيها، فسمع [بذلك عبد المؤمن] فسار إليها، فخرج منها عمر، و نزل

تاشفين بظاهر وهران، على البحر، في شهر رمضان سنة تسع.

(١) فانوا.ldb: سادوا. p.c

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٠

و ثلاثين، فجاءت ليلة سبع وعشرين منه، و هي ليلة يعظمها أهل المغرب، و بظاهر وهران ربوة مطلّة على البحر، و بأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون، و هو موضع معظم عندهم، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفياً، لم يعلم به إلا النفر الذين معه، و قصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتي، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبّد، و أحاطوا به، و ملكوا الربوة، فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذه ركب فرسه و حمل عليه إلى جهة البحر، فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك، و رفعت جثته على خشبة، و قتل كل من كان معه.

و قيل إن تاشفين قصد حصنا هناك على رابية، و له فيه بستان كبير فيه من كل الثمار، فاتفق أن عمر الهنتاتي، مقدّم عسكر عبد المؤمن، سيّر سريّة إلى ذلك الحصن، يعلمهم بضعف من فيه، و لم يعلموا أن تاشفين فيه، فألقوا النار في بابه فاحترق، فأراد تاشفين الهرب، فركب فرسه، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور، فسقط في النار، فأخذ تاشفين، فاعترف، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن، فمات في الحال لأن رقبته كانت قد اندقت، فصلب، و قتل كل من معه، و تفرّق عسكره و لم يعد لهم جماعة. و ملك بعده أخوه إسحاق بن علي بن يوسف.

و لما قتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر، فجاء من تاجر في يومه بجميع عسكره، و تفرّق عسكر أمير المسلمين، و احتفى بعضهم بمدينة وهران، فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف، و قتل فيها ما لا يحصى. ثم سار إلى تلمسان، و هما مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما تاهرت «١» [١].

[١] أحدهما تاجررت.

(١) تامررت.ldb، تامررت.gramni. تاهرت. p.c.doc

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨١

و بها عسكر المسلمين، و الأخرى [١] أقادير، و هي بناء قديم، فامتنت أقادير، و غلقت أبوابها، و تأهب أهلها للقتال. و أما تاهرت «١» [٢]، فكان فيها يحيى بن الصحراويّة، فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس، و جاء عبد المؤمن إليها، فدخلها لما فر منها العسكر، و لقيه أهلها بالخضوع و الاستكانة، فلم يقبل منهم ذلك، و قتل أكثرهم، و دخلها عسكره، و رتب أمرها، و رحل عنها، و جعل على أقادير جيشا يحصرها، و سار إلى مدينة فاس سنة أربعين [و خمسمائة] فنزل على جبل مطلق عليها، و حصرها تسعة أشهر، و فيها يحيى بن الصحراويّة، و عسكره الذين فروا من تلمسان، فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكّره بالأخشاب و التراب و غير ذلك، فمنعه من دخول البلد، و صار بحيرة تسير فيها السفن، ثم هدم السكر، فجاء الماء دفعة واحدة فخرّب سور البلد. و كلّ ما يجاور [٣] النهر من البلد، و أراد عبد المؤمن أن يدخل البلد، فقاتله أهله خارج السور، فتعدّر عليه ما قدره من دخوله.

و كان بفاس عبد الله بن خيار «٢» الجياني «٣» عاملا- عليها و على جميع أعمالها، فاتفق هو و جماعة من أعيان البلد، و كاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس، فأجابهم إليه، ففتحوا له بابا من أبوابها، فدخلها عسكره، و هرب يحيى بن الصحراويّة، و كان فتحها آخر سنة أربعين و خمسمائة، و سار إلى

[١] و الآخر.

[٢] تاجررت.

[٣] و كلما يجاور.

(١) باقررت. ldob، يامررت. p. c. doc.

(٢) sitcnpednis. doc.

(٣) الجبانى. doc.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٢

طنجة، و رتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس، و أمر فنودى فى أهلها: من ترك عنده سلاحا و عدّة قتال حلّ دمه، فحمل كلّ من فى البلد ما عندهم من سلاح إليه، فأخذهم منهم.

ثم رجع إلى مكناسة، ففعل بأهلها مثل ذلك، و قتل من بها من الفرسان و الأجناد.

و أما العسكر الذى كان على تلمسان فإنهم قاتلوا أهلها، و نصبوا المجانيق، و أبراج الخشب، و زحفوا بالدبابات، و كان المقدم على أهلها الفقيه عثمان، فدام الحصار نحو سنة، فلما اشتد الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم و راسلوا الموحّدين أصحاب عبد المؤمن، بغير علم الفقيه عثمان، و أدخلوهم البلد، فلم يشعر أهله إلّا و السيف يأخذهم، فقتل أكثر أهله، و سبيت الذرية و الحریم، و نهب من الأموال ما لا يحصى، و من الجواهر ما لا تحدد قيمته، و من لم يقتل بيع بأوكس الأثمان، و كان عدّة القتلى مائة ألف قتيل، و قيل: إنّ عبد المؤمن هو الذى حصر تلمسان، و سار منها إلى فاس، و الله أعلم.

و سیر عبد المؤمن سرية إلى مكناسة، فحصرها مدة، ثم سلّمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم.

و سار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سلا ففتحها، و حضر عنده جماعة من أعيان سبتة، فدخلوا فى طاعته، فأجابهم إلى بذل الأمان، و كان ذلك سنة إحدى و أربعين [و خمسمائة].

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٣

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش

لما فرغ عبد المؤمن من فاس، و تلك النواحي، سار إلى مراكش، و هى كرسى مملكة الملمّين، و هى من أكبر المدن و أعظمها، و كان صاحبها حينئذ إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين، و هو صبيّ، فنازلها، و كان نزوله عليها [١] سنة إحدى و أربعين [و خمسمائة]، فضرب خيامه فى غربيها على جبل صغير، و بنى [٢] عليه مدينة له و لعسكره، و بنى [٢] بها جامعا و بنى [٢] له بناء عاليا يشرف [٣] منه على المدينة، و يرى أحوال أهلها، و أحوال المقاتلين من أصحابه، و قاتلها قتالا كثيرا، و أقام عليها أحد عشر شهرا، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد، و اشتدّ الجوع على أهله، و تعدّرت الأقوات عندهم.

ثم زحف إليهم يوما، و جعل لهم كميننا، و قال لهم: إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا، و جلس هو بأعلى المنطرة التى بناها يشاهد القتال، و تقدّم عسكره، و قاتلوا، و صبروا، ثم إنهم انهزموا لأهل مراكش ليتبعوهم إلى الكمين الذى لهم، فتبعهم الملمّون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن، فهدموا أكثر سورها، و صاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين، فقال لهم: اصبروا حتّى يخرج كلّ طامع فى البلد، فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب و خرج الكمين عليهم، و رجع المصامدة المنهزمون إلى الملمّين فقتلواهم كيف شاءوا، و عادت الهزيمة على الملمّين، فمات فى زحمة الأبواب ما لا يحصىه إلّا الله سبحانه.

[١] عليه.

[٢] و بنا.

[٣] شرف.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٤

و كان شيوخ الملتئمين يدبرون دولة إسحاق بن علي بن يوسف لصغر سنّه، فاتفق أن إنسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمنا و أطلعه على عوراتهم و ضعفهم، فقوى الطمع فيهم، و اشتدّ عليهم البلاء، و نصب عليهم المنجنقات و الأبراج، و فنيّت أقواتهم، و أكلوا دوابّهم، و مات من العائمة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان، فأتتن البلد من ريح الموتى. و كان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم، فجاءوا إليهم نجدة، فلمّا طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان، فأجابهم إليه، ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغمات، فدخلت عساكره بالسيف، و ملكوا المدينة عنوة، و قتلوا من وجدوا، و وصلوا إلى دار أمير المسلمين، فأخرجوا الأمير إسحاق و جميع من معه من أمراء المرابطين، فقتلوا، و جعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء، و يدعو لعبد المؤمن و يبكي، فقام إليه الأمير سير بن الحاج، و كان إلى جانبه مكتوبا، فبزق في وجهه، و قال: تبكى على أبيك و أميك؟ اصبر صبر الرجال، فهذا رجل لا يخاف الله و لا يدين [١] بدين. فقام الموحدون إليه بالخشبة فضربوه حتّى قتلوه، و كان من الشجعان المعروفين بالشجاعة، و قدّم إسحاق، على صغر سنّه، فضربت عنقه سنّه اثنتين و أربعين [و خمسمائة]، و هو آخر ملوك المرابطين و به انقضت دولتهم، و كانت مدّة ملكهم سبعين سنّه، و ولى منهم أربعة: يوسف و عليّ و تاشفين و إسحاق.

و لمّا فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها، و استوطنها و استقرّ ملكه. و لمّا قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها، فلمّا كان بعد سبعة أيّام أمر فنودي بأمان من بقى من أهلها، فخرجوا، فأراد أصحابه المصامدة قتلهم، فمنعهم، و قال: هؤلاء صنّاع، و أهل الأسواق

[١] يدينه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٥

من ننتفع به، فتركوا، و أمر بإخراج القتلى من البلد، فأخرجوهم، و بنى [١] بالقصر جامعا كبيرا، و زخرفه فأحسن عمله، و أمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. و لقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عبّاد، و ارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقيح مركب، فلا جرم سلط الله [عليه] في [عقابه] [٢] من أربى في الأخذ عليه و زاد، فتبارك الحيّ الدائم الملك، الذي لا يزول ملكه، و هذه سنّه الدنيا، فأف لها، ثم أف، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحسنى، و يجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمحمّد و آله.

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة

في سنّه ثلاث و أربعين و خمسمائة سار بعض المرابطين من الملتئمين إلى دكالة، فاجتمع إليه قبائلها، و صاروا يغيرون على أعمال مراكش، و عبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلمّا كثرت ذلك منهم سار إليهم سنّه أربع و أربعين [و خمسمائة]، فلمّا سمعت دكالة بذلك انحشروا كلّهم إلى ساحل البحر في مائتي ألف راجل و عشرين ألف فارس، و كانوا موصوفين بالشجاعة. و كان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، و كان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر و الحزونة، فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلّكه، فمن الاتفاق الحسن له أنّه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فانحلّ عليهم ما قدره، و

فارقوا ذلك الموضوع، فأخذهم السيف، فدخلوا

[١] و بنا.

[٢] أعقابه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٦

البحر، فقتل أكثرهم، و غنمت إبلهم و أغنامهم و أموالهم، و سببت نساؤهم و ذراريتهم، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة، و عاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفراً منصوراً، و ثبت ملكه، و خافه الناس في جميع المغرب، و أذعنوا له بالطاعة.

ذكر حصر مدينة كندة

في هذه السنة، يعني سنة أربع عشرة و خمسمائة، خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس، يقال له ابن ردمير، فسار حتى انتهى إلى كندة، و هي بالقرب من مرسية، في شرق الأندلس، فحصرها، و ضيق على أهلها، و كان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة، و معه جيش كثير من المسلمين و الأجناد المتطوعة، فسيرهم إلى ابن ردمير، فالتقوا و اقتتلوا أشد القتال، و هزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة، و كثر القتل في المسلمين، و كان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء، قاضي المريّة، و كان من العلماء العاملين، و الزهاد في الدنيا العادلين في القضاء.

ذكر عده حوادث

في هذه السنة كسر بلك بن أرتق عفراس الرومي، و قتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد اندكان (!) «١» و أسر عفراس و كثير من عسكره.

(١) Idob .mo

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٧

و فيها أغار جوسلين الفرنجي، صاحب الزها، على جيوش العرب و التركمان، و كانوا نازلين بصفيين، غربى الفرات، و غنم من أموالهم و خيلهم و مواشيهم شيئاً كثيراً، و لما عاد خرّب بزاعة.

و فيها تسلّم أتابك طغتكين، صاحب دمشق، مدينة تدمر و الشقيف.

و فيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طغرل، فسار إليه، فسمع طغرل و أتابك كنتغدى ذلك، فسارا إلى كنجة من بين يدي العسكر، و لم يجر قتال.

و فيها، في المحرم، توفى خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب ابن السيبي، صاحب المخزن ببغداد، و ولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة، المعروف بابن البقشلام، والد علم الدين الكاتب المعروف.

و في جمادى الأولى منها توفى أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، الإمام ابن الإمام، و كان أخذ العلم من قرابته [١]، و الطريقة أيضاً، ثم استفاد أيضاً من إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، و سمع الحديث من جماعة، و رواه، و كان حسن الوعظ،

سريع الخاطر، و لما توفى جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به، حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ.

[١] قرابه.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٨

٥١٥ ثم دخلت سنة خمس عشرة و خمسمائة

ذكر إقطاع البرسقى الموصل

فى هذه السنة، فى صفر، أقطع السلطان محمود مدينة الموصل و أعمالها، و ما ينضاف إليها، كالجزيرة، و سنجار، و غيرهما، الأمير آقسنقر البرسقى.

و سبب ذلك: أنه كان فى خدمة السلطان محمود، ناصحا له، ملازما له فى حروبه كلها، و كان له الأثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود و أخيه الملك مسعود، و هو الذى أحضر الملك مسعودا [١] عند أخيه السلطان محمود، فعظم ذلك عند السلطان محمود، و لما حضر جيوش بك عند السلطان محمود و بقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى، و تقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته، و أمره بمجاهدة الفرنج و أخذ البلاد منهم، فسار إليها فى عسكر كثير و ملكها، و أقام يدبّر أمورها، و يصلح أحوالها.

ذكر وفاة الأمير على و ولاية ابنه الحسن إفريقية

فى هذه السنة توفى الأمير على بن يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، فى العشر الأخير [٢] من ربيع الآخر، و كان مولده بالمهدية، و قد تقدّم من حروبه

[١] مسعود.

[٢] الآخر.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٨٩

و أعماله ما يستدل به على علو همته، و لما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن، بعهد أبيه، و قام بأمر دولته صندل الحصى، لأنه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك، فقام صندل فى الحفظ و الاحتياط، فلم تطل أيامه حتى توفى، فوقع الاختلاف بين أصحابه و قواده، كل منهم يقول: أنا المقدم على الجميع، و بيدى الحلّ و الشدّ، فلم يزالوا كذلك إلى أن فوض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق، فصلحت الأمور.

ذكر قتل أمير الجيوش

فى هذه السنة، فى الثالث و العشرين من رمضان، قتل أمير الجيوش الأفضل ابن بدر الجمالى، و هو صاحب الأمر و الحكم بمصر، و كان ركب إلى خزانه السلاح ليفرّقه على الأجناد، على جارى العادة فى الأعياد، فسار معه عالم كثير من الرجال و الخيالة، فتأذى بالغبار، فأمر بالبعد عنه، و سار منفردا، معه رجلان، فصادفه رجلان بسوق الصياقلة، فضرباه بالسكاكين فجرّاه، و جاء الثالث من ورائه، فضربه بسكين فى خصرته، فسقط عن دابّته، و رجع أصحابه فقتلوا الثلاثة، و حملوه إلى دار الأفضل، فدخل عليه الخليفة، و توجّع له، و سأله عن الأموال، فقال: أمّا الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه، و كان من أهل حلب، و تولى أبوه قضاء القاهرة، و أمّا الباطن [١] فابن البطائحي يعرفه، فقالا: صدق.

فلتيا توفى الأفضل نقل من أمواله ما لا يعلمه إلا الله تعالى، و بقى الخليفة فى داره نحو أربعين يوما، و الكتاب بين يديه، و الدواب

تحمل و تنقل ليلا

[١] الباطنة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٠

و نهارا، و وجد له من الأغلاق النفيسة، و الأشياء الغريبة القليلة الوجود، ما لا يوجد مثله لغيره، و اعتقل أولاده، و كان عمره سبعا [١] و خمسين سنة، و كانت ولايته بعد أبيه ثمانيا [٢] و عشرين سنة، منها: آخر أيام المستنصر، و جميع أيام المستعلي، إلى هذه السنة من أيام الأمر.

و كان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها: تضييقه [٣] على إمامهم، و تركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، و منها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم، و النهي عن معارضتهم، و إذنه للناس في إظهار معتقداتهم و المناظرة عليها، فكثر الغباء ببلاد مصر. و كان حسن السيرة، عادلا، حكى أنه لما قتل، و ظهر الظلم بعده، اجتمع جماعة و استغاثوا بالخليفة [٤]، و كان من جملة قولهم: إنهم لعنوا الأفضل، فسألهم عن سبب لعنهم إياه، فقالوا: إنه عدل، و أحسن السيرة، ففارقنا بلادنا و أوطاننا، و قصدنا بلده لعدله، فقد أصابنا بعده هذا الظلم، فهو كان سبب ظلمنا. فأحسن الخليفة إليهم، و أمر بالإحسان إلى الناس.

و منها أن صاحبه الأمر بأحكام الله، صاحب مصر، وضع منه [٥]، و سبب ذلك ما ذكرناه قبل، ففسد الأمر بينهما، فأراد الأمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام، أو في أيام الأعياد، فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد، و هو الذي ولي الأمر بعده بمصر، و قال له: في هذا الفعل شناعة، و سوء سمعة، لأنه قد خدم دولتنا هو و أبوه خمسين سنة، و لم يعلم

[١] سبع.

[٢] ثمان.

[٣] تضييقه.

[٤] إلى الخليفة.

[٥] عليه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩١

الناس منهما إلا التصح لنا، و المحبة لدولتنا، و قد سار ذلك في أقطار البلاد، فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكافأة الشيعة، و مع هذا فلا بد و أن نقيم غيره مكانه و نعتمد عليه في منصبه، متمكن مثله، أو ما يقاربه، فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا، فيحذر من الدخول إلينا خوفا على نفسه، و إن دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع، و في هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة، و الرأي أن تراسل أبا عبد الله بن البطائحى، فإنه الغالب على أمر الأفضل، و المطلع على سزه، و تعده أن توليه منصبه، و تطلب منه أن يدبر الأمر في قتله لمن يقاتله، إذا ركب، فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه، و أظهرنا الطلب بدمه، و الحزن عليه، فنبغ غرضنا، و يزول عنا قبح الأحداث. ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه.

و لما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحى الأمر، و لقب المأمون، و تحكّم في الدولة، فبقى كذلك حاكما في البلاد إلى سنة تسع عشرة [و خمسمائة]، فصلب كما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عصيان سليمان بن إيلغازى على أبيه

في هذه السنة عصى [١] سليمان بن إيلغازى بن أرتق على أبيه بحلب، و قد جاوز عمره عشرين سنة، حمله على ذلك جماعة من

عنده، فسمع والده الخبر، فسار مجداً لوقته، فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه، فخرج إليه معتذراً، فأمسك عنه، و قبض على من كان أشار عليه بذلك [٢]، منهم: أمير كان قد التقطه أرتق، والد إيلغازي، و رباه، اسمه ناصر، فقلع عينيه، و قطع لسانه، و منهم:

[١] عصا.

[٢] ذلك.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٢

إنسان من أهل حماة من بيت قرناص، كان قد قدمه إيلغازي على أهل حلب، و جعل إليه الرئاسة، فجازاه بذلك، و قطع يديه و رجله، و سمل عينيه، فمات.

و أحضر ولده، و هو سكران، فأراد قتله، فمنعته رقة الوالد، فاستبقاه، فهرب إلى دمشق، فأرسل طغتكين يشفع فيه، فلم يجبه إلى ذلك، و استتاب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق، و لقبه بدر الدولة، و عاد إلى ماردین.

ذكر إقطاع ميافارقين إيلغازي

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للأمير إيلغازي.

و سبب ذلك أنه أرسل ولده حسام الدين تمر تاش، و عمره سبع عشرة سنة، إلى السلطان ليشفع في ديبس بن صدقة، و يبذل عنه الطاعة، و حمل الأموال، و الخيل، و غيرها، و أن يضمن الحلّة كل يوم بألف دينار و فرس، و كان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم بن الشهرزوري، فتردد الخطاب في ذلك، و لم ينفصل حال، فلمّا أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين، و كانت مع الأمير سكرمان، صاحب خلاط، فتسلمها إيلغازي، و بقيت في يده، و يد أولاده، إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف ابن أيوب سنة ثمانين و خمسمائة، و سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٣

ذكر حصر بلک بن بهرام الرّها و أسر صاحبها

في هذه السنة سار بلک بن بهرام، ولد أخى إيلغازي، إلى مدينة الرّها، فحصرها و بها الفرنج، و بقى على حصرها مدّة، فلم يظفر بها، فرحل عنها، فجاءه إنسان تركمانى و أعلمه أنّ جوسلين، صاحب الرّها و سروج، قد جمع من عنده من الفرنج، و هو عازم على كبسه، و كان قد تفرّق عن بلک أصحابه، و بقى فى أربعمائة فارس، فوقف مستعداً لقتالهم.

و أقبل الفرنج، فمن لطف الله تعالى بالمسلمين أنّ الفرنج وصلوا إلى أرض قد نصب عنها الماء، فصارت و حلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكّن، مع ثقل السلاح و الفرسان، من [١] الإسراع و الجرى، فرماهم أصحاب بلک بالشّباب، فلم يفلت منهم أحد، و أسر جوسلين و جعل فى جلد جمل، و خيظ عليه، و طلب منه أن يسلم الرّها، فلم يفعل، و بذل فى فداء نفسه أموالاً جزيلاً، و أسرى كثيرة، فلم يجبه إلى ذلك، و حمله إلى قلعة خر تبرت فسجنه بها، و أسر معه ابن خالته، و اسمه كليام، و كان من شياطين الكفار، و أسر أيضاً جماعة من فرسانه المشهورين، فسجنهم معه.

ذكر عدّة حوادث

الكامل في التاريخ ج ١٠ ٥٩٣ ذكر عدّة حوادث ص: ٥٩٣

في هذه السنة توفيت جدّة السلطان محمود لأبيه، و هى [٢] والدة السلطان سنجر، و كانت تركية تعرف بخاتون السفريّة، و كان موتها

بمرو، فجلس

[١] على.

[٢] و هو.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٤

محمود ببغداد للعزاء بها، و كان عزاء لم يشاهد مثله الناس.

و فيها توفى الخطير محمّد بن الحسين الميذى ببلاد فارس، و هو فى وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمّد، و كان قديما وزر للسلطانين بركيارق و محمّد، و كان جوادا حليما، سمع أنّ الأبيوردى هجاه، فلمّا سمع الهجوم مضّه، فعصّ على إبهامه، و صفح عنه، و خلع عليه و وصله.

و فيها توفى الشهاب أبو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر، و هو ابن أخى نظام الملك، و كان يتفقّه قديما على إمام الحرمين الجوينى فكان يفتى و يوقّع، و وزر بعده أبو طاهر سعد بن على بن عيسى القمى، و توفى بعد شهر، فوزر بعده عثمان القمى.

و فيها، فى جمادى الأولى، أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج، فقتل منهم و أسر و أرسل من الأسرى و الغنيمه للسلطان و للخليفة. و فيها تضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام، زاده الله شرفا، من زلزلة، و انهدم بعضه، و تشعث بعض حرم النبى، صلى الله عليه و سلم، و تشعث غيرها من البلاد، و كان بالموصل كثير منها.

و فيها احترقت دار السلطان، كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمّد، ففرغت قبل وفاته بيسير، فلمّا كان الآن احترقت.

و سبب الحريق أنّ جاريه كانت تختضب ليلا، فأسندت شمعه إلى الخيش فاحترق، و علقّت النار منه فى الدار، و احترق فيها من زوجته السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حدّ له [١] من الجواهر، و الحلى، و الفرش، و الثياب، و أقيم الغسالون يخلّصون الذهب و ما أمكن تخليصه، و كان الجوهر جميعه قد هلك إلّا الياقوت الأحمر.

[١] عليه.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٥

و ترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها، و تطير منها، لأنّ أباه لم يتمتع بها، ثم احترق فيها، من أموالهم، الشىء العظيم، و احترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان، و هو من أعظم الجوامع و أحسنها، أحرقه قوم من الباطنية ليلا، و كان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع، و تجديد المكوس بالعراق، بإشارة الوزير السمرمى عليه بذلك، فتجدد من هذين الحريقين ما هاله، و اتعظ فأعرض عنه. و فيها، فى ربيع الآخر، انقضّ كوكب عشاء، و صار له نور عظيم، و تفرق منه أعمدة عند انقضاضه، و سمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة.

و فيها ظهر بمكة إنسان علوى، و أمر بالمعروف، فكثرت جمعه، و نازع أمير مكة ابن أبى هاشم، و قوى أمره، و عزم على أن يخطب لنفسه، فعاد ابن أبى هاشم و ظفر به، و نفاه عن الحجاز إلى البحرين، و كان هذا العلوى من فقهاء النظامية ببغداد. و فيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار، فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قرّر عليهم للسلطان عشرون [١] ألف دينار، و للخليفة أربعة آلاف دينار.

و فيها حضر السلطان محمود و أخوه الملك مسعود عند الخليفة، فخلع عليهما، و على جماعة من أصحاب السلطان، منهم: وزيره أبو طالب السمرمى، و شمس الملك عثمان بن نظام الملك، و الوزير أبو نصر أحمد بن محمّد بن حامد المستوفى، و على غيرهم من

الأمراء.

و فيها، فى ذى القعدة، و هو الحادى و العشرون من كانون الثانى، سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير، و بقى على الأرض خمسة عشر يوما، و سمكه ذراع، و هلكت أشجار النارج، و الأترج، و الليمون،

[١] عشرين.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٦

فقال فيه بعض الشعراء:

يا صدور الزمان ليس بوفرا رأيناه فى نواحي العراق

إنما عمّ ظلمكم سائر الخلق، فشابت ذوائب الآفاق و فيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام، فأهلكت كثيرا من الناس، و غيرهم من الحيوانات.

و فيها توفى أبو محمّد القاسم بن على بن محمّد بن عثمان الحريرى، صاحب المقامات المشهورة، و هزارسب بن عوض الهروى، و كان قد سمع الحديث كثيرا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٧

٥١٦ ثم دخلت سنة ست عشرة و خمسمائة

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود

و فى المحرم من هذه السنة أطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا [١]، و كان قد خرج عن طاعته، كما ذكرناه، و قصد أذربيجان فى السنة الخالية ليتغلب عليها، و كان أتاكبه كنتغدى يحسن له ذلك، و يقويه عليه، فاتفق أنه مرض، و توفى فى شوال سنة خمس عشرة [و خمسمائة].

و كان الأمير آقسنقر الأحمديلى، صاحب مراغة، عند السلطان محمود ببغداد، فاستأذنه فى المضى إلى إقطاعه، فأذن له، فلما سار عن السلطان ظن أنه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل، فسار إليه، و اجتمع به، و أشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود، و قال له: إذا وصلت إلى مراغة أتصل بك عشرة آلاف فارس و راجل. فسار معه، فلما وصلوا إلى أربيل أغلقت أبوابها دونهم، فساروا عنها إلى قريب تبريز، فأتاهم الخبر أن السلطان محمودا [١] سير الأمير جيوش بك إلى أذربيجان، و أقطعه البلاد، و أنه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان.

فلما تيقنوا ذلك عدلوا إلى خونج، و انتقض عليهم ما كانوا فيه، و راسلوا الأمير شيركير اللى كان أتاكبك طغرل، أيام أبيه، يدعونه إلى إنجادهم، و قد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه، ثم أطلقه

[١] محمود.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٨

السلطان سنجر، فعاد إلى إقطاعه، أبهر، و زنجان، و كاتبوه فأجابهم، و أتصل بهم، و سار معهم إلى أبهر، فلم يتم لهم ما أرادوا، فراسلوا السلطان بالطاعة، فأجابهم إلى ذلك، فاستقرت القاعدة أول هذه السنة، و تمت.

ذكر حال دبى بن صدقة و ما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [أو خمسمائة] حال ديبس بن صدقة، و صلحه على يد یرنقش الزكوى، و مقامه بالحلة، و عود یرنقش إلى السلطان و معه منصور بن صدقة، أخو ديبس، و ولده، رهينة، فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به، و راسل السلطان محمودا [١] في إبعاد ديبس عن العراق إلى بعض النواحي.

و تردّد الخطاب في ذلك، و عزم السلطان على المسير إلى همذان، فأعاد الخليفة الشكوى من ديبس، و ذكر أنه يطالب الناس بحقوقه، منها قتل أبيه، و أشار [٢] أن يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل، و يوليّه شحنة بغداد و العراق، و يجعله في وجه ديبس، ففعل السلطان ذلك، و أحضر البرسقي، فلما وصل إليه زوجته والده الملك مسعود، و جعله شحنة بغداد، و أمره بقتال ديبس إن تعرّض للبلاد.

و سار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة، و كان مقامه ببغداد سنة و سبعة أشهر و خمسة عشر يوما، فلما فارق بغداد و العراق تظاهر ديبس بأمر تأثر بها المسترشد بالله، و تقدّم إلى البرسقي بالمسير إليه، و إزاعجه عن الحلة، فأرسل البرسقي إلى الموصل، و أحضر عساكره، و سار إلى الحلة،

[١] محمود.

[٢] و أخبار.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٥٩٩

و أقبل ديبس نحوه، فالتقوا عند نهر بشير، شرقيّ الفرات، و اقتتلوا، فانهزم عسكر البرسقي. و كان سبب الهزيمة أنه رأى في مسيرته خلا، و بها الأمراء البكجيّة، فأمر بإلقاء خيمته، و أن تنصب عند الميسرة، ليقوى قلوب من بها، فلما رأوا الخيمة و قد سقطت ظلّوها عن هزيمة، فانهزموا، و تبعهم الناس و البرسقي.

و قيل: بل أعطى رقعة فيها: إن جماعة من الأمراء، منهم إسماعيل البكجيّ، يريدون الفتك به، فانهزم، و تبعه العسكر، و دخل بغداد ثاني ربيع الآخر، و كان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبي الجبر، و كان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه، خادم السلطان، لأنها كانت من جملة إقطاعه، و حضر أيضا المظفر بن حماد بن أبي الجبر، و بينهما عداوة شديدة، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك، فقتله المظفر و مضى [١] إلى واسط، و سار منها إلى البطيحة، و تغلب عليها و كاتب ديبسا و أطاعه. و أما ديبس فإنه لم يعرض لنهر ملك، و لا غيره، و أرسل إلى الخليفة أنه على الطاعة، و لو لا ذلك لأخذ البرسقيّ و جميع من معه، و سأل أن يخرج الناظر إلى القرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دخلها.

و كانت الوقعة في حزيران [٢]، و حمى البلد، فأحمد الخليفة فعله، و تردّدت الرسل بينهما، فاستقرت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة، فقبض على الوزير، و نهبت داره و دور أصحابه و المنتمين إليه، و هرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل.

و لما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة، أخى ديبس، و ولده، و رفعهما إلى قلعة برحين و هي تجاور كرج.

[١] و مضى.

[٢] حزيران.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٠

ثم إن ديبسا أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط، فساروا إليها، فمنعهم أتراك واسط، فجهّز ديبس إليهم عسكرا مقدّمهم مهلهل ابن أبي العسكر، و أرسل إلى المظفر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل و يساعده على قتال الواسطيين، فاتفقا

على أن تكون الوقعة تاسع رجب، و أرسل الواسطيون إلى البرسقى يطلبون منه المدد، فأمدّهم بجيش من عنده، و عجل مهلهل فى عسكر ديبس، و لم ينتظر المظفر ظنًا منه أنه بمفرده ينال منهم ما أراد [١]، و ينفرد بالفتح، فالتقى هو و الواسطيون، ثامن رجب، فانهزم مهلهل و عسكره، و ظفر الواسطيون، و أخذ مهلهل أسيرا و جماعة من أعيان العسكر، و قتل ما يزيد على ألف قتيل، و لم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد.

و أما المظفر بن أبى الجبر فإنه أصعد من البطيحة و نهب و أفسد، و جرى من أصحابه القبيح، فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة، فعاد منحدرًا.

و كان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط ديبس يأمره فيها بقبض المظفر بن أبى الجبر و مطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة، فأرسلوا الخط إلى المظفر، و قالوا: هذا خط الذى تختاره، و قد أسخطت الله تعالى و الخلق كلهم لأجله، فمال إليهم و صار معهم، فلما جرى على أصحاب ديبس من الواسطيين ما ذكرناه شمر عن ساعده [٢] فى الشر، و بلغه أن السلطان كحل أخاه، فجزّ شعره، و لبس السواد، و نهب البلاد، و أخذ كل ما للخليفة بنهر الملك، فأجلى الناس إلى بغداد. و سار عسكر واسط إلى التعماتية، فأجلوا عنها عسكر ديبس و استولوا

[١] أرادوا.

[٢] ساعد.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠١

عليها، و جرى بينهم هناك وقعة كان الظفر [فيها] للواسطيين، و تقدّم الخليفة إلى البرسقى بالتبريز إلى حرب ديبس، فبرز فى رمضان، و كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل السّيرميّ

و فى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السّيرميّ، وزير السلطان محمود، سلخ صفر، و كان قد برز مع السلطان ليسير إلى همدان، فدخل إلى الحمّام، و خرج بين يديه الرجالة و الخيالة، و هو فى موكب عظيم، فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين التّشّسى، و اجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر الشوك، فتقدّم أصحابه لضيق الموضع، فوثب عليه باطنى و ضربه بسكين، فوقع فى البغلة، و هرب إلى دجلة، و تبعه الغلمان، فخلا الموضع، فظهر رجل آخر فضربه بسكين فى خاصرته، و جذبه عن البغلة إلى الأرض، و ضربه عدّة ضربات.

و عاد أصحاب الوزير، فحمل عليهم رجالان باطّيان، فانهزموا منهما، ثم عادوا و قد ذبح الوزير مثل الشاة، فحمل قتيلًا و به نيف و ثلاثون جراحه، و قتل قاتلوه.

و لما كان فى الحمّام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج، فقالوا:

هذا وقت جيّد، و إن تأخرت يفت [١] طالع السعد، فأسرج و ركب، و أراد أن يأكل طعامًا، فمنعوه لأجل الطالع، فقتل و لم ينفعه قولهم.

و كانت وزارته ثلاث سنين و عشرة أشهر، و انتهب ماله، و أخذ السلطان

[١] يفوت.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٢

خزانتته، ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك، وكانت زوجته السيميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير، معها نحو مائة جارية، وجمع من الخدم، والجميع بمراكب الذهب، فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات، وقد تبدلن بالعز هوانا، و بالمسرة أحرانا. فسبحان من لا يزول ملكه [١].

و كان السيميرمي ظالما، كثير المصادرة للناس، سيئ السيرة، فلما قتل أطلق السلطان ما كان جدده من المكوس، و ما وضعه على التجار و الباعة.

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة و نيابة علي بن طراد

في جمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة، و قد تقدم ذكره قبل، و أقيم نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة، فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك، و كان أخو شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود، فأجيب إلى ذلك، و استوزر في شعبان.

و كان قد وزر للسلطان محمد سنة خمس مائة، ثم عزل، و لزم دارا استجدها ببغداد إلى الآن. فلما خلع على نظام الملك، و جلس في الديوان، طلب أن يخرج ابن صدقة عن بغداد، فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يسير إلى حديثه عانه ليكون عند الأمير سليمان بن مهارش، فأجيب إلى ما طلب.

و سار إلى الحديثه، فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدى التركمان يقال

[١] مالكا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٣

له يونس الحرامى، فأسره و نهب أصحابه، فخاف الوزير أن يعلم دبس فأرسل إلى يونس و بذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما، فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يعجل منها ثلاثمائة، و يؤخر الباقي إلى أن يرسله من الحديثه.

و راسل عامل بلد الفرات في تخليصه، و إنفاذ من يضمن الباقي الذى عليه، فأعمل العامل الحيلة في ذلك، فأحضر إنسانا فلاحا و ألبسه ثيابا فاخرة و طيلسانا، و أركبه و سير معه غلمانا، و أمره أن يمضى إلى يونس و يدعى أنه قاضى بلد الفرات، و يضمن الوزير منه بما بقى [١] من المال، فسار السوادى إلى يونس، فلما حضر عند الوزير و يونس احتراماه، و ضمن السوادى الوزير منه، و قال له: أقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير، فاعتقد يونس صدق ذلك و أطلق الوزير و معه جماعة من أصحابه، فلما وصل الحديثه قبض على من معه منهم، فأطلق يونس ذلك السوادى، و المال الذى أخذه، حتى أطلق الوزير أصحابه، و علم الحيلة التي تمت عليه.

و لما سار الوزير من عند يونس لقي إنسانا أنكره، فأخذه، فرأى معه كتابا من دبس إلى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير إليه، و كان خلاصه من أعجب الأشياء.

ذكر قتل جيوش بك

في هذه السنة قتل الأمير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل، و قد ذكرنا خروجه على السلطان محمود، و عوده إلى خدمته، فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان

[١] باقى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٤

و جعله مقدّم عسكره، فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرةً و منازعات، فأغروا به السلطان، فقتله فى رمضان على باب تبريز. و كان تركيا من مماليك السلطان محمّد، عادلاً، حسن السيرة، و لَمَّا ولى الموصل و الجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا، و كثر فسادهم، و كثر قلاعهم، و الناس معهم فى ضيق، و الطريق خائفه، فقصدهم، و حصر قلاعهم، و فتح كثيراً منها ببلد الهكاريّة، و بلد الرّوزان، و بلد البشنويّة، و خافه الأكراد، و تولّى قصدهم بنفسه، فهربوا منه فى الجبال و الشعاب و المضائق، و أمنت الطرق، و انتشر الناس و اطمأنوا، و بقى الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته.

ذكر وفاة إيلغازى و أحوال حلب بعده

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، توفّى إيلغازى بن أرتق بميافارقين، و ملك ابنه حسام الدين تمرناش قلعةً ماردين، و ملك ابنه سليمان ميافارقين، و كان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق، فبقى بها إلى أن أخذها ابن عمّه.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة أقطع السلطان محمود الأمير آقسنقر البرسقى مدينةً واسط و أعمالها، مضافاً إلى ولاية الموصل و غيرها ممّا بيده، و شحنيّة العراق، فلَمَّا أقطعها البرسقى سبّر إليها عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى كان والده

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٥

صاحب حلب، و أمره بحمايتها، فسار إليها فى شعبان و وليها، و قد ذكرنا أخبار زنكى فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه و ملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن، فينظر منه.

و فيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين.

و فيها زاد الفرات زيادةً عظيمةً لم يعهد مثلها، فدخل الماء إلى ريبض قلعة جعبر، و كان الفرات، حينئذ، بالقرب منها، فغرق أكثر دوره و مساكنه، و حمل فرسا من الربض و ألقاه من فوق السور إلى الفرات.

و فيها بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعى.

و فيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود.

و فيها، فى شعبان، قدم إلى بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى و عقد مجلس الوعظ فى جميع المواضع، و ورد بعده أبو القاسم على بن يعلى العلوى، و نزل رباط شيخ الشيوخ، فوعظ فى جامع القصر، و التاجيّة، و رباط سعادة، و صار له قبول عند الحنابلة، و حصل له مال كثير لأنّه أظهر موافقتهم.

و ورد بعده أبو الفتوح الأسفراينى، و نزل برباط شيخ الشيوخ أيضاً، و وعظ فى هذه المواضع، و فى النّظاميّة، و أظهر مذهب الأشعرى، فصار له قبول كثير عند الشافعيّة، و حضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله، و سلّم إليه رباط الأرجونيّة، والده المقتدى بالله، بدرب زاخى.

و فيها توفّى عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمّد السمرقندى، أخو أبى القاسم بن السمرقندى، و مولده بدمشق سنة أربع و أربعين و أربعمائه، و نشأ ببغداد، و سمع الصريفينى و ابن النقور و غيرهما، و سافر الكثير، و كان حافظاً

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٦

للحديث عالماً به.

و فى ذى الحجّة توفّى عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو طالب، و مولده سنة ستّ و ثلاثين و أربعمائه، و

سمع البرمكي، والجوهري، والعشاري، و كان ثقة، حافظا للحديث.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٧

٥١٧ ثم دخلت سنة سبع عشرة و خمسمائة

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب ديبس

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله، و بين ديبس بن صدقة.

و كان سبب ذلك: أن ديبسا أطلق عفيفا خادما للخليفة، و كان مأسورا عنده، و حمله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقي إلى قتاله، و تقويته بالمال، و أن السلطان كحل أخاه، و بالغ في الوعيد [١]، و لبس السواد، و جزّ شعره، و حلف لينهين بغداد، و يخربها، فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة، و غضب، و تقدّم إلى البرسقي بالتبريز إلى حرب ديبس، فبرز في رمضان سنة ست عشرة [و خمسمائة]. و تجهّز الخليفة، و برز من بغداد، و استدعى العساكر، فأتاه سليمان بن مهارش، صاحب الحديث، في عقيل، و أتاه قرواش بن مسلم، و غيرهما، و أرسل ديبس إلى نهر ملك فنهب، و عمل أصحابه كلّ عظيم من الفساد، فوصل أهله إلى بغداد، فأمر الخليفة فنودي ببغداد لا يتخلف من الأجناد أحد، و من أحبّ الجنديّة من العامّة فليحضر، فجاء خلق كثير، ففرّق فيهم الأموال و السلاح.

[١] الوعد.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٨

فلما علم ديبس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه و يسأله الرضا عنه، فلم يجب إلى ذلك، و أخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذي الحجة من سنة ست عشرة [و خمسمائة]، فنأدى أهل بغداد: النفير النفير، الغزاة الغزاة! و كثر الضجيج من الناس، و خرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة، و برز الخليفة رابع عشر ذي الحجة، و عبر دجلة و عليه قباء أسود، و عمامة سوداء، و طرحه، و على كتفه البردة، و في يده القضيب، و في وسطه منقطة حديد صيني، و نزل الخيام و معه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك، و نقيب الطالبين، و نقيب النقباء علي بن طراد، و شيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل و غيرهم من الأعيان.

و كان البرسقي قد نزل بقرية جهار طاق، و معه عسكره، فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا إلى خدمته، فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم، و قبلوا الأرض بالبعد منه.

و دخلت هذه السنة، فنزل الخليفة، مستهلاً المحرم، بالحديثة، بنهر الملك، و استدعى البرسقي و الأمراء، و استحلّفهم على المناصحة في الحرب، ثم ساروا إلى النيل، و نزلوا بالمباركة، و عبأ البرسقي أصحابه، و وقف الخليفة من وراء الجميع في خاصته، و جعل ديبس أصحابه صفًا واحداً، ميمنة، و ميسرة، و قلبا، و جعل الرجال بين يدي الخيالة بالسلاح، و كان قد وعد أصحابه بنهب بغداد، و سبي النساء، فلما تراءت الفتان بادر أصحاب ديبس، و بين أيديهم الإمام يضر بن بالدوف، و المخانيث بالملاهي، و لم ير في عسكر الخليفة غير قارئ، و مسبح، و داع، فقامت الحرب على ساق.

و كان مع أعلام الخليفة الأمير كرابوي بن خراسان، و في الساقة سليمان ابن مهارش، و في ميمنة عسكر البرسقي الأمير أبو بكر بن إلياس مع الأمراء البكجيّة، فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر ديبس على ميمنة

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٠٩

البرسقي، فتراجعت على أعقابها، و قتل ابن أخ للأمير أبي بكر البكجي، و عاد عنتر و حمل حملة ثانية على هذه الميمنة، فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الأول، فلما رأى عسكر واسط ذلك، و مقدّمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر، حمل و هم معه

على عنتر و من معه، و أتوهم من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط، و عماد الدين و عسكر واسط من ورائه، و الأمراء البكجية بين يديه، فأسر عنتر، و أسر معه بريك بن زائدة و جميع من معهما و لم يفلت أحد.

و كان البرسقى واقفا على نشز من الأرض، و كان الأمير آق بورى فى الكمين فى خمسمائة فارس، فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر ديبس، فانهمزوا جميعهم و ألقوا نفوسهم فى الماء، فغرق كثير منهم، و قتل كثير.

و لما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرّد سيفه و كبر و تقدّم إلى الحرب، فلما انهزم عسكر ديبس و حملت الأسرى إلى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا.

و كان عسكر ديبس عشرة آلاف فارس، و اثنى عشر ألف راجل، و عسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس، و خمسة آلاف راجل، و لم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا، و حصل نساء ديبس و سراريه تحت الأسر سوى بنت إيلغازى، و بنت عميد الدولة بن جهير، فإنه كان تركهما فى المشهد.

و عاد الخليفة إلى بغداد، فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة. و لما عاد الخليفة إلى بغداد ثار العامة بها، و نهبوا مشهد باب التبن، و قلعوا أبوابه، فأنكر الخليفة ذلك، و أمر نظر أمير الحاج بالركوب إلى المشهد، و تأديب من فعل ذلك، و أخذ ما نهب، ففعل و أعاد البعض و خفى الباقي عليه.

و أما ديبس بن صدقة فإنه لما انهزم نجا بفرسه و سلاحه، و أدركته

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٠

الخيال، فقاتها و عبر الفرات، فرأته امرأة عجوز و قد عبر، فقالت له:

ديبر جئت؟ فقال: دبير من لم يجى. و اختفى خبره بعد ذلك، و أرجف عليه بالقتل، ثم ظهر أمره أنه قصد غزيه من عرب نجد، فطلب منهم أن يحالفوه، فامتنعوا عليه و قالوا: إنا نسخط الخليفة و السلطان، فرحل إلى المنتفق، و اتفق معهم على قصد البصرة و أخذها، فساروا إليها و دخلوها، و نهبوا أهلها، و قتل الأمير سخت كمان مقدّم عسكرها، و أجلى أهلها.

فأرسل الخليفة إلى البرسقى يعاتبه على إهماله أمر ديبس، حتى تم له من أمر البصرة ما أخرجها، فتجهز البرسقى للانحدار إليه، فسمع ديبس ذلك، ففارق البصرة، و سار على البر إلى قلعة جعبر، و التحق بالفرنج، و حضر معهم حصار حلب، و أطمعهم فى أخذها، فلم يظفروا بها، فعادوا عنها، ثم فارقهم و التحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد، فأقام معه، و حسن له قصد العراق، و سذكه سنة تسع و عشرين [و خمسمائة]، إن شاء الله تعالى.

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب

فى هذه السنة، فى صفر، ملك الفرنج حصن الأثارب، من أعمال حلب.

و سبب ذلك: أنهم كانوا قد أكثروا قصد حلب و أعمالها بالإغارة، و التخريب، و التحريق، و كان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن أرتق، و هو صاحبها، و لم يكن له بالفرنج قوّة، و خافهم، فهادنهم على أن يسلم الأثارب و يكفوا عن بلاده، فأجابوه إلى ذلك، و تسلّموا الحصن، و تميّت الهدنة بينهم، و استقام أمر الرعيّة بأعمال حلب، و جلبت إليهم الأقوات و غيرها، و لم تزل الأثارب بأيدي الفرنج إلى أن ملكها أتابك زكى بن آقسنقر، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١١

ذكر ملك بلخ حرّان و حلب

فى هذه السنة، فى ربيع الأول، ملك بلخ بن بهرام مدينة حرّان، و كان قد حصرها، فلما ملكها سار منها إلى مدينة حلب.

و سبب مسيره إليها: أنه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الأثارب إلى الفرنج، فعظم ذلك عليه، و علم عجزه عن حفظ بلاده، فقوى طمعه في ملكها، فسار إليها، و نازلها في ربيع الأول، و ضايقها، و منع الميرة عنها، و أحرق زروعها، فسلم إليه ابن عمه البلد و القلعة بالأمان، غرة جمادى الأولى من السنة، و تزوج ابنه الملك رضوان، و بقي مالكا لها إلى أن قتل على ما نذكره.

ذكر الحرب بين الفرنج و المسلمين بإفريقية

قد ذكرنا أن الأمير علي بن يحيى، صاحب إفريقية، لما استوحش من رجار صاحب صقلية، جدد الأسطول الذي له، و كثر عدده و عدده، و كاتب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية، فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله.

فاتفق أن عليا مات سنة خمس عشرة [و خمسمائة]، و ولي ابنه الحسن، و قد ذكرناه. فلما دخلت سنة ست [عشرة و خمسمائة] سیر أمير المسلمين أسطولا، ففتحوا نقوطرة «١» بساحل بلاد قلوورية، فلم يشك رجار أن عليا

(١). بقوطره. doC

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٢

كان سبب ذلك، فجدد في تعمير الشوانى و المراكب، و حشد فأكثر، و منع من السفر إلى إفريقية و غيرها من بلاد الغرب، فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله، قيل: كان ثلاثمائة قطعة، فلما انقطعت الطريق عن إفريقية توقع الأمير الحسن بن علي خروج العدو إلى المهديّة، فأمر باتخاذ العدد، و تجديد الأسوار، و جمع المقاتلة، فأتاه من أهل البلاد و من العرب جمع كثير.

فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [و خمسمائة] سار الأسطول الفرنجى في ثلاثمائة قطعة، فيها ألف فرس و فرس واحد، إلّا أنهم لما ساروا من مرسى علي فزقتهم الرياح، و غرق منهم مراكب كثيرة، و نازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحوها، و قتلوا من بها، و سبوا و غنموا، و ساروا عنها «١»، فوصلوا إلى إفريقية، و نزلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الأولى، فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك، و الديماس حصن منيع، في وسطه حصن آخر، و هو مشرف على البحر.

و سیر الحسن من عنده من الجموع إلى الفرنج، و أقام هو بالمهديّة في جمع آخر يحفظها، و أخذ الفرنج حصن الديماس، و جنود المسلمين محيطة بهم، فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل، فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الأرض، و كبروا، فوق الرعب في قلوب الفرنج، فلم يشكوا أن المسلمين يهجمون عليهم، فبادروا إلى شوانيهم، و قتلوا بأيديهم كثيرا من خيولهم، و غنم المسلمون منها أربعمائه فرس، و لم يسلم معهم غير فرس واحد، و غنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج، و قتلوا كل من عجز عن الطلوع إلى المراكب.

فلما صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدر على النزول

(١). Irama. lbib

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٣

إلى الأرض، فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا و المسلمون يكبرون عليهم و يصيحون بهم، و أقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يحصون كثرة، فحصره، فلم يمكنهم فتحه لحصانته و قوته، فلما عدم الماء على من به من الفرنج، و ضجروا من مواصلة القتال ليلا- و نهارا، فتحوا باب الحصن و خرجوا، فقتلوا عن آخرهم، و ذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة، و كانت مدة إقامتهم في الحصن ستة عشر يوما.

ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البشري إلى سائر البلاد، وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثرُوا، تركنا ذلك خوف التطويل.

ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت وأخذها منهم

في هذه السنة، في ربيع الأول، استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر. وسبب ذلك: أن بلك بن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت، فحصر قلعة كركر، وهي تقارب خرتبرت، فسمع الفرنج بالشام الخبر، فسار بغدوين ملك الفرنج في جموعه إليه ليرحله عنها، خوفاً أن يقوى بملكها، فلما سمع بلك بقربه منه رحل إليه، والتقى في صفر، واقتتلا، فانهزم الفرنج، وأسر ملكهم و معه جماعه من أعيان فرسانهم، وسجنهم بقلعة خرتبرت، وكان بالقلعة أيضاً جوسلين، صاحب الرها، وغيره من مقدمى الفرنج كان قد أسره سنه خمس عشرة [وخمسمائة]، و سار بلك عن خرتبرت إلى حران في ربيع الأول فملكها، فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند، فظهروا و ملكوا القلعة.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٤

فأما الملك بغدوين فإنه اتخذ الليل جملاً و مضى [١] إلى بلاده، و اتصل الخبر بملك صاحبها، فعاد في عساكره إليها و حصرها، و ضيق على من بالقلعة، و استعادها من الفرنج، و جعل فيها من الجند من يحفظها، و عاد عنها.

ذكر قتل وزير السلطان و عود ابن صدقة إلى وزارة الخليفة

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك و قتله. وسبب ذلك: أنه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج، و خالفه، و كانت الخيرة في مخالفته، تغير عليه، و ذكره أعداؤه بالسوء [٢]، و تبهوا على تهوره، و قلته تحصيله و معرفته بمصالح الدولة، ففسد رأى السلطان فيه. ثم إن الشهاب أبا المحاسن، وزير السلطان سنجر، كان قد توفى، و هو ابن أخى نظام الملك، و وزر بعده أبو طاهر القمى، و هو عدو للبيت النظامى، فسعى مع السلطان سنجر، حتى أرسل إلى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك، فصادف وصول الرسول و هو متغير عليه، فقبض عليه و سلمه إلى طغايك، فبعثه إلى بلده خلخال، فحبسه فيها. ثم إن أبا نصر المستوفى، الملقب بالعزیز، قال للسلطان محمود: لا تأمن أن يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير، و متى اتصل به لا تأمن شراً يحدث منه. و كان بينهما عداوة، فأمر السلطان بقتله، فلما دخل عليه السيف ليقته

[١] و مضى.

[٢] أسوأ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٥

قال: أمهلنى حتى أصلى ركعتين، ففعل، فلما صلى جعل يرتعد، و قال للسيف: سيفى أجود من سيفك، فاقتلنى به و لا تعدبنى، فقتل ثانى جمادى الآخرة. فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته، و أعاد جلال الدين أبا على بن صدقة إلى الوزارة، و أقام نظام الدين بالمشمة التي في المدرسة النظامية ببغداد.

و أما العزيز المستوفى فإنه لم تطل أيامه حتى قتل، على ما نذكره، جزاء لسعيه في قتل الوزير.

ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج

في هذه السنة اشتدّت نكاية الكرج في بلد الإسلام، و عظم الأمر على الناس، لا سيّما أهل دربند شروان، فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان، و شكوا إليه ما يلقون منهم، و أعلموه بما هم عليه من الضعف و العجز عن حفظ بلادهم، فسار إليهم و الكرج قد وصلوا إلى شماخي، فنزل السلطان في بستان هناك، و تقدّم الكرج إليه، فخافهم العسكر خوفا شديداً. و أشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود [من] هناك، فلمّا سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان و قالوا له: نحن نقاتل ما دمت [١] عندنا، و إن تأخرت عنّا ضعفت نفوس المسلمين و هلكوا، فقبل قولهم، و أقام بمكانه. و بات العسكر على وجل عظيم، و هم بتية المصافّ، فأتاهم الله بفرج من

[١] مهما أنت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٦

عنده، و ألقى بين الكرج و قفجاق اختلافا و عداوة، فاقتتلوا تلك الليلة، و رحلوا شبه المنهزمين، و كفى الله المؤمنين القتال، و أقام السلطان بشروان مدّة، ثم عاد إلى همدان فوصلها في جمادى الآخرة.

ذكر الحرب بين المغاربة و عسكر مصر

في هذه السنة وصل جمع كثير من لواته من الغرب إلى ديار مصر، فأفسدوا [١] فيها و نهبوا، و عملوا أعمالا شنيعة، فجمع المأمون بن البطائحي، الذي وزر بمصر بعد الأفضل، عسكر مصر، و سار إليهم فقاتلهم فهزمهم، و أسر منهم و قتل خلقا كثيرا، و قرّر عليهم خرجا معلوما كلّ سنة يقومون به، و عادوا إلى بلادهم، و عاد المأمون إلى مصر مظفّرا منصورا.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد، و أن يجبي ما يخرج عليه من البلد، فشقّ ذلك على الناس، و جمع من ذلك مال كثير، فلمّا علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أخذ منهم، فسروا بذلك، و كثر الدعاء له. و قيل: إنّ الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار، و قال: نقسّط الباقي على أرباب الدولة.

[١] فاسدوا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٧

و كان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه، و كانوا يتناوبون العمل: يعمل أهل كلّ محلّة منفردين بالطبول و الزّمور، و زيّنوا البلد، و عملوا فيه القباب.

و فيها عزل نقيب العلويين، و هدمت دار عليّ بن أفلح، و كان الخليفة يكرمه، فظهر أنّهما عين لدييس يطالعانه بالأخبار، و جعل الخليفة نقابة العلويين إلى عليّ بن طراد، نقيب العبّاسيين.

و فيها جمع الأمير بلڪ عساكره و سار إلى غزاة بالشام، فلقية الفرنج، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج و قتل منهم و أسر بشر كثير من مقدّمهم و رجالتهم.

و فيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد، و كان أكثره بالعراق، فبلغ ثمن كارة الدقيق الخشكار ستّة دنانير و عشرة قراريط، و تبع ذلك موت كثير، و أمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس.

و فيها، في صفر، توفي قاسم بن أبي هاشم العلويّ الحسنيّ أمير مكّة، و ولي بعده ابنه أبو فليته، و كان أعدل منه، و أحسن السيرة،

فأسقط المكوس، وأحسن إلى الناس.
 وفيها توفي عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبي علي الحداد الأصبهاني، و مولده سنة ثلاث و ستين و أربعمائه، و هو من أعيان المحدثين، سافر الكثير في طلب الحديث.
 وفيها سار طغتكين، صاحب دمشق، إلى حمص، فهجم [على] المدينة و نهبها و أحرق كثيرا منها و حصرها، و صاحبها قرجان «١» بالقلعة، فاستمد صاحبها طغان أرسلان، فسار إليه في جمع كثير، فعاد طغتكين إلى دمشق.
 وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج، فاقتلوا، و كان الظفر للبنادقة، و أخذ من أسطول مصر عدة قطع، و عاد الباقي سالما.

(١).؟ حرخان. ddoC

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٨
 وفيها سار الأمير محمود بن قراجه، صاحب حماة، إلى حصن أفاية، فهجم على الربض بغتة، فأصابه سهم من القلعة في يده، فاشتد ألمه، فعاد إلى حماة، و قلع الزجج من يده، ثم عملت عليه، فمات منه، و استراح أهل عمله من ظلمه و جوره، فلمّا سمع طغتكين، صاحب دمشق، الخبر سار إلى حماة عسكريا، فملكها و صارت في جملة بلادها، و رتب فيها واليا و عسكريا لحمايتها.
 الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦١٩

٥١٨ ثم دخلت سنة ثمانى عشرة و خمسمائة

ذكر قتل بلك بن بهرام بن أرتق و ملك تمرناش [١] حلب

في هذه السنة، في صفر، قبض بلك بن بهرام بن أرتق، صاحب حلب، على الأمير حسّان البعلبكي، صاحب منبج، و سار إليها فحصرها، فملك المدينة، و حصر القلعة، فامتنت عليه، فسار الفرنج إليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى بأخذها، فلمّا قاربوه ترك على القلعة من يحصرها، و سار في باقي عسكريه إلى الفرنج، فلقبهم و قاتلهم، فكسرهم و قتل منهم خلقا كثيرا، و عاد إلى منبج فحصرها، فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله، لا يدري من رماه، و اضطرب عسكريه و تفرّقوا، و خلص حسّان من الحبس، فكان حسام الدين تمرناش [١] بن إيلغازي بن أرتق مع ابن عمه بلك، فحملة مقتولا- إلى ظاهر حلب، و تسلّمها في العشرين من ربيع الأوّل من هذه السنة، و زال الحصار عن قلعة منبج، و عاد إليها صاحبها حسّان، و استقرّ تمرناش بحلب و استولى عليها.
 ثم إنّه جعل فيها نائبا له يثق به [٢]، و رتب عنده ما يحتاج إليه من جند و غيرهم و عاد إلى ماردين، لأنّه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج، و كان رجلا يحبّ الدعة و الرفاهة، فلمّا عاد إلى ماردين أخذت حلب منه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

[١] تمرناش.

[٢] إليه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٠

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر، و لم تزل كذلك إلى سنة ست و خمسمائة، فكان بها وال من جهة الأفضل أمير الجيوش،

وزير الأمر بأحكام الله العلوي، يلقب عز الملك، و كان الفرنج قد حصروها، و ضيقوا عليها، و نهبوا بلدها غير مرة، فلما كانت سنة ست تجهز ملك الفرنج، و جمع عساكره ليسيير إلى صور، فخافهم أهل صور، فأرسلوا إلى أتابك طغتكين، صاحب دمشق، يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولاهم و يحميهم، و يكون البلد له، و قالوا له: إن أرسلت إلينا والياً، و عسكراً، و إلّا سلّمنا البلد إلى الفرنج، فسيّر إليهم عسكراً، و جعل عندهم والياً اسمه مسعود، و كان شهماً، شجاعاً، عارفاً بالحرب و مكايدها، و أمده بعسكر، و سيّر إليهم ميرةً و مالا [١] فزقه فيهم.

و طابت نفوس أهل البلد، و لم تغير الخطبة للأمر، صاحب مصر، و لا السكّة، و كتب إلى الأفضل بمصر يعزّفه صورة الحال، و يقول: متى وصل إليها من مصر من يتولّاها، و يذبّ عنها، سلّمتها إليه، و يطلب أنّ الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال و القوّة. فشكره الأفضل على ذلك، و أثنى عليه، و صوّب رأيه فيما فعله، و جهّز أسطولا، و سيّره إلى صور، فاستقامت أحوال أهلها. و لم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة، بعد قتل الأفضل، فسيّر إليها أسطول، على جاري العادة، و أمروا المقدم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين، و يقبض عليه، و يتسلّم البلد منه. و كان السبب في ذلك: أنّ أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الأمر بأحكام

[١] و ملا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢١

الله، صاحب مصر، بما يعتمده من مخالفتهم، و الإضرار بهم، ففعلوا ذلك، و سار الأسطول فأرسي [١] عند صور، فخرج مسعود إليه للسلام على المقدم عليه، فلما صعد إلى المركب الذي فيه المقدم اعتقله، و نزل البلد، و استولى عليه، و عاد الأسطول إلى مصر، و فيه الأمير مسعود، فأكرم و أحسن إليه، و أعيد إلى دمشق.

و أمّا الوالي من قبل المصريّين فإنه طيب قلوب الناس، و راسل طغتكين يخدمه بالدعاء و الاعتضاد، و أنّ سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود، فأحسن طغتكين الجواب، و بذل من نفسه المساعدة.

و لما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها، و حدّثوا نفوسهم بملكها، و شرعوا في الجمع و التأهب للنزول عليها و حصرها، فسمع الوالي بها للمصريّين الخبر، فعلم أنّه لا قوّة له، و لا طاقة على دفع الفرنج عنها، لقلّة من بها من الجند و الميرة، فأرسل إلى الأمر بذلك، فرأى أن يردّ ولاية صور إلى طغتكين، صاحب دمشق، فأرسل إليه بذلك، فملك صور، و رتب بها من الجند و غيرهم ما ظنّ فيه كفاية.

و سار الفرنج إليهم و نزلوهم في ربيع الأوّل من هذه السنة، و ضيقوا عليهم، و لازموا القتال، فقلّت الأوقات، و سئم من بها القتال، و ضعفت نفوسهم، و سار طغتكين إلى بانياس ليقرب منهم، و يذبّ عن البلد، و لعلّ الفرنج إذا رأوا قربهم رحلوا، فلم يتحرّكوا، و لزموا الحصار، فأرسل طغتكين إلى مصر يستنجدهم، فلم ينجدوه، و تمادت الأيام، و أشرف أهلها على الهلاك، فراسل حينئذ طغتكين، صاحب دمشق، و قرّر الأمر على أن يسلم المدينة إليهم، و يمكّنوا من بها من الجند و الرعيّة من الخروج

[١] فأرسا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٢

منها بما يقدر عليهم من أموالهم و رحالهم و غيرها، فاستقرت القاعدة على ذلك، و فتحت أبواب البلد، و ملكه الفرنج، و فارقه أهله، و تفرّقوا في البلاد، و حملوا ما أطاقوا، و تركوا ما عجزوا عنه، و لم يعرض الفرنج لأحد منهم، و لم يبق إلّا الضعيف عجز عن الحركة. و ملك الفرنج البلد في الثالث و العشرين من جمادى الأولى من السنة، و كان فتحه و هنا عظيماً على المسلمين، فإنّه من أحصن البلاد

و أمنعها، فالله يعيده إلى الإسلام، و يقر أعين المسلمين بفتحها، بمحمد وآله.

ذكر عزل البرسقي عن شحكيّة العراق و ولاية یرنقش الزكوي

في هذه السنة عزل البرسقي عن شحكيّة العراق، و وليها سعد الدولة یرنقش الزكوي. و سبب ذلك، أنّ البرسقي نفر عنه المسترشد بالله، فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقي عن العراق و يعيده إلى الموصل، فأجابه السلطان إلى ذلك، و أرسل إلى البرسقي يأمره بالعود إلى الموصل، و الاشتغال بجهاد الفرنج، فلمّا علم البرسقي الخبر شرع في جباية الأموال، و وصل نائب یرنقش، فسلم إليه البرسقي الأمر، و أرسل السلطان ولدا له صغيرا مع أمه إلى البرسقي ليكون عنده، فلمّا وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر و المواكب إلى لقائه، و حملت له الإقامة، و كان يوم دخوله يوما مشهودا، و تسلّمه البرسقي، و سار إلى الموصل، و هو و والدته معه. و لمّا سار البرسقي إلى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيّره البرسقي إليها ليحميها، فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس، و لم يزل

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٣

يقصد العرب و يقاتلهم في حلهم، حتّى أبعدهوا إلى البر، فأرسل إليه البرسقي يأمره باللحاق به، فقال لأصحابه: قد ضجرنا ممّا نحن فيه: كلّ يوم للموصل أمير جديد، و نريد نخدمه، و قد رأيت أن أسير إلى السلطان فأكون معه، فأشاروا عليه بذلك، فسار إليه، فقدم عليه بأصبهان فأكرمه، و أقطعه البصرة و أعاده إليها.

ذكر ملك البرسقي مدينة حلب

في هذه السنة، في ذي الحجّة، ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب و قلعتها. و سبب ذلك: أنّ الفرنج لثما ملكوا مدينة صور، على ما ذكرناه، طمعوا، و قويت نفوسهم، و تيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام، و استكثروا من الجموع، ثم وصل إليهم ديبس بن صدقة، صاحب الحلّة، فأطعمهم طمعا ثانيا، لا سيّما في حلب، و قال لهم: إنّ أهلها شيعة، و هم يميلون إليّ لأجل المذهب، فمتى رأوني سلّموا البلد إليّ. و بذل لهم على مساعدته بدولا كثيرة، و قال: إنّني أكون هاهنا نائبا عنكم و مطيعا لكم. فساروا معه إليها و حصروها، و قاتلوا قتالا شديدا، و وطّنا نفوسهم على المقام الطويل، و أنّهم لا يفارقونها حتّى يملكوها، و بنوا البيوت لأجل البرد و الحرّ.

فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم، و خافوا الهلاك، و ظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن و العجز، و قلت الأوقات عندهم، فلمّا رأوا ما دفعوا إليه من هذه الأسباب، أعملوا الرأي في طريق يتخلّصون به، فأرأوا أنّه ليس لهم غير البرسقي، صاحب الموصل، فأرسلوا [١] إليه يستنجدونه و يسألونه

[١] فأرسل.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٤

المجىء إليهم ليسلّموا البلد إليه. فجمع عساكره و قصدهم، و أرسل إلى من بالبلد، و هو في الطريق، يقول: إنّني لا أقدر على الوصول إليكم، و الفرنج يقاتلونكم، إلّا إذا سلّمتم القلعة إلى نوابي، و صار أصحابي فيها، فإنّني لا أدري ما يقدره الله تعالى إذا أنا لقيت الفرنج، فإن انهزمت منهم و ليست حلب بيد أصحابي حتّى أحتمي أنا و عسكري بها، لم يبق منّا أحد، و حينئذ تؤخذ حلب و غيرها. فأجابوه إلى ذلك، و سلّموا القلعة إلى نوابه، فلمّا استقرّوا فيها، و استولوا عليها، سار في العساكر التي معه، فلمّا أشرف عليها رحل

الفرنج عنها، و هو يراهم، فأراد من في مقدّمه عسكره أن يحمل عليهم، فمنعهم هو بنفسه، و قال: قد كفينا شرهم، و حفظنا بلدنا منهم، و المصلحة تركهم حتى يتقرّر أمر حلب و نصلح حالها و نكثر ذخائرها، ثم حينئذ نقصدهم و نقاتلهم. فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب و لقوة، و فرحوا به، و أقام عندهم حتى أصلح الأمور و قررها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الأمطار في العراق، و الموصل، و ديار الجزيرة، و الشام، و ديار بكر، و كثير من البلاد، فقلّت الأوقات، و غلت الأسعار في جميع البلاد، و دام إلى سنة تسع عشرة [و خمسمائة].

و فيها وصل منصور بن صدقة أخو ديبس إلى بغداد تحت الاستظهار، فمرض بها، فأحضر الخليفة الأطباء و أمرهم بمعالجته، و أحضره عنده، و جعل في حجره، و أدخل أصحابه إليه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٥

و فيها سار ديبس من الشام، بعد رحيله عن حلب، و قصد الملك طغرل، فأغراه بالخليفة، و أطمعه في العراق، و كان ما نذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالى.

و فيها مات الحسن بن الصباح، مقدّم الإسماعيلية، صاحب ألموت، و قد تقدّم من أخباره ما يعلم به محله من الشجاعة و الرأى و التجربة.

و فيها أيضا توفّي داود ملك الأبخاز، و شمس الدولة بن نجم الدين إيلغازى.

و فيها ثار أهل آمد بمن فيها من الإسماعيلية، و كانوا قد كثروا، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل، فضعف أمرهم بها بعد هذه الواقعة.

و فيها، في صفر، توفّي محمّد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني، و هو من أصحاب الخطيب البغدادي.

من أصحاب الخطيب البغدادي.

و فيها توفّي أحمد بن عليّ بن برهان أبو الفتح، الفقيه المعروف بابن الحماميّ لأنّ أباه كان حماميًا، و كان حنبليًا، تفقّه على ابن عقيل، ثم صار شافعيًا، و تفقّه على الغزاليّ و الشاشيّ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٦

٥١٩ ثم دخلت سنة تسع عشرة و خمسمائة

ذكر وصول الملك طغرل و ديبس ابن صدقة إلى العراق و عودهما عنه

قد ذكرنا مسير ديبس بن صدقة إلى الملك طغرل من الشام، فلما وصل إليه لقيه، و أكرمه، و أحسن إليه، و جعله من أعيان خواصّه و أمرائه، فحسّن له ديبس قصد العراق، و هوّن أمره عليه، و ضمن له أنّه يملكه، فسار معه إلى العراق، فوصلوا دقوقا في عساكر كثيرة. فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما، فتجهّز للمسير و منعهما، و أمر يرشق الزكويّ، شحنة العراق، أن يكون مستعدًا للحرب، و جمع العساكر، و الأمراء البكجيين، و غيرهم، فبلغت عدّة العساكر اثني عشر ألفا سوى الرجالة، و أهل بغداد، و فرق السلاح.

و برز خامس صفر و بين يديه أرباب الدولة رجالة، و خرج من باب النصر، و كان قد أمر بفتحه تلك الأيام، و سمّاه باب النصر، و نزل صحراء الشّمسية، و نزل يرشق عند السّبتيّ، ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر.

فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خراسان، و تفرّق أصحابه في النهب و الفساد، و نزل هو رباط جلولا، فسار إليه

الوزير جلال الدين ابن صدقة في عسكر كثير، فنزل الدسكرة، و توجه طغرل و ديبس إلى الهاروتية و سار الخليفة فنزل بالدسكرة هو و الوزير، و استقر الأمر بين

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٧

ديبس و طغرل أن يسيرا حتى يعبرا ديالى و تامرا، و يقطعا جسر النهروان، و يقيم ديبس ليحفظ المعابر، و يتقدم طغرل إلى بغداد فيملكها و ينهبها، فسارا على هذه القاعدة، فعبرا تامرا، و نزل طغرل بينه و بين ديالى.

و سار ديبس على أن يلحقه طغرل، فقدّر الله تعالى أن الملك طغرل لحقه حمى شديدة، و نزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله، و زادت المياه و جاءت السيول و الخليفة بالدسكرة، و سار ديبس في مائتي فارس، و قصد معزة النهروان و هو تعبان سهران، و قد لقي هو و أصحابه من المطر و البلبل ما آذاهم، و ليس معهم ما يأكلون، ظننا منهم أن طغرل و أصحابه يلحقونهم، فتأخروا لما ذكرناه، فنزلوا جياعا قد نالهم البرد، و إذا قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة، و العمائم، و الأقبية، و القلانس، و غيرها من الملبوس، و تحمل أيضا أنواع الأطعمة المصنوعة، قد حملت من بغداد إلى الخليفة، فأخذ ديبس الجميع، فلبسوا الثياب الجدد، و نزعوا الثياب النديّة، و أكلوا الطعام، و ناموا في الشمس ممّا نالهم تلك الليلة.

و بلغ الخبر أهل بغداد، فلبسوا السلاح، و بقوا يحرسون الليل و النهار [١]، و وصل الخبر إلى الخليفة و العسكر الذين معه أن ديبسا قد ملك بغداد، فرحل من الدسكرة، و وقعت الهزيمة على العسكر إلى النهروان، و تركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد، و لو لا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل و تأخره لكان قد هلك العسكر، و الخليفة أيضا، و أخذوا، و كانت السواقي مملوءة بالوحد و الماء من السيل، فتمزقوا، و لو لحقهم مائة فارس لهلكوا. و وصلت رايات الخليفة و ديبس و أصحابه نيام، و تقدّم الخليفة،

[١] و النها.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٨

و أشرف على ديالى، و ديبس نازل غرب النهروان، و الجسر ممدود شرق النهروان، فلما أبصر ديبس شمس الخليفة قبل الأرض بين يدي الخليفة و قال: أنا العبد المطرود، فليعف أمير المؤمنين عن عبده. فرق الخليفة له، و هم بصلحه، حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه، و ركب ديبس، و وقف بإزاء عسكر يرتقش الزكوى يحادثهم و يتماجن معهم، ثم أمر الوزير الرجاله فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار، فسار حينئذ ديبس عائدا إلى الملك طغرل، و سير الخليفة عسكرا مع الوزير في أثره، و عاد إلى بغداد فدخلها، و كانت غيبته خمسة و عشرين يوما.

ثم إن الملك طغرل و ديبسا عادا و سارا إلى السلطان سنجر، فاجتازا بهمدان، فقسّطا على أهلها مالا كثيرا، و أخذاه و غابا في تلك الأعمال، فبلغ خبرهم السلطان محمودا، فجدّ السير إليهم، فانهزموا من بين يديه، و تبعتهم العساكر، فدخلوا خراسان إلى السلطان سنجر، و شكوا إليه من الخليفة و يرتقش الزكوى.

ذكر فتح البرسقي كفر طاب و انهزاه من الفرنج

في هذه السنة جمع البرسقي عساكره و سار إلى الشام، و قصد كفر طاب و حصرها، فملكها من الفرنج، و سار إلى قلعة عزاز، و هي من أعمال حلب من جهة الشمال، و صاحبها جوسلين، فحصرها، فاجتمعت الفرنج، فارسها و راجلها، و قصدوه ليرحلوه عنها، فلقبهم و ضرب معهم مصافا، و اقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلّهم فيه، فانهزم المسلمون و قتل منهم و أسر كثير.

و كان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين، و عاد منهزما إلى حلب،

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٢٩

فخلف بها ابنه مسعوداً، و عبر الفرات إلى الموصل ليجمع العساكر و يعاود القتال، و كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل المأمون بن البطائحي

في هذه السنة، في رمضان، قبض الأمر بأحكام الله العلوي، صاحب مصر، على وزيره أبي عبد الله بن البطائحي، الملقب بالمأمون، و صلبه و إخوته.

و كان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق، فمات و لم يخلف شيئاً، فتزوجت أمه و تركته فقيراً، فاتصل بإنسان يتعلم البناء بمصر، ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير، فدخل مع الحماليين إلى دار الأفضل أمير الجيوش، مرّة بعد أخرى، فرآه الأفضل خفيفاً رشيقاً، حسن الحركة، حلو الكلام، فأعجبه، فسأل عنه، فقيل هو ابن فلان، فاستخدمه مع الفزاشين، ثم تقدّم عنده، و كبرت [١] منزلته، و علت حالته، حتّى صار وزيراً.

و كان كريماً، واسع الصدر، قتالاً، سفاكاً للدماء، و كان شديد التحرز، كثير التطلع إلى أحوال الناس من العامية و الخاصية من سائر البلاد: مصر، و الشام، و العراق، و كثر الغمازون في أيامه.

و أما سبب قتله فإنه كان قد أرسل الأمير جعفر [٢] أخوا الأمر ليقتل الأمر و يجعله خليفة، و تقررت القاعدة بينهما على ذلك، فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة، و كان خصيصاً بالأمر، قريباً منه، و قد ناله من الوزير أذى و أطراح،

[١] و كثرت.

[٢] جعفر.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٠

فحضر عند الأمر و أعلمه الحال، فقبض عليه و صلبه، و هذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي شمس الدولة سالم بن مالك، صاحب قلعة جعبر، و تعرف قديماً بقلعة دوس.

و فيها قتل القاضي أبو سعد محمّد بن نصر بن منصور الهرويّ بهمذان، قتله الباطنية، و كان قد مضى [١] إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر، فعاد فقتل، و كان ذا مروءة غزيرة، و تقدّم كثير في الدولة السلجوقية.

و في هذه السنة توفّي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد، و هو من ولد بلال بن رباح، مؤدّن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و كنيته أبو سعد، طاف البلاد، و سمع و قرأ القرآن، و كان موته بسمرقند.

[١] مضا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣١

٥٢٠ ثم دخلت سنة عشرين و خمسمائة

ذكر حرب الفرنج و المسلمين بالأندلس

فى هذه السنة عظم شأن ابن رديمير الفرنجى بالأندلس، و استطال على المسلمين، فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج، و جاس فى بلاد الإسلام، و خاضها، حتى وصل إلى قريب قرطبة، و أكثر النهب و السبى و القتل، فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زائد الحد فى الكثرة، و قصدوه، فلم يكن له بهم طاقة، فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه أرنيسول «١»، فحصره، و كبسهم ليلا، فانهزم المسلمون، و كثر القتل فيهم، و عاد إلى بلاده.

ذكر قصد بلاد الإسماعيلية بخراسان

فى هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل، وزير السلطان سنجر، بغزو الباطنية، و قتلهم أين كانوا، و حيشما ظفر بهم، و نهب أموالهم، و سبى حريمهم، و جهز جيشا إلى طريث، و هى لهم، و جيشا إلى بيهق من أعمال نيسابور، و كان فى هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز «٢»، و مقدمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين.

(١). أرسول. p. c. أزنول. Idob.

(٢). طور. Idob، طرر. p. c.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٢

و سير إلى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند، و وصاهم أن يقتلوا من لقوة منهم، فقصد كل طائفة إلى الجهة التى سيرت إليها. فأما القرية التى بأعمال بيهق فقصدها العسكر، فقتلوا كل من بها، و هرب مقدمهم، و سعد منارة المسجد و ألقى نفسه منها فهلك، و كذلك العسكر المنفذ إلى طريث قتلوا من أهلها فأكثروا، و غنموا من أموالهم و عادوا.

ذكر ملك الإسماعيلية قلعة بانياس

فى هذه السنة عظم أمر الإسماعيلية بالشام، و قويت شوكتهم، و ملكوا بانياس فى ذى القعدة منها. و سبب ذلك أن بهرام ابن أخت الأسداباذى، لما قتل خاله ببغداد، كما ذكرناه، هرب إلى الشام، و صار داعى الإسماعيلية فيه، و كان يتردد فى البلاد، و يدعو أوباش الناس و طغامهم إلى مذهبه، فاستجاب له منهم من لا عقل له، فكثر جمعه، إلا أنه يخفى شخصه فلا يعرف، و أقام بحلب مدة، و نفر إلى [١] إيلغازى صاحبها.

و أراد إيلغازى أن يعتضد به لاتقاء الناس شره و شر أصحابه، لأنهم كانوا يقتلون كل من خالفهم، و قصد من يتمسك بهم، و أشار إيلغازى على طغتكين، صاحب دمشق، بأن يجعله عنده لهذا السبب، فقبل رأيه، و أخذه إليه، فأظهر حينئذ شخصه، و أعلن دعوته، فكثر أتباعه من كل من يريد الشر و الفساد، و أعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانى قصدا للاعتضاد به على ما يريد، فعظم شره و استفحل أمره، و صار أتباعه أضعاف ما كانوا، فلو لا

[١] و نفق على.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٣

أن عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة، و أنهم يشددون [١] عليه فيما ذهب إليه لملك البلد.

ثم إن بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة و غلظة عليه، فخاف عاديتهم، فطلب من طغتكين حصنا يأوى إليه هو و من اتبعه، فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه، فسلمت إليه، فلما سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كل ناحية، فعظم حينئذ خطبه، و جلت المحنة بظهوره، و اشتد الحال على الفقهاء و العلماء و أهل الدين، لا سيما أهل السنة و الستر و السلامة، إلا أنهم لا يقدر على أن ينطقوا بحرف واحد،

إلى الأمير فضل و أبي علي، ابني أبي الهيجاء، و كان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة [و خمسمائة]، فراسل ابن أخيه، فسلم إربل إلى المذكورين.

ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله و السلطان محمود

كان قد جرى بين یرنقش الزكوي، شحنة بغداد، و بين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها، فخافه على نفسه، فسار عن بغداد إلى السلطان محمود في رجب من هذه السنة، و شكأ إليه، و حدّره جانب الخليفة، و أعلمه أنه قد قاد العساكر، و لقي الحروب، و قويت نفسه، و متى لم تعاجله بقصد العراق و دخول بغداد، ازداد قوة و جمعا [٢]، و منعه عنه، و حينئذ يتعدّر عليه ما هو الآن بيده.

فتوجه السلطان نحو العراق، فأرسل إليه الخليفة يعرّفه ما هي البلاد و أهلها عليه من الضعف و الوهن، بسبب ديبس، و إفساد عسكره فيها، و أنّ الغلاء قد اشتدّ بالناس لعدم الغلات و الأقوات، لهرب الأكره عن بلادهم، و يطلب

[١] عنايته.

[٢] و جما.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٦

منه ان يتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها، فلا مانع له عنها، و بذل له على ذلك ما لا كثيرا. فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو و أهله و حرمه و من عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة، مظهرا للغضب و الانتزاع عن بغداد إن قصدوا السلطان، فلما خرج من داره بكى [١] الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله. فلما علم السلطان ذلك اشتدّ عليه، و بلغ منه كلّ مبلغ، فأرسل يستعطف الخليفة، و يسأله العود إلى داره، فأعاد الجواب أنه لا بدّ من عودك هذه الدفعة، فإن الناس هلكت بشدة الغلاء، و خراب البلاد، و أنه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم، و هو يشاهدهم، فإن عاد السلطان، و إلّا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقي الناس بمجيء العساكر.

فغضب السلطان لقوله، و رحل نحو بغداد، و أقام الخليفة بالجانب الغربي، فلما حضر عيد الأضحى خطب الناس، و صلّى بهم، فبكى الناس لخطبته، و أرسل عفيفا الخادم، و هو من خواصه، في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان، فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر، و كان له حينئذ البصرة، و قد فارق البرسقي، و اتصل بالسلطان، فأقطعه البصرة.

فلما وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين، فنزل بالجانب الشرقي، و كان عفيف بالجانب الغربي، فأرسل إليه عماد الدين يحدّره القتال، و يأمره بالانتزاع عنها، فأبى [٢] و لم يفعل، فعبر إليه عماد الدين، و اقتتلوا، فانهمز

[١] بكأ.

[٢] فأبأ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٧

عسكر عفيف، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و أسر مثلهم، و تغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما.

ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها إليه، و سدّ أبواب دار الخلافة سوى باب التوبي، و أمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار، و لم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه.

و وصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي الحجة، و نزل بباب الشّمسية، و دخل بعض عسكره إلى بغداد و نزلوا في دور الناس، فشكا الناس ذلك إلى السلطان، فأمر بإخراجهم، و بقي فيها من له دار، و بقي السلطان يرأس الخليفة بالعود، و يطلب الصّليح، و هو يمتنع.

و كان يجري بين العسكرين مناوشة، و العامّة من الجانب الغربيّ يسبّون السلطان أفحش سبّ. ثم إن جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة، و نهبوا التاج، و حجر الخليفة، أوّل المحرم سنة إحدى و عشرين [و خمسمائة]، و ضجّ أهل بغداد من ذلك، فاجتمعوا و نادوا الغزاة، فأقبلوا من كلّ ناحية، و لمّا رأهم الخليفة خرج من السّرادق و الشمسه على رأسه، و الوزير بين يديه، و أمر بضرب الكوسات و البوقات، و نادى بأعلى صوته: يا آل هاشم! و أمر بتقديم السفن، و نصب الجسر و عبر الناس دفعة واحدة، و كان له في الدار ألف رجل مختفين في السرايب، فظهروا، و عسكر السلطان مشتغلون بالنهب، فأسر منهم جماعة من الأمراء، و نهب العامّة دار وزير السلطان، و دور جماعة من الأمراء، و دار عزيز الدين المستوفى، و دار الحكيم أوحد الزمان الطيب، و قتل منهم خلق كثير في الدروب.

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقيّ، و معه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد و السواد، و أمر بحفر الخنادق، فحفرت بالليل، و حفظوا بغداد من عسكر السلطان، و وقع الغلاء عند العسكر، و اشتدّ الأمر عليهم، و كان القتال كلّ

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٨

يوم عليهم عند أبواب البلد و على شاطئ دجلة، و عزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان، فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكرديّ، صاحب إربل، و خرج كأنه يريد القتال، فالتحق هو و عسكره بالسلطان.

و كان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه، و معه المقاتلة في السفن، و على الدوابّ في البرّ، فجمع كلّ سفينة في البصرة إلى بغداد، و شحنها بالرجال المقاتلة، و أكثر من السلاح، و أصدع، فلمّا قارب بغداد أمر كلّ من معه في السفن و في البرّ بلبس السلاح، و إظهار ما عندهم من الجلد و النهضة، فسارت السفن في الماء، و العسكر في البرّ على شاطئ دجلة قد انتشروا و ملثوا الأرض برّاً و بحراً، فرأى الناس منظراً عجيباً، كبر في أعينهم، و ملأ صدورهم، و ركب السلطان و العسكر إلى لقائهم، فنظروا إلى ما [لم] يروا مثله، و عظم عماد الدين في أعينهم، و عزم السلطان على قتال بغداد حينئذ، و الجدّ في ذلك في البرّ و الماء. فلمّا رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة، و خروج الأمير أبي الهيجاء من عنده، أجاب إلى الصّليح، و تردّدت الرسل بينهما، فاصطلحا، و اعتذر السلطان ممّا جرى، و كان حليماً يسمع سبه بأذنه فلا يعاقب عليه، و عفا عن أهل بغداد جميعهم.

و كان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداد، فلم يفعل، و قال:

لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا. و أقام ببغداد إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين [و خمسمائة]، و حمل الخليفة من المال إليه كما استقرّت القاعدة عليه، و أهدى له سلاحاً و خيلاً و غير ذلك، فمرض السلطان ببغداد، فأشار عليه الأطباء بمفارقتها، فرحل إلى همذان، فلمّا وصلها عوفى.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٣٩

ذكر مصاف بين طغتكين أتاك و الفرنج بالشام

في هذه السنة اجتمعت الفرنج و ملوكها و قمامصتها و كنودها و ساروا إلى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصّفّر عند قرية يقال لها سقجا بالقرب من دمشق، فعظم الأمر على المسلمين و اشتدّ خوفهم، و كاتب طغتكين أتاك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر و غيرها و جمعهم و كان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج و استخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها، كما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم و سيّروهم إلى أبيه، فلمّا اجتمعوا سار بهم طغتكين إلى الفرنج فالتقوا أواخر ذي الحجة و اقتتلوا، و اشتدّ القتال، فسقط طغتكين

عن فرسه، فظن أصحابه أنه قتل، فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولاحقهم و تبعهم الفرنج و بقى التركمان لم يقدرُوا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا، فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين و أن معسكرهم و راجلهم ليس له مانع و لا حام حملوا على الرجال فقتلواهم و لم يسلم منهم إلا الشريد، و نهبوا معسكر الفرنج و خيامهم و أموالهم و جميع ما معهم و فى جملة كنيسته و فيها من الذهب و الجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه و عادوا إلى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد. و لَمَّا رجع الفرنج من أثر المنهزمين و رأوا رجالهم قتلوا و أموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الأخ على أخيه، و كان هذا من الغريب أن طائفتين تنهزما [١] كل واحد منهما من صاحبتها.

[١] ينهزما.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٠

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة حصر الفرنج ريفيه من أرض الشام، و هى بيد المسلمين، و ضيقوا عليها فملكوها. و فيها توفى أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الواعظ، و هو أخو الإمام أبى حامد محمد، و قد ذمه أبو الفرج بن الجوزي بأشياء كثيرة منها:

روايته فى وعظه الأحاديث التى ليست له بصحيحة، و العجب أنه يقدر فيه بهذا، و تصانيفه هو و وعظه محشو به، مملوء [١] منه، نسال الله أن يعيدنا من الوقعة فى الناس، ثم يا ليت شعري أما كان للغزالي حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوي التى نسبها إليه لئلا ينسب إلى الهوى و الغرض؟

[١] مملوء.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤١

٥٢١ ثم دخلت سنة إحدى و عشرين و خمسمائة

ذكر ولاية الشهيد أنابك زكى شحكيه العراق

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، أسند السلطان محمود شحكيه العراق إلى عماد الدين زكى بن آقسنقر. و كان سبب ذلك: أن عماد الدين لما أصعد من واسط فى التجمل و الجمع الذى ذكرناه، و قام فى حفظ واسط و البصرة و تلك النواحي القيام الذى عجز غيره عنه، عظم فى صدر السلطان و صدور أمراءه، فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فىمن يصلح أن يلى شحكيه العراق و يأمن معه من الخليفة، فاعتبر أمراءه، و أعيان دولته، فلم ير فىهم من يقوم فى هذا الأمر مقام عماد الدين، فاستشار فى ذلك، فكل أشار به، و قالوا: لا نقدر على رقع هذا [١] الخرق، و إعادة ناموس هذه الولاية، و لا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زكى. فوافق ما عنده، فأسند إليه الولاية و فوضها [إليه] مضافة [٢] إلى ما له من الأقطاع، و سار عن بغداد و قد اطمأن قلبه من جهة العراق، فكان الأمر كما ظن.

[١] بهذا.

[٢] مضافا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٢

ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة أنوشروان بن خالد

في هذه السنة، في عاشر ربيع الآخر، سار السلطان محمود عن بغداد، بعد تقرير القواعد بها، ولما عزم على المسير حمل إليه الخليفة الخلع، و الدوابّ الكثيرة، فقبل ذلك جميعه و سار.

ولمّا أبعد عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم عليّ بن القاسم الأنساباذي في رجب، لأنّه اتّهمه بممالأة المسترشد بالله لقيامه في أمره و إتمام الصّليح مقاما ظهر أثره، فسعى به أعداؤه، فلمّا قبض عليه أرسل السلطان إلى بغداد فأحضر شرف الدين أنوشروان بن خالد، و كان مقيما بها، فلمّا علم بذلك جاءته الهدايا من كلّ أحد، حتّى من الخليفة، و سار عن بغداد خامس شعبان، فوصل إلى السلطان، و هو بأصبهان، فخلع عليه خلع الوزارة، و بقي فيها نحو عشرة أشهر، ثم استعفى منها [١]، و عزل نفسه، و عاد إلى بغداد في شعبان سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة.

و أمّا الوزير أبو القاسم فإنّه بقي مقبوضا إلى أن خرج السلطان سنجر إلى الرّي سنة اثنتين و عشرين، فأخرجه من الحبس في ذي الحجّة، و أعاده إلى وزارة السلطان محمود، و هي الوزارة الثانية.

[١] فيها.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٣

ذكر وفاة عزّ الدين بن البرسقيّ و ولاية عماد الدين زنكي الموصل و أعمالها

في هذه السنة توفّي عزّ الدين مسعود بن البرسقيّ، و هو صاحب الموصل، و كان موته بمدينة الرّحبة، و سبب مسيره إليها: أنّه لمّا استقامت أموره في ولايته، و راسل السلطان محمودا [١]، و خطب له ولاية ما كان أبوه يتولّاه من الموصل و غيرها، أجاب السلطان إلى ما طلب، فرتبّ الأمور و قرّرها، فكثرت جنده، و كان شجاعا، شهما، فطمع في التغلّب على بلاد الشام، فجمع عساكره و سار إلى الشام يريد قصد دمشق، فابتدأ بالرّحبة، فوصل إليها و نازلها، و قام يحاصرها، فأخذته مرض حادّ و هو محاصر لها، فتسلّم القلعة و مات بعد ساعة، فندم من بها على تسليمها إليه.

ولمّا مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن، و تفرّق عنه عسكره، و نهب بعضهم بعضا، فشغلوا عنه، ثم دفن بعد ذلك، و قام بعده أخ له صغير، و استولى على البلاد مملوك للبرسقيّ يعرف بالجاولي، و دبّر أمر الصبيّ، و أرسل إلى السلطان يطلب أن يقرّر البلاد على ولد البرسقيّ، و بذل الأموال الكثيرة على ذلك.

و كان الرسول في هذا الأمر القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن القاسم الشهرزوريّ، و صلاح الدين محمّد أمير حاجب البرسقيّ، فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا في ذلك، و كانا يخافان جاولي، و لا يرضيان بطاعته و التصرّف بما يحكم به، فاجتمع صلاح الدين، و نصير الدين جقر الذي صار نائبا عن أتابك عماد الدين بالموصل، و كان بينهما مصاهرة، و ذكر له صلاح الدين ما

[١] محمود.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٤

ورد فيه، و أفشى إليه سرّه، فخوّفه نصير الدين من جاولي، و قبّح عنده طاعته، و قرّر في نفسه أنّه إنّما أبقاه و أمثاله لحاجته إليهم، و

متى أجيب إلى مطلوبة لا يبقى على أحد منهم.

و تحدّث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي، و ضمن له الولايات و الأقطاع الكثيرة، و كذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري، فأجابه إلى ذلك، و أحضره معه عند القاضي بهاء الدين، و خاطباه في هذا الأمر، و ضمنا [١] له كلّ ما أراد فوافقهما [٢] على ما طلبا، و ركب هو و صلاح الدين إلى دار الوزير، و هو حينئذ شرف الدين أنوشروان بن خالد، و قال له: قد علمت أنت و السلطان أن ديار الجزيرة و الشام قد تمكّن الفرنج منها [٣]، و قويت شوكتهم بها، فاستولوا على أكثرها، و قد أصبحت ولايتهم من حدود ماردین إلى عريش مصر، ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين، و قد كان البرسقيّ مع شجاعته، و تجريبه، و انقياد العساكر إليه، يكفّ بعض عاديتهم و شرّهم، فمذ قتل ازداد طمعهم، و هذا ولده طفل صغير، و لا بدّ للبلاد من رجل شهيم، شجاع، ذی رأى و تجربة، يذبّ عنها و يحفظها و يحمي حوزتها، و قد أنهينا الحال لئلاّ يجرى خلل، أو وهن على الإسلام و المسلمين، فيختصّ اللوم بنا، و يقال: ألاّ [٤] أنهيتم إلينا جيئة الحال؟

فرفع الوزير قولهما إلى السلطان، فاستحسنه، و شكرهما عليه، و أحضرهما، و استشارهما فيمن يصلح للولاية «١»، فذكر [٥] جماعة منهم عماد الدين زنكي،

[١] و ضمن.

[٢] فوافقها.

[٣] منه.

[٤] لا.

[٥] فذكر.

(١). للوزارة. doC

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٥

و بدلا عنه، تقرّبا إلى خزائن السلطان، مالا جليلا، فأجاب السلطان إلى توليته، لما يعلمه من كفايته لما يليه، فأحضره و ولّاه البلاد كلّها، و كتب منشورة بها.

و سار فبدأ بالبوازيح ليملكها و يتقوى بها و يجعلها ظهرة، لأنّه خاف من جاوولي أنّه ربّما صدّه عن البلاد، فلما دخل البوازيح سار عنها إلى الموصل.

فلما سمع جاوولي بقرية من البلد خرج إلى تلقّيه و معه جميع العسكر، فلما رآه جاوولي نزل عن فرسه و قبل الأرض بين يديه، و عاد في خدمته إلى الموصل، فدخلها في رمضان، و أقطع جاوولي الرّحبة و سيّره إليها، و أقام بالموصل يصلح أمورها، و يقرّر قواعدها، فولّى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل، و جعل إليه سائر دزدارية القلاع، و جعل صلاح الدين محمّدا أمير حاجب، و بهاء الدين قاضي قضاء بلاده جميعها، و زاده أملاكا، و أقطاعا، و احتراما، و كان لا يصدر إلّا عن رأيه.

فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عمر، و بها مماليك البرسقيّ، فامتنعوا عليه، فحصرهم و راسلهم، و بذل لهم البذول الكثيرة إن سلّموا، فلم يجيبوه إلى ذلك، فجدّ في قتالهم [١]، و بينه و بين البلد دجلة، فأمر الناس، فألقوا أنفسهم في الماء ليعبروه إلى البلد، ففعلوا، و عبر بعضهم سباحة، و بعضهم في السفن، و بعضهم في الأكلاك، و تكاثروا على أهل الجزيرة، و كانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين الجزيرة و دجلة، تعرف بالزلّاقة، ليمنعوا من يريد عبور دجلة، فلما عبر العسكر إليهم قاتلوهم و مانعوهم، فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم، فانهمز أهل البلد، و دخلوه، و تحصّنوا بأسواره، و استولى عماد الدين على الزّلّاقة، فلما رأى من بالبلد ذلك

ضعفوا، و وهنوا، و أيقنوا أنّ البلد يملك سلما، أو عنوة، فأرسلوا يطلبون الأمان، فأجابهم إلى

[١] قتالها.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٦

ذلك، و كان هو أيضا مع عسكره بالزّلاقة، فسلموا البلد إليه، فدخله هو و عسكره.

ثم إنّ دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد، و صارت الزّلاقة ماء، فلو أقام ذلك اليوم لغرق هو و عسكره، و لم ينج منهم أحد، فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته، و أيقنوا أنّ أمرا هذا بدايته لعظيم.

ثم سار عن الجزيرة إلى نصيبين، و كانت لحسام الدين تمرتاش، صاحب ماردين، فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمّه ركن الدولة داود بن سقمان ابن أرتق، و هو صاحب حصن كيفا و غيرها، فاستنجده على أتابك زنكي، فوعده النجدة بنفسه، و جمع عسكره، و عاد تمرتاش إلى ماردين، و أرسل رقاعا على أجنحة الطيور إلى نصيبين يعرّف من بها من العسكر أنّه و ابن عمّه سائران في العسكر الكثير إليهم، و إزاحة عماد الدين عنهم، و يأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام.

فبينما أتابك في خيمته إذ سقط طائر على خيمته تقابله، فأمر به فصيد، فرأى فيه رقعة، فقرأها و عرف ما فيها، فأمر أن يكتب غيرها، يقول فيها:

إنّني قصدت ابن عمّي ركن الدولة، و قد وعدني النّصرة و جمع العساكر، و ما يتأخّر عن الوصول أكثر من عشرين يوما، و يأمرهم بحفظ البلد هذه المدّة إلى أن يصلوا، و جعلها في الطائر و أرسله، فدخل نصيبين، فلما وقف من بها على الرقعة سقط في أيديهم، و علموا أنّهم لا يقدرّون أن يحفظوا البلد هذه المدّة، فأرسلوا إلى الشهيد و صالحوه [١]، و سلموا البلد إليه، فبطل على تمرتاش و داود ما كانا عزمنا عليه، و هذا من غريب ما يسمع.

فلما ملك نصيبين سار عنها إلى سنجار، فامتنع من بها عليه، ثم صالحوه

[١] و صالحه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٧

و سلموا البلد إليه، و سيّر منها الشّحن إلى الخابور، فملكه جميعه. ثم سار إلى حرّان، و هي للمسلمين، و كانت الرّها، و سروج، و البيرة، و تلك النواحي جميعها للفرنج، و أهل حرّان معهم في ضرّ عظيم، و ضيق شديد، لخلوّ البلاد من حام يذبّ عنها، و سلطان يمنعها، فلما قارب حرّان خرج أهل البلد و أطاعوه و سلموا إليه، فلما ملكها أرسل إلى جوسلين، صاحب الرّها و تلك البلاد، و راسله، و هادنه مدّة يسيرة، و كان غرضه أن يتفرّغ لإصلاح البلاد، و تجنيد [١] الأجناد، و كان أهمّ الأمور إليه أن يعبر الفرات إلى الشام، و يملك مدينة حلب و غيرها من البلاد الشاميّة، فاستقرّ الصّلح بينهم، و أمن الناس، و نحن نذكر ملك حلب، إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنّة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل، وزير السلطان سنجر، قتله الباطنيّة، و كان له في قتالهم آثار حسنة، و نيّة صالحه، فرزقه الله الشهادة.

و فيها ولّى السلطان شحنيّة بغداد مجاهد الدين بهروز، لما سار أتابك زنكي إلى الموصل.

و فيها رتبّ الحسن بن سليمان في تدريس النظاميّة ببغداد.

و فيها أوقع السلطان سنجر بالباطنيّة في الموت، فقتل منهم خلقا كثيرا، قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس.

[١] و جند.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٨

و توفي هذه السنة على بن المبرك أبو الحسن المقرئ، المعروف بابن الفاعوس، الحنبلي، ببغداد، في شوال، و كان صالحا. و في شوال توفي محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني الفرضي، صاحب التاريخ.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٤٩

٥٢٢ ثم دخلت سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة

ذكر ملك أنابك عماد الدين زنكي مدينة حلب

في هذه السنة، أول المحرم، ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب و قلعتها، و نحن نذكر كيف كان سبب ملكها، فنقول: قد ذكرنا ملك البرسقي لمدينة حلب و قلعتها سنة ثمانى عشرة [و خمسمائة]، و استخلافه بها ابنه مسعودا، و لما قتل البرسقي سار مسعود عنها إلى الموصل و ملكها، و استتاب بحلب أمير اسمه قومان، ثم إنّه ولى عليها أمير اسمها قتلغ أبه، و سيره بتوقيع إلى قومان بتسليمها، فقال: بينى و بين عز الدين علامة لم أرها، و لا أسلم إلّا بها، و كانت العلامة بينهما صورة غزال، و كان مسعود بن البرسقي حسن التصوير، فعاد قتلغ أبه إلى مسعود، و هو يحاصر الرّحبة، فوجده قد مات، فعاد إلى حلب مسرعا.

و عرف الناس موته، فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد، و أطاعه المقدمون به، و استنزلوا قومان من القلعة، بعد أن صحّ عنده وفاة صاحبه مسعود، و أعطوه ألف دينار، فتسلم قتلغ القلعة فى الرابع و العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى و عشرين [و خمسمائة]، فظهر منه بعد أيام جور شديد، و ظلم عظيم، و مدّ يده إلى أموال الناس، لا سيما التركات، فإنّه أخذها، و تقرب إليه الأشرار، فنفرت قلوب الناس منه.

و كان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الذى كان قديما

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٠

صاحبها، فأطاعه أهلها، و قاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ أبه، و كان أكثرهم يشربون فى البلد صبحه العيد، و زحفوا إلى القلعة، فتحصّن قتلغ أبه فيها بمن معه، فحصره، و وصل إلى حلب حسان صاحب منبج، و حسن صاحب بزاعة، لإصلاح الأمر فلم ينصلح.

و سمع الفرنج بذلك، فتقدّم جوسلين بعسكره إلى المدينة، فصونع بمال، فعاد عنها، ثم وصل بعده صاحب أنطاكية فى جمع من الفرنج، فخذق الحلبيون حول القلعة، فمنع الداخل و الخارج إليها من ظاهر البلد، و أشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذى الحجة من السنة.

و كان عماد الدين قد ملك الموصل و الجزيرة، فسير إلى حلب الأمير سنقر دراز، و الأمير حسن قراقوش، و هما من أكابر أمراء البرسقي، و قد صاروا معه فى عسكر قوى، و معه التوقيع من السلطان بالموصل، و الجزيرة، و الشام، فاستقرّ الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبار و قتلغ أبه إلى الموصل إلى عماد الدين، فسارا إليه، و أقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة، فلما وصل بدر الدولة و قتلغ أبه إلى عماد الدين أصلح بينهما، و لم يردّ واحدا منهما إلى حلب، و سير حاجبه صلاح الدين محمدا الياغيساني إليها فى عسكر، فصعد إلى القلعة، و ربّ الأمور، و جعل فيها واليا.

و سار عماد الدين زنكي إلى الشام فى جيوشه و عساكره، فملك فى طريقه مدينة منبج و بزاعة، و خرج أهل حلب إليه، فالتقوه، و

استبشروا بقدمه، و دخل البلد و استولى عليه، و رتبّ أموره، و أقطع أعماله الأجناد و الأمراء، فلما فرغ من الذي أراده قبض على قتلغ أبه و سلمه إلى ابن بديع، فكحله بداره بحلب، فمات قتلغ أبه، و استوحش ابن بديع، فهرب إلى قلعة جعبر و استجار بصاحبها، فأجاره. الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥١

و جعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن عليّ بن عبد الرزاق، و لو لا أن الله تعالى منّ على المسلمين بملك أتابك ببلاد الشام لملكها الفرنج لأنهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية، و إذا «١» علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره و قصد بلادهم و حصرها و أغار عليها، فيضطرّ الفرنج إلى الرحيل لدفعه عن بلادهم، فقدر الله تعالى أنه توفي هذه السنة، فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله، فلفظ الله بالمسلمين بولاية عماد الدين، ففعل بالفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر قدوم السلطان سنجر إلى الرّي

في هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان إلى الرّي في جيش كثير. و كان سبب ذلك: أنّ ديبس بن صدقة لثما وصل إليه هو و الملك طغرل، على ما ذكرناه، لم يزل يطمعه في العراق، و يسهّل عليه قصده، و يلقي في نفسه أن المسترشد بالله و السلطان محمودا متفقان على الامتناع منه، و لم يزل به حتّى أجابه إلى المسير إلى العراق، فلما ساروا وصل إلى الرّي، و كان السلطان محمود بهمدان، فأرسل إليه السلطان سنجر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على ما زعم ديبس، فلثما جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى عمّه، فلثما وصل إليه أمر العسكر جميعه بلقائه، و أجلسه معه على التخت، و بالغ في إكرامه، و أقام عنده إلى منتصف ذي الحجة، ثم عاد السلطان سنجر إلى خراسان، و سلم ديبسا إلى السلطان محمود، و وصّاه بإكرامه و إعادته إلى بلده، و رجع محمود إلى همدان و ديبس معه، ثم سارا إلى العراق، فلثما

(١). IdoB.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٢

قاربا بغدادا خرج الوزير إلى لقائه، و كان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث و عشرين [و خمسمائة]. و كان الوزير أبو القاسم الأنساباذي قد قبض السلطان محمود عليه، فلثما اجتمع بالسلطان سنجر أمر بإطلاقه فأطلقه، و قرّره سنجر في وزارة ابنته التي زوّجها بالسلطان محمود، فلثما وصل معه إلى بغداد أعاده محمود إلى وزارته في الرابع و العشرين من المحرم، و هي وزارته الثانية.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثامن صفر توفي أتابك طغتكين، صاحب دمشق، و هو مملوك الملك تتش بن ألب أرسلان، و كان عاقلا، خيرا، كثير الغزوات و الجهاد للفرنج، حسن السيرة في رعيتيه، مؤثرا [١] للعدل فيهم، و كان لقبه ظهير الدين، و لثما توفي ملك بعده ابنه تاج الملوک بوري، و هو أكبر أولاده، بوصيته من والده له بالملك، و أقرّ وزير أبيه أبو عليّ طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته. و فيها، مستهلّ رجب، توفي الوزير جلال الدين أبو عليّ بن صدقة، وزير الخليفة، و كان حسن السيرة، جميل الطريقة، متواضعا، محبا لأهل العلم، مكرما لهم، و له شعر حسن، فمنه في مدح المسترشد بالله:

وجدت الوری كالماء طعما و رقة، و أنّ أمير المؤمنين زلاله

و صورت معنى العقل شخصا مصورا، و أنّ أمير المؤمنين مثاله

و لو لا طريق الدين و الشرع و التقى لقلت من الإعظام جلّ جلاله

[١] موثر.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٣

و أقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى، ثم جعل وزيراً، و خلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث و عشرين [و خمسمائة]، و لم يزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره. و فيها هبت ريح شديدة اسودت لها الآفاق، و جاءت بتراب أحمر يشبه الرمل، و ظهر فى السماء أعمدة كأنها نار، فخاف الناس، و عدلوا إلى الدعاء و الاستغفار، فانكشف عنهم ما يخافونه.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٤

٥٢٣ ثم دخلت سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة

ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداد

فى هذه السنة، فى المحرم، قدم السلطان محمود بغداد، بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر، و معه ديبس بن صدقة، ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله، فتأخر ديبس عن السلطان، ثم دخل بغداد، و نزل بدار السلطان، و استرضى عنه الخليفة، فامتنع الخليفة من الإجابة إلى أن يوئى ديبس شيئاً [١] من البلاد، و بذل مائة ألف دينار لذلك. و علم أتابك زنكى أن السلطان يريد أن يوئى ديبس الموصل، فبذل مائة ألف دينار، و حضر بنفسه إلى خدمة السلطان، فلم يشعر السلطان به إلا و هو عند الشتر، و حمل معه الهدايا الجليلة، فأقام عند السلطان ثلاثة أيام، و خلع عليه، و أعاده إلى الموصل. و خرج السلطان يتصيد، فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان، و أدخله إلى حمام فى داره، و جعل فيه عوض الماء ماء الورد، فأقام السلطان إلى رابع جمادى الآخرة، و سار عنها إلى همذان، و جعل بهروز على شحنكية بغداد، و سلمت إليه الحلة أيضاً.

[١] تولى ديبس شىء.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٥

ذكر ما فعله ديبس بالعراق و عود السلطان إلى بغداد

لمّا رحل السلطان إلى همذان ماتت زوجته، و هى ابنة السلطان سنجر، و هى التى كانت تعنى بأمر ديبس، و تدافع عنه، فلمّا ماتت انحلّ أمر ديبس. ثم إن السلطان مرض مرضاً شديداً، فأخذ ديبس ابناً له صغيراً و قصد العراق، فلمّا سمع المسترشد بالله بذلك جند الأجناد، و حشد، و كان بهروز بالحلة، فهرب منها، فدخلها ديبس فى شهر رمضان، فلمّا سمع السلطان الخبر عن ديبس أحضر الأميرين قزل، و الأحمديلى، و قال: أنتما ضمنتما ديبساً منى، و أريده منكما. فسار الأحمديلى إلى العراق، إلى ديبس، ليكفّ شرّه عن البلاد، و يحضره إلى السلطان، فلمّا سمع ديبس الخبر أرسل إلى الخليفة يستعطفه، و يقول: إن رضيت عنى فأنا اردّ أضعاف ما أخذت، و أكون العبد المملوك، فتردّ الرسل و ديبس يجمع الأموال، و الرجال، فاجتمع معه عشرة آلاف فارس، و كان قد وصل فى ثلاثمائة فارس، و وصل الأحمديلى بغداد فى شوال، و سار فى أثر ديبس.

ثم إنَّ السلطان سار إلى العراق، فلما سمع دبيس بذلك أرسل إليه هدايا جليله المقدار، و بذل ثلاثمائة حصان منعله بالذهب، و مائتى ألف دينار، ليرضى عنه السلطان و الخليفة، فلم يجبه إلى ذلك، و وصل السلطان إلى بغداد فى ذى القعدة، فلقه الوزير الزينبى أرباب المناصب، فلما تيقن دبيس وصوله رحل إلى البرية، و قصد البصرة و أخذ منها أموالا كثيرة، و ما للخليفة و السلطان هناك من الدخل، فسير السلطان إثره عشرة آلاف فارس، ففارق البصرة و دخل البرية.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٦

ذكر قتل الإسماعيلية بدمشق

قد ذكرنا فيما تقدم قتل إبراهيم الأسداباذى ببغداد، و هرب ابن أخته بهرام إلى الشام، و ملكه قلعة بانياس، و مسيره إليها، و لما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس إلى مذهبه، فكثروا و انتشروا، و ملك هو عدّة حصون من الجبال منها القدموس و غيره، و كان بوادى التيم، من أعمال بعلبك، أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية، و الدرزية، و المجوس، و غيرهم، و أميرهم اسمه الضحّاك، فسار إليهم بهرام سنة اثنتين و عشرين [و خمسمائة] و حصرهم و قاتلهم، فخرج إليه الضحّاك فى ألف رجل، و كبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم، و قتل منهم مقتله كثيرة، و قتل بهرام، و انهزم من سلم، و عادوا إلى بانياس على أقبح صورة.

و كان بهرام قد استخلف فى بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه إسماعيل، فقام مقامه، و جمع شمل من عاد إليه منهم، و بثّ دعائه فى البلاد، و عاضده المزدقانى أيضا، و قوى نفسه على ما عنده من الامتعاظ بهذه الحادثة، و الهّم بسببها.

ثم إنَّ المزدقانى أقام بدمشق عوض بهرام إنسانا اسمه أبو الوفاء، فقوى أمره و علا شأنه و كثر أتباعه، و قام بدمشق، فصار المستولى على من بها من المسلمين، و حكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك. ثم إنَّ المزدقانى راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة «١» دمشق، و يسلموا إليه مدينة صور، و استقرّ الأمر بينهم على ذلك، و تقرّر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه، و قرّر المزدقانى مع الإسماعيلية أن

(١). قلعة. doC.gramnI.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٧

يحتاطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنوا أحدا من الخروج [١] منه ليجىء الفرنج و يملكوا البلاد. فبلغ الخبر تاج الملوك، صاحب دمشق، فاستدعى المزدقانى إليه، فحضر، و خلا معه، فقتله تاج الملوك، و علّق رأسه على باب القلعة، و نادى فى البلد بقتل الباطنية، فقتل منهم ستّة آلاف نفس، و كان ذلك منتصف رمضان من السنة، و كفى الله المسلمين شرهم، و ردّ على الكافرين كيدهم.

و لما تمّت هذه الحادثة بدمشق على الإسماعيلية خاف إسماعيل والى بانياس أن يثور به و بمن معه الناس فيهلكوا، فراسل الفرنج، و بذل لهم تسليم بانياس إليهم، و الانتقال إلى بلادهم، فأجابوه، فسلم القلعة إليهم، و انتقل هو و من معه من أصحابه إلى بلادهم، و لقوا شدة و ذلة و هوانا، و توفى إسماعيل أوائل سنة أربع و عشرين [و خمسمائة]، و كفى الله المؤمنين شرهم.

ذكر حصر الفرنج دمشق و انهزامهم

لما بلغ الفرنج قتل المزدقانى و الإسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك، و تأسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها، و عمتهم المصيبة، فاجتمعوا كلهم: صاحب القدس، و صاحب أنطاكية، و صاحب طرابلس، و غيرهم من الفرنج و قمامصتهم، و من وصل إليهم فى البحر للتجارة و الزيارة، فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو ألفى فارس، و أمّا الراجل فلا يحصى، و ساروا إلى دمشق ليحصروها.

و لما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب و التركمان، فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس، و وصل الفرنج فى ذى الحجة، فنازلوا

البلد، وأرسلوا إلى أعمال

[١] على أبواب الجامع فلا يمكنون أحدا يخرج.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٨

دمشق لجمع الميرة والإغارة على البلاد، فلما سمع تاج الملوك أن جمعا كثيرا قد ساروا إلى حوران لنهبه، وإحضار الميرة، سیر [١] أميرا من أمرائه، يعرف بشمس الخواص، في جمع من المسلمين إليهم، و كان خروجهم في ليلة شاتية، كثيرة المطر، و لقوا الفرنج من الغد، فواقعوهم، و اقتتلوا، و صبر بعضهم لبعض، فظفر بهم المسلمون و قتلوهم، فلم يفلت منهم غير مقدّمهم و معه أربعون رجلا، و أخذوا ما معهم، و هي عشرة آلاف داية موقرة، و ثلاثمائة أسير، و عادوا إلى دمشق لم يمسههم قرح. فلما علم من عليها [٢] من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب، فرحلوا عنها شبه المنهزمين، و أحرقوا ما تعدّر عليهم حمله من سلاح و ميرة و غير ذلك، و تبعهم المسلمون، و المطر شديد، و البرد عظيم، يقتلون كل من تخلف منهم، فكثرت القتلى منهم، و كان نزولهم و رحيلهم في ذى الحجة من هذه السنة.

ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر، صاحب الموصل، مدينة حماة. و سبب ذلك: أنه عبر الفرات إلى الشام، و أظهر أنه يريد جهاد الفرنج، و أرسل إلى تاج الملوك بوري بن طغتكين، صاحب دمشق، يستنجده، و يطلب منه المعونة على جهادهم، فأجاب إلى المراد، و أرسل من أخذ له العهود و المواثيق، فلما وصلت التوثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الأمراء، و أرسل إلى

[١] فسير.

[٢] عليه.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٥٩

ابنه سونج، و هو بمدينة حماة، يأمره بالنزول إلى العسكر، و المسير معهم إلى زنكي، ففعل ذلك، فساروا جميعهم، فوصلوا إليه، فأكرمهم، و أحسن لقاءهم، و تركهم أياما.

ثم إنّه غدر بهم، فقبض على سونج ولد تاج الملوك، و على جماعة الأمراء المقدمين، و نهب خيامهم و ما فيها من الكراع، و اعتقلهم بحلب، و هرب من سواهم، و سار من يومه إلى حماة، فوصل إليها و هي خالية من الجند الحماة الدائنين، فملكها و استولى عليها، و رحل عنها إلى حمص، و كان صاحبها قرجان «١» بن قراجه معه في عسكره، و هو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك، فقبض عليه، و نزل على حمص و حصرها، و طلب من قرجان «٢» صاحبها أن يأمر نوابه و ولده الذين فيها بتسليمها، فأرسل إليهم بالتسليم، فلم يقبلوا منه، و لا التفتوا إلى قوله، فأقام عليها محاصرا لها، و مقاتلا لمن فيها مدة طويلة، فلم يقدر على ملكها، فرحل عنها عائدا إلى الموصل، و استصحب معه سونج بن تاج الملوك و من معه من الأمراء الدمشقيين.

و ترددت الرسل في إطلاقهم بينه و بين تاج الملوك، و استقر الأمر على خمسين ألف دينار، فأجاب تاج الملوك إلى ذلك، و لم ينتظم بينهم أمر.

ذكر عده حوادث

في هذه السنة ملك ييمند، صاحب أنطاكية، حصن القدموس من المسلمين.
و في هذه السنة أيضا وثب الإسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندی، رئيس

(١-٢). خبر خان.P.C.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٠
الشافعية بأصبهان، فقتلوه، و كان ذا رئاسة عظيمة و تحكّم كثير.
و في هذه السنة توفى الإمام أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهني، الفقيه الشافعي، مدرّس النظامية ببغداد، و له طريقة مشهورة في
الخلافة، و تفقه على أبي المظفر السمعاني، و كان له قبول عظيم عند الخليفة، و السلطان، و سائر الناس.
و فيها توفى حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي، الحسنّي، التيسابوري، سمع الحديث الكثير، و رواه، و مولده سنة
تسع و عشرين و أربعمائه، و جمع مع [١] شرف النسب شرف النفس و التقوى، و كان زیدی المذهب.

[١] من.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦١

٥٢٤ ثم دخلت سنة أربع و عشرين و خمسمائة

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان و ملك محمود بن محمد خان المذكور

في هذه السنة، في ربيع الأول، ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند.
و سبب ذلك: أنه كان قد ربّ فيها، لما ملكها أولا، أرسلان خان محمد ابن سليمان بن بغراخان داود، فأصابه فالج، فاستتاب ابنا له
يعرف بنصرخان، و كان شهما، شجاعا، و كان بسمرقند إنسان علوي، فقيه، مدرّس، إليه الحلّ و العقد، و الحكم في البلد، فاتفق هو و
رئيس البلد على قتل نصرخان، فقتلاه ليلا، و كان أبوه محمّد خان غائبا، فعظم عليه و اشتدّ، و كان له ابن آخر غائب في بلاد
تركستان، فأرسل إليه و استدعاه، فلما قارب سمرقند خرج العلويّ و رئيس البلد إلى استقباله، فقتل العلويّ في الحال، و قبض على
الرئيس.

و كان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان سنجر رسولا يستدعيه، ظلّنا منه أن ابنه لا يتمّ أمره مع العلويّ و الرئيس، فتجهّز سنجر
و سار يريد سمرقند، فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر، فأرسل إليه يعرّفه أنه قد ظفر بالعلويّ و الرئيس،
و أنه و ابنه على الطاعة، و يسأله العود إلى خراسان، فغضب سنجر من ذلك، و أقام أياما، فبينما هو في الصيد إذ رأى اثني عشر رجلا
في السلاح التام، فقبض عليهم و عاقبهم، فأقروا أن محمد خان أرسلهم ليقتلوه، فقتلهم، ثم سار إلى سمرقند فملكها

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٢

عنوة، و نهب بعضها، و منع من الباقي، و تحصّن منه محمد خان ببعض تلك الحصون، فاستنزله السلطان سنجر بأمان، بعد مدّة، فلما
نزل إليه أكرمه و أرسله إلى ابنته زوجة السلطان سنجر، فبقى عندها إلى أن توفى.

و أقام سنجر بسمرقند مدّة حتّى أخذ المال و السلاح و الخزائن، و سلّم البلد إلى الأمير حسن تكين، و عاد إلى خراسان، فلم يلبث
حسن تكين أن مات، فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود، المقدم ذكره، و قيل إن السبب غير ما
ذكرناه، و سيرد ذكره سنة ستّ و ثلاثين للحاجة إلى ذكره هناك.

ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأثارب و هزيمة الفرنج

لمّا فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشامية، حلب و أعمالها، و ما ملكه، و قرّر قواعده، عاد إلى الموصل، و ديار الجزيرة، ليستريح عسكره، ثم أمرهم بالتجهز للغزاة، فتجهّزوا و أعدّوا و استعدّوا، و عاد إلى الشام، و قصد حلب، فقوى عزمه على قصد حصن الأثارب، و محاصرته، لشدة ضرره على المسلمين.

و هذا الحصن بينه و بين حلب نحو ثلاثة فراسخ، بينها و بين أنطاكية، و كان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية، حتّى على رحي لأهل حلب بظاهر باب الجنان، بينها و بين البلد عرض الطريق، و كان أهل البلد معهم في ضرّ شديد، و ضيق، كلّ يوم قد أغاروا عليهم، و نهبوا أموالهم.

فلما رأى الشهيد هذه الحال صمّم العزم على حصر هذا الحصن، فسار إليه و نازله.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٣

فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم و راجلهم، و علموا أنّ هذه وقعة لها ما بعدها، فحشدوا و جمعوا، و لم يتركوا من طاقتهم شيئاً إلّا استفدوه، فلمّا فرغوا من أمرهم ساروا نحوه، فاستشار أصحابه فيما يفعل، و كلّ أشار بالعود عن الحصن، فإن لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يدرى على أىّ شيء تكون العاقبة. فقال لهم: إنّ الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا و ساروا في أثرنا، و خربوا بلادنا، و لا بدّ من لقاءهم على كلّ حال.

ثم ترك الحصن و تقدّم إليهم، فالتقوا، و اصطفّوا للقتال، و صبر كلّ فريق لخصمه، و اشتدّ الأمر بينهم، ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المسلمين، فظفروا، و انهزم الفرنج أقيح هزيمة، و وقع كثير من فرسانهم في الأسر، و قتل منهم خلق كثير، و تقدّم عماد الدين إلى عسكره بالإنجاز، و قال: هذا أوّل مصافّ عملناه معهم، فلندقّهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم، ففعلوا ما أمرهم، و لقد اجتزت [١] بتلك الأرض سنة أربع و ثمانين و خمسمائة ليلاً، فليل، فليل، فليل: إنّ كثيراً من العظام باق إلى ذلك الوقت.

فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا إلى الحصن فتسلّموه عنوة، و قتلوا و أسروا كلّ من فيه، و أخربه عماد الدين، و جعله دكّا، و بقى إلى الآن خراباً، ثم سار منه إلى قلعة حارم، و هى بالقرب من أنطاكية، فحصرها، و هى أيضاً للفرنج، فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم، و هادنوه، فأجابهم إلى ذلك، و عاد عنهم و قد استدار المسلمون بتلك الأعمال، و ضعفت قوى الكافرين، و علموا أنّ البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب، و صار قصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع.

[١] اجتزت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٤

ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضاً مدينة سرجى و دارا

لمّا فرغ من أمر الأثارب و تلك النواحي، عاد إلى ديار الجزيرة، و كان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى، صاحب ماردين، و ابن عمّه ركن الدولة داود بن سقمان، صاحب حصن كيفا، قوارص، فعاد إليهم، و حصر مدينة سرجى، و هى بين ماردين و نصيبين، فاجتمع حسام الدين، و ركن الدولة، و صاحب آمد، و غيرهم، و جمعوا خلقاً كثيراً من التركمان بلغت عدّتهم عشرين ألفاً، و ساروا إليه، فتصافّوا بتلك النواحي، فهزمهم عماد الدين و ملك سرجى.

فحكى لى والدى قال: لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر و نهبه، فبلغ الخبر إلى عماد الدين، فسار نحو الجزيرة، و أراد دخول بلد داود، ثم عاد عنه لضيق مسالكه، و خشونة الجبال التى فى الطريق، و سار إلى دارا «١» فملكها، و هى من القلاع فى

تلك الأعمال.

ذكر وفاة الأمر و خلافة الحافظ العلوى

فى هذه السنة، ثانى ذى القعدة، قتل الأمر بأحكام الله أبو على بن المستعلى العلوى، صاحب مصر، خرج إلى منتزه له، فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه، لأنه كان سيئ السيرة فى رعيتته، و كانت ولايته تسعا [١] و عشرين سنة

[١] تسع.

(١). بهرد. IdoB؛ أبرد. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٥

و خمسة أشهر، و عمره أربعاً [١] و ثلاثين سنة، و هو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذى ظهر بسجلماسة و بنى [٢] المهديّة بإفريقية، و هو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا.

و لما قتل لم يكن له ولد بعده، فولى بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله، و لم يبايع بالخلافة، و إنما بويغ له لينظر فى الأمر نيابة، حتى يكشف عن حمل إن كان للأمر فتكون [٣] الخلافة فيه، و يكون هو نائبا عنه.

و مولد الحافظ بعسقلان، لأن أباه خرج من مصر إليها فى الشدة، فأقام بها، فولد ابنه عبد المجيد هناك، و لما ولى استوزر أباً على أحمد بن الأفضل ابن بدر الجمالى، و استبد بالأمر، و تغلب على الحافظ، و حجر عليه، و أودعه فى خزانه، و لا يدخل إليه إلا من يريد أبو على، و بقى الحافظ له اسم لا معنى تحته، و نقل أبو على كل ما [٤] [كان] فى القصر إلى داره من الأموال و غيرها، و لم يزل الأمر كذلك إلى أن قتل أبو على سنة ست و عشرين [و خمسمائة] فاستقامت أمور الحافظ، و حكم فى دولته، و تمكّن من ولايته و بلاده.

ذكر عده حوادث

فى هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر، و هى زوجة السلطان محمود.

[١] أربع.

[٢] و بنا.

[٣] فيكون.

[٤] كلما.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٦

و فيها قتل يميند الفرنجى صاحب أنطاكية.

و فيها توفى نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك، فى شعبان، ببغداد، و وقع الحريق فى داره بعد وفاته، و فى حظائر الحطب، و السوق التتشى، فذهب من الناس أموال كثيرة.

و فيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفى لصاحب دمشق تاج الملوك.

و فيها كان الرصد بالدار السلطانية، شرقى بغداد، تولاه البديع الاصرلابى، و لم يتم.

و فيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين، فنال الناس منها خوف شديد، و أذى عظيم. و فيها، في ذى الحجة، خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان، و كان عند عمه السلطان سنجر، و وصل إلى ساوة، و وقع الإرجاف أن عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قوى، و أن عمه سنجر أمره بذلك، فاستشعر السلطان محمود، و سار عن بغداد إلى همذان، فلتمّيا وصل إلى كرمانشاهان وصل إليه أخوه الملك مسعود و خدمه، و لم يظهر للإرجاف أثر، فأقطعه السلطان مدينة كنج و أعمالها و سيّره إليها.

و فيها كانت زلزلة عظيمة، في ربيع الأول، بالعراق، و بلد الجبل، و الموصل، و الجزيرة، فخرّبت كثيرا. و فيها ملك السلطان محمود قلعة الموت.

و فيها توفى إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق الغزّي من أهل غزّة، مدينة فلسطين من الشام، و مولده سنة إحدى و أربعين و أربعمئة، و هو من الشعراء المجيدين، فمن قوله من قصيدة يصف فيها الأتراك:

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٧ في فتيه من جيوش الترك ما تركت للرعذ كراتهم صوتا و لا صيتا قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا، و إن قوتلوا كانوا عفاريتا و له في الزهد:

إنما هذه الحياة متاع، و السفية الغوى من يصطفها

ما مضى [١] فات و المؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيها و فيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبد الله النحوي. الشاعر، المعروف بالبارع، أخو أبي الكرم بن فاخر النحوي لأمه، ولد سنة سنة ثلاث و أربعين و أربعمئة، و له شعر مليح، فمنه قوله:

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى فقد قنعت بطيف منك فى الوسن
لا تحسبى التوم قد أوشكت [٢] أطلبه، إلّا رجاء خيال منك يؤنسنى
تركتنى و الهوى فردا أغالبه، و نام ليلىك عن همّ يؤرّقنى و هى طويلة.

و فيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطا بن محمد أبو سعد المهرواني، النيسابوري، و مولده سنة إحدى و ثلاثين و أربعمئة، و كان محدّثا، حافظا، صالحا.

[١] مضا.

[٢] أوحشت.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٨

٥٢٥ ثم دخلت سنة خمس و عشرين و خمسمئة

ذكر أسر ديبس بن صدقة و تسليمه إلى عماد الدين زكى

فى هذه السنة، فى شعبان، أسر تاج الملوك بورى بن طغتكين، صاحب دمشق، الأمير ديبس بن صدقة، صاحب الحلة، و سلّمه إلى أتابك الشهيد زكى بن آقسنقر.

و سبب ذلك: أنّه لما فارق البصرة، على ما ذكرناه، جاءه قاصد من الشام، من صرخد، يستدعيه إليها، لأنّ صاحبها كان خصيّا، فتوفى هذه السنة، و خلفه جارية سرّية له، فاستولت على القلعة و ما فيها، و علمت أنّها لا يتم لها ذلك إلّا بأن تتصل برجل له قوّة و نجدة، فوصف لها ديبس بن صدقة و كثره عشيرته، و ذكر لها حاله، و ما هو عليه بالعراق، فأرسلت تدعوه إلى صرخد لتتزوج [١] به، و تسلّم

القلعة و ما فيها من مال وغيره إليه. فأخذ الأدلاء معه، و سار من أرض العراق إلى الشام، فضلً به الأدلاء بنواحي دمشق، فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة، فأخذوه و حملوه إلى تاج الملوكة، صاحب دمشق، فحبسه عنده. و سمع أتابك عماد الدين زنكي الخبر، و كان دبيس يقع فيه و ينال منه، فأرسل إلى تاج الملوكة يطلب منه دبيسا ليسلمه إليه، و يطلق ولده، و من

[١] لتزوج.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٦٩

معه من الأمراء المأسورين، و إن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق و حصرها و خرّبها و نهب بلدها، فأجاب تاج الملوكة إلى ذلك، و أرسل أتابك سونج بن تاج الملوكة، و الأمراء الذين معه، و أرسل تاج الملوكة دبيسا، فأيقن دبيس بالهلاك، ففعل زنكي معه خلاف ما ظنّ، و أحسن إليه، و حمل له الأقوات، و السلاح و الدوابّ و سائر أمتعة الخزائن، و قدّمه حتّى على نفسه، و فعل معه ما يفعل أكابر الملوكة.

و لما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الأنباري، و أبا بكر بن بشر الجزري، من جزيرة ابن عمر، إلى تاج الملوكة يطلب منه أن يسلم دبيسا إليه، لما كان متحققا به من عداوة الخليفة، فسمع سديد الدولة بن الأنباري بتسليمه إلى عماد الدين، و هو في الطريق، فسار إلى دمشق و لم يرجع، و ذمّ أتابك زنكي بدمشق، و استخفّ به، و بلغ الخبر عماد الدين، فأرسل إلى طريقه من يأخذه إذا عاد، فلمّا رجع من دمشق قبضوا عليه، و على ابن بشر، و حملوهما إليه، فأمّا ابن بشر فأهانته و جرى في حقّه مكروه، و أمّا ابن الأنباري فسجنه.

ثم إنّ المسترشد بالله شفع فيه فأطلق، و لم يزل دبيس مع زنكي حتّى انحدر معه إلى العراق، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة السلطان محمود و ملك ابنه داود

في هذه السنة، في شوال، توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد بهمذان، و كان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الأنسابادي من جماعة من الأمراء و أعيان الدولة، منهم: عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي، و الأمير أنوشتكين المعروف بشيركير، و ولده عمر، و هو أمير حاجب السلطان،

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٠

و غيرهم، فأما عزيز الدين فأرسله مقبوضا عليه إلى مجاهد الدين بهروز بتكريت، ثم قتل بها، و أمّا شيركير و ولده فقتلا في جمادى الآخرة.

ثم إنّ السلطان مرض و توفّي في شوال، و أعدد ولده الملك داود في السلطنة باتّفاق من الوزير أبي القاسم و أتابكه آقسنقر الأحمديلي، و خطب له في جميع بلاد الجبل و أذربيجان، و وقعت الفتنة بهمذان و سائر بلاد الجبل، ثم سكنت، فلمّا اطمأنّ الناس و سكنوا سار الوزير بأمواله إلى الرّي، فأمن فيها حيث هي للسلطان سنجر.

و كان عمر السلطان محمود لما توفّي نحو سبع و عشرين سنة، و كانت ولايته للسلطنة اثنتي عشرة [١] سنة و تسعة أشهر و عشرين يوما، و كان حليما، كريما، عاقلا، يسمع ما يكره و لا يعاقب عليه، مع القدرة، قليل الطمع في أموال الرعايا، عفيفا عنها، كافّا لأصحابه عن التطرّق إلى شيء منها.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين، صاحب دمشق، فجرحوه جرحين، فبرأ أحدهما، و تنسّر [٢] الآخر، و بقى فيه ألمه، إلا أنه يجلس للناس، و يركب معهم على ضعف فيه.
و فيها توفى الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله فى رجب.
و فيها، فى شوال، توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو على الفقيه الشافعى

[١] عشر.

[٢] فتنسّر.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧١
الواعظ، مدرّس النظامية ببغداد، و أصله من الزوزان.
و الخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى، خطيب الموصل، توفى فى ربيع الأول.
و حماد بن مسلم الدباس الرّحبي الزاهد المشهور، صاحب الكرامات، و سمع الحديث، و له أصحاب و تلامذة كثيرون «١» ساروا، و رأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قد ذمه و ثلّبه، و لهذا الشيخ أسوء بغيره من الصالحين، فإن ابن الجوزى قد صنّف كتابا سماه تليس إبليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين و صالحهم.
و هبة الله بن محمّد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب، و مولده سنة اثنتين و ثلاثين و أربعمائه، سمع أبا على بن المهذب، و أبا طالب بن غيلان و غيرهما، و هو راوى مسند أحمد بن حنبل و الغيلانيات [١] و غيرهما.
و محمّد بن الحسن بن على بن الحسن أبو غالب الماوردى، ولد سنة خمسين و أربعمائه بالبصرة، و سمع الحديث الكثير، و روى سنن أبى داود السجستاني، و كان صالحا.

[١] و الغيلانيات.

(١). و تلاميذ كثير. IdoB

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٢

٥٢٦ ثم دخلت سنة ست و عشرين و خمسمائة

ذكر قتل أبى على وزير الحافظ و وزارة يأنس و موته

فى هذه السنة، فى المحرم، قتل الأفضل أبو على بن الأفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى، صاحب مصر.
و سبب قتله: أنه كان قد حجر على الحافظ، و منعه أن يحكم فى شىء من الأمور، قليل أو جليل، و أخذ ما فى قصر الخلافة إلى داره، و أسقط من الدعاء ذكر إسماعيل الذى هو جدّهم، و إليه تنسب الإسماعيلية، و هو ابن جعفر بن محمّد الصادق، و أسقط من الأذان حى على خير العمل، و لم يخطب للحافظ، و أمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم، و هى: السيّد الأفضل الأجلّ، سيّد مماليك أرباب الدول، و المحامى عن حوزة الدين، و ناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين و الأبعدين، ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته و حضوره، و القائم بنصرته بماضى سيفه و صائب رأيه و تدبيره، أمين الله على عباده، و هادى القضاء إلى أتباع شرع الحق و اعتماده، و مرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه و إرشاده، مولى النعم، و رافع الجور عن الأمم، و مالك [١] فضيلتى السيف و القلم، أبو على أحمد

بن السيد الأجلّ الأفضل، شاهنشاه أمير الجيوش.
و كان إمامي المذهب، يكثر ذمّ الأمر، و التناقص به، فنفرت منه شيعة

[١] و ملك.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٣

العلويين و مماليكهم، و كرهوه، و عزموا على قتله، فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة إلى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه، فكمّن له جماعة منهم مملوك فرنجي كان للحافظ، فخرجوا عليه، فحمل الفرنجي عليه، فطعنه فقتله، و حزّوا رأسه، و خرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها، و نهب الناس دار أبي عليّ، و أخذ منها ما لا يحصى، و ركب الناس و الحافظ إلى داره، فأخذ ما بقي فيها و حمّله إلى القصر.

و بويق يومئذ الحافظ بالخلافه، و كان قد بويق له بولاية العهد، و أن يكون كافلا لحمل إن كان للأمر، فلمّا بويق بالخلافه استوزر أبا الفتح يأنس الحافظي في ذلك اليوم بعينه، و لقب أمير الجيوش، و كان عظيم الهيبة، بعيد الغور، كثير الشرّ، فخافه الحافظ على نفسه، و تخيّل منه يأنس، فاحتاط، و لم يأكل عنده شيئا، و لا شرب، فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فراشه في بيت الطهارة ماء مسموما، فاغتسل به، فوقع الدود في سفله، و قيل له: متى قمت من مكانك هلكت، فكان يعالج بأن يجعل اللحم الطري في المحلّ، فيعلق به الدود فيخرج و يجعل عوضه، فقارب الشفاء، فليل للحافظ: إنّه قد صلح، و إن تحرك هلكت، فركب إليه الحافظ كأنّه يعود، فقام له و مشى [١] إلى بين يديه، و قعد الحافظ عنده، ثم خرج من عنده، فتوفّي من ليلته، و كان موته في السادس و العشرين من ذي الحجة من هذه السنة.

و لمّا مات يأنس استوزر الحافظ ابنه حسنا، و خطب له بولاية العهد، و سيرد ذكر قتله سنة تسع و عشرين [و خمسمائة].
و إنّما ذكرت ألقاب أبي عليّ تعجبا منها، و من حماقة ذلك الرجل، فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين

[١] و مشا.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٤

السلجوقية كنظام الملك و غيره يدعون الربوبية، على أنّ تربة مصر هكذا تولد، ألا ترى إلى فرعون يقول: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى «١»، و إلى أشياء آخر لا نطيل ذكرها [١].

ذكر حال السلطان مسعود و الملكين سلجوق شاه و داود و استقرار السلطنة بالعراق لمسعود

لمّا توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد، و خطب، ببلاد الجبل و أذربيجان، لولده الملك داود، على ما ذكرناه، سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس و عشرين [و خمسمائة] إلى زنجان، فأتاه الخبر أنّ عمّه السلطان مسعودا [٢] قد سار من جرجان و وصل إلى تبريز و استولى عليها، فسار الملك داود إليه و حصره بها، و جرى بينهما قتال، إلى سلخ المحرم سنة ست و عشرين [و خمسمائة] ثم اصطلحا.

و تأخّر الملك داود مرحلة، و خرج السلطان مسعود من تبريز، و اجتمعت عليه العساكر، و سار إلى همذان، و أرسل يطلب الخطبة ببغداد، و كانت رسل الملك داود قد تقدّمت في طلب الخطبة، فأجاب المسترشد بالله أنّ الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجر من أراد خطب له، و أرسل إلى السلطان سنجر أن لا يأذن لأحد في الخطبة، فإن الخطبة ينبغي أن تكون له وحده، فوقع ذلك منه موقعا

ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر إلى بلاد الجبال، و معه الملك طغرل ابن السلطان محمد، و كان عنده قد لازمه، فوصل إلى الرّي، ثم سار منها إلى همذان، فوصل الخبر إلى الخليفة المسترشد بالله و السلطان مسعود بوصولهم إلى همذان، فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله، و أن يكون الخليفة معهم، و تجهز الخليفة، فتقدم قراجه الساقى، و السلطان مسعود، و سلجوق شاه نحو السلطان سنجر، و تأخر المسترشد بالله عن المسير معهم، فأرسل إلى قراجه، و ألزمه، و قال: إن الذي تخاف من سنجر آجلا أنا أفعله عاجلا. فبرز حينئذ و سار على تريث، و توقف إلى أن بلغ إلى خانقين و أقام بها.

و قطعت خطبة سنجر من العراق جميعه، و وصلت الأخبار بوصول عماد الدين زنكى و ديبس بن صدقة إلى قريب بغداد، فأما ديبس فإنه ذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلّة، و أرسل إلى المسترشد بالله يضرع و يسأل

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٧

الرضا عنه، فامتنع من إجابته إلى ذلك.

و أما عماد الدين زنكى فإنه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنة بغداد، فعاد المسترشد بالله إلى بغداد، و أمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها، و جند أجنادا جعلهم معهم.

ثم إن السلطان مسعودا [١] وصل إلى دادمج، فلقيتهم طلائع السلطان سنجر في خلق كثير، فتأخر السلطان مسعود إلى كرمانشاهان، و نزل السلطان سنجر في أسدأباد في مائة ألف فارس، فسار مسعود و أخوه سلجوق شاه إلى جبلين يقال لهما: كاو، و ماهى، فنزلا بينهما، و نزل السلطان سنجر كنكور، فلما سمع بانحرفهم أسرع في طلبهم، فرجعوا إلى ورائهم مسيرة أربعة أيام في يوم و ليلة، فالتقى العسكران بعولان، عند الدينور، و كان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدم المسترشد، فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصافى، و جعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد، و قماج، و أمير أميران، و على ميسرته خوارزم شاه أتسز بن محمد مع جمع من الأمراء، و جعل مسعود على ميمنته قراجه الساقى، و الأمير قزل، و على ميسرته يرتقش بازدار، و يوسف جاووش، و غيرهما، و كان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام. الكامل في التاريخ ج ١٠ ٦٧٧ ذكر الحرب بين السلطان مسعود و عمه السلطان سنجر ص: ٦٧٦

و وقعت الحرب، و قامت على ساق، و كان يوما مشهودا، فحمل قراجه الساقى على القلب، و فيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر، و بين يديه الفيلة، فلما حمل قراجه على القلب، رجع الملك طغرل، و خوارزم شاه إلى وراء ظهره، فصار قراجه في الوسط، فقاتل إلى أن جرح عدّة جراحات، و قتل كثير من أصحابه، و أخذ هو أسيرا و به جراحات كثيرة، فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم و سلم من المعركة،

[١] مسعود.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٨

و قتل يوسف جاووش، و حسين أزبك، و هما من أكابر الأمراء، و كانت الواقعة ثامن رجب من هذه السنة.

فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر و أحضر قراجه، فلما حضر قراجه سبه و قال له: يا مفسد أى شيء كنت ترجو بقتالى؟ قال: كنت أرجو أن أقتلك و أقيم سلطانا أحكم عليه. فقتله صبورا، و أرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه، فحضر عنده، و كان قد بلغ خونج، فلما رآه قبله، و أكرمه، و عاتبه على العصيان عليه، و مخالفته، و أعاده إلى كنج، و أجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد في السلطنة، و خطب له في جميع البلاد، و جعل في وزارته أبا القاسم الأنساباذى، وزير السلطان محمود، و عاد إلى خراسان، فوصل إلى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست و عشرين [و خمسمائة].

و أما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره.

ذكر مسير عماد الدين زنكى إلى بغداد و انهزاه

لما سار المسترشد بالله من بغداد، و بلغه انهزام السلطان مسعود، عزم على العود إلى بغداد، فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى إلى بغداد، و معه ديبس ابن صدقة، و كان السلطان سنجر قد كاتبهما، و أمرهما بقصد العراق، و الاستيلاء عليه، فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود إليها، و عبر إلى الجانب الغربى، و سار فنزل بالعباسية، و نزل عماد الدين بالمنارية من دجيل، و التقيا بحصن البرامكة فى السابع و العشرين من [١] رجب، فابتدأ زنكى فحمل على يمينه الخليفة، و بها جمال الدولة إقبال، فانهزموا منه، و حمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على

[١] سابع و عشرين.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٧٩

يمينه عماد الدين و ديبس، و حمل الخليفة بنفسه، و اشتد القتال، فانهزم ديبس، و أراد عماد الدين الصبر، فرأى الناس قد تفرقوا عنه، فانهزم أيضا، و قتل من العسكر جماعة، و أسر جماعة، و بات الخليفة هناك ليلته، و عاد من الغد إلى بغداد.

ذكر حال ديبس بعد الهزيمة

و فيها عاد ديبس، بعد انهزامه المذكور، يلوذ ببلاد الحلة و تلك النواحي، و جمع جمعا، و كانت تلك الولاية بيد إقبال المسترشدى، فأمد بعسكر من بغداد، فالتقى هو و ديبس، فانهزم ديبس و اختفى فى أجمه هناك، و بقى ثلاثة أيام لم يطعم شيئا، و لم يقدر على التخلص منها، حتى أخرجه حماس «١» على ظهره. ثم جمع جمعا و قصد واسط، و انضم إليه عسكرها، و بختيار و شاق، و ابن أبى الجبر، و لم يزل فيه إلى أن دخلت سنة سبع و عشرين [و خمسمائة]، فنفذ إليهم يرنقش بازدار، و إقبال الخادم المسترشدى، فى عسكر، فاقتتلوا فى الماء و البر، فانهزم الواسطيون و ديبس، و أسر بختيار و شاق و غيره من الأمراء.

ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق

فى هذه السنة، فى رجب، توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين، صاحب دمشق.

(١). جماس. P.C.IdoB.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٠

و سبب موته أن الجرح الذى كان به من الباطية، و قد ذكرناه، اشتد عليه الآن، و أضعفه، و أسقط قوته، فتوفى فى الحادى و العشرين من رجب، و وصى بالملك بعده لولده شمس الملوك إسماعيل، و وصى بمدينة بعلبك و أعمالها لولده شمس الدولة محمّد. و كان بورى كثير الجهاد، شجاعا، مقداما، سدّ مسدّ أبيه، و فاق عليه، و كان ممدّحا، أكثر الشعراء مدائحه، لا سيما ابن الخياط، و ملك بعده ابنه شمس الملوك، و قام بتدبير الأمر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز، شحنة دمشق، و هو حاجب أبيه، و اعتمد عليه، و ابتدأ أمره بالرفق بالرعية، و الإحسان إليهم، فكثرت الدعاء له و القصاد عليه.

ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة و حصن راس و حصره بعلبك

في هذه السنة ملك شمس الملوك إسماعيل، صاحب دمشق، حصن اللبوة، و حصن راس. و سبب ذلك: أنّهما كانا لأبيه تاج الملوك، و في كلّ واحد منهما مستحفظ يحفظه [١]، فلمّا ملك شمس الملوك بلغه أنّ أخاه شمس الدولة محمّدا [٢]، صاحب بعلبك، قد راسلها، و استمالها إليه، فسلمّا الحصنين إليه، و جعل فيهما من الجند ما يكفيهما، فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقيح هذه الحال، و يطلب أن يعيدهما إليه، فلم يفعل، فأغضى على ذلك، و تجهّز من غير أن يعلم أحدا.

[١] يحفظها.

[٢] محمّد.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨١

و سار هو و عسكريه، آخر ذى القعدة، فطلب جهه الشمال، ثم عاد مغربا، فلم يشعر من بحصن اللبوة إلّا و قد نزل عليهم، و زحف لوقته، فلم يتمكنوا من نصب [١] منجنيق و لا- غيره، فطلبوا الأمان، فبذله لهم، و تسلّم الحصن من يومه، و سار من آخر النهار إلى حصن راس، فبغتهم، و جرى الأمر فيه على تلك القضية، و تسلّمه، و جعل فيهما من يحفظهما [٢]. ثم رحل إلى بعلبك و حصرها، و فيها أخوه شمس الدولة محمّد، و قد استعدّ، و جمع في الحصن ما يحتاج إليه من رجال و ذخائر، فحصرهم شمس الملوك، و زحف في الفارس و الراجل، و قاتله أهل البلد على السور، ثم زحف عدّة مرّات، فملك البلد بعد قتال شديد، و قتلى كثيره، و بقى الحصن، فقاتله، و فيه أخوه، و نصب المجانيق [٣]، و لازم القتال، فلمّا رأى أخوه شمس الدولة شدّة الأمر أرسل يبذل الطاعه، و يسأل أن يقرّ على ما بيده، و جعله أبوه باسمه، فأجابته إلى مطلوبه، و أقرّ عليه بعلبك و أعمالها، و تحالفوا، و عاد شمس الملوك إلى دمشق و قد استقامت له الأمور.

ذكر الحرب بين السلطان طغرل و الملك داود

في هذه السنة، في رمضان، كانت الحرب بين الملك طغرل و بين ابن أخيه الملك داود بن محمود، و كان سببها: أنّ السلطان سنجر أجلس الملك طغرل في السلطنة، كما ذكرناه، و عاد إلى خراسان لأنّه بلغه أنّ صاحب

[١] لنصب.

[٢] يحفظها.

[٣] المناجيق.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٢

ما وراء النهر أحمد خان قد عصى [١] عليه، فبادر إلى العود لتلافي ذلك الخرق، فلمّا عاد إلى خراسان عصى [١] الملك داود على عمّه طغرل، و خالفه، و جمع العساكر بأذربيجان، و بلاد كنجه، و سار إلى همذان، فنزل، مستهلّ رمضان، عند قرية يقال لها وهان، بقرب همذان.

و خرج «١» إليه طغرل، و عبأ كلّ واحد منهما [٢] أصحابه ميمنه و ميسره، و كان على ميمنه السلطان طغرل ابن برسق، و على ميسرته قزل، و على مقدّمته قراسنقر، و كان على ميمنه داود يرشق الزكوى، و لم يقاتل، فلمّا رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه و بركه جميعه،

و وقع الخلف في عسكر داود، فلتما رأى أتابعه آقسنقر الأحمديلي ذلك ولّى هربا، و تبعه الناس في الهزيمة، و قبض طغرل على يرناقش الزكوي، و على جماعة من الأمراء.

و أميا الملك داود فإنه لما انهزم بقي متحيرا إلى أوائل ذى القعدة، فقدم بغداد و معه أتابعه آقسنقر الأحمديلي، فأكرمه الخليفة و أنزله بدار السلطان، و كان الملك مسعود بكنجة، فلما سمع بانهزام الملك داود توجه نحو بغداد، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي، و استوزر أنوشروان بن خالد، بعد أن امتنع، و سأل الإقالة.

[١] عصا.

[٢] منه.

IdoB.(١)

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٣

و في هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفى السلطان محمود، الملقب بالعزيز، بقلعة تكريت، و قد تقدم سبب ذلك سنة خمس و عشرين [و خمسمائة].

و في المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي، مولده في شعبان سنة إحدى و خمسين و أربعمائة، و سمع الحديث من الخطيب أبي بكر، و ابن الحسين بن المهدي، و غيرهما، و تفقه، قتله أصحابه غيلة، و أخذوا ماله.

و في جمادى الأولى توفي أحمد بن عبيد الله بن كادش أبو العزّ العكبري، و كان محدثا مكثرًا.

و توفي فيها أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء، و كان أدبيا، و له شعر حسن، فمنه ما كتبه إلى جلال الدين بن صدقة الوزير:

أ مولانا جلال الدين، يا من أذكره بخدمتي القديمة

أ لم تك قد عزمت على اصطناعي، فما ذا صدّ عن تلك العزيمة؟

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٤

٥٢٧ ثم دخلت سنة سبع و عشرين و خمسمائة

ذكر ملك شمس الملوك بانياس

في هذه السنة، في صفر، ملك شمس الملوك، صاحب دمشق، حصن بانياس من الفرنج.

و سبب ذلك: أن الفرنج استضعفوه و طمعوا فيه، و عزموا على نقض الهدنة التي بينهم، فتعرضوا إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت و أخذوها، فشكا التجار إلى شمس الملوك، فراسل في إعادة ما أخذوه، و كرّر القول فيه، فلم يردوا شيئا، فحملته [١]

الأنفة من هذه الحالة، و الغيظ، على أن جمع عسكره و تأهب، و لا يعلم أحد أين يريد.

ثم سار، و سبق خبره، أو اخر المحرم من هذه السنة، و نزل على بانياس أول صفر، و قاتلها [٢] لساعته، و زحف إليها [٣] زحفا متتابعا،

و كانوا غير متأهبين، و ليس فيها [٤] من المقاتلة من يقوم بها [٥] و قرب من سور المدينة، و ترجل بنفسه، و تبعه الناس من الفارس و الراجل، و وصلوا إلى السور فتقبوه و دخلوا البلد عنوة،

[١] فحمله.

[٢] و قاتله.

[٣] إليه.

[٤] فيه.

[٥] به.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٥

و النجا من كان من جند الفرنج إلى الحصن و تحصّوا به، فقتل من البلد كثير من الفرنج، و أسر كثير [١]، و نهبت الأموال، و قاتل القلعة قتالا شديدا ليلا و نهارا، فملكها رابع صفر بالأمان، و عاد إلى دمشق فوصلها سادسه. و أما الفرنج فإنهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكريا يسرون به إليه، فأتاهم خبر فتحها، فبطل ما كانوا فيه.

ذكر حرب بين المسلمين و الفرنج

فى هذه السنة، فى صفر، سار ملك الفرنج، صاحب البيت المقدس، فى خياله و رجائه إلى أطراف أعمال حلب، فتوجه إليه الأمير أسوار، النائب بحلب، فى من عنده من العسكر، و انضاف إليه كثير من التركمان، فاقتتلوا عند قنسرين، فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة، و انهزم المسلمون إلى حلب، و تردّد ملك الفرنج فى أعمال حلب، فعاد أسوار و خرج إليه فيمن معه من العسكر، فوقع على طائفة منهم، فأوقع بهم، و أكثر القتل فيهم و الأسر، فعاد من سلم منهزما إلى بلادهم، و انجبر ذلك المصاب بهذا الظفر، و دخل أسوار حلب، و معه الأسرى، و رعوس القتلى، و كان يوما مشهودا.

ثم إن طائفة من الفرنج من الزها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها، فسمع بهم أسوار، فخرج إليهم هو و الأمير حسان البعلبكي، فأوقعوا بهم، و قتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال، و أسروا من لم يقتل، و رجعوا إلى حلب سالمين.

[١] كثيرا.

الكامل فى التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٦

ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة و انهزام الملك طغرل

قد تقدّم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر، و عوده إلى كنجة، و ولاية الملك طغرل السلطنة، و أنه تحارب هو و الملك داود ابن أخيه محمود، و انهزام داود و دخوله بغداد، فلما بلغ السلطان مسعودا [١] انهزام داود و قصده بغداد، سار هو إلى بغداد أيضا، فلما قاربها لقيه داود، و ترجل له و خدمه، و دخلا بغداد.

و نزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة، و خاطب فى الخطبة له، فأجيب إلى ذلك، و خطب له و لداود بعده، و خلع عليهما، و دخلا إلى الخليفة فأكرمهما، و وقع الاتفاق على مسير مسعود و داود إلى أذربيجان، و أن يرسل الخليفة معهما عسكريا، فساروا، فلما وصلوا إلى مراغة حمل آقسنقر الأحمديلى مالا كثيرا، و إقامة عظيمة، و ملك مسعود سائر بلاد أذربيجان، و انهزم من بها من الأمراء مثل قراسنقر و غيره من بين يديه، و تحصّن منه كثير منهم بمدينة أردبيل، فقصدهم و حصرهم بها، و قتل منهم مقتلة

عظيمة، و انهزم الباقون.

ثم سار بعد ذلك إلى همدان لمحاربة أخيه الملك طغرل، فلما سمع طغرل بقربة برز إلى لقاءه، فاقبتلوا إلى الظهر، ثم انهزم طغرل و قصد الرّي، و استولى السلطان مسعود على همدان في شعبان، و لما استقرّ مسعود بهمدان قتل آقسنقر الأحمديّ، قتله الباطنية، فقيل إنّ السلطان مسعوداً [١] وضع عليه من قتله.

[١] مسعود.

الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص: ٦٨٧

ثم إنّ طغرل لَمَّا بلغ قَمَّ عاد إلى أصفهان و دخلها، و أراد التحصن بها، فسار إليه أخوه مسعود ليحاصره بها، فرأى طغرل أنّ أهل أصفهان لا يطاوعونه على الحصار، فرحل عنهم إلى بلاد فارس، و استولى مسعود على أصفهان، و فرح أهلها به، و سار من أصفهان نحو فارس يقتصّ أثر أخيه طغرل، فوصل إلى موضع بقرب البيضاء، فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائه فارس، فأمنه، فخاف طغرل من عسكره أنّ ينحازوا إلى أخيه، فانهزم من بين يديه، و قصد الرّي في رمضان، و قتل وزيره أبو [١] القاسم الأنساباذي في الطريق، في سؤال، قتله غلمان الأمير شيركير الذي سعى في قتله، كما تقدّم ذكره.

و سار السلطان مسعود يتبعه، فلحقه بموضع يقال له ذكراور «١»، فوقع بينهما المصافّ هناك، فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل، فوقع عسكره في أرض قد نضب عنها الماء، و هي و حل، فأسر منهم جماعة من الأمراء منهم: الحاجب تنكر «٢»، و ابن بغرا، فأطلقهم السلطان مسعود، و لم يقتل في هذا المصافّ إلّا نفر يسير و رجع السلطان مسعود إلى همدان. تم المجلد العاشر

[١] أبا.

(١). دكرار. ldoB

(٢). تنكش: utxetnI. gramxE

الكامل في التاريخ، ج ١١، ص: ٥

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقفٍ كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التحرّي الأدقّ للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامعہ ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفتق و فاني/ " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان

الغامدية

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

